الداعي المطلق
إدريس عماد الدين القرشي



تحقيق وتقديم
الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس



عيون الاخبار وفنون الاثار

سلسلة التراث الفاطمي

١٥

عيون الأخبار وفنون الآثار

في فضائل الأئمة الأطهار

السبع الخامس

تأليف

الداعي المطلق ادريس عماد الدين القرشي

المتوفى سنة ٨٧٢هـ

حققه وكتب مقدمته

الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

للطباعة والنشر - بيروت



دار الأ[illegible] - بيروت [illegible]

مقدمـــة

عندما نشرنا السبع الرابع من عيون الاخبار وفنون الاثار للداعي المطلق ادريس عماد الدين القرشي (١) عام ١٩٧٣ ولاقى ما لاقاه من رواج في كافة الاوساط العلمية . راح القراء يتساءلون عن الاسباب التي جعلتنا نصدر السبع الرابع دون بقية المجلدات .

وانهالت علينا الرسائل من كافة أنحاء العالم تطالبنا بلزوم نشر كل اجزاء هذه الموسوعة التاريخية الهامة خدمة للعلم والتاريخ ، وتبيانا للحقائق الخفية التي ظلت قرون عديدة تعيش في زوايا التقية وسراديب الكتمان .

مما شجعنا رغم الصعوبات الكثيرة التي أعترضت طريقنا ونحن نحاول الحصول على هذه المخطوطة المفقودة تقريبا ، ولا يملكها الا سلطان البهرة وبعض المشايخ الذين يحرصون على عدم تسربها الى غير اهلها ، عملا بنظام التقية المعروف عند الاسماعيلية . اقول مما شجعنا على تقديم السبع الخامس من الموسوعة التاريخية عيون الاخبار وفنون الاثار على ان نتبعه ببقية المجلدات في المستقبل القريب انشاء الله تعالى .

ولا بد لنا من الاشارة الى ان المؤلف الداعي ادريس عماد الدين القرشي المؤرخ الاسماعيلي الوحيد الذي ارخ للدعوة الاسماعيلية ، ووصف الاحداث والظروف والمناسبات التي ادت الى قيام هذه الدعوة ، وشرح بأسلوب تاريخي علمي العلل والاسباب التي تعرضت لها في أجواء العالم الاسلامي فنتج عنها ظهور الخلافة الفاطمية ، وقيام الدولة الاسماعيلية في شمال أفريقيا ومصر بعد أن انتقل الائمة الذين كانوا يعيشون في ظل الستر والتقية ...

---

(١) لمعرفة ترجمة حياة المؤلف راجع مقدمتنا في السبع الرابع منشورات ... الفاطمي بيروت .

سلمية سورية ، وأمتد النفوذ الفاطمي فشمل العالم الاسلامي بكامله .

ولقد اعتمد ادريس عماد الدين وهو يدون هذه الموسوعة التاريخية الهامة على الروايات المنقولة ، والوثائق السرية المحفوظة في بيت الدعوةالاسماعيلية في اليمن ، فصاغ الحوادث ، وسرد الوقائع ، بأسلوب المؤرخ المتمكن الناهد الى الكشف عن الحقائق الغامضة ، وقدم الاحداث بخفاياها وتاريخهـا وأشخاصها ، باطار محكم من الصدق والامانة ، مما اضفى على الكتـاب اهمية تاريخية قيمة ، قلما نجدها في كتاب من كتب التاريخ المعروفة التـي أرخت لهذه الفتـرة .

ومما لا شك فيه بأن ادريس عماد الدين القرشي كما يستدل من مصنفاته الكثيرة في التاريخ والعقائد ، كان علما من أعلام الدعوة الاسماعيلية المستعلية الذين أرخوا للدعوة ، وكشفوا عن أسرارها ، وبحثوا في عقائدها ، واظهروا الزوايا الغامضة التي رافقت الخلافة الفاطمية منذ تاسيسها في المغرب وحتى آخر عهودهـا .

وفي ضوء هذه المعطيات العلميـة يمكننا أن نعتبر السبـع الخامس الذي نقدمه للقارىء من أوثق المصادر التاريخية التي يحتاجها الباحث عن كنـه الدولة الفاطمية التي لعبت دورا هاما في تاريخ المغرب العربي السياسـي والعقائدي بصورة خاصة ، وفي العالم الاسلامي بصورة عامة .

كيف لا وقد كانت المحرك المنشط لكافـة التفاعـلات العقلانية والادبية والتاريخية والثورية التي اجتاحت العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه ، محاولة تفجير طاقاته الخيرة ، وجعله خصبا منتجا يوزع العلم والمعرفة على ابناء الانسانية جمعاء .

تحقيق الكتاب

وجدنا أثناء جولتنا في الهند بحثا عن التراث الفاطمي سنة ١٩٧١ ميلادية نسخة وحيدة من السبع الخامس مـن عيون الاخـبار اشتريناها من احد المشايخ من مدينة سورت وقد رمزنا اليها بالحرف (ب) وهـو الحرف الاول من اسم مالكها .

كتبت هذه النسخة على ورق أصفر عادي بالمداد الاسود، تحتوي على

٧٥٠ صفحة ، مقاس الصفحة ١٢ × ٢٠سم، وتشتمل كل صفحة على ١٥ سطرا، وكل سطر على ٩ كلمات . جيدة النسخ والخط، أغلاطها قليلة جدا، اعتمدناها في المقارنة والتحقيق ، كما اعتمدنا على بعض المخطوطات الاسماعيلية الاخرى لضبط بعض الروايات التي اعتمدها المؤلف .

جاء في نهاية النسخة ما يلي : « قد وقع الفراغ من زبره يوم الاربعاء السادس عشر من شهر جمادي الاخرى من سنة ١٢٢٩ هجرية . كتبه الاقل الراجي رحمة ربه الاجل أمين بن علي الكاتهاواري وطنا الكاد مكروي مسكنا ثبته الله على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده الكرام الروحانيين والجسمانيين العلويين والسفليين بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين في بلد برهانبور دار السرور مزار السادة الامجاد سيدي ومولاي عبد القادر حكيم الدين مأذون الدعوة وسيدنا ومولانا الداعي عبد الطيب زكي الدين ابن سيدنا ومولانا اسماعيل بدر الدين والشيخ الفاضل الحبر الكامل مولاي الشيخ جيونجي بن الشيخ الفاضل داؤد بهائي أعلى الله تعالى قدسهم ورزقنا شفاعتهم وأنسهم بحق سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين يا رب العالمين .

ولما كان الاسلوب المتبع في تحقيق الكتب المخطوطة يوجب البحث عن نسخ أخرى من المخطوطة ، اتصلنا ببعض المهتمين بالدراسات الاسماعيلية ، وبأكثر الجامعات العالمية محاولين العثور على نسخة أخرى من السبع الخامس ، ولكن ومع الاسف الشديد باءت محاولاتنا بالفشل .

ومع ما أصابنا من خيبة أمل خلال عدة سنوات لم نستكن ، بل حاولنا مع بعض مشايخ البهرة في الهند حتى قيض الله لنا شيخ فاضل ، وانسان مؤمن، فأرسل الينا النسخة الثانية من السبع الخامس طالبا منا أن لا نشير الى اسمه حرصا على سلامته وخشيته أن يوصم بالكفر والخروج من الدين .

ومع أن هذه النسخة مليئة بالاخطاء وفيها تقديم وتأخير فقد استفدنا منها كثيرا ورمزنا اليها بالحرف (ج) . وتحتوي على ٧٢٠ صفحة مقاس الصفحة ١٢ × ٢٢ سم، وتشتمل كل صفحة على ١٦ سطرا ، وكل سطر على ١٠ كلمات . تاريخ نسخها مفقود وليس هناك ما يشير الى اسم ناسخها .

وفي نهاية المطاف نقدم جزيل الشكر والامتنان لكل الاخوة الذين ساعدونا وساهموا معنا في اخراج هذا السفر رغم المصاعب الطباعية وغلاء الورق في

هذه الايام ، ونعتذر لصاحب السمو محمد برهان الدين الداعي المطلق للطائفة البهرة عن بعض الاخطاء الغير مقصودة التي ظهرت في حاشية السبع الرابع من عيون الاخبار والتي املاها علينا البحث العلمي الصحيح ، وثنا في رحابة صدر سموه ، ونظرته الى الامور بمنظار الجد ، ورجاحة العقل خير دليـل .

٢٣ شباط سنة ١٩٧٥

بيروت ــ مصطفى غالب



عيون الاخبار وفنون الاثـــار

السبع - الخامس


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٢ السبع الخامس من عيون الاخبار ، من تصنيف الداعي الاجل سيدنا ادريس بن الحسن أعلى الله قدسه .

بسم الله الرحمـــن الرحيم

الحمد لله على عميم نعمائه (١) ومتولي الائمة ، المان على خلقه بعـــلو اصفيائه (٢) ، وظهور اوليائه ، وصلى الله على خير رسله وخاتم انبيائـــه ، محمد رسول الله الى كافة العالمين بوجيه وانبائه ، وعـــلى علي وصيــه المخصوص بنصره وآخائه ، وعلى الائمة الطاهرين المصطفين من ابنائه .

ذكر ما جاء من البشارات ، والاشارات ، بظهور أمير المؤمنين صلـــوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الاكرمين :

من ذلك ما جاء عن ابي سعيد الخدري (٣) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يقول : ابشروا بالمهدي ، فانه ينبعث على اختلاف مـــن الناس شديد ، وبلابل يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويرضى عنه ساكن السماء ، وساكن الارض (٣) ، ويملأ الله قلوب عباده سرورا ويسعهم عدلـــه .

وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، انه قال : المهدي من ولد فاطمة ، سيدة نساء هذه الامة ، طالت أم قصرت ، يخرج فيملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما . قيل : ومتى يخرج ؟ وأين يخـــرج يا

---

(١) نعمائه : انعامه في ب (٢) اصفيائه : صفائه في ج

(٣) ابي سعيد الخدري : ابا سعيد في ج : وتذكر بعض النصوص الاسماعيلية وخاصة سيرة جعفر الحاجب انه كان في عصر المهدي بالله داعي مقرب اليه يسمى ابو جعفر الخدري ، او الخذري ولعله غير ابا سعيد الخدري هذا الذي عاصر الرسول (ص) وروى عنه .

رسول الله ﷺ قال : اذا كانت زلازل في أطراف الارض ، وارتشى (١) القضاة، وفجرت الامة ، خرج من المغرب في ساقه شامة ، (وبين كتفيه شامة) (٢) فردا غريبا ، قيل : وكيف يكون فردا غريبا يا رسول الله ﷺ قال : لانه ينفرد عن أهله ، ويتغرب عن وطنه .

قال القاضي النعمان بن محمد حيون التميمي (٣) رضي الله عنه ، وكذلك المهدي بالله صلوات الله عليه تغرب في هجرته عن وطنه ، وانفرد من أهله ، وقيل : كانت قبل قيامه سلام الله عليه زلازل ، وكانت فيه البشارة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وعن رسول الله صلى عليه وآله (٤) وسلم انه قال : لا بد من قائم من أولاد فاطمة ، يقوم من المغرب بين الخمسة التسعة ، يكسر شوكة المبتدعين ، ويقتل الضالين ، وكذلك بظهور المهدي بالله عليه السلام فانه ظهر من المغرب ، وكان ظهوره من سجلماسة (١) سنة ست وتسعين ومائتين ، ووصل الى مملكته بالمغرب بافريقية سنة سبعة وتسعين ، فذلك بين الخمسة والتسعة .

ويروى أبو وهب باسناده يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، انه قال : يخرج ناس من المشرق يمطون المهدي سلطانه ، فكان ذلك الامام المعز من ذرية المهدي عليهما السلام .

وقد قال بعض الائمة عليهم السلام : كلنا مهدي ، وكلنا قائم ، فظهرت دعوة المعز عليه السلام بالشرق فملك مصر ، وأظهر فيها دعوة الحق كما نذكره فيما يأتي ذكره ، ودعوته هي دعوة المهدي صلوات الله عليهما ، التي

---

(١) وارتشى : وارتشوا في ج (٢) وبين كتفيه شامة : سقطت من ج

(٣) القاضي النعمان بن محمد : هو قاضي قضاة الدولة الفاطمية أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي الف لاهل البيت كتب كثيرة ، ورسائل عديدة ، باحسن تاليف ، وأملح سجع ، وله ردود على المخالفين ، وعدة اراجيز في العقائد والفقه ، توفي سنة ٣٦٣ هجرية .

(١) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الالف سين مهملة - مدينة على حدود المغرب الجنوبية الشرقية في منطقة تافيلالت ، وهي تقع على خط عرض ٣٩/٨٠ شمالا وخط طول ٣١/٧ غربا ، على بعد نحو مائتي ميل جنوب شرق فاس . اسسها المدرار بن عبد الله سنة ١٤٠ - معجم البلدان ج ٣ ص ١٩٢

اقامها ، وابان سننها ، واعلامها . وكذلك كان (٥) داعي اليمن الذي دعى الى المهدي بالله صلوات الله عليه ، وداعي المغرب ، هما من الشرق قصدا الى حيث أصدر وأورد ، وهما من أسباب ظهور دعوة المهدي صلوات الله عليه . وعنهما كان ابتداء ظهور الدعوة اليه .

وروي عن ابي بصير انه قال : سمعت الصادق جعفر ابن محمد يروي قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : ان الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا ، كما بدأ ، فطوبى للغرباء . قال أبو بصير فقلت : اشرح لي هذه جعلت فداك يا بن رسول الله؟ قال : يستأنف الداعي منا دعاء جديدا كما دعى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله . قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وكذلك استأنف المهدي بالله صلوات الله عليه دعاء جديد الى الله عز وجل لما غيرت (١) السنن ، وكثرت البدع ، وتغلب ائمة الضلال ، وانطمس واندرس ذكر ائمة الحق ، الذين افترض الله عز وجل طاعتهم على العباد ، واقامهم للدعاء (٦) اليه ، والدلالة بآياته عليه ، ونسي ذكرهم ، وانقطع خبرهم ، لغلبة ائمة الجور . فلما أنجز (٢) الله عز وجل للائمة ما وعدهم من ظهور مهديهم، احتاج ان (يدعوهم دعاء) (٣) جديد ، كما ابتداهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالدعاء أولا .

وروي عن سفيان الثوري ، يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، قال : المهدي من ولدي ، اري وجهه كالكوكب الدري ، اللون لون عربي ، والجسم جسم اسرائيلي . قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وكذلك كان المهدي بالله صلوات الله عليه (وسيما من اجمل الرجال، وجهه كالكوكب الدري) (٤) كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في صفته ، والكوكب الدري هو المضيء من الكواكب ، وجمعها دراري ، وكذلك كان وجه المهدي عليه السلام مشرقا مضيئا ، كانما له نور يلوح لمن نظر اليه . وقوله : اللون لون عربي ، وكذلك كان لونه عليه السلام كلون

---

(١) غيرت : غارت في ب　　(٢) انجز : اجاز في ج

(٣) يدعوهم دعاء : سقطت في ج

(٤) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ب

رسول الله صلى (٧) الله عليه وآله وسلم ، سيد العرب والعجم ، ابلــج (١) الوجه يشوبه حمرة ، وهو الذي يقول له أهل المعرفة بالحلي من العــرب الرفيق السمرة ، ولا يقولون ابيض في الوان الناس ، وهذا اللون افضــل الوان الناس عند العرب ، وهو أكثر الوان اشرافهم .

وقوله : والجسم جسم اسرائيلي فأجسام بني اسرائيل اجسام جسيمة . وهو في الاكثر والاغلب أجسم من العرب . قال : وكذلك كان المهدي بالله صلوات الله عليه ، وسيما وجسيما ، لا يكاد احد يماشيه (٢) الا قصر عنه . وصغر الى جانبه . وكذلك كان من صارت الامامة اليه من بعده ، قد اتاهــم الله عز وجل الفضل والجمال (٣) .

ولقد حاول المهدي بالله صلوات الله عليه في حين استتاره أن يخفي نفسه ويخملها فما قدر على ذلك ، وكان حيثما مر ورآه من يحصل أمره يقول : والله ما هذا الا ملك من الملوك، وما هذا (٨) سوقه (٤) ، ولا تاجر كما يقول . وكذلك حاول الامام المنصور بالله صلوات الله عليــه مرارا ان يخفي نفســه لبعض من اراد ان يسمع كلامه ، متزيا بغير زيه ، ولبس خلاف لباســه : ودخل في جماعة تقدم اليهم في اطراح (٥) اجلاله وتبجيله ، وان يحلونه محل احدهم ففعلوا ، فما خفي عن من رآه ، وفعل ذلك في أسفاره ، ودخل بعض حصون المرابطين في بعض الاطراف ، ونهى من لم يره قط فما خفي ، وفعل مثل ذلك لما ظفر بخالد اللعين ، وقد صار في اسره ، ومعبد بن محمد بن خزر لما صار في الاسر ايضا فما خفي عن واحد منهما بل عرفاه ، وما كانا قبل ذلك راياه . والعرب تقول في بعض أمثالها : هيهات لا يخفى القمر .

هذا قول النعمان قدس الله روحه ، ونقول : ان بني اسرائيل كان (منهــم انبياء الله الذين اختارهم (٦) وارسلهم ، فليست امة من الامم أكثر من بني اسرائيل انبياء ، وشرف الله (٩) العرب وخصهم بأن جعل محمدا صلى الله عليه منهم ، الذي جمع الله له فضائل النبيين ، وجعله ذا قوة عنده ، وفضل مبيــن .

---

(١) ابلج : سقطت في ج
(٢) يماشيه : يمشيه في ج
(٣) والجمال : وجماله في ب
(٤) سوقه : سياقه في ج
(٥) اطرح : سقطت في ج
(٦) سقطت الكلمات المحصورة بين قوسين في ج

وشرفه على جميع الادميين ، وعسى ان يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله شبه المهدي عليه السلام بكونه خير العرب وهو من ذريته بانبياء بني اسرائيل تفضيلا له ، وتعظيما لقدره ، واشهارا لما اتاه الله من عظيم أمره .

وفي حديث عن قتادة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال : المهدي اجلا الجبهة ، اقنى الانف ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما . وكذلك كانت صفة المهدي بالله صلوات الله عليه على ما قاله القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه وكان اقنى واجلا . هذه صفتان من احسن صفات الجباه والانوف ، وملأ عدله ما وصل اليه سلطانه من الارض وملأ باقيها من اتى من الائمة (١٠) من بعده من ولده ، وهو الذي ابتدأ ذلك. وعدلهم معروف موصوف عند أهل السير لا ينسبون اليهم ما ينسب الى بني امية ، وبني العباس ، من الفجور ، وشرب الخمور ، بل حرموا ذلك في الاقطار التي ملكهم الله اياها وأتاهم سلطانه فيها ، ونهوا عنه أشد النهي ، ولذلك نفرت منهم سفهاء هذه الامة وشنئانهم اهل الشنئان ، فخرجوا من نور عدلهم الى الظلمة ، اذ كانوا قد اعتادوا شرب الخمور والفجور ، واعتاد قضاتهم الرشاء ، وشهودهم بالافك والزور ، فلما لم يجدوا في دعوة الائمة صلى الله عليهم رخصة في شيء مما حرم الله في كتابه من الهوادة في فعل المنكر وارتكابه ، نفروا عنهم وعادوهم ، وأنكروا فضلهم وعاندوهم ، وقد قيل في المثل : المرء عدو ما جهل .

ورفع الى عبد الله بن مسعود مما آثره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال رسول الله صلى الله (١١) عليه وآله وسلم : انكم معشر هذه الامة تصيرون اربع امم . أمة قائمة على الحق ، لا ينقصون منه شيء . قيل : ولا يقاتلون ؟ قال : بلى ويزلزلون زلزالا شديدا . وامة الباطل ليسوا من الحق على شيء . قيل : وهم يصلون ؟ قال : نعم فتكون صلاتهم عليهم شهيدا . وامة يريدون الحق فيخطؤنه (١) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ولا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه . وامة يقولون هؤلاء اهدى ، بل هؤلاء أهدى ، فيلبثون في ذلك ما شاء الله أن يلبثوا . ثم يوشك الاسلام أن يعود الى الباب الذي خرج منه . قيل : الى اين يا أبا عبد الرحمن؟ قال : الى بني عبد المطلب . فالامة التي على الحق هم امير المؤمنين علي بن

---

(١) فيخطؤنه : سقطت في ج

ابي طالب عليه الصلاة والسلام . والائمة الذين اختارهم الله من ولده .

وقد قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى : « جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على (١٢) الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (١) . قال : نحن الامة الوسط وايانا عني بذلك ، والتابعون لهم منهم . بدليل قول الله عز وجل على لسان نبيه محمد « فمن تبعني فانه مني » . (٢)

وقد قوتل امير المؤمنين صلوات الله عليه واصحابه اتبعوه واتبعوا الائمة من آله وزلزلوا زلزالا شديدا ، فظهرت لهم الاحقاد (٣) الاحدية والبدرية ، ونالوا من الذرية الطاهرة ما ناله منهم ، وهم في شركهم . محمد خير البرية . والذين مرقوا من الدين هم المارقون من الخوارج الذين خرجوا على امير المؤمنين صلوات الله عليه ، وقد عرفوا بذلك الاسم ، وقامت الدلائل على انهم المعنيون بقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، والذين قالوا هؤلاء اهدى بل هؤلاء اهدى ، هم الذين نصبوا لهم ائمة باختيارهم ، لم يأمرهم الله ورسوله بنصبهم . واتبعوهم (٤) على غيهم ، و (١٣) نصبوا بالعلم من لم يجر في ميدان العلم قدمه ، ولا افتتح بقول الحق فمه ، فاختلفوا في القضايا (٤) والاحكام ، وقدموا واخروا بغير امر من الله ورسوله في الاسلام ، فلبثوا في ذلك ما شاء الله ؛ ولما قام المهدي بالله عليه السلام ، عاد الاسلام الى الباب الذي منه خرج ، قال رسول الله (ص) : بما اظهره المهدي بالله والائمة من ذريته حيث [illegible] الله سلطانهم من الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ وان جحد ذلك من فضلهم من ضل واستكبر .

وعن عبد الله بن مسعود انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : لا تنقضي الدنيا حتى يليها رجل (٦) من عترتي اهل بيتي يحكم بما انزل الله . فكان ذلك المهدي صلوات الله عليه ، ومن قام من ذريته ،

---

(١) سورة ٢/١٤٣ — (٢) سورة : ١٤/٣٦

(٣) الاحقاد سقطت في ب — (٤) واتبعوهم : وتبعهم في ج

(٦) رجل سقطت في ج — (٥) القضايا : العطايا في ج

ذريه رسول الله عليه وآله .

وعن رواية عبد الرزاق يرفعه الى ابي سعيد الخدري انه قال : ذكر رسول الله (ص) بلاء يصيب هذه الامة (١٤) حتى لا يجد الرجل (١) ملجأ يلجأ اليه من الظلم . ثم قال : ثم يبعث الله عز وجل رجلا من عترتي فيملأ الارض قسطا وعدلا . كما ملئت ظلما وجورا . يرضى عنه ساكن السماء ، وساكن الارض . لا تبقى السماء من قطرها شيئا الا صبته مدرارا . ولا الارض من نباتها شيئا الا اخرجته حتى يتمنى الاحياء للاموات .

وعن ابي الملاح يرفعه الى ابن المسيب عن أم سلمه انها قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة ابنتي . ومما روي عن (ابن نسخة) (٢) يرفعه الى رسول الله (ص) انه قال : اني رأيت بني أمية على منابر (٣) الارض يملكونكم فتجدونهم أرباب سوء فانتظروا فيهم اختلاف سفائهم . فاذا اختلفت سفائهم ارتدوا على اعقابهم ولا يرتقون فتقا الا فتق الله عليهم اعظم منه . ثم يكون بعدهم غلبة (٤) الجور حتى يخرج مهدينا .

ومن رواية يحيى بن سلام يرفعه الى عبد الله بن مسعود أنه قال : قال لي رسول الله (ص) (١٥) يوما : انطلق معي يا بن مسعود فمضيت معه حتى اتينا بيتا قد غص ببني هاشم . فقال لهم رسول الله (ص) وآله وسلم : من كان معكم من غيركم فليقم (٥) . فقام من كان معهم من غيرهم حتى لم يبق الا بنو هاشم خاصة . بنو عبد المطلب وبنو العباس . فقال لهم النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم : ماذا تلقون (٦) من بعدي ؟ فقال علي عليه السلام : اخبرنا يا رسول الله : فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم : اخبرني جبرائيل انك مقتول بعدي فاردت أن أراجع فيك ربي فأبى علي . ثم قال : انه قد وليكم ولات (٧) بني أمية يقصدون بكم الضرورة ويلتمسون بكم المشقة . ثم تكون دولة لبني العباس يعملون فيها عمل الجبارين فالويل لعترتي ولبني أمية مما يلقون من بني العباس . ويهرب من بني امية رجال فيلحقون باقصى المغرب

---

(١) حتى لا يجد الرجل : سقطت في ب

(٢) ابن نسخة : ابو سخمة في ج

(٣) منابر : مكابر في ب

(٤) غلبة : سقطت في ج

(٥) فليقم : فليخرج في ج

(٦) تلقون : تفسدون في ب

(٧) ولات : قساة في ج

فيستحلون فيها المحارم زمانا ثم يخرج من عترتي (١٦) رجل غضبا لما لقي اهل بيتي وعترتي فيملأ الارض عدلاً كما ملئت جورا وظلما . يسقيه الله من صوب الغمام . فقال ناس من بني العباس : ايكون هذا ونحن احياء ؟ فنظر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اليهم كالماقت لهم ، ثم قال : والذي نفسي بيده لمن في (اصلاب فارس والروم ارجى) (١) عندي لاهل بيتي من بني العباس .

وقد ذكرنا رواية يحيى بن سلام هذه فيما قبل ولكن اعدناها بيانا للقول . ولما فيها من ذكر المهدي عليه السلام وظهوره بعد بني العباس وبني امية . لما فيه من البيان ، وواضح البرهان ، لانه قام بعد تغلب (٢) بني العباس على بني امية ، فاظهر العدل ، ونفى الجور ، وعزت به ذرية الرسول ، ولم تزل قبلة في الخمول ، ورفع عنهم السيف الذي لم يزل فيهم مسلولا مذ ولي بني امية ، وكان بنو العباس انكى لهم وافتك بهم ، حتى اظهر الله المهدي عليه السلام من عترة نبيه ، فارتفع الجور ، وظهر العدل (١٧) وعزت الذرية النبوية ، فلم ينالهم (٣) احد بالمكروه من بني العباس ، ولا بني امية .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال : لا يثبت العدل بعدي الا قليلا حتى ينقطع ، وكل ما انقطع من العدل شيء حل من الجور مثله ، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره . ثم يأتي الله بالعدل ، فكل ما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد في العدل من لا يعرف الجور . فقيل له : يا رسول الله من اهل الجور ؟ قال : بنو عمنا اذا سلمت لهم الدنيا . قيل : فمن اهل العدل ؟ قال : نحن اهل البيت .

وكان المهدي بالله صلوات الله عليه ، اول من اظهر العدل بعد الجور . وجرى ذلك أيام سلطان الائمة من ذريته دهرا طويلا بعد الجور من بني العباس وبني امية ، وظهر الجور بعد استتار الائمة عليهم السلام ، وسيظهر العدل ، ولا يزال تماقب الستر والظهور كتعاقب الظلمة والنور (١٨) حتى يرث الله الارض ، ومن عليها ، ويظهر القائم بالعدل والتوحيد ، ويكون الدين كله لله فتزول الظلمة ، ويفتتح القيامة . ويختم الدنيا ، ويستقبل الاخرة ، ويكون الجزاء على الاعمال ، فبين مثاب

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ب

(٢) تغلب : غلوب في ج

(٣) ينالهم : ينيلهم في ج

يثبوا جنات الخلود ، ومعاقب يرد جهنم وبئس الورد المورود .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وعلى الائمة من ذريته أنه قال : لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقال الله الا خيفة فاذا كان ذلك بعث الله يعسوب الدين فيضرب بذنبه ، فيجتمعون كقزيم الخريف ، اني لا اعلم اسم أميرهم ، ومنازل رجالهم .

وعنه عليه السلام أنه قال : بنا يبتر (١) الله الكذب ، وبنا يدرك اشارات المؤمنين ، وبنا تتخلع ربقة الذل عن اعناقهم .

وروي عن سليمان بن جعفر حديث (١٩) يرفعه الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه الصلاة والسلام ؛ انه ذكر امر القائم من آل محمد وما يكون على يديه من الامر فقال : صاحب هذا الامر الطريد الشريد ، الفريد الوحيد. وكذلك كان المهدي بالله صلوات الله عليه فانه لما فشت (٢) دعوته ، وكثرت الدعاة اليه ، والمستجيبون له ، طلبه أعداء الله وأعدائه ، فلم يزل شريدا طريدا وحيدا حتى رفع الله امره ، واعلى ذكره .

وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلى الله عليه أنه خطب الناس في الكوفة فندبهم الى الجهاد ، وحذرهم القتل ، وما يخشى من سوء عواقبه. فلما فرغ من خطبته قام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين من ذا يرومنا ومن ذا يطيقنا وانت فينا اخو رسول الله صلى الله عليه وابن عمه ، وصهره ، ومعنا لواء رسول الله صلى الله عليه وآله (٢٠) ، ورايته معنا ، ومعنا ابنا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة عليهما السلام ، فلو اجتمعت الجن والانس علينا ما أطاقوا ؟ فقال له علي صلوات الله عليه : وكيف يكون ذلك ولم يشتد البلاء ، وتظهر الحمية ، وتسبى الذرية ، وتطحنكم (٣) الفتنة طحن الرحى بثقالها حتى لا يبقى الا نافع لهم ، أو غير ضار ، فاذا كان ذلك بعث الله عز وجل ابن خير هذه الامة ، وقال : البرية . فيقتلهم هوجا (٤) حتى يرضي الله عز وجل ؛ حتى يقول قريش والعرب لو كان هذا من آل محمد لرحمنا ، ويتمنون انهم رأوني ساعة من نهار فاشفع لهم اليه .

---

(١) يبتر : يوتر في ج

(٢) فشت : تفشت في ج

(٣) وتطحنكم : سقطت في ب

(٤) هوجا : هوجا في ج

فقام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين متى يبلغ رضى الله ؟ قال : يقذف الله في قلبه الرحمة فيرفع السيف عنهم . فقال له : متى يكون ذلك ؟ قال : اذا شاء الله عز وجل .

فهذا قول (٢١) امير المؤمنين صلوات الله عليه . وقد قام المهدي بالله صلوات الله عليه بعد ان اشتد (١) البلاء على الشيعة . واستتر الائمة . وخفي النور وظهرت الظلمة . وقتل الحسين بن علي عليه السلام . وسبت بنو امية ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، (وقتل الامام العزيز بالله عليه السلام اهل الشام لما توجه الى دمشق) (٢) ، وكذلك وضع الامام الحاكم بامر الله سلام الله عليه السيف في المفسدين الى ان القى الله عز وجل الرحمة في قلبه . واكثر ذلك يكون في المستقبل (٣) فان الظلمة قد عمت . والبلاء قد اشتد ؛ على شيعة اولياء (٤) الله عليهم السلام . وسيعقب الظلمة النور . ويكون بعد الستر الظهور . ويظهر اولياء الله بعد غيبتهم . ويخرجون من كشف سترهم وتقيتهم . ويكون كلما وعد به (٢٢) امير المؤمنين صلوات الله عليه فهو الصادق الذي وعده الحق . وقوله الصدق .

وفي رواية ابن سلام باسناده عن امير المؤمنين صلوات الله عليه انه قال لبعض شيعته . وقد ذكروا تغلب اهل الباطل : يا معشر شيعتنا صلوا مع الجماعات . وأدوا الامانات . فاذا جاء التمييز . وقامت الحرب على ساق . فمعنا اهل البيت باب من ابواب الجنة . من اتبعه كان محسنا . ومن تخلف عنه كان ممحقا . ومن لحق به لحق بالحق . الا ان الدين بنا فتح وبنا ختم . ولو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لولاها الله عز وجل رجلا منا يملأها عدلا . كما ملئت جورا .

وبالاسناد عن عبد الله بن جبلة باسناده عن علي صلوات الله عليه انه قال : ليخرجن الاسلام نادا من ايدي الناس كانه البعير الشارد من الابل . لا يرده الله عز وجل الا برجل منا .

ومن رواية ابن غسان (٢٣) باسناده عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب

---

(١) اشتد : اشتر في ج
(٢) سقطت الكلمات المحصورة في ب
(٣) المستقبل : سقطت في ج
(٤) اولياء : سقطت في ج

صلوات الله عليه انه قال : احذروا دينكم ثلاثا : رجل أتاه الله القرآن ، وكان للاسلام عبر ذلك ما شاء الله ، ثم انسلخ ونبذه (١) وراء ظهره ، وسل سيفه على جاره ، ورماه بالاشراك . قالوا : يا أمير المؤمنين فايهما أولى به ؟ قال : القرآن . ورجلا استخفته الاحاديث كلما وضع أحدوثة كذب ، وانخلعت ابطها بأطول منها ، ان يدرك الدجال يتبعه . ورجلا من كأحدكم اتاه الله سلطانا فقال : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، وكذب ليس لمخلوق طاعة في معصية الخالق ، الا وانه لا بد من سلطان تقوم على ضلاله ، فاذا قامت طحنت وان لطحنها روقا ، وروقها حدتها ، وعلى الله فكها ، الا وان أطايب ذريتي ، وابرار عترتي ، أحلم الناس صغارا ، واعلم الناس كبارا ، بنا يبتر الله الزمان الكلب ، وبنا (٢٤) يبتر الكذب ، وانا أهل بيت من حكم الله حكمنا ، ومن صدق قول صدقنا ، فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وان تحيدوا تهلكوا بايدينا ، او بما شاء الله ، وبنا للفروخ فروخ آل محمد من خليفة (٢) من مستخلف يقتل خلفي ، وخلف الخلف ، ووالله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوله الله حتى يخرج منا رجل يقال له المهدي يملأها قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما .

وعن ابي عثمان عن علي صلوات الله عليه انه قال : يخرج منا رجلان أحدهما من الاخر يقال لاحدهما المهدي ، والاخر الرضي . فالمهدي قد ظهر وظهرت الائمة من ذريته عليهم السلام والصلاة ، ثم وقع التسمية ، ولم يسم أحد من الائمة الظهور عليهم السلام الرضي ، ولكنه الذي ينتظر ظهوره ، وهو من المهدي عليه السلام ، ومن ذريته ، كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وقوله الحق المبين .

وفي (٢٥) رواية أخرى عن علي صلوات الله عليه انه قال : كأني انظر الى دينكم موليا يتمحص بذنبه ، ليس بايديكم منه شيء ، حتى يرده الله تعالى عليكم برجل مني . وعنه صلوات الله عليه : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لو لم يبق من الدنيا غير يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك فيه رجل مني ، فاذا رأيتم ذلك اليوم لم يرم برام بسهم ولا بحجر ، ولا يطعن برمح ، فاحمدوا الله فان ابتليتم فاصبروا ، فان العاقبة للمتقين .

وروي عن الصادق جعفر بن محمد صلى الله عليه عن ابيه عن جده علي

---

(١) نبذه : نبذه في ج   (٢) خليفة : سقطت في ج

ابن الحسين عليه السلام انه سئل عن المهدي عليه السلام فقال : هـو من ولدي . وقد قيل لبعض الائمة الماضين عليهم السلام انت المهدي قال : كيف اكون المهدي ، وقد بلغت من السن ما ترون ، واخذ ساعده فمد جلده ،وقال: المهدي عليه السلام لا يؤخذ له بالركاب (٢٦) قبيل وكذلك كان صلوات الله عليـه .

وعن جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : لو قد قام قائمنا ما اقام الناس على الطلاق الا بالسيف ، ولو قد كان ذلك لم تكن الا سيرة علي بن ابي‌طالب صلوات الله عليه . وكذلك كان الامر لما قام الامام المهدي بالله سلام الله‌عليه، والائمة من ولده ، اقاموا الناس على طلاق العدة والسنة ، على ما نصه الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وقطعوا طلاق البدعة . وكل ما ابتدعه المبتدعون في الدين والاحكام ، والحلال والحرام ، واقامـوا الناس بالسيف على سيرة علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، التي سـار بها في الامة على ما عهد اليه رسول الله صلـى الله عليه وعـلى آله وسلم . ونسب ذلك الى المهدي بالله سلام الله عليه ، اذ كان اول من اقام ذلك وقام به ، واقامه الائمة من نسلـه عليهـم السـلام ، و (٢٧) اقتفوا (١) اثره ، وسلكوا حـدوده .

وقد ذكرنا عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله حيث قال : ترفع لآل جعفر بن ابي طالب ضلالة ، ثـم يرفـع لآل العـباس رايـة ضلالـة اضـل منهـا ، واشـر ، ثـم يرفع لآل الحسن بـن علي عليه السلام رايات ليست بشيء ، ثم ترفع لآل الحسين عليه السلام راية فيها الامر . فكان كما ذكر صلى الله عليـه ، فقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب في أيام بني امية، ثم ارتفعت بعد ذلك راية بني العباس ، وكل ما قام من اولاد الحسن عليـه السلام قائم لم ترتفع (٢) رايته ، ولم تثبت آيته وصاروا بين قتيل بالمهند او حبيس مقيد أو طريد مشرد، حتى‌قام المهدي بالله من‌ذرية الحسين ، فاتضحت معالمه ، وقامت به مناهج (٣) الحق ومراسمه ، وملك الائمة من آله الغرب والشرق . (٢٨) وظهرت دعاتهم في كل افق حتى وقع الاستتار ، ولا بد مـن

---

(١) اقتفوا : قفوا في ب

(٢) ترتفع : رفعه في ج (٣) مناهج : تناهج في ج

اوبة بعد المغيب ، وظهور يظهر به كل امر عجيب .

وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : من حبس نفسه لداعينا وكان منتظرا لقائمنا ، كان كالمشتحط بدمه بين سيفه وترسه في سبيل الله . وروي عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : اذا قام قائمنا أهل البيت نزع البخل والجبن عن قلوب شيعتنا ، ولقي الرجل المائة فلا يفل بهم ، ويشرف اهل هذا الامر ، ويحفظ نسلهم ، حتى تنقضي الدنيا ، ويتقرب الناس الى الامام بزيارة قبور المؤمنين ، ويزار قبر كل مؤمن من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مشارق الارض ومغاربها ، ويقف المؤمن على قبر المؤمن فيقول : يا أخي قد وددت انك كنت باقيا حتى تشهد هذه الدولة ، فقد كنت توالي أهلها ، وتناصب عدوها فبارك الله لك (٢٩) فيما انت فيه . وثبتنا على ما كنت عليه .

وقد كان ذلك في أيام المهدي بالله صلوات الله عليه والائمة من ذريته صلوات الله عليهم ، وظهر المؤمنون وعز دين الله ولو كره المشركون ، وتمنوا لو كان أخوانهم الماضون أحياء ، ليشفوا غيظ قلوبهم بمشاهدة ظهور أمر أولياء الله . وعلو كلمتهم ، وظهورهم على عدوهم ، كما تمنى ذلك القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في قصيدته المختارة حيث قال شعرا (١):

فلهف نفسي ثم لهف نفسي ... على الذين انقرضوا بالامس
لم يبلغوا ذلك من اخواني ... لكنهم في حوزة الجنان
قد بلغوا من المنى آمالهم ... انالنا الله الذي انالهم

وكذلك يكون . فانها وان طالت على المؤمنين المحنة ، وعمت الظلمة ، واستتر أولياء الله الائمة ، فانه لا بد من ظهور امر اولياء الله ، وعلو كلمتهم ، وظهور دعوتهم ، وسمو دولتهم ، وكما قال داؤد نبي الله (٣٠) عليه السلام : مثل ما كان سيكون ، ومثل ما

---

(١) قصيدة المختارة ارجوزة نظمها قاضي قضاة الدولة الفاطمية القاضي النعمان بن محمد في اكثر من الف بيت واشار فيها الى بعض الامور التاريخية والعقائدية ومطلعها :

الحمد لله بديع ما خلق ... من غير تمثيل على شيء سبق

وهي موجودة ، ولا تزال مخطوطة في مكتبتي الخاصة وختمها بقوله :

فقبح الله الحسود المزاري ... وطهر الارض من الاشرار

علم (١) مستطر، وما تحت الشمس شيء بجديد.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، انه ذكر المهدي عليه السلام فقال: من رآه فليتابعه ولو حبواً على الثلج والنار، فانه خليفة الله في ارضه بالدلائل واضحة، والبراهين لائحة، ولكن الجاحدين لفضل اوليائه الطاهرين ابوا الا الكفر على الله وعتوا وجحدوا بها، واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً (٢).

وعن عبد الله بن العباس رضي الله عنه انه قال: لو لم يبق من الدنيا الا يوم وليلة لخرج فيها المهدي عليه السلام. وعن ابن سيرين انه قال: المهدي يعدل نبياً. وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال: كان داود نبي الله عليه السلام يتمنى ان يلحق المهدي، ويكون من اصحابه. وقال ابراهيم بن ميسرة: قلت لطاؤس ان قوما يقولون ان عمر بن عبد العزيز هو المهدي، قال (٢) طاؤس: ليس كما يقولون. ان المهدي اذا كان زاد المحسن في احسانه، وزاد المسيء في اساءته، والمهدي جواد بالمال، شديد على العمال، رحيم بالمساكين.

وعن مجاهد باسناده يرفعه، وذكر اخباراً بما يكون ثم قال: يبعث قائم آل محمد في عصابة لهم ادق في اعين الناس من الكحل، يفتح الله عليه مشارق الارض ومغاربها، الا وهم المؤمنون حقاً، الا وان خير الجهاد في آخر الزمان.

وروي عن عبد الرحمن بن بكار انه قال: حججت فدخلت المدينة فاتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فرأيت الناس مجتمعين على مالك بن انس يسألونه ويفتيهم، فقصدت نحوه، فاذا انا برجل وسيم جالس في المسجد وحوله حفدة، يدفعون الناس عنه، فقلت لبعض من حوله: من هذا؟ قال: موسى بن جعفر. فتركت مالكاً وتبعته، ولم ازل اتلطف حتى لصقت به فقلت: يا ابن رسول الله اني رجل (٢) من اهل المغرب من شيعتكم، وممن يدين الله بولايتكم. قال لي: اليك عني يا رجل فانه قد وكل بنا حفظة اخافهم عليك. قلت: يسلم الله عليك، وانما اردت ان اسألك. فقال: سل عما تريد. فقلت: انا قد روينا عن المهدي منكم فمتى يكون قيامه، واين يقوم؟

---

(١) بنا علم: بنا على في جـ (٢) علوا: عتوا في ب

قال : ان مثل من سألت عنه مثل عمود سقط من السماء رأسه في المغرب وأصله في المشرق ، فمن اين نرى العمود يقوم ، اذا اقيم ؟ قلت : من قبل رأسه . قال : فحسبك من المغرب بقوم ، وأصله من المشرق ، وهناك يستوي قيامه ، ويتم أمره . وكذلك كان أصل الامام المهدي بالله عليه السلام بالمشرق وقيامه من المغرب .

ومن رواية أبي غسان عن عبد الله بن العباس رضي الله عنه أن رجلا سأله عن السماء فما هي ، وعن البرق مما هو ، وعن أول شيء عاذ بالبيت ، وعن المهدي ممن هو ؟ فقال له ابن عباس : لقد سألت عن عظيم ، وهو في علم الله بسير . (٣٣) اما السماء فهو ماء مكفوف ، وأما البرق ضوء من الماء ، وأما أول الشيء عاذ بالبيت ، فان الحيتان الكبار بأكل الصغار مذ كن في زمن الطوفان ، فاستعذن بالله ماعادهن الله ، وأما المهدي فانه من أهل بيت اكرمكم الله بأولهم ويستنقذكم بآخرهم . فأهل البيت الذين اكرم الله الخلق بأولهم هم ذريه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، وأولهم رسول الله صلى الله عليه الذي اكرم الله به الخلق ، والمهدي منهم وبآخرهم يكرم الله المؤمنين ، ويستنقذهم من الضالين ، ويهلك الله الشيطان ، وهو قائم آل محمد المنتظر الآتي بين يدي الساعة فيه يظهر الله دين نبيه محمد على كل دين ، ويهلك به جميع الظالمين والمنافقين ، ويكون له وحده الدين .

ومن حديث عبد الرزاق عن معمر بن سعيد بن أبي عروة عن قتادة قال : قلت لسعيد (٣٤) المهدي حق . قال : حق . قلت : ممن ؟ قال : من قريش . قلت : من أي قريش ؟ قال : من بني هاشم . قلت : من أي بني هاشم ؟ قال : من بني عبد المطلب . قلت : من أي بني عبد المطلب ؟ قال : من ولد فاطمة عليها السلام .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : ولو سأله من أي ولد فاطمة هو لاخبره أنه من ولد الحسين . لانه قد روى ذلك ولم يقل سعيد هذا برأيه ، ولكنه سماع سمعه .

وقد روى زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال : لا بد من قائم من ولد فاطمة بقوم من المغرب يكسر شوكة المبتدعين ، ويقتل الظالمين وكذلك قام المهدي بالله صلوات الله عليه من المغرب وهو من ولد فاطمة ، ولما جاءت الروايات في ذلك في زمن بني العباس خافوا من ادريس بن الحسن

لما صار في المغرب، وقد ذكرنا من قصته في هذا الكتاب فدسوا عليه بالسم(٣٥) كما ذكرنا فكانوا كما قال الله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » (١) .

ومن رواية يحيى بن سلام يرفعه الى عبدالله بن عمران انه قال: ابشروا فيوشك ايام الجبارين ان تنقطع ، ثم يكون بعدهم الجبار الذي يجبر الله به أمة محمد، المهدي ، ثم المنصـــور .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ثم عدد أئمة مهديين : وهذا ما لم يقله عبد الله الا من رسول الله صلى الله عليه وآله مما سمعه أو بلغه عنه ، لان ذلك من اخبار ما يكون ، ولا يقول ذلك الا من جاءه فيه علم من عند الله عز وجـــل .

وقد كان المهدي والمنصور صلوات الله عليهما ، وكان بعدهما ائمة مهديون الى أن وقع سترهم ، ولا بد أن يظهر بعد سترهم ائمة مهديون يوضح الله بهم برهانه ، ويقيم حجته ، وينقذ امة نبيه صلى الله علـيه وعلى آلــه وسلم . ومن (٣٦) رواية الدعشي يرفعه الى ابي الجارود انه قال : يكون المهـدي وشيعته من بعده ، يعني من ولده كلهم صالح لم ير مثلهم . وهذا ايضا ممـــا انتهى اليه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الذي لا ينطق عـن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى .

فهذا ما اخبرت به الثقات واثبته الرواة عن الائمة صلوات الله عليهم وغيرهم من علماء العامة من ذكر المهدي صلوات الله عليه وقيامه ، والبشارة . بمـــا كان في أيامه ، ولم يأخذوا ذلك الا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومما أوحى الله اليه ، فظهر الائمة برهة من الزمان ، ثم وقع الستر ثانيا ، كـــما كان أولا ، وكانت الفترة واستتر الطاهرون من العترة لعلم الله الذي أودعه أوليائه ليبتلي الله المؤمنين ويمحق الكافرين ، ولا بــد ان يؤيـد الله أوليائه فيصبحوا ظاهرين ، وسوف نذكر اذا انتهينا ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله (٣٧) وسلم ، واتت به الرواة ، واثبته الثقات ، من الدلالة علـــى ظهور آل محمد ، وعلو أمر الطاهرين ائمة الهدى صلوات الله عليهم ، مما لم يكن وهو لا شك كائن ، فان ما ورد عن أولياء الله هو اليقين ، وقول الله تعالى

---

(١) الكافرون : المشركون في ج (٢) سورة ٩/٣٢

حق ؛ وقد قال الله تعالى : « والعاقبة للمتقين » (١) .

وقد روى يحيى بن سلام صاحب التفسير حديثا يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : تطلع الشمس من مغربها على راس الثلاثمائة من هجرتي . وهذا حديث مأثور مشهور ، ولم تطلع من مغربها في هـذا الوقت ولا قبله ولا بعده . وانما عنى بذلك قيام المهدي من ذريته فوعد (ص) بظهوره من المغرب ، وعلو دولته ، وقد سمى الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم سراجا ، فقال تعالى : « انا أرسلناك شاهـدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسرجا منيرا » (٢) . وسمى الله عز وجل الشمس سراجا فقال (٣٨)تعالى: «وجعلناسراجا وهاجا» (٣) . وقد تسمي العرب الرجل الفاضل شمسا . قال الشاعر شعرا :

فانك شمس والملوك كواكب   اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وكان المهدي بالله هو الشمس التي ذكر رسول الله صلى الله عليه انها تطلع من المغرب على راس الثلاثمائة من هجرته صلى الله عليه ، وكذلك طلع عليه السلام في سنة سبع وتسعين ومائتين واستقر قراره في دار ملك المغرب على راس الثلاثمائة .

ومن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هكذا (٤) قال الفهري في قصيدة له يبشر بظهور المهدي عليه السلام ودنو أوانه حيث يقول شعرا :

فعند الست والتسعين   تطلع التول والعذر
لامر ما يقول الناس   ببيع الدر بالبعر
وصار الجوهر المكنون   علقا غير ذي قدر
يتيه كان خلف الباب   فانقض (٥) على الوكر

ففي سنة ستوتسعين غلب الحسين بن زكريا أبو (٣٩) عبد الله الداعي الى المهدي بالله سلام الله عليه بالمغرب بني الاغلب، وشردهم عن ملكهم، وملك أفريقية، وأقام بها دعوة المهدي بالله صلوات الله عليه .

---

(١) سورة : ١٢٨/٧   (٢) سورة : ٤٥/٣٣ ـ ٤٦
(٣) سورة : ١٣/٧٨
(٤) هكذا : هذا في ج   (٥) فانقض : فانفض في ج

قال القاضي النعمان رضي الله عنه : وقول الفهري يتيم كان خلف الباب، يعني المهدي عليه السلام ، مات ابوه وهو صغير . وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله . ومن ذلك قول التونسي . وكان ممن يعني بعلم الحدثان فقال يخاطب ابراهيم بن احمد من ملوك (١) بني الاغلب صاحب أفريقية ، وقد سأله ان يخبره ما عنده في أمر دولتهم وغاية ملكهم . من قصيدة اولها شعرا :

أقول واسلمت القريض لاهله ... وعشت زمانا وهو [illegible] وكاعب
أمن بعد تسعين السنين أعدها ... واربعة من بعد ذلك [illegible] (٤٠)
ازاحم اهل الشعر بالشعر ناجزا ... [illegible] هذا بعد أن جب غاربي
ولكنني أرجو من الله عفوه ... باوبة مأمون السريرة تائب
والمل (٢) غفرانا بفضل تلاوة ... أرددها إلا بفكرة آيب (٣)
صرفت أموري للذي أنا عبده ... إلهي إله العرش معطي الرغائب
فلست بعمري (٤) بسائلا غير ذي ... العلا والا نجيت من [illegible] اجبي
الا يا امين الله وابن أمينه ... رواية اشياخ كرام المناسب
وجدت كتابا قد تقادم عهده ... رواية اشياخ كرام المناسب
رواية وهب عن سطيح ودنيل (٥) (٤١) الى الغرب سود خافقات الذوائب
تتابع رايات من الشرق سبعة ... الى الغرب سود خافقات الذوائب
يسير بها خزر العيون تراهم ... سبال تمطى (٦) من طوال الشوارب

ويقول فيها :

ولاة بني العباس عشرون واليا ... تدين لهم بالرغم ارض المغارب
وفي الست والستين تهبط راية ... من الغرب في جمع كثيف المواكب
يمزق أرض البربرية جمعهم ... بخيل كأمثال القطا المتسارب
وتطلع شمس الله من غرب أرضه ... فلا توبة ترجى هناك لتائب
ويظهر من ابناء فاطمة أمره ... نقي تقي العرض جم المواهب (٤٢)
سمي نبي الله وابن وصيه ... وأكرم مولود واشرف طالب

---

(١) ملوك : ملك في جـ
(٢) وامل : وامل في جـ
(٣) آيب : اب في جـ
(٤) فلست بعمري : فلست حياتي في جـ
(٥) يقصد به (دانيال)
(٦) تمطى : مط في ب

فيملأ ارض الله عدلا ورحمة بايام صدق طيبات المكاسب
وبالاعور الدجال ينهد جمعه سوى عصبة في باذخ الطود راتب
ويقتله من بعد ذاك ابن مريم بقدرة رب ماله من مغالب
ومن بعدها موت ابن مريم مضيا الى الله في حكم من الله واجب

وقوله في قصيدته سمي نبي الله فذلك هو (١) القائم عليه السلام محمد ابن عبد الله لانه ظهر مع ابيه عليهما السلام يوم ظهوره في المغرب ، وهو الذي اشار النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم بقوله : اسمه كاسمي ، واسم ابيه كاسم أبي . والى القائم بعد المستر من (٤٣)، ولده صلوات الله عليهم أجمعين الماضين منهم والمنتظرين .

وفي ايام القائم عليه السلام كان ظهور الدجال (مخلد بن كيداد) (٢)، وابن مريم الذي قتله اسماعيل بن محمد المنصور سلام الله عليه ، وسنذكر القصة اذا انتهينا اليها في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب والهادي لخير الاسباب. ومن هذا المعنى قول ابن عتبة شعرا :

قد قلت لما طار عني الكرى حتى متى يا ليل لا تصبح
عذبني الوجد وفقد الكرى كلاهما اقسم لا يبرح
وكيف لا يحزن من لا يرى بانسه يبلغ يا مسطح
دهرا يرى فيه امام الهدى بالله المغرب يستفتح (٤٤)
ويبتني البيضاء في نجعة خضراء فيها نونها يسبح
ينجو من الاهوال سكانها والارض منها كلها تفتح
لومد من عمري الى وقته لكنت في القرن الذي يفلح
هيهات ماذا العمر مماري فيما أرى الموت به يسمح

يعني بالبيضاء المهدية التي ابتناها المهدي بالله صلوات الله عليه على شاطىء البحر . وقوله ينجو من الاهوال سكانها ؛ فذلك انهم نجوا من اهوال فتنة الدجال ؛ ومن ذلك قول محمد بن رمضان وكان من الشيعة

---

(١) سقطت في ب

(٢) مخلد بن كيداد : هو ابو يزيد بن كيداد النكاري الخارجي بافريقية وهو من زناتة من مدينة توزر ، وكان ابوه يختلف الى بلاد السودان للتجارة،فولد له بها ابو يزيد من جارية صفراء هوارية ، فاتى به الى توزر - وكان يعلم الصبيان ومذهبه تكفير اهل الملة، واستباحة الاموال والدماء ، والخروج على السلطان .

يرثي أهله ، وكان ابراهيم بن الاغلب اوقع بهم وقتل الفا منهم غدرا ، وذكر دنوا ، وان الفرج بقيام المهدي بالله سلام (٤٥) الله عليه حيث يقول شعرا :

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا ... مما أتتنا به الانباء والخبر
عن ألف أروع كالاساد قد قتلوا ... بساعة في سواد الليل قد (١) غدروا
لو كان من بيئة (٢) الاساد ايقظهم ... حلت به منهم الاحداث والغير
قل لابن احمد ابراهيم مالكة ... عن الخبير بما يأت وما يذر
عن المشرد في حب الائمة من ... آل النبي وخير الناس ان ذكروا
اعلم بأن شرار الناس أطولهم ... يدا وبمكروه (٣) غدرانهم قدروا
لاسيما الضيف والجار القريب ومن ... اعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا (٤٦)
فما اعتذارك من عار ومنقصة ... اتيتها عامدا ان كنت تعتذر
جرعت ضيفك كأسا انت شاربها ... عما قليل وامر الله ينتظر
فدولة القائم المهدي قد أزفت ... أيامها في الذي أنبا به الاثر
عن النبي وفيها قطع دولتكم ... وقطع امر بني مروان اذا بطروا
وقطع امر بني العباس بعدكم ... وقطع امر بني مروان اذ بطروا

وقال أيضا محمد بن رمضان من قصيدة له شعرا :

كأني بشمس الارض قد طلعت لنا ... من الغرب مقرونا اليها هلالها
فيملأ أرض الله قسطا بعدله ... بما ضم منها سهلها وجبالها (٤٧)
والأمن (٤) فيها ما اخاف واتقي ... واظفر (فيها بالمنى) (٥ وانالها

فشمس الارض عنى بها المهدي ، والهلال ولي عهده القائم من بعده ، ولو تقصينا ما ورد من ذكر فضائل الائمة عليهم السلام ، وظهور عدلهم ، واشتهار فضلهم ، لطال ذلك واتسع ، وبعد أمده وشسع ، وانما أتينا في هذا الكتاب بفنون من الاخبار ، ونبذ من الاثار ، وملنا فيه الى الاختصار عن الاسهاب والاكثار ، وكل ما قلناه ، ونقوله بعون الله الواحد القهار ، ونعمة أوليائه الائمة الاطهار ، عليهم صلوات العزيز الغفار .

واما الخبر فيما كان من ظهور دعوة المهدي بالله صلوات الله عليه باليمن

---

(١) قد : اذ في ج (٢) بيئة : بيت في ب
(٣) وبمكروه : مكروه في ج (٤) والأمن : أمن في ج
(٥) فيها بالمنى : بالزلفى به في ج

، والمغرب وما أظفر الله اوليائه واظهرهم من الظفر والغلب :

نقول : انا قد ذكرنا في كتابنا هذا من (٤٨) أمر ابي القاسم ، وهو الحسن ابن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي المعروف بمنصور اليمن ابن الفرج صاحب دعوة اليمن ، وهو من ذرية مسلم بن عقيل بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رحمة الله عليه ، ووصوله الى امامه صلوات الله عليه ، وما هداه الله له من الاتصال به والوصول ، وما كان من أمره حتى بعثه الى اليمن داعيا مبشرا بظهور المهدي بالله من ولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قائما في اشادة دعوته ، وساعيا مبشرا فقال له : انت لليمن ، وانت المنصور فيه .

وكان الداعي ابو القاسم رضي الله عنه اذا قيل له : انت المنصور المبشر به . يقول : ان المنصور من آل محمد ، اما سمعتم قول القائل شعرا :

اذا ظهر المنصور من آل احمد   فقل لبني العباس قوموا على رجل(٤٩)

قيل : وكان الامر كذلك لما قام الامام المنصور بالله اسماعيل بن محمد بن عبد الله اختلت دولة بني العباس ووهى امر ملكهم الاساسي فصاروا بين مقتول ، ومخلوع ، ومصفد في السجن ، قد عاد بعد التكبر الى الذل والخضوع .

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله انه قال : يقوم رجل من ولدي على مقدمته رجل يقال له المنصور يوطيء له . او قال : يمكن له . واجب على كل مؤمن نصرته . أو قال : أجابته . وهذا الحديث مما رواه عبد الرزاق باسناده عن النبي صلى الله عليه وعلى آله .

وفيما أتى عن الداعي ابي القاسم بن الفرج بن حوشب بن زادان رضوان الله عليه قال : ولما سرت من عند الامام عليه السلام مودعا للاهل والاحبة ، ومتشوقا الى انقطاع الغربة ، توجهت ، فلما خرجت من القادسية اوجست خيفة ، فاصغيت الى (٥٠) قول أسمعه لاتفاءل به (١) فسمعت حاديا يقول :

يا حادي العيس مليح الزجر   بشر مطاياك بضوء الفجر

---

(١) قول اسمعه لاتفاءل به : افال اسمعه في ج هكذا ورد الحديث في كتاب افتتاح الدعوة المنسوب للقاضي النعمان صفحة ٩ مخطوط في مكتبتي

قال : فسررت به واستحسنت ذلك الفال (١) لما سمعته ووافيت مكة مع الحاج فحججت ، وقضيت مناسكي وسمعت من حجيج اليمن أن محمد بن يعفر ملك صنعاء قد أظهر التوبة والنسك وتخلى عن الملك ورد ما اقتطع من الناس اليوم ، وأنصف من الظلامات ، وذلك لامر تقدمت فيه الروايات عنده أن ملكه سيزول من يديه وان داعي المهدي يغلب عليه ، فخلع نفسه ونزع ملكه واهله (٢) وفرق الاموال ، فيقال انه رد في يوم واحد الف الف حتى قام شاعر (٣) من شعرائه في اهل بيته وقد اجتمعوا فقال شعرا :

بني حوال يا مصابيح الافق   ويا مباديل العطايا تندفق
من خالص العقيان (٤) سجاو الورق   الا باطراف الشماريخ الشبق
فتطلبون رتق ما لا يرتتق   الا باطراف الشماريخ الشبق
والناس فوضى والنفوس تزدهق   كفعم الدنس بجسوع العلق
فالراس لا يصلح الا بعنق   ولن يقوم تسدم على زلق (٥)
ليس عتيق المر كالبر الشفق   كالجبل الشامخ والليث النزق
هذا أبو يعفر فيكم قد لحق   كالجبل الشامخ والليث النزق
فأيكم قام بها فقد سبق

في ارجوزة طويلة ، فقام ابن اخيه فتدارك الامر وقد وهى وتفرق اكثره وتمزقت المملكة ، وكان ذلك من صنع الله عز وجل لاوليائه .

وقضى الناس الحج وانصرفوا الى اليمن ، وتوجه أبو القاسم ومعه علي بن الفضل ، فدخلا اليمن في أول سنة ثماني وستين ومائتين ، فجاءت طريق الحسن بن فرج قدس الله روحه على مخلاف بني طريف من ناحية صعدة ، ثم الظاهر ، ووصل راس نقيل عجيب فانقطعت هناك نعله ، فمال الى صخرة وجلس عليها ليصلح نعله ، فاقبل اليه شيخ فقال : ممن الشيخ ؟ فقال : رجل (٥٢) غريب ، فقال له : اعندك علم عن المهدي ؟ فقال له

---

(١) الفال : الفال في جـ

(٢) فخلع نفسه ونزع ملكه واهله : فقدم في الاختلاع من ذات نفسه والنزوع عن الملك من قبله في رسالة افتتاح الدعوة ورقة ٩

(٣) شاعر : سقطت في ب   (٤) العقيان : العقبان في جـ

(٥) وجدت الابيات الاربعة الاخيرة مضطربة في كلا النسختين لذلك نقلناها عن النسخة المخطوطة التي نملكها من كتاب افتتاح الدعوة المنقولة الابيات عنها في الاصل .

المنصور : ومن المهدي ايها الشيخ ؟ فقال الشيخ : انه مأثور عندنا ان داعي المهدي تنقطع نعله فيقف على هذه الصخرة ليصلحها . فقال له المنصور : كلام الناس كثير . قال : ولم اجد فيه انتباها . وسار المنصور حتى دخل صنعاء في يوم جمعة فدخل المسجد الجامع والخطيب قد فرغ من خطبته ، وعمد الى اسطوانة خضراء فاتكأ عليها بظهره ، ورفع احدى رجليه على الاخرى بعد ان صلى ركعتين عند الاسطوانة .

قال المنصور رحمة الله عليه فيما روي عنه : فأتاني شيخ فرفسني برجله وقال لي : قم وانتهرني . فقلت له : مالي ايها الشيخ اقصد دون سائر الناس، وهذا كثير منهم منضجع في المسجد ؟ قال له : انكر انضجاعك ، ولكن هذه اسطوانة يروى ان داعي المهدي اذا دخل (٥٣) صنعاء اتاها فصلى ركعتين واستلقى على ظهره عندها ورفع احدى رجليه على الاخرى فانما انكرت عليك التشبه به . قلت : وما انا وهذا ؟ فقام اليه بعض من سمعه فقال : ما اعجب امرك وكأن هذا هو داعي المهدي ؟ قال (ما هو به ولكني) (١) انفت ان يتشبه به غيره ، وكأنه انما راى ان داعي المهدي يدخل ويعمل ذلك بعد ظهوره . قال : ومضى عني فقمت فتسللت فخرج الداعي المنصور من صنعاء وهو يريد عدن أبين لان الامام عليه السلام اوصاه ان يقصد عدن لاعة فسأل عنه فلم يسمع الا بعدن ابين فلذلك قصده فلما صار بالمخلاف ووصل نقيل البردان نظر الى عسكر ابن يعفر الكرندي ، وقد اقبل يريد حرب المذيخرة (٢) فعمد المنصور الى كهف في الجبل مخافة لمعرة العسكر، فلما دخل ذلك الكهف اذا هو بشيخ كبير قد دخل عليه (٥٤) من باب ذلك الكهف فسلم عليه وجلس بين يديه ، وجرى بينهما كلام بعد ان سأله الشيخ عن حاله وبلده ومراده ، ثم ان الشيخ سأل الداعي عن شيء من الحلال والحرام ، والقضايا والاحكام . فأجابه في ذلك . بما شفاه وكفاه . قال الداعي : فلما اجبته بما اجبته نظرت اليه وقد ملأ عينيه مني وهملتا دموعا ، ثم قام الي فجعل يقبل راسي ورجلي ويقول لي : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارسلني اليك لتنقذني

---

(١) ما هو به ولكني : ما هو هو ولكن في ج

(٢) المذيخرة : قال عنها ياقوت في معجم البلدان كانها تصغير المذخرة بالخاء المعجمة والراء ، وهي قلعة حصينة في راس جبل صبر من اعمال صنعاء ، وهي قريبة من عدن (معجم البلدان ٩٠/٥)

وتأخذ بيدي وتخلصني ، قلت : وكيف هذا أيها الرجل ؟ قال : نعم كنت رجلا أرى في منامي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ليلة معروفة في كل عام ، فكنت أتأهب لتلك الليلة فلا ، (تحرم رؤياي ،) (١) فلما كان في هذا العام لم أره ومضت مدة فكنت في أكثر (٢) الغم في ذلك ، فلما نمت (٣) البارحة رأيته صلى الله عليه وآله (٥٥) فجعلت اقول : يا رسول الله طال شوقي اليك والى رؤيتك وقطعت عني ما عودتني من ذلك ، فقال : اني أبشرك واخبرك ان داعي المهدي في بلدك وبين ظهراني قومك ، فبادر اليه وخذ بحظك منه ، قلت : وكيف لي به يا رسول الله ؟ قال : انت واجده غدا في كهف كذا وكذا — وذكر لي هذا الكهف — قلت : فاني أخاف ان اجد غيره ، فوصف لي صفتك وقال : مع هذا فاسأله عن كذا وكذا ، وذكر لي هذه المسائل ، فاذا أجابك بكذا وكذا ، وذكر جوابك فهو صاحبك .

قال ابو القاسم : فادركتني خشية وعبرة وقلت : ما عسى ان اقول لمن أرسله الي رسول الله صلى الله عليه واله ؟ فذاكرته (٤) وبسطت يدي له، ثم أخذت عليه .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : وكان هذا الرجل معروفا (٥) في اليمن ويذكر ذلك ويحدث به . قال الداعي السلطان الاجل حاتم (٥٦) ابن ابراهيم بن الحسين الحامدي (٦) رضي الله عنه وكان ذلك الرجل من

(١) تحرم رؤياي : يحرم روياني في ج

(٢) اكثر : اكبر في ج

(٣) نمت : بت في ب

(٤) فذاكرته : سقطت في ج

(٥) معروفا : سقطت في ج

(٦) الداعي السلطان حاتم بن ابراهيم بن الحسين الحامدي : هو الداعي المطلق حاتم بن ابراهيم بن الحسين الحامدي تسلم امور الدعوة بعد وفاة والده الداعي المطلق ابراهيم الحامدي ، وكان عالما فقيها كثير التاليف والانتاج الادبي ، توفي يوم السبت ١٦ محرم سنة ٥٩٦ هجرية ودفن في حصن بالحطيب . ومن مؤلفاته : كتاب تنبيه الغافلين ، وكتاب المجالس وهو في ٥٢ مجلسا في مناقب علي بن ابي طالب ، وكتاب جامع الحقائق وغيرها .

كان الداعي المطلق الثالث في سلسلة الدعاة الذين تسلموا الدعوة بعد غياب الامام الطيب بن الآمر باحكام الله .

كبار الدعاة واهل الخير فيهم .

قال الداعي المنصور ابو القاسم قدس الله روحه : ولما انتهيت الى الجند (١) دخلتها وانا مستتر فقصدت المسجد الجامع فصليت به الظهر والعصر والمغرب والعشاء (٢) ، ثم قلت لبعض من فيه : ايبيت هاهنا احد فاني رجل غريب اردت المبيت في المسجد ؟ فقال : نعم كل من ترى من الغرباء فيه يبيتون . فلما صلينا العشاء الاخرة تحلقوا حلقتين احداهما شيعة والاخرى حشوية . فتناظروا (٣) ساعة من الليل ، ثم انصرفت الشيعة وقام الاخرون لينصرفوا. فقال رجل منهم : اجلسوا قليلا ، فجلسوا ، وجعل ينظر الى اولئك الشيعة (وهم ينصرفون) (٤) حتى انصرف آخرهم ، فعطف على اصحابه فقال لهم : اتعرفون خبر هذه الليلة ؟ قالوا : (٥٧) وما خبرها ؟ قال : اليست ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا وكذا ؟ قالوا : نعم ، فاستخرج كتابا من كمه فقال: أوليس هذا كتابا رواه فلان من هؤلاء الفعلة يعني الشيعة فنظروا الى الكتاب فقالوا : نعم هو معروف لهم ، فاستخرج منه حديثا فقراه عليهم ان بعض الائمة عليهم السلام قال لصاحب ذلك الكتاب : من ادرك سنة كذا من اهل بلدك فليلتمس داعي المهدي في ليلة كذا – يعني تلك الليلة – فانه يبيت في مسجدها، قالوا: قد سمعنا هذا الحديث، فقال: فقد (٥) ترون هؤلاء انصرفوا. فما منهم من ذكر هذا ولا عزفه ، فهلموا بنا نبطل دعواهم (٦) وتكذبهم فنخرج جميع من في المسجد الليلة فلا يبيت فيه احد لنبطل (٧) روايتهم ، قالوا : نعم ، فقام قائم منهم فقال : يا معشر الغرباء انصرفوا فليس يبيت احد منكم (٥٨) الليلة في هذا (٨) المسجد على كل حال ، فان لهذا قصة لا يمكن معها مبيت (احدكم فيه) (٩) .

قال الداعي المنصور : فرايت كل واحد منهم يضم ما كان معه ويخرج ، فلم

---

(١) الجند : مخلاف من مخاليف اليمن ، بينها وبين صنعاء ثمانيـة وخمسون فرسخا . معجم البلدان ٢/١٦٩

(٢) العشاء : سقطت في ج

(٣) فتناظروا : فناظروا في ب

(٤) وهم ينصرفون : سقطت في ج

(٥) فقد : سقطت في ج

(٦) دعواهم : قولهم في ج

(٧) لنبطل : ليبطل في ب

(٨) هذا : سقطت في ج

(٩) احدكم فيه : احد منكم في ج

ادر الى (اي موضع اخرج) (١) وقصدت زاوية من زوايا المسجد فجلست فيها وقلت : لعل رجلا يجيء يمضي بي الى بيته . وافترقوا يخرجون الناس ويطفئون القناديل . فأتي الي رجل منهم وقد طفيء أكثرها فقال : قم يا رجل، فقمت وقلت : اني رجل غريب ولا اعرف موضعا اقصد اليه فلعلك ان تمضي بي الليلة (فتؤوني في) (٢) محلك ؟ قال : والله ما عندي موضع ، فقلت : سبحان الله تخرجني من بيت الله وتمنعني بيتك ؟ وكأنه استحيا فنظر الى الناس قد خرجوا فانصرف وتركني ، واغلقوا ابواب المسجد ، فبت بليلة طويلة ، وخفت ان يختبر المسجد من غد فلم يكن ذلك ، واصبحوا (٥٩) ففتحوا الابواب ودخل الناس وصلوا وما نظروا في شيء من ذلك. قال الداعي ابو القاسم المنصور رضوان الله عليه : وسألت كل من لقيت من اهل اليمن عن عدن لاعة ، فكل يقول : اما لاعة فموضع معروف ولكن لا نعرف عدن لاعة ، وانما نعرف عدن ابين . فقصدت عدن ابين اذ لم اجد احدا يخبرني عن عدن لاعة — الموضع الذي وجهت اليه — فأصبت بعدن ابين قوما من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وكنت اخبرت ان عدن ابين هذه هي فرضة الهند وام البلدان (٣) ، فسألت عما (٤) يحمل اليها من قبل ان ادخلها فقيل القطن ، فاشتريت منه شيئا يسيرا جعلته معي ليرى اني تاجر . ودخلت مع صباحي فسألنا عن مكان بيعه فدللنا عليه ، واكترينا حانوتا في سوقه وجلسنا فيها نبيعه . فاني لجالس يوما اذ استهلت (٦٠) السماء بمطر وابل ، فاني لكذلك اذ نظرت الى رجال قبالتي في الصف ينظرون الي ويتحدثون ثم قام احدهم الي فوقف وقال : ترى أن تدخل بنا الى داخل الحانوت ؟ فقمت معه ، فقال : ما اظن هذا وجه بياع عطب (٥) يعني القطن ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : امعك علم من علم آل محمد ؟ قلت : انا رجل تاجر ، دعني عن هذا . فقال : لعلك تسمع ببني موسى ؟ قلت : نعم . قال : فنحن منهم ونحن شيعة وهذا اوان ننتظر فيه دخول داعي المهدي الينا ، وانا لنجد صفته فيك ، فهات ما عندك فنحن اخوانك . ولم يزل بي الى أن كشفت له الامر ، وما برح حتى أخذت عليه العهد ، وقام فأتاني بأصحابه ، فأخذت عليهم ، ونقلوني الى محلهم فكنت عندهم .

---

(١) اي موضع اخرج : اين اخرج في ب

(٢) فتؤوني في : فتاوي بي الى في

(٣) البلدان : البلد في ج

(٤) عما : الذي في ج

(٥) عطب : عطبت في ج

فقالوا : ان لنا اخوانا من الشيعة بعدن لاعة . قلت : وثم عدن لاعة ؟ قالوا : نعم . قلت : فاليها ارسلت ولم اجد مخبرا عنها . فارسلوا اليها فأتاني رجال منهم فأخذت (١) عليهم العهد وسرت معهم (٦١) فاصبت دار الشيعة . واخبروني عن رجل منهم يقال له احمد بن خليع كان له علم فيهم وانه كان ينتظر قدومي ويقول : في هذا العام يقدم ويدخل في بلدنا . فاعد سلاحا لذلك اتوني به . وكان ابن خليع المذكور هو الداعي في اليمن . واتصل بابن ابي يعفر ؛ أمره فأرسل من اتاه به وحبسه ؛ فمات في الحبس منذ (٢) قريب رحمة الله عليه .

قال الداعي المنصور : فانزلوني في دار من دوره . وتزوج ابو القاسم بعد ذلك ابنة أحمد ابن خليع رحمة الله عليه ، وبعث بابن اخيه الهيثم بعد ذلك داعيا الى السند ، واستجاب له كثير من اهلها . وارسل الداعي أبو القاسم أبا محمد عبد الله بن العباس . وكان من اجل (٣) الدعاة من أهل اليمن . وهو الذي استخلفه على الدعوة بعده الى مصر ، وفيما اتي من الاخبار عن عبد الله ابن العباس المذكور قال : ارسلني الداعي ابو القاسم الى ناحية مصر ادعو فأتيت حيا من أحياء (٦٢) العرب فأصبتهم يهنئون (٤) ابلهم . فلما رأوني مقبلا تركسوا ما هم عليه واقبلوا علي وقالوا : ممن الرجل ؟ قلت : رجل غريب . قالوا : وما اردت الينا ؟ قلت : التعليم . قالوا : انزل على الرحب والسعة ، واخذ بيدي شيخ منهم فمضى بي الى منزله وانزلني عنده فأخلى (٥) لي خيمة وفرش لي فرشا وأتاني بطعام فأكلت . فلما كان من الليل تحدث معي طويلا ، فلما مضى هوي من الليل قال لي : أنشدك الله لما كشفت لي ما انت عليه . قلت : أولم اخبرك اني معلم ؟ قال : ما يقع هذا بقبلي . فلم اكشف له شيئا ، واقام أياما (٦) وليالي يسألني سؤال من عنده علم . فتماديت له (٧) على ما ابتدات به من اني معلم ، فجمع صبيانا من الذين في الموضع ، وجلست أعلمهم ، وهو في ذلك اذ جاءني فقال لي مثل قوله الاول . وما زال بي حتى كشفت له الامر وأخذت عليه العهد ؛ فكان من خير من دعوته . ودعوت (٨) هناك دعوة عظيمة ، فكان (٦٣) يقول لي بعد ذلك

---

(١) فاخذت : خذت في ج
(٢) منذ : مذ في ج
(٣) اجل : اجلاء في ج
(٤) يهنئون: يقصد بهاطلي الابل بالقطران
(٥) فاخلي : خلا في ج
(٦) أياما : سقطت في ج
(٧) فتماديت له : فاردت لي في ب
(٨) ودعوت : ودعوتنا في ج

لكانما والله انزل الله في قلبي الهيبة والجلالة وكانك لم تأت الا لهذا ، وكان عندي منه علق سبق الي (١) .

ورجع هذا الداعي ابو محمد الى اليمن بعد مدة ، وكان من(٢) أجل الدعاء مع المنصور ابي القاسم وهو الذي استخلفه بعده في الدعوة . وكان اكثر الدعاة الذين في الجزائر ايام المهدي بالله من تحت يد الداعي أبي القاسم اشهارا من ولي الله لفضله ، وتنويها بعالي محله ؛ ومنهم من ارسله ولي الله اليه ، وأمره أن يمتثل امره ، فأصدر الى حيث توجه عن أمره . ومن تحت يده. وكان أحد الحجج العظماء للائمة صلوات الله عليهم ، وعنه نشأن الدعوة . وكان للداعين الى أولياء الله القدوة ، ومن اليمن كان ظهور دعوة الايمان لنزول النبي صلى الله عليه وعلى آله : الكعبة يمانية ، والدين يماني .

وأقام الداعي ابو القاسم رضوان الله عليه عامين في التقية ثم ظهرت الدعوة (٦٤) باليمن سنة سبعين ومائتين . فاستجاب له بشر كثير ، وقوي أمره ، وعلا ذكره ، وكان مقيما بقرية من قرى مسور يقال لها الحيف ، فلم يشعر الا وقد هجم عليه اسحق بن طريف بعسكر عظيم من ناحية جبل مسور فقتل من اهل اليف اثني عشر رجلا ، وكانوا في محرس (٣) فوق الحيف . فلما اقبل بعسكره خرج الداعي المنصور من الحيف بمن معه والعدو محيط بهم . وقد داخل من كان معه الاضطراب والفشل ، وهو بينهم رابط الجاش غير مكترث . فكل من نظر اليه ثبت قلبه وذهب رعبه . ونهب ابن طريف أهل تلك الناحية واحرق القرى ، وسكن الداعي في التهام وعطوة بين اهل الدعوة فأقاموا بها وقتا حتى ضاق عليهم الامر . وكثر فيهم الخوف فاجتمع اليه مشايخ من اهل الدعوة . وسألوه حسن النظر والتدبير لهم في أمر يحرزون به من عدوهم ، فعرفهم ان ذلك لا يكون الا بحصن يلجئون اليه ، و (٦٥) يمتنعون فيه ، فعرضوا عليه (٤) حصون البلد ، فأختار منها موضعا يقال له (عر محرم) فأمرهم أن يؤازروه لذلك بألف دينار ، فاعانه بها خمس رجال منهم ، واحضروها اليه في أقل من سبعة أيام ، فأمر بها لشرا الحديد. وامر بعمل آلة الحجارة ، والبناء ، واشترى سلاحا وعدة (٥) ثم صعد الى

---

(١) الي : سقطت في ج
(٢) من : سقطت في ب
(٣) محرس : سقطت في ب
(٤) عليه : عليهم في ج
(٥) عدة : عددا في ج

حصن (عبر محرم) وامر ببناء دار له ، واسكن معه من وجوه اهل دعوتـــه خمسين رجلا - وامر شيوخ اهل دعوته ببناء دروب الجبل، واقام هو واصحابه فيه اياما : ثم جمع جمعا وصعد الى جبل الجميمة فاستولى عليـه وعمره : وغزا بيت ريب وهو راس مسور ثلاث مرات ، فاستولى عليه في المرة الثالثة، واستقر حاله (حين استولى على) (١) بيت ريب ، وملك جبل مسور ، ثـم حارب أهل المغرب قاطبة واستولى على بلاد عيان وبني شاور ، وحملان ، ثم عاد لحرب بلاد حمير واستولى على فاذر ، وملـك شيام حمـير (٦٦) ، وجبلها الذي كان هو كوكبان ، ونكث خراج بن محجر ببيعته وغدر في جبـل كوكبان فملك الجبل ، وحاربه الداعي المنصور حتى نصره الله عليه ، وغزى دورم وهي مدينة كانت بوادي ظهر متصلة بالقلعة بينها وبين افئدة ، فملكها عنوة وهي حصينة منيعة فخربها (٢) وما زال يحوز المعاقل ، ويملـك مدن اليمن الجلائل ، واقبل الناس اليه طوعا وكرها ، ودخل كثير من بني يعفـر وملوك حمير في الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت في ارض اليـمن دعوتـه وعلت كلمته ، ووصل اليه الحسين بن أحمد بن زكريا صاحب الدعوة بالمغرب المكنى ابا عبد الله فانزله عنده ، وقرب مكانه ، وادنى محله ، واقام معه من وقت انصراف الحاج من مكة الى اليمن الى وقت خروجهم في العام المقبل ، وقد أمره امامه أن يمتثل مثلته ، ويحذو حذوه ، ويتبع سيرته ، ويقفـوه في (٦٧) اعماله وافعاله ، ويأتمر بأمره في جميع احواله ، فأرسله الداعـي المنصور بأمر الامام عليه السلام الى بلد كتامة ، وكان من امره ما نحن نأتي في هذا الكتاب بشيء من قصته ونشرح بعض جملته .

قال الداعي ابو القاسم رضوان الله عليه : وكتبت الى الامام عليه السلام بما صار أمري اليه ، وكانت كتبه ترد علي ، فلم أزل في ضيق من الامر الـى أن ورد علي الكتاب بالعهد للمهدي بالله صلوات الله عليه ، واستقام الامر لنا، واتانا الله بالنصر ، فما زالت الاحوال عند الداعي ابي القاسم مستقـرة ، والدعوة منه الى أولياء الله مستمرة ، والاولياء فرحين جزلين ، واعدائـهم خائفين وجلين ؛ وهو مقيم للعدل ، شاهر لفضل اهل الفضل ، آمر بالاعمال الشرعيـة ، غـير مقصـر فيهـا عامـر للملـة الحنيفيـة في اداني الجزيـرة اليمنيـة واقاصيهـا ، مقيم لفروضها وسننهـا ، جار

---

(١) حين استولى على : سقطت في ب (٢) فخربها : واخربها في ج

(٣) المقبل : المقابل في ج

على (٦٨) واضح منهاجها وسننها، فمرت به الدعوة، وظهرت وعلت اخبارها، واشتهرت وأشرقت ايامه وازدهرت (١) . ثم أن علي بن الفضل الجيشاني لعنه الله الذي دخل مع الداعي المنصور الى اليمن نكث عهده ، واراد الله بينه عن الحق وبعده ، فاستزله الشيطان واستهواه ، واضله ، واغواه ، ففارق الدعوة ، وخرج من الملة ، وباين المتوجهين الى القبلة ، وادعى النبوة . وافترى على الله وعلى أوليائه مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر اسوة، واستمال الجهال والرعاع فكانوا له من الانصار والاتباع ، فارتكب المحارم . واتى بالعظائم . ومال الى الاباحات . وترك الاعمال الصالحات . وكفر بعد ايمانه . وباء بلعنة الله بكفره وعدوانه ، مقتديا بالمغيرة ، وأبي الخطاب . الذين قدمنا ذكرهما في قصة الصادق والباقر صلوات الله عليهما ، فاعسلا كفعلهما في الضلال . مستزلا للاغمار والجهال . (٦٩) مائلا عن ذات اليمين الى ذات الشمال . وليست افعاله الخبيثة بمنسوبة (٢) الى اهل دعوة الحق المبين . واتباع أولياء الله المهتدين . وانما عليه عار ذلك واثمه وذنبه العظيم الذي اجترحه وجرمه . وعجبا لمن ينسب الى اهل الدعوة الهادية من اتباع الائمة صلوات الله عليهم افعاله، ويوهم لديهم ضلاله، وهم الى الله والى اوليائه منه براء . ولا يفعلون ما يفعل . ولا يرون ما يرى ، قائمون بالاعمال الشرعية من الطهارات والصلاة . والصوم . مؤتون الزكاة ، حاجون الى بيت الله الحرام ، متولون محمد رسول الله وعليا وصيه والائمة من ذريتهما عليهم السلام ، مجاهدون (٣) في سبيل الله ، مجتهدون موفون في افعالهم واقوالهم . مسددون ، مجانبون ، لما حرمت الشريعة الغراء ، ملازمون لما فرض نبي الله روحه (٤) : اللهم وكل من دعى الى الامامة الاسماعيلية ، وانتمى الى اللعين . وهم الى الله يبرؤن منه في دائم الاحقاب والسنين . ويلعنونه مع اللاعنين . ويتبعون من دين نبيهم محمد وآله خير دين ، وان ابليس قد كان مع السابقين المسبحين العابدين لله تعالى من الملائكة المقربين . فحين كفر فاخرجه الله من جنته ، وباء (٥) بغضب الله ، ولعنته . لم يلزم الملائكة شيء من افعاله . ولم يكن منه الا من اتبعه بسبيل اضلاله . وقد كفر من كفر من اتباع النبيين كقابيل بن آدم . وابن نوح . اللذين ذكرهما الله في كتابه المبين .

---

(١) ... عرت : وزهرت في ج
(٢) بمنسوبة : سقطت في ج
(٣) ...هدون : سقطت في ج
(٤) يلزمهم : يلامهم في ب
(٥) : وعاد في ج

فلم يلحق نوحا وآدم شيء من اعمالهما ، وبراهما الله من بغيهما ومحالهما ، والدين الذي ندين به هو العمل بما اتى به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفرضه على المسلمين ، لا نترك فريضة من الفرائض ، ولا نستحل شيئا مما حرمه الله في ظاهر جلي ، ولا سر غامض ، ونحن اكثر الناس نحمد الله قياما بفرائض(٧١) الاسلام، لاتباعنا (١) من خصهم الله بالفضل ،من امام بعد امام ، حلالنا من كتاب الله وحرامنا ، لا نأتي ببدعة ، ولا نرى في الدين بأهوائنا ، وذلك معروف مشهور موصوف ، لا ينكره الا من اراد البغي علينا والتحامل ، ليستميل بذلك كل وغد جاهل ، وينسب الى الافاضل افعال الاراذل ، يريد بذلك ان يصد عن السبيل ، ويغوي من اراد اتباع أهل الحق فيميل به الى الضلال ، والتضليل .

ونقول في ذلك ما قال الداعي الاجل المؤيد في الدين عصمة المؤمنين قدس الله محمد خير البرية ، فما الذي يلزمهم(٢) من افعال علي بن الفضل (٧٠) الدعوة الفاطمية ، فنقص واحداً من الرسل ، وقدح في شيء من الشرائع والسبل ، وأجاز في شيء من مناسك شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، صلاتها ، وزكاتها ، وصومها ، وحجها ، وجهادها ، أقل شيئة من الرخصة ، أو جوز (٣) (٧٢) في ركن من أركانها ، أدنى نكتة من الفرحة ، من ماض وغابر ، وغائب ، اللهم فاجعله موقع النقمات ، وموضع اللعنات من اهل الارض والسموات ، اللهم انا نشهدك ، ونشهد ملائكتك ، اننا براء ممن هذه سبيله ، وانه من المشركين ، وان الله بريء من المشركين ورسوله ، اللهم ومن نسب الينا من ذلك ما لسنا بأهله، وافترى (٤) الكذب علينا بعناده، وجعله تدنيسا للاعراض المطهرة ، وتدليسا على الدعوة المنورة ، فانه يا رب من المكذبين بآياتك ، المتقلبين في لعناتك من اهل ارضك وسمواتك ، اللهم فبحق كرام اوليائك في ارضك وسمائك الا اخذته بالسمع والبصر ، وجعلته في دنياه واخراه محلا للعبر ، كما قلت وقولك الحق المبين : « ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون » (٥) .

---

(١) لاتباعنا : سقطت في ج
(٢) المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة المتوفي سنة ٤٧٠ هجرية
(٣) جوز : جاز في ج
(٤) وافترى : وافرى في ج
(٥) سورة : ٢١/٣٢

وتابع المنصور الرسل الى ابن الفضل (١) اللعين (٧٣) الزنديق ، يعظه، ويذكره ، وينهاه عن ما آتاه ، وبالتوبة يأمره ، ولسوء المصير في السعير يخوفه ويحذره ، فحين تمادى انكاره ، وتناهى في بغيه واصراره ، فنابذه الداعي بالحرب ، وأخرجه من مدينة شبام حمير ، ثم سار ابن الفضل اللعين بنفسه حتى طلع اكمة تسمى الظلمة ما بين جبل مسور والمصانع ، فلقيه هناك عسكر المنصور فصدقهم أصحاب المنصور ، القتال ، فكبر ذلك في نفوس مركزه في عقبان فمروا الى هناك قاصدين ، وحال بينه وبين ذلك من لقيه من عسكر المنصور فصدقهم أصحاب المنصور ، القتال ، فكبر ذلك في نفوس أصحاب ابن الفضل لقوتهم ، وقد ظنوا ان احدا لا يلقاهم ولا يقاتلهم ، فصبروا لاصحاب المنصور رضوان الله عليه ، وما زال بينهم القتال من أول النهار الى آخره ، حتى رد أصحاب ابن الفضل الاعقاب وقتل منهم (٧٤) رجال صاروا الى أشد العذاب ، واستشهد من أصحاب المنصور رجال قضى لهم الله بحميد الرجعة ، وكريم المآب، ونزل اللعناء أصحاب اللعين ابن الفضل في الظلمة ، ولم يطيقوا جوازها الى غيرها ، فحطوا أثقالهم فيها وأقاموا فيها أربعين يوما ، وانتقص امرهم ، وقطع أصحاب المنصور الميرة عنهم حتى اصابهم الجوع الشديد ، (واكلوا لحم الحمير والجلود ،) (٢) وبلغ بهم الجهد كل مبلغ ، وكان أصحاب المنصور يقاتلونهم من حول مركزهم بين الشجر وعلى المياه ، ويأخذون ما يظفرهم الله به من أمتعتهم . فلما راى ذلك ابن الفضل اللعين وطال عليه ، انصرف من الظلمة الى المصانع ، ثم الى الضلع فالى الاعذار ، ثم الى الصمد فأقام بها أياما ، ثم انحدر الى لاعة (٣) فأقام في موضع يسمى اعجاز ، ثم جهز عسكر الى (مغربة لاعة) (٤) فانتهى الى المنصور رضوان الله عليه خبره ، فكمن

---

(١) علي بن الفضل الداعي الذي أمر د الامام بمرافقة منصور الى اليمن واشترك معه بالفتوحات اليمنية ، واظهر التقشف والورع والولاء الى الامام خلال مدة لا تقل عن عشرين سنة ، اذا علمنا انه وصل الى اليمن سنة ٢٦٨ هجرية وان خروجه على الدعوة عننا كان بعد ان استولى على المذيخرة سنة ٢٩٤ هـ حيث جعلها مقرا لملكه ، واعلن استقلاله التام عن الدعوة الاسماعيلية ، مات مسموما بعد حروب طويلة بينه وبين منصور اليمن . وكانت وفاته سنة ٣٠٣ ليلة الخميس منتصف ربيع الاخر .

(٢) واكلوا لحم الحمير والجلود: سقطت في ج

(٣) لاعة : لوعة في ج

(٤) مغربة لاعة : سقطت في ب

(٧٥) بعسكره في ثلاثة مواضع فخرج أصحاب ابن الفضل فحين صاروا الى تلك المواضع الضيقة (١) بين الكمن غفل عنهم أصحاب المنصور حتى خرجوا من المضيق وثاروا بهم والتجأوا الى جبل كان فوقهم فامتنعوا فيه ، وانصرفت الكمن عنهم ، واصبح ابن الفضل غاديا في أثرهم فصار الى الغربة ، ثم خرج منها بعد مدة حتى صار الى الجميمة، فأقام بها مدة اخرى، ثم الى القبل واجتمع اصحاب المنصور عليهم في قرية تسمى مجبة فهزموهم ، وولى أصحاب ابن الفضل منهزمين ، وكان ذلك بعد صلاة العصر ، ولم يزل اصحاب المنصور يتبعونهم (٢) بالقتل الى نصف الليل ، فقتلوا منهم بشرا كثيرا ، وانصرف هؤلاء وهؤلاء ، وكانت بينهم بعد ذلك وقائع كثيرة وقتال شديد في أيام كثيرة ، تركنا ذكر ذلك اختصارا ، اذ لم يكن قصدنا اليه ، وحمى المنصور (٧٦) المغربة من كافة الجهات من اللعين ابن الفضل ، وقوي بعد ذلك أمرَ ابن الفضل وملك صنعاء ، وكان ذلك وقد صار امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام في دار ملكه بافريقية ، وظهر امره ، واشتهر فضله ، في البرية ، فلما بلغه صلوات الله عليه حال هذا اللعين ، وانه قد استفحل (٣) أمره ، واجتمع اليه اتباعه اللعناء الكافرون ، أمر رجلين من اهل دعوته ، وممن في حضرته حتى وصلا الى مدينة صنعاء ، وتسميا انهما طبيبان ، حتى دخل احدهما على ابن فضل لعنه الله ففصده ، وجعل في مفصده سما قاتلا ، وخرج من عنده ، وبادر الهرب هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل لعنه الله ، وعجل الله بروحه الى النار ، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار ، واخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه ، وما زالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتهيا الى موضع تحت نقيل (٤) صيد ، فأدركا هنالك (٧٧) وقتلا رحمة الله عليهما .

قال الداعي حاتم بن ابراهيم رضوان الله عليه في بعض تأليفه : وقبرهما معروفان الى هذا الاوان . وانقطع امر اللعين علي بن الفضل بعد موته ، وتفرق اتباعه من الغوغاء اللعناء ، ولم يبق احد على دينه فلعنة الله عليه وعلى من ينسبنا اليه ، فنحن

---

(١) الضيقة : الضعيفة في ب (٢) يتبعونهم : تبعهم في ج
(٣) استفحل : استحل في ج
(٤) نقيل : في ج ـ ويعرف الان باسم نقيل سماره

نبراء الى الله تعالى من فعله ، ونعوذ منه ومن اتباعه ، ونتابع اللعنات عليه، وعلى من سلك سبيله ، ممن تهاون بالاعمال الشرعية ، وأخل بالاوامر النبوية في قديم الزمان ، وهلم جرا الى هذا الاوان .

واستقر أمر المنصور الداعي ابي القاسم قدس الله روحه في اليمن بعد قتل هذا اللعين وملك اكثر مدة من السنين ، واستخلف عبد الله بن العباس في الدعوة بعد موته (١) ونقلته ، وجعله خليفة في أهل دعوته ، وهاجر ولده الداعي جعفر بن الحسن قدس الله روحه الى الحضرة الشريفة النبوية ، وسكن (٧٨) في ظل الدوحة العلوية ، وانتهى الى أن بلغ مبلغا عظيما عند الائمة صلوات الله عليهم ، وفضل الدعاة ، وبلغ الى مراتب الابواب الفائزين بعلو الدرجات ، وسنذكر من قصته اذا انتهينا الى ذلك ، وبالله نستعين وبمادة أوليائه الطاهرين .

ظهور الدعوة بالمغرب الى أن ظهر المهدي بالله صلوات الله عليه وعلى آله وآبائه الطاهرين .

ان أبا عبدالله الحسين بن محمد بن زكريا أرسل الى اليمن على ما قدمنا ذكره، وقدم على الداعي أبي القاسم منصور اليمن ، فأدنى مكانه ، ورفع منزلته ، وأقام عنده من وقت انصراف الحاج من مكة الى اليمن الى وقت خروجهم الى الحج من العام المقبل ، يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته فلا يفارقه . فلما حضر وقت خروج الحاج من اليمن الى الحج ، خرج أبو عبدالله (٧٩) الى مكة معهم ، واخرج الداعي ابو القاسم معه من قبله رجلا أصحبه اياه وآزره به بحسب ما جرت به سيرة الدعاة ، أن يكون مع الواحد منهم من يختصه ويختاره ، ليخلفه ان حدث به من حدث من أمر الله الذي لا محيص عنه ، ولا مفر منه ، وكان المنصور رضوان الله عليه اذا بعث احدا لامر له لم (٢) يشعر به احد من اهل ولا ولد ، ولا يدري اين توجه ، وكان الذي سار مع عبد الله

---

(١) كانت ولادة ابو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي سنة ٢٣٠ هجرية وهو من ولد عقيل بن ابي طالب . وان وفاته كما يقول بعض المؤرخين سنة ٣٠٢ ولكننا نستبعد صحة هذا التاريخ وقد تكون وفاته حدثت بعد علي بن الفضل الذي توفي سنة ٣٠٣ لان الوقائع تؤيد انه عاش بعد علي بن الفضل . ومن المؤكد ان وفاته كانت في سنة ٣٠٢ هجرية .

(٢) لم : سقطت في ج

ابن ابي الملاحف (١) ، وكانت له والدة فقدت عقلها لما فقدته وخولطت فيه ، فرق لها الداعي أبو القاسم فأرسل له فرجع الى اليمن ، وبعث الى عبد الله رجلا يقال له ابراهيم بن اسحق الزبيدي (٢) من أهل اليمن ، ليكون معه عوضا عن ابن ابي الملاحف ، وقيل ان الداعي أبا عبدالله لما ودع المنصور وخرج من عنده نظر اليه وهو مول عنه ، وقال : ان بين (٨٠) كتفيه لنجاة خلق عظيم .

ولما وصل أبو عبدالله مكة مع الحجيج قضى حجة في جملتهم ، وجعل أبو عبدالله يمشي بمنى فمر على جماعة رجال من كتامة ، ممن حج تلك السنة ، وهم في رحالهم ، وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا باسباب الحلواني ، وقد قدمنا ذكره ، فجلس أبو عبدالله اليهم فسمع منهم رجلين وهما حريث الجميلي وموسى (بن مكارمة) (٣) يذكران لاصحابهما فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فذكر شيئا من ذلك معهما ، فاقبل عليه جميعهم ، وحدثهم طويلا ثم نهض ليقوم فقاموا معه ومشوا لمشيه وجاء بهم الى رحله ، ولما كان من غدهم أتوه فحدثهم واوسع في الحديث ، فازدادوا فيه رغبة وعليه اقبالا ، وكانوا يسمعون منه في كل يوم حديثا لم يسمعوه فيما قبل ذلك ، فازدادت اليه رغبتهم ، ومالت نحوه قلوبهم ، وسار معهم حتى (٨١) انتهى الى مصر فأظهر لهم الرغبة في المقام هناك ، فقالوا له : ما يتيمك ها هنا ، وليست ببلدك ، ولا نرى شيئا من التجارة معك ؟ قال : اطلب التعليم ، فابتهجوا لذلك وقالوا : ما نرى بلدا اجدى عليك في التعليم من بلدنا ، وجعلوا يخبرونه تعظيم أهل بلدهم للمعلمين ، وقالوا : انظر ما تأمل ان تجمعه في كل سنة من أجرة التعليم ، فنحن نزيد فيه على أملك ، وندفع اليك منه الان ما شئت من أجرة سنة ، او سنتين . فأظهر لهم في ذلك أمرا بين الامرين ، وهم في ذلك يتطارحون (٥) عليه ، ويزدادن رغبة اليه ، حتى اجابهم الى المسير معهم ، فسروا بذلك سرورا عظيما ، وقالوا : انا لنأتي الى بلدنا ما يكون لنا به الفخر ، مما لم يجيء به احد سوانا ، وقالوا : ما نراه

---

(١) عبد الله بن ابي الملاحف : ابو عبد الله بن ابي الملاحق في ب
(٢) الزبيدي : الرنايدي في ج
(٣) موسى بن مكارمة : سقطت في ج وفي ابن الاثير موسى بن مكاد ج ٨ صفحة ٣٢
(٤) لمشيه : لمشيته في ج
(٥) يتطارحون : يتصارحون في ج

يصلح الا لتعليم (٨٢) الشيوخ دون الصبيان . وجمعوا له دنانير حين ازمع معهم على المسير ، فامتنع عليهم من أخذها ، وحاولوه على ذلك بكل وجه فأبى عليهم ، وقال : لم يكن مني اليكم ما يوجب ذلك ، فاذا كان تبلنا منكم . فقالوا : فامنن علينا بقبوله .

هذا فامتنع من ذلك في تلطف ، وشكر لهم ، فعظم في أعينهم وزادت هيبته في صدورهم . فخرجوا من مصر وارادوا حمل مؤنته فأبى عليهم وسايرهم على ما كان عليه في تلطف (١) وكل يوم يعظم امره لديهم ويزداد جلالته في أعينهم ، وكانت طريقهم (٢) من طرابلس على قسطيلية (٣) ، لانها الجادة . ولم يدخلوا افريقية(٤) حتى اذا صاروا الى سوجمار من ارض سماتة تلقاهم اهل الموضع فأنزلوهم عندهم ولقيهم حريث وموسى وأصحابهما ، فأخبروهم بخبر ابي عبدالله ، ونظر السماتيون الى تعظيم الكتاميين له ، فرغب كل واحد منهم في مبيته معه ، حتى رموا عليه بالسهام ، فخرج في سهم ابي عبدالله الاندلسي ، فنزل عنده ، (٨٣) واتاه ابو المفتش ، وابو القاسم الور فجومي مع حريث وموسى ، من الليل ، فتحدثوا مليا عنده ، ووجد لديهم من المعرفة والفهم أكثر مما رآه ممن صحبه ، وأصاب عندهم من علم الشيعة . وفضل أهل البيت عليهم السلام ، أصلا قويا ، فلما كان آخر مجلسهم ، واراد القيام نظر اليه ابو المفتش فقال : والله اني لاظنك صاحب البذر الذي كان يذكره الحلواني ، وأخبره بخبره ، وقام . فقال (٥) ابو عبد الله لابي عبد الله الاندلسي : شيخ كويس — يعني ابا المفتش — .

وقال ابو المفتش لاصحابه ، بعد أن خرج : لولا واحدة كان الحلواني يقولها ما تخالجني الشك ان هذا الرجل هو الذي كان الحلواني يذكره ويبشر به . قالوا : وما هو ؟ قال : كان اذا وصفه قال : في فيه اصبع ، فبلغ ذلك ابا

---

(١) في تلطف : سقطت في ج (٢) طريقهم : طريقتهم في ب

(٣) قسطيلية : قسطيلية بالفتح ثم السكون وكسر الطاء وياء ساكنة خفيفة وهاء . مدينة وكورة كبيرة من بلاد الجريد من تونس قاعدتها توزر . معجم البلدان ٣٤٨/٤ . وتقع على بعد خمسين ميلا الى الجنوب الغربي من قفصة وعلى بعد ١٤ ميلا الى الشرق من نفطة .

(٤) افريقية : سقطت في ج

(٥) فقال : سقطت في ج (٦) كان اذا : سقطت في ج

عبدالله فتبسم وقال : هذا لا يكون ، ولما اخذ العهد على من سمع القول ذلك من ابي المفتش واشترط عليه الكتمان ووضع اصبعه على فيه وقال (٨٤) : هذا هو الاصبع الذي كان الحلواني يقول ، آمركم بالصمت والكتمان ، وأما رجل يكون في فمه اصبع فلا ، قالوا : كذلك والله هو ، وبان لهم الامر .

ولما انصرف القوم بقي ابو عبدالله الاندلسي وكان ذا فهم وحدة ومعرفة ؛ فما زال أبو عبد الله يحدثه ويجد عنه ما يريد حتى كشف له الامر ، واخذ عليه العهد ، فيقال انه ما زال الحديث بينهما طول ليلتهما حتى صليا الفجر بطهر العشاء الاخرة ، وقال أبو عبد الله الاندلسي لابي المفتش : أظن الذي قلت في هذا انه صاحب البذر الذي ذكر الحلواني ، وكان ابو المفتش ممن ادرك الحلواني ، وسمع حديثه ، واخذ بعده من رجاله ، وقال ابو عبد الله الاندلسي قد رايت أن أصحب هذا الرجل ـ يعني أبا عبدالله ـ واتعرف ما عنده ، قال أبو القاسم الورفجومي وانا معك .

وكان أبو المفتش قد كبر سنه (١) ، وضعف جسمه ، فقال لهما : اني (٨٥) لا استطيع السفر معكما ، لكن متى وقفتما منه (٢) على أمر كتبتما اليّ فتحملت اليه . ونظر حريث وموسى من رغبتهم فيه ما (٣) زادهما غبطة به ، وساروا جميعا حتى دخلوا بلد كتامة (٤) ، فلما وصل بلد كتامة (٥) رغب كل في مقامه عنده ، وآل امرهم ان يخبروه ، فقال لهم : في أي موضع (عندكم فج) (٦) يسمى فَجّ الاخيار ، فنظر بعضهم الى بعض كأنهم يرونه قد عرف ذلك ، قالوا له : هو عند بني سكتان . فقال : اليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم ان شاء الله في مواضعهم ، ونزورهم في بيوتهم ، فسار أبو عبد الله الداعي ومعه أبو عبد الله الاندلسي ، وأبو القاسم الورفجومي ، وحريث ، وموسى ،

---

(١) كبر سنه : خرف في ج (٢) منه : فيه في ج

(٣) ما زادهما : فزادهما في ج (٤) كتامة : سقطت في ب

(٥) كان وصولهم لبلد كتامة حسب اقوال القاضي النعمان في كتاب افتتاح الدعوة يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين . ويقول المقريزي في اتعاظ الحنفا انهم وصلوا الى ارض كتامة في منتصف ربيع سنة ثمان وثمانين ومائتين ويؤيده ابن خلدون فيما ذهب اليه .

(٦) عندكم فج : سقطت في ج

حتى انتهوا الى فج الاخيار ، فقال : أهذا فج الاخيار ؟ قالوا : نعم . وقال له موسى وحريث : من اين عرفت ذلك ، فما علمنا أنا ذكرناه لك ؟ فقال لهم : البلدان توصف للناس ، وان لم يروها . وكان بعد ذلك يقول لهم والله ما سمي هذا الفج (٨٦) الا بكم .

ولقد جاء في الاخبار أن المهدي بالله صلوات الله عليه تكون له هجرة ينبو فيها عن الاوطان في زمان محنة وافتتان ، ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان : قوم مشتق اسمهم من الكتمان . فأنتم هم كتامة ، وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الاخيار .

وكان وصول الداعي ابي عبد الله الى بلد كتامة يوم الخميس للنصف من شهر ربيع سنة ثمانين ومائتين ، ونزل ابو عبد الله في ايكجان (١) موضع بني سكتان (٢) فأقبل الناس اليه من كل مكان ، وجلس لهم وحدثهم بظاهر علم الائمة عليهم السلام ، وفضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، والائمة من ولده صلوات الله عليهم ، فاذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه واحسن فيه ما يريده أخذ عليه عهده ، فأخذ على ابي القاسم الورفجومي وعلى حريث وموسى ، وقال له حريث : ما كان أغفلنا عنك في (٨٧) طول سفرنا معك ، وأتاه هرون بن يونس ، وهو ابن موسى المسالتي الذي كان يقال له (شيخ المشايخ) من مسالته (٣) فدعاه . وجاء الحسن بن هرون الغشمي من غشمان (٤) تازروت فأخذ عليه ، واستجاب له ، وكان شابا عاقلا وسيما كريم الاخلاق من اهل الجدة واليسار ، وكانت له افعال جميلة وفضائل مذكورة . وجاءه من اجانة أبو يوسف ماكنون بن ضبارة ، وابن أخيه تمام بن

---

(١) ايكجان : يقع في منتصف الطريق بين طنجة وفاس . وفي ابن الاثير ايكجان جبل بالقرب من قسطنطينية فيه قبائل كتامة وهم كرام وقد فنوا . ويقال بانه مكان اجتماع الحجاج وكانوا يطلقون عليه منذ قديم الزمان zajjan وهو محل التقاء الحجاج من الاندلس وشمال المغرب الاقصى . ويقول الادريسي : ايكجان جبل بقرب سطيف على مرحلة ونصف من بجاية وبه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع .

(٢) بني سكتان : قسم من جيملة الكتامية المعروفة بالشجاعة والعنفوان والحمية .

(٣) المسالتة : قبيلة من قبائل كتامة ينتسبون الى مسالتة بن يناوة بن غرسن بن كتم ((العبر ١٤٨/٦) .

(٤) غشمان : قبيلة من كتامة ينتسبون الى غشمان بن ينطاسن بن غرسن بن كتم (العبر ١٤٨/٦) .

معارك ابو زاكي . ورأى من تمام بن معارك فطنة ونباهة ورغبة في العلم . وحرصا عليه . فوقف بين يديه يخدمه لا يفارقه ، واشتهر أمره . ثم عرضت له علة من حصاة كانت تعتريه فسار معه رجل من سكتان الى ميلة يريد بها الحمام ، فقصد فندقا فيها كان لفرجون مولى لموسى بن عباس صاحب ميلة فنزل فيه . وبلغ موسى بن عباس خبره ، وانه قد نزل ميلة ، وانه في فندق فرجون، (٨٨) وفرجون قائم بين يديه . وهو من جملة عبيده، وكان فرجون ذا همة وانفة وله من يحميه من أولاده ؛ قيل انه ركب في عشرين فارسا من اولاده ، فقال له موسى مولاه : اذهب فجئني (بهذا الرجل) (١) من فندقك فجاشت لذلك نفس فرجون ، اذ كان ضيقة وقد نزل في جواره . فأمر من اعلم ابا عبد الله الداعي ، فأمره بالخروج بسرعة (٢) فخرج خائفا مترقبا .

وجاء فرجون الى مولاه ، فقال : اني وجدته قد خرج . فرجع الى ايكجان. واقبل اليه الناس من كل ناحية ومكان ، وتسامع الناس انه يدعو الى دين باطن لا يعلمونه ، وان من دخل في أمره لم يظهر ما عنده من باطنه ، فاذا سأل اخص الناس به عن ذلك قال : ابلغ تيقن . وكانت تلك هجيراهم ؛ الا انها ظهرت في من اتبعه افعال حميدة ، من المحافظة على الشريعة ، والعفة ، والامانة ، وصلة الرحم ، وترك الظلم ، ومجانبة الحرام ، (٨٩) واقامة شرائع الاسلام ، فازداد الناس اليه رغبة ، وبه ثقة ، فأقبلوا اليه من كل وجه ،وكل من جاءه دعاه ، وانصرف الى بلده ، واختلف اليه ، وسمع منه ، ورأى منه اهل بلده الافعال الحميدة من الاقبال على الصلاة ، والصيام ، واعمال الخير ، وتجنب المعاصي ، وصلاح الاحوال ، وكان قدوة (٣) لكثير من اهل بده ، فدخل الناس في الدين ، ومالت اليه قلوبهم أجمعين .

وانتشرت الدعوة في بني سكتان، واخلوا له مجلسا للسماع، وكانوا يقيمون(٤) بضيافة من يأتيه ويرد عليه ، وينفقون في ذلك رغبة في الثواب ، وتقربا الى الله ، العزيز الوهاب ، وكان المؤمنون يحملون اليهم ما يستعينون في النفقة يرجون بذلك الله سبحانه ، وصار من وصل الى الدعوة في قومهم كالنجوم في افعال الخير يشار اليهم بالاصابع ويعجب الناس (٩٠) من حسن أحوالهم،

---

(١) بهذا الرجل : سقطت في ج
(٢) بسرعة : عجلا في ج
(٣) قدوة : قدرة في ج
(٤) يقيمون : يقومون في ج

وسوء حال كثير منهم قبل اتصالهم بالدعوة ، وكيف صار بهم الحال بعدذلك دينا وعبادة ، وفضلا وزهادة .

وعظم الامر على موسى بن عباس صاحب ميلة وخاف من ابـي عبد الله وحسده على اقبال كتامة عليه ، واخذته العزة بالاثم ، فارسل الـى بنـي سكتان وطلب منهم وصول ابي عبد الله اليه ، وزعم انه يريد ان يجمع العلماء اليه للمناظرة ، وهو يضمر له المكر ، ويروم به الغدر ، فانفوا (١) من ذلـك وقالوا : ما كنا لنمكنه من ضيفنا ، ولا نسلمه اليه ، ولطف بهم ، وخوفهـم عواقب الامور ، وان ينتهي امره الى ابراهيم بن أحمد (٢) صاحب أفريقية ، فينهض اليهم العساكر وينالهم بالمكروه ، فاغلظوا له في الجواب ، فلما يئس منهم حاول ان يضربهم بغيرهم من كتامة ، فانفوا ان يكون لصاحب ميلة يـد على اهل بيوتاتهم ، ولم يصل (٩١) له مرامه منهم .

وبلغ امر ابي عبد الله الى ابراهيم بن احمد صاحب افريقية ، فكتب الـى موسى بن عباس يسأله عن ذلك ، فضعف موسى امره ، وخاف ان قـدم ابراهيم بن أحمد ان يوقع به او يعزله ، ففطن ابراهيم بن أحمد لامر موسى، وعرف انه يتقيه لذلك ، وانه خافه فكتب (اليه كتابا) (٣) وبعث اليه بابـن المعتصم المنجم وامره ان يتلطف ليوصله الى ابي عبد الله الداعـي ، وامره ان يختبر أحواله ويأتيه بصحة خبره واوصاه بما اراد ، فبعث موسى بابـن المعتصم سرا الى ابي عبد الله على يد احد بني سكتان كما أمره ابراهيـم . فقربه ابو عبد الله الداعي ، واقبل عليه ، فقال له ابن المعتصم : ان الامـير ابراهيم بن احمد وجهني اليك وامرني ان ابلغك عنه وانا رسوله (٤) فان اذنت لي في تأدية ما أرسلت به اليك أديت : قال له أبو عبد الله : هات ما عندك . فما على الرسول الا (٩٢) البلاغ المبين . قال : وانا آمن ؟ (٥) . قال : وانت آمن . قال : يقول لك الامير : ما حملك على التعرض لسخطي والتوثب في ملكي ، وافساد رعيتي والخروج علي ؟ ان كنت تبتغي عرضا من اعـراض الدنيا فان ذلك مما تجده عندي ان تلافيت (٦) نفسك ورجعت عن غيك ، فاقدم

---

(١) فانفوا : فنفروا

(٢) هو ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب صاحب افريقية ويعرف في كتب التاريخ بابراهيم الثاني وقد حكم افريقية من ٢٦١ الى ٢٨٩ هجرية .

(٣) اليه كتابا : سقطت في جـ

(٤) رسوله : رسول في ب

(٥) امن : الامن في جـ

(٦) تلافيت : تلقيت في جـ

التي فانت آمن ، فان اردت المقام ببلدي أقمت ، وان احببت الانصراف الى الموضع الذي جئت منه انصرفت ، وان كان قصدك قصد من سولت له نفسه الخلاف على الائمة واستفاد جهلة الامة فقد لعلك عرفت ما كانت عواقب من منته نفسه امنيتك وسونت، له ما سولت لك نفسك من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الاجل . فلا يغرنك اقبال هؤلاء الاوباش عليك وأتباعهم اياك ، فلو قد صرفت (٩٣) وجهي اليك لاسلموك وتبرءوا (١) منك . واعلم اني انما أردت الاعذار اليك لاظهار الحجة عليك وهذا أول كلامي لك واخره لن اقبل بعده لك توبة ولا اقبل لك عثرة ولا اجعل جواب ، ما يكون منك الا النهوض اليك بنفسي بجميع رجالي وأبطالي (٢) وانصار دولتي وجملة اهل مملكتي ، فعند ذلك تندم . وان جمحت الان في الغي حين لا ينفعك الندامة ، ولا تقبل منك التوبة ،فانظر في يومك لغدك ، وقد أعذر من أنذر (٣) .

قال الداعي ابو عبد الله : قد قلت فاسمع وبلغت فابلغ ، قل له : اما ما ذكرت من التهديد والوعيد فما انا ممن يروع بالوعيد والايعاد ، ولا ممن يهوله الابراق والارعاد ، واما تخويفك ان تاتي بأنصار دولتك ورجال مملكتك ابناء حطام الدنيا وذئاب طمعها (٩٤) الذين يرتاعون لكل بارق ، ويجيبون كل داع وناعق ، فاني في انصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا يروعهم (٤) كثرة انصار الظالمين ، مع قول الله وهو اصدق القائلين : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » (٥) فاما ما أطمع به من دنياه وعرضه من حطامها فلست من اهل الطمع فأميل (٦) اليه ولا ممن يرغب فيما عنده فيأتيه (٧) ، وانما بعثت رسولا لامرهم وقرب ، وانتجاز وعد من الله سبق ، والله لا يخلف الميعاد ، ولا يظلم الا من ظلم نفسه من العباد ، فان سولت له نفسه ما توعد به ودعته اليه فسوف يعلم ان الله

---

(١) تبرءوا : تبروا في ج (٢) ابطالي : ابطال في ج

(٣) اشار ابن خلدون الى هذه الرسالة واوردها ملخصة كما اوردها مع جواب ابي عبد الله ابن الخطيب مختصرة . اما القاضي النعمان فقد اورد الرسالة والرد عليها كما جاءت هنا ويبدو ان الداعي ادريس عماد الدين صاحب عيون الأخبار قد نقل الرسالة والرد عن كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ولكنه تصرف في بعض العبارات .

(٤) لا يروعهم : لا يردعهم في ب (٥) سورة : ٢٤٩/٢

(٦) فاميل : فيمل في ج (٧) فياتيه : فاتيه في ج

من ورائه ولن تغني (١) عنه فئة وان (٢) كثرت ، والله مع المتقيـــن ، فهذا جواب ما جئت به فبلغه ثم تحمل رسالتي اليه وأبلغه عني ما حملتك اياه ، وقل له : اني أدعوه الى الله والى كتابه (٣) والى الامام المهدي (من ذريــة رسوله) (٤) دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيه ، وان قبل عني قبل (٩٥) رشده وان عند فقد قدمت اليه العذر ، ولو كان صاحبي لعجلت السير نحوه ولكن له ولمن بعده متاع الى حين ، حتى اذا بلغ الاجل وحان الحين « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون (٥) .

ثم صـــرف ابـــو عبد الله الرسول احسن انصـــراف على افضل حال ، فبلغ ابراهيم قوله واخبره عن صفته ، فاضرب ابراهيم عن ذلك ، وعلـــم أنه صاحب قطع دولته ، وكان ابراهيم يعني بعلم الحدثان وما يأتي في الزمان، وانما بعث اليه ليختبر امره ، فلما بلغه وصفه أسقط في يديه ، وعلم أن ملكه صائر اليه ، وكان اذا ذكر له في الملأ اظهر التهاون به ، واذا ذكر له فـــي الخلأ مع خاصته قال :

والله لو دخل علي هذه المدينة من باب لخرجت من (٦) بيـــن يديه مـــن باب آخر ، ولله لكأنني انظر الى اكسية أصحابه منشورة على شرفات قصري هذا ، واشتهر أمر ابي عبد الله بايكجان ، وسمي المشرقـــي (٩٦) لقدومه من المشرق ، ونسب اليه من اتبعه فسمو المشارقة .

وكان اذا دخل الواحد منهم في دعوته قيل قد تشرق ، ورأى الناس مـــن صلاح من دخل في دعوته واقبالهم على الصلاة والصيام ، واعمال البـــر ونزوعهم عما كانوا عليه من الفساد ، ما زادهم رغبة في امره ، وحســـن ظن به ، فسارع (٧) الناس اليه واطلق الدعوة لمن ارتضاه منهمفي قبائلهم .

فلما نظر الرؤساء من القبائل ولاة البلـــدان ذلـــك ، ولم يروا نهضة من ابراهيم بن أحمد في أمره ، خافوا زوال رياستهم من أيديهم ، وان يغلـــب امره عليهم ، فكتب بعض الى بعض ، وتراسلوا فاجتمعوا وتعاقدوا ، وكان ممن تعاقد على ذلك موسى بن عباس صاحب ميلة (٨) وعلي بن عسلوجة

---

(١) تغني : تغن في ج

(٢) وان : ولو في ج

(٣) كتابه : القابة في ب

(٤) من ذرية رسوله:سقطت في ج

(٥) سورة : ٢٦/٢٢٧

(٦) من : سقطت في ج

(٧) فسارع : فسرع في ج

(٨) ميلة : ملبلة في ج

صاحب سطيف (١) وحي بن تميم صاحب بلزمة (٢) ، وهؤلاء امراء هذه المدن الذين عندهم العدة وفيهم العدد والنجدة ووالاهم على (٩٧) ذلك فتح بن موسى المسالتي ، وكان يقال له الامير ، ومهدي ابن كناوة ، راس لهيصة (٣) وفرح بن جيران (٤) راس أجانة ، وفحل بن نوح رئيس لطاية (٥) ، وزيادة المتوسي رئيس متوسة (٦) ، وهؤلاء مع رياستهم ابطال يعد كل واحد نفسه لكتيبة، واجتمعوا فاداروا الاراء في الفتك بأبي عبد الله اذا راوا انهم لا يتمكنون ان يأخذوه عنوة من بني سكتان ، وقالوا : ان اغضبناهم قامت جميلة (٧) جميعا معهم ، وكان ذلك أمنع له وأشد لقوته ، وجعلنا له انصارا من قبائل كتامة، مع الذين معه ، فاجتمع رأيهم أن يقصدوا في أمره بيان بن صقلان ، وهو يومئذ وجه بني سكتان ، ولم يدخل في امر ابي عبد الله ، وان يبذلوا له ليستميلوه ، فأتوه بكل وجه وحيلة ، فقال لهم بيان : ان هذا الرجل قد نزل بين أظهرنا وصار ضيفا عندنا ، فلا ينبغي لنا ان نسلمه ، فقال لهم (٩٨) بيان: من الراي ان نجمع العلماء ليناظروه (٨) ، فان كان على حق فما أولانا واياكم جميعا بنصره ، وان كان على باطل عرف ذلك من اتبعه فرجع عنه ، ووسعنا وامكننا واياكم ما اردتم من اخراجه ، فانصرفوا على ذلك لما لم يجدوا عنده غيره . ثم انهم قالوا : انا نخشى ان تقوم حجته فيكون ذلك اقوى لامره ، وتزول رياستنا بسببه ، فدبروا امرهم على أن يمضوا في جماعة ويظهرون انهم اتوا بالعلماء ، فاذا خرج اليهم قبضوا عليه ، وانصرفوا ، فاجتمعوا وساروا في جماعة عظيمة وعدة قوية ، فلما رآهم (٩) بنو سكتان ثارت فيهم الصيحة فركبوا (١٠) خيلهم واخرجوا رجلهم وعدتهم وتلقوهم ، وتواقف الفريقان فقالوا لبيان : قد اتيناك لما كان بيننا وبينك ، قال

---

(١) سطيف : جاءت في الاصل سطيق ولكن ياقوت يقول في معجم البلدان ان اخرها فاء وهي تقع وسط سهول مسماة باسمها في الجزائر على بعد ٤٤ ميلا الى الجنوب الشرقي من بجاية . وهي مدينة ذات سور خربته كتامة مع ابي عبد الله الشيعي . وكان ابو عبد الله مقيما فيها حتى تمهد له امره .

(٢) بلزمة : سقطت في ج

(٣) لهيصة . لعيصة في ب

(٤) فرح بن جيران : هكذا ورد الاسم في كافة النسخ وفي الافتتاح وفي العبر ولكنه جاء في كتاب الامارات الاغلبية ص ٦١٥ فرح بن حيران

(٥) لطاية : لطافة في ج

(٦) متوسة : قبيلة من قبائل كتامة.

(٧) جميلة : جيلة في ج

(٨) ليناظروه : ليتناظروا في ب

(٩) رآهم : ردوهم في ج

(١٠) فركبوا : سقطت في ج

ما كان هذا بيني وبينكم ، وانما قلنا تأتوا بالعلماء فيناظرون (١) الرجل . فنراكم جئتمونا تريدون أن تنتزعوه منا بالغلبة و (٩٩) القهر .

وعلا الكلام بينهم ، وكان فيهم جماعة من الاولياء فهجموا فيهم فالتحم القتال بينهم وكان (٢) للاولياء في ذلك اليوم مقام لم يشاهد مثله ، فانهزم الجمع وولوا على اعقابهم مدبرين ، وعادوا منهزمين ، وخاف الاولياء على ابي عبد الله فاستتر ، وعادت الجماعة فاداروا رأيهم فلم يروا الا معاودة بيان . فأرسلوا اليه وقالوا : انا قد اخطأنا حين اتينا بالجمع ، ولم يكن ذلك من قصدنا ، وانما تسامع بنا الناس فاتبعونا ، وقد رجوناك لصلاح (٣) جماعتنا، وحقن دمائنا فقد عادى من اجل هذا الرجل الاخ اخاه والابن اباه والقريب قريبه ، وهذه فتنة قد بدت ، وبلية قد علت ، فاكتسب الاجر ، واحسن النظر فهذا رجل من المشرق ، وهم كما قد علمت شياطين وعلماؤنا برابر لا يجدون حجة ، افترى أنا نحن وآباؤنا (٤) وأهل المشرق والمغرب على ضلال ، وهذا وحده من بين (١٠٠) الناس كلهم على هدى ؟ ومع هذا فانه يدعو الى سر مكتوم ، وامر غير معلوم ، ولو كان حقا لابداه ، واظهره ، وما اخفاه ، وجعلوا يكررون القول على بيان ويعدونه أن يكون المقدم عليهم ، والرئيس فيهم ، فاصغى اليهم ووعدهم أن يتلطف في اخراجه ، وجعل يكلم اصحابه واهل بيته ، ويخوفهم العواقب ، وقال : قد كانت حرب (٥) واحدة كان لكم فيها الظفر ، والحرب سجال ، ولا تأمنون ان تكون الاخرى عليكم ، فأخرجوا هذا الرجل منكم من غير ان يصل اليه ضيم ولا اليكم .

(وانتم على عز من أمركم من قبل أن يغلب عليه وعليكم) (٦) . واتصل قول بيان بن صقلان بأبي عبد الله وبجماعته من المؤمنين ، وعلم ذلك الحسن بن هارون الغشمي ، وكان قد دخل في الدين ، وفيه عقل ، وله حسن خلق وادب، وهو ذو كرم نفس ، ونعمة وطاعة في قومه، ومسكنه بتازروت ، فأتى الى (٧) أبي عبد الله فذكر له ما اتصل به، وسأله الكون (١٠١) بتازروت عنده ،ورغب

---

(١) فيناظرون : فيناظر في ج

(٢) وكان : وكا في ج

(٣) لصلاح : في اصلاح في ب

(٤) وآباؤنا : وابانا في ج

(٥) حرب : سقطت في ج

(٦) سقطت الكلمات المحصورة في ب

(٧) الى : سقطت في ج

اليه في النقلة الى مكانه ، ووعده الذب عنه والمدافعة دونه باهله وماله ، فشاور الاولياء في ذلك فأشاروا به عليه خلا بني سكتان فانه عظم الامرعليهم، فقالوا : نحن ندفع عنك بأنفسنا حتى نقتل جميعا من دونك ، فشكر لهم قولهم ، ورأى له جماعة المؤمنين ان يكون عند الحسن بن هارون اعز للدين وللمؤمنين .

فخرج أبو عبد الله الداعي الى تازروت ، وخرج معه من المؤمنين من استطاع النقلة من بني سكتان ، وهاجر اليه جماعة من المؤمنين ، واستخلف على الضعفاء منهم ومن لم يستطع المسير معه الحكم بن ناسب وصار ابو عبد الله الى تازروت فتلقاه من بها من المؤمنين وغيرهم ، وانزلوا من كان معه عندهم (١) . وقام الغشمانيون بمن اجتمع اليه ، ومن معه ، ورأى لديهم من الغبطة والسرور (١٠٢) ما سره ، واقبل المؤمنون من كل ناحية اليهم ، وجعل كل واحد منهم يأتي بما يستطيعه ويمكنه، تقوية للمؤمنين ووزرا لهم .

وبذل الحسن بن هارون اموالا ووسع على المؤمنين ، وقرب أبو عبدالله حين صار بتازروت من اجانة وملوسة ولهيصة ولطاية (٢) وجيملة (٣) فتساب اليه الناس وظهر امره وعز جانبه ، واجتمع غشمان على نصره ومنعه ، وعظم شأن الحسن بن هارون بما فعل من ذلك ، وعلا ذكره .
وكان للحسن بن هارون اخ يقال له محمود أسن منه ، فوجد في نفسه لعلوه عليه ، وانصراف الرياسة نحوه ، وكان قبل ذلك المقدم لسنه ،المطاع في قومه ، فشق ذلك عليه ، وتكلم فيه ، وكان اخوه الحسن يداريه ويتلطف به خوفا من أن يفرق جماعة غشمان ، ويدخل بينهم الشتات ، فلما صار ابو عبدالله بتازروت وقوي أمره ، اجتمع الجماعة الذين (١٠٣) اجتمعوا أولا للحيلة في أمره ، واتوا مهدي بن كناوة ، وكان اشدهم فيما عقدوا عليه ، فذكروا له ما بلغهم عن محمود بن هارون ، وقالوا : هو جارك وصديقك،فلعلك ان تستميله فيمكننا مما نريده .

فركب مهدي الى محمود ، وقال له : لقد اعجبت اخاك نفسه وترأس عليك

---

(١) عندهم : سقطت في ج
(٢) لطاية : لكاية في ج
(٣) جيملة : جيلة في ج

مع مالك من الرياسة والسن ، والتقدمية في قومك ، وما نراه الا قد اغتصبك امرك ، ومالت اليه العيون ، واعانة هذا الرجل المشرقي ، وقد استراح منه بنو سكتان ، فلو فعلتم كفعلهم لاسترحتم ، وكانت لك رياستك دون اخيك ، فقال محمود : لا نجد السبيل اليه الا ان نجمع العلماء ليناظروه ، فعسانا ان نجد منه المخرج ان قامت حجتهم عليه ، فانصرف مهدي الى القوم فاخبرهم بذلك ، فقالوا : ومن ذا يناظره من علمائنا ؟ أنت ترى الواحد من جهالنا اذا دخل في امره ناظرهم فقطعهم ، فكيف به هو (١) في ذات نفسه ؟ فقال لهم مهدي : (١٠٤) لم اجد من محمود غير ذلك ، وقد رأيت منه رغبة في قتله وميلا الى ما وعدناه به (٢) من التقدمية ، مع مَا قد تداخله من حسة اخيه ، وما علينا أن نأتي بالعلماء فاذا اخرجوه قتلناه ، فمتى فعلنا ذلك كان بعده ما عسى أن يكون وقد قطعنا اصل الداء .

فاجتمع على ذلك رأيهم ، وارسلوا في طلب العلماء في جميع النواحي . واختاروا من أبطال الرجال وحماتهم من يكون مع العلماء ، وقالوا : لا نجيء في احتفال كما جئنا الى بني سكتان فيكون من ذلك مثل ما كان .

واتصلت (٣) اخبارهم بالحسن بن هارون وبأبي عبد الله فقال له أبو عبد الله : يجتمع جماعة غشمان على محمود فيذكرون له ما اتصل بهم ويحذرونه من (٤) ذلك العار والنقص ، وسوء العواقب ، ويقدمونه عليهم ويرفعون من شأنه ما قدروا . ففعلوا ذلك ، واتوه فاثاروا حميته ، وخوفوه العار . وقدموه عليهم ، وارضوه بما ركن اليه (١٠٥) منهم ، واقبلت الجماعة على ما ابرموه في عدة وعدد ، وقد أجمعوا بينهم أن يمكروا بالداعي ابي عبد الله فلما رآهم محمود أمر غشمان فاستعدوا ، وركبوا خيلهم ، وقال ابو عبدالله للمؤمنين : اركبوا معهم وان قدرتم ان تلقحوا الحرب فافعلوا . فلما التقوا قالت الجماعة لمحمود : هؤلاء العلماء قد جئنا بهم ، وعزلوهم ناحية ، فقال لهم (٥) محمود : نجمع بينهم وبين الرجل مع عشرة من وجوهكم وخياركم ، لننظر ما يكون من أمورهم ، فانحل ما عقدوه وانتكث ما أبرموه ، وقالوا : وما عليك أن تخرجه الينا حتى يشاهد الجماعة

---

(١) هو : سقطت في ج

(٢) به : سقطت في ج

(٣) واتصلت : وصل في ب

(٤) من : في في ج

(٥) لهم : سقطت في ب

منا امره وامر العلماء ، فيكون ذلك أشهر في الناس واظهر ، ويطلع الجميع على الخبر ، قال لهم محمود : انا نخشى عذركم ،' وهذا لا يكون منا اليكم ، ولا نفعله لكم ، فارتفع اللغط بينهم ،وظهر لمحمود مكرهم ، فحمل محمود فيهم ، وحمل الاولياء عليهم ، والتحم القتال ، وغضب محمود وقاتل (قتالا شديدا ،) (١) (١٠٦) وقاتل الاولياء قتالاً لم ير مثله، وجرح محمود فمات، وثار ذلك الاولياء واظهروا الطلب بثاره ، وصفت الرياسة لاخيه الحسن بن هارون . واجتمعت غشمان عليه فصاروا البا واحدا ، ودخل في الدعوة عامتهم .

واشتعلت الحرب فيما (٢) بين غشمان ولهيصة بسبب قتل محمود بن هارون ، واظهر الداعي أبو عبدالله نفسه ، وكان يشهد الحرب ويباشرها ، وكان جميع المؤمنين من جميع قبائل كتامة انصارا لغشمان ، وقام الجمع من القبائل مع لهيصة ، وكان مهدي بن ابي كناوة (٣)، من الابطال المشهورين في الحرب اولي النكاية ، وكانت الجماعة تقدمه على كافة قبائلها ، لما يعرفون من شجاعته ، ونكايته .

وكان أخوه أبو مدين قد دخل الدعوة وهاجر الى ابي عبد الله ، وكانت له بصيرة ونية صالحة ، وكان مهدي من أشد فارس في عصره ، واهوله منظرا .

وروى القاضي النعمان بن محمد رضوان (١٠٧) الله عليه قال (٤) : يقال انه كان اشعر البدن كله، هائل المنظر شديد الضربة ، فيقال ان الاولياء احتالوا عليه في بعض الحروب ، وقد زحف اليهم واشتد القتال وفي موضع القتال مقبرة فيها قبور محجور عليها ، فأدخلوا فيها رجالا من اشد من قدروا عليه، وقدموا اليه فارسا ليجره اليهم ، فشتمه واغضبه فحمل عليه ، فانهزم له الفارس الى موضع الرجال ، فرماه مهدي برمح فأصابه وانفذه وسقط الرمح بين يدي الفارس فظنوا انه اخطأه وما علموا انه أصابه حتى رأوه يسقط عن

---

(١) قتالا شديدا : سقطت في ج (٢) فيما : ما في ج

(٣) كناوة : كتاوة في ج

(٤) كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ورقة ٥٥ نسخة خطية في مكتبة مصطفى غالب الخاصة . ولقد لاحظت اختلاف بسيط في بعض الكلمات وربما كانت بسبب النسخ او تصرف بعض النساخ لتقويم الجملة .

دابته ، وخرج الرجالة على مهدي نأخذوا عنانه ؛ واحاطوا به ، وحملت الخيل فضرب في الرجالة ففرقهم ، ومنع نفسه من الخيل، وخلص منهم ؛ فكان شأنه وأمره ذلك اليوم اعجوبة لم ير الناس مثلها ، وانما يكون مثل هذا ويعجب منه في الرمي بالنبل ، فانها تنفذ الرمية ويخرج النبل منها لا يصيبه الدم (١٠٨) لشدة الضربة وسرعة خروج السهم من القوس .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الخوارج قال : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . اي (يخرجون منه) (١) لا يتعلقون منه بشيء (كما لا يعلق السهم شيء من الدم) (٢) . فاما رمح يخرج من كف رجل فينتهي الى مثل ما ذكر فهذا شيء ما سمع به في الغابرين من الاولين والاخرين .

وطالت الحرب بين القوم ولقي المؤمنون من مهدي بن كناوة الاذى ، واكثر منهم القتل ؛ ولم يستطع فارس ان يلقاه ويرد باسه ، فلما راى ابو مدين الى تمادي اخيه في ضلاله (٣) ؛ وسدوله في ثوب الغي ، اغتم لذلك وساءه . وكان ربما (وقف اليه) (٤) فوعظه وذكره ، ودعاه الى الله وحذره . فلم يزده ذلك الا غيا وبعدا وتماديا ؛ فلما رآه لا ينصرف عن ذلك دبر في قتله . وأن يحتال في ذلك ليخلص الاولياء من شره ؛ ويدفع عنهم عظيم باسه ومكره ، فاجتمع معه فتى من لهيصة كان (١٠٩) قد دخل في الدعوة وهاجر الى تازروت في من هاجر من المؤمنين فاجمعا على أن يمكرا به ويخدعاه والحرب خدعة ، وتعاقدا على ذلك ، وقالا نرجوا أن يصرعه الله شر صرعة ، فلما التقوا في الحرب خرجا ناحية ودعوا به ، فاقبل اليهما ، فكلمه أخوه . كما كان يكلمه حتى اذا انس به ودنا منه ، ضربه كل واحد منهما ضربة رجل واحد فاختلف (٦) فيه رمحاهما (٧) وسقط على الارض ، فحمل عليه الاولياء ، وحملت عليهم لهيصة ومن معها فاشتد بينهم القتال ، واستنقذته

---

(١) يخرجون منه : سقطت في ج

(٢) كما لا يعلق السهم شيء من الدم : سقطت في ب

(٣) ضلاله : الدين في ب (٤) وقف اليه : سقطت في ج

(٥) اشار القاضي النعمان في كتاب افتتاح الدعوة الى ان الفتى يدعى (لاوة بن صوحان) ورقة ٥٦

(٦) فاختلف في ج (٧) رمحاهما : رماحهما في ج

لهيصة وحملته فمات من جراحاته تلك بعد أن وصل الى (١) موضعه، واصطلحت غشمان ولهيصة بعده ، وتآلفوا على الدين ، فقوي أمر المؤمنين واشتدوا ، وحاربوا من يليهم من القبائل وشنوا الغارات على من بعد منهم .

وجاء اليهم الناس من كل حدب ينسلون ، وفي أمرهم يدخلون ، فاجتمعت الجماعة مرة اخرى حين راوا ظهور أمر ابي عبدالله (١١٠) وانقطاع امر لهيصة عنهم ، وقتل مهدي فلم يروا لهم رايا غير المناجزة ، فمشى بعضهم الى بعض ، ومشوا الى القبائل ، واستنفروا العامة ، واستعدوا للحرب ، واجمعوا على أن تنتقل القبائل بعيالاتهم ويحاصروا أبا عبد الله ومن معه حتى تسلمه غشمان اليهم .

واتصل الخبر بأبي عبدالله فأمر جميع الاولياء ان ينتقلوا الى تازروت ، فانتقلوا من كل ناحية ، وجاءت كتامة من أطرافها لحرب أبي عبدالله ومحاصرته ومن معها من القبائل في جمع عظيم ، فأرسل اليهم الداعي ابو عبد الله جماعة من غشمان (٢) يسألوهم الموادعة على ان يكونوا كغيرهم من المسلمين مع ابي عبدالله ، ومن احب ان يدخل في دينه من القبائل فليدخل ، ومن احب أن يرجع الى ما عليه العامة فليفعل ، فأبت عليهم القبائل ذلك ، وقالوا : لا نقبل منكم الا ان تسلموا الينا هذا الرجل فنحكم فيه بحكمنا . فأتى الاولياء (١١١) الى أبي عبد الله وسألوه ان يكون مستترا ، وقالوا له ان ظهرنا على القوم ، اظهرت امرك ، فان غلبنا كان ذلك عوض من غيرنا .

فجزاهم خيرا ، واسمعهم جميلا وحضهم على الجهاد والصبر ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » (٣) ووعظهم في مجلس عظمت بركته ، واطلعهم على كثير من الحكمة ، وبيان من التأويل ، فقويت بصائرهم ، وثبتت قلوبهم .

وقام أبو عبدالله الاندلسي قائما على قدميه ابتهاجا بما سمع وعرفهم أبو عبد الله انه على ثقة من ظهور دين الله وعز اوليائه فسرهم ذلك . ورأى فيهم نية صادقة ، فقال : والله لو قابلتم الجبال بهذه النية لازلتموها .

وانصرفوا عنه فأعدوا عدتهم ، واخرج كل واحد منهم ما عنده من سلاح

---

(١) الى : سقطت في ب

(٢) غشمان : غشان في ج

(٣) سورة : ٢٤٩/٢

وكراع (١) ، فاتوا به ، وحملوا الرجالة منهم على الخيل ممن (٢) كان يحسن الركوب ، (١١٢) واشتروا العدة لمن لا عدة له ، واعترضوا فبلغوا سبعمائة فارس وزهاء الفي راجل ، وقاتلوا الجماعة في اول يوم فقتلوا منهم فارسا من حماتهم واولي النكاية منهم ، وانصرف الاولياء سالمين ، فقويت قلوبهم . واشتدت عزائمهم .

ثم عاودوهم من غدهم فقتل من الجماعة عدد كثير وافترقوا ، والاولياء لم يصب منهم أحد ، فزادهم ذلك ثقة بالله وبنصره ، وعاودوهم في اليوم الثالث في اول النهار ، فأقام القتال بينهم الى وقت صلاة الظهر ، واشتدوا وطلب بعضهم على بعض . وابلى غزوية ابن يوسف يومئذبلاء حسيما، (٣) وكان في الرجالة ، وجرح جرحا انقطع له صوته ، ولما مال الفيء وزالت الشمس ضرب غزوية بن يوسف رجلا كان ابلى في القتال من رجالة الجماعة فقتله، وحمل الاولياء واجتهدت (٤) الجماعة أن (١١٣) يستنقذوا صاحبهم فحيل بينهم وبينه ، وشد عليهم الاولياء فاستوت الهزيمة فيهم ، وتبعهم الاولياء يقتلون منهم ، ويحرقون ديارهم ويغنمون اموالهم الى أن حال الظلام بينهم ، ولم يكشفوا عورة ، ولم يتعرضوا لامراة مسلمة ، وانصرفوا الى مكانهم ، وقد امتلات من الغنائم أيديهم ، بعد ان انهزم الجمع وولوا الدبر ، وتفرقوا فرقا ، وتمزقوا مزقا ، ولحق كل قوم منهم باماكنهم ، وملك الاولياء اموالهم وما في أيديهم بعد ان قتلوا منهم قتلا ذريعا . فيقال فيما رواه القاضي النعمان بن محمد قدس الله روحه أنه بيع في ذلك اليوم عشرون جملا بدينار ، فاما الغنم والامتعة والعبيد والاموال (فما أطاقوا حملها) (٥) ، ولا كيف يسوقون ما غنموا من الانعام ، وغنموا من الخيل ما لا يحصى عدده وانصرفوا الى تازروت (١١٤) . ثم ان أبا عبد الله ابتنى (٦) قصرا بتازروت وسكنه بنفسه ، وبنى الاولياء حوله ، وارتحل اليه المؤمنون فحلوا معه ، وقطنوا وامنوا وقوي امرهم ، واستأمن كثير من القبائل اليهم ، وحاربوا من عاندهم ، فما كان يوم الا ولهم فيه وقعة ، وملك بلد ، وحلول ساحة .

---

(١) وكراع : وكرام في ج
(٢) ممن : من في ج
(٣) حسيما : جسم في ج
(٤) واجتهدت : اجهد في ج
(٥) فما اطاقوا حملها :سقطت في ج
(٦) ابتنى : بنا في ب

وحارب ابو عبد الله فتح بن يحيى ومن اطاعه من مسالته وغيرهم ، وكانوا يذهبون مذهب الاباضية ، وليس في كتامة من يذهب الى ذلك غيرهم ، وهرب فتح بن يحيى في جماعة معه الى سطيف ثم انه استأمن من ابي عبد الله فآمنه ثم هرب فتح الى عجيشة (١) وجمع جموعا منهم ومن غيرهم ، وبلغ ذلك ابا عبد الله فقصد بالعساكر نحوه ، ومر على سطيف ، ولم يعرض لمن فيها ، وانحصر فتح بن يحيى في قلعة منيعة يقال لها وشنوك ، واحاطت العساكر (١١٥) بها ، وقاتلوهم عليها ، فكانوا يحركون الصخرة العظيمة فتقتل من اصحاب ابي عبدالله رجالا كثيرة ، ويسمع لها دوي كدوي الرعد ، فاذا رآها ابو عبدالله غطى على وجهه بكمه لكي لا يرى ما يصاب به الاولياء ، وما زالوا بها حتى فتحوها ، وقتلوا اكثر من فيها ، وقتل تصولا أخو فتح ، وهرب فتح، وغنم الاولياء منهم مغانم كثيرة ، وانقادت عجيشة ، وزواوه (٢) ، للداعي ابي عبدالله ، وجميع كتامة ، وانصرف بالعساكر الى تازروت .

ولحق فتح بن يحيى بأفريقية اذ لم يجد ملجأ دونها فقدم على ابي العباس ابن ابراهيم بن احمد من بني الاغلب صاحب افريقية يحرضه على ابي عبدالله، فقال له ابو العباس : او لم تجتمعوا في عساكر عظيمة ، فلم تصنعوا عظيما؟ فقال : ليس امرنا من امرك في شيء نحن نقاتل بلا راس ، ونقاتل (١١٦) من يعرفنا من اهل بلادنا ، ولو جاء عسكر السلطان لكان فيه هيبة وعدة ، ولانصرف اليه (اكثر من صار) (٣) مع أبي عبد الله . فأضرب عنه (٤) أبو العباس .

واستولى ابو عبد الله على عامة كتامة ، وانتشرت الدعاة فيها من قبله ، ولم يبق فيها (٥) الا من دخل في دعوته راغبا او راهبا ، وذلك بعد أن كانت لابي عبدالله وقائع كثيرة ، وأخبار مشهورة ، قمع بها المعتدين ، وادخل الناس طوعا وكرها في الدين ، وأمر الداعي ابو عبد الله بالعدل ، وأجرى من اتبعه على الحق ، وأمرهم باقامة الشريعة ، ونهى عن الظلم ، فلم يكن عنده في شيء من ذلك هوادة ولا رخصة ، وكان اذا وجب على احد حق ، أو لزمه

---

(١) قبيلة كبيرة من البربر البرانس

(٢) زواوه : قبيلة كبيرة من البربر البتر ينتسبون الى زواوه بن سمجان بن يحيى بن ضري بن زجيل بن مادغس بن بر ، ويقول ابن خلدون بانهم شيعة من كتامة .

(٣) اكثر من صار : الاكثر ممن : في ج

(٤) فاضرب : فامسك في ب (٥) فيها : سقطت في ج

قتل ، جعل ذلك الى اقرب الناس ،فكان هو الذي يقتله ، او يقيم من الحق عليه ما حكم به الشرع الشريف ، وأوجبه ، فاستقامت الاحوال وظهر العدل، وامن الناس امانا لم يسمع مثله .

ولقد روى (١١٧) جعفر الحاجب رحمة الله عليه في سيرته التي ذكر فيها خروج الامام المهدي بالله امير المؤمنين سلام الله عليه ، من مستقره ، وانتهائه الى دار هجرته ، وظهور دعوته ، ما نحن ذاكروه قال (١) : لما صار مولاي الامام المهدي بالله سلام الله عليه بقسطيلية ، تقدم الي أن أطلب له حجاما ، وقال لي : اجهد ان تجده غريبا قال : فخرجت فلقيت حجاما عليه اثر السفر ، فقلت له : اغريب انت ؟ قال : نعم . فقلت : متى وصلت هذا البلد ؟ قال : في يومي هذا . فجئت به الى المهدي عليه السلام ، وعرفته أنه غريب ، فلما رآه سأله عن اسمه وعن بلده ، وهل هو حرا او مملوك ، وكذا كانت عادته عليه السلام ، اذا راى شخصا لا يعرفه لم يكلمه، ولم يؤنسه حتى يسأله عن اسمه ونسبه وبلده ، فلما سأله عن جميع (٢) ذلك عرفه الرجل (٣) انه من اهل افريقية من القيروان ، وانه غاب عنها مدة طويلة في بلد كتامة ، ووافى منها الى (١١٨) تازروت (٤) .

فقال له المهدي عليه السلام :كيف استطعت دخول بلد كتامة والمقام بها على ما قيل فيها من الفتن وتغير السنن ؟ فقال له : والله يا مولاي ما لله ولرسوله سنة صحيحة الا ببلد كتامة . قال له المهدي عليه السلام : هذا خلاف ما وردت (٥) به الاخبار من كل الجهات عن الرجل الخارجي (٦) بها ، فقد قيل فيه غير ذلك (٧) . قال الحجام : والله الذي لا اله غيره ، مالله دين الا

---

(١) ورد النص في سيرة جعفر الحاجب مع بعض الاختلاف في بعض الكلمات : قال جعفر : « بعد ذلك بيوم او يومين تقدم الامام الي ان اطلب له مزينا وقال لي اجهد ان يكون غريبا . قال : فخرجت فلقيت مزينا عليه اثر السفر فقلت له : اغريب انت ؟ قال : نعم . قلت : متى دخلت هذا البلد ؟ قال : في يومي هذا ، فاخذته معي وجئت به اليه وعرفته انه غريب فلما راه ساله عن اسمه ...) ورقة (٣٢ ـ ٣٣) مخطوطة في مكتبتي الخاصة .

(٢) جميع : سقطت في ج (٣) الرجل : سقطت في ج

(٤) تازروت : الى هذه المدينة في سيرة جعفر الحاجب

(٥) ما وردت : سقطت في ج (٦) الخارجي : الخارج في ج

(٧) غير ذلك:ولكن جعفر الحاجب يقول : قيل انه لقد فتنهم وأحل لهم البنات والاخوات ورفع عنهم الصوم والصلاة .

الذي عليه الرجل الذي ببلد كتامة . قال له المهدي عليه السلام : ما الـــذي استحسنت من افعاله حيث اراك (١) تمدحه هذا المدى الذي يجامعك عليه احد ؟ فقال : والله يا مولاي لقد شاركــت شريكا فقلت لـــه : تعـــال بنـــا حتى ندخـــل تازروت (٢) ونعمل بـــهـا مدة شهر واحد فما قســم الله عز وجل لنا من رزق (٣) قسمناه بيننا فسرنـا اليـــها ، فلما اردنا الدخــول من باب المدينة منعنا عن الدخول (١١٩) بسلاحنا ، فقلنا : كيف نعمل بـــه ، وليس نعرف احدا نودعه اياه ؟ فقيل لنا : اطرحوه خلف سور المدينة ،فقلنا: كيف نضيع سلاحنا ؟ فقيل لنا : ان طرحتموه لم تخشوا عليه شيئا . فطرحناه (ودخلنا المدينة) (٤) واحتسبناه لان الرجوع شق (٥) علينا بعد ان وصلنا الى المدينة ، واقمنا بها شهرا . ثم خرجنا فوجدنا سلاحنا على حاله ، ما ضـــاع منه شيء ، فهذه يا مولاي صفة (٦) رجل يرمي بهـــا بالبتهـــان (وتبديـــل الشريعة) (٧) قال جعفر : فرايت وجه المهدي بالله صلـــى الله عليه يتهلل ، ثم قضى شغله وامر له بدراهم كثيرة وانصرف .

ولما استقام لابي عبد الله الداعي امر كتامة ، ودخل عامتها في الدعـــوة ، زحف الى مدينة ميلة ، واحاطت بها عساكره من كل جهاتها ، وفيها بنو خنزير ، قوم من ربيعة ، ويعرفون بالسناجرة ، لان اولهم من سنجار ، وكان زعيـــم اهله ، ورئيسهم (يومئذ حسن بن احمد (٨) فوصل الى ابي عبدالله سرا ودعاه فاطلعه على أمر المدينة . وكان ابو عبد الله حينئذ يحاربهم ، وقد انضم اليهم رؤساء القبائل وعامة لطاية ، ويزحف بالعساكر اليهم فيكون بينهم القتـــال الشديد وينصرف عنهم الى تازروت ، الى ان غلب عليهم وسلموا لامره) (٩)

---

(١) اراك : سقطت في ج

(٢) تازروت : في سيرة جعفـــر الحاجب سطيق .

(٣) من رزق : سقطت في ب

(٤) ودخلنا المدينة : سقطت في ج (٥) شق : يشاق في ب

(٦) صفة : سيرة في ب (٧) وتبديل الشريعة : سقطت في ج

(٨) موسى بن عباس : حسن بن احمد في كتاب افتتاح الدعوة ، كان حسن ابن احمد بن ابي خنزير من قواد ابي عبدالله ثم ولاه المهدي صقلية سنة ٢٩٧ فثار الناس عليه في السنة التالية . ثم جعله المهدي على راس اسطول لمحاربة ابن قرهب الثائر بصقلية فقتله ابن قرهب واحرق اسطوله . ابن الاثير ٤٦/٨ ونهاية الارب ٢٤٥/٢٢

(٩) سقطت الكلمات المحصورة بين قوسين من الاصل وقد نقلناها عن افتتاح الدعوة ورقة ٢٣٣ .

وخرج موسى بن عياس لقتال ابي عبدالله (١٢٠) بمن معه ، ومن لجأ من كتامة اليه ، من لزمه الكبر والحمية ، وامتنع عن الدخول في الدعوة ، وأخذته عزة الرياسة ، مثل فحل بن نوح ، وفرح ابن جيران ، ويوسف بن محمود ، وغيرهم ، فقاتلهم الاولياء قتالا شديدا فقتل فحل بن نوح ، وغلب ابو عبدالله وعساكره على أرباض ميلة ، ودخل جميع من فيها الى الحصن فامتنعوا فيه، فلما رأوا (١) الى ما لا قوام لهم به دعا موسى بن عياس حسن بن احمد بن أبي (٢) خنزير ، وهو من رؤساء قومه ، وكان مع ابي عبدالله قد دخل في دعوته وصار ممن اتبعه ، فأرسله الى أبي عبدالله يسأله الامان ، فأمنه ابو عبدالله ومن معه ، ما لم يحدثوا حدثا ، وفتحوا ابواب المدينة ودخلها الاولياء وتسلل ابو ابراهيم ابن موسى بن عياس وهربوا بالليل ، ولحق بأفريقية ، واستعمل ابو عبد الله (١٢١) عن مدينة ميلة (يوسف بن ماكنون الاجاني) (٣) وهو عم أبي زاكي وانصرف بعسكره الى تازروت .

ولما انتهى ابن موسى بن عياس الى أبي العباس ابن ابراهيم بن احمد الاغلبي ملك افريقية ، وهو يومئذ بمدينة تونس فأخبروه (٤) بافتتاح أبي عبد الله لمدينة ميلة وظهور دعوته ، وان عاقبة ذلك اذا غفل الدخول عليه الى مدائنه ، ومستقر ملكه ، وضعف عنده أمر أبي عبد الله ، وسأله اخراج عسكر اليه ، وضمن له ملك أمره ، واجتمع معه في ذلك فتح بن يحيى المسالتي ، الذي كان تدم قبل ذلك اليه ، وقد ذكرنا خبره . وقالوا لو اتى عسكرك لقام اكثر الناس معهم ، وصاروا رداء لهم ، فجز ابو العباس ابنه محمدا المعروف بأبي حوال ، وكان فارسا شديدا بطلا كميا ، فاجتمعت له عساكر كثيرة احصيت عدتهم ، اثني عشر الف بين فارس وراجل ، انتقاهم واختارهم، واخرج اليه أبوه الاموال (١٢٢) والخلع ، والعدة والسلاح ، فأسبغ عليهم العطاء ، وكسا (٥) وجوههم وحملهم (وكسا في من كسا وحمل :) (٦) فتح

---

(١) رأوا : نظروا في ب (٢) أبي : سقطت في ج

(٣) يوسف بن ماكنون الاجاني : ورد هذا الاسم في كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعماني كما يلي ابا يوسف ماكنون بن ضبارة الاجاني . وفي النسخة ب من السبع الخامس للعيون : يوسف بن ماكبون الاجاني .

(٤) فأخبروه : فاخبره في ج

(٥) وكسا : سقطت في ج

(٦) وكسا من كسا وحمل . وكساهم في ج .

ابن يحيى السالتي وابا ابراهيم ابن موسى بن عياس ومن معه من اصحابه، وامر لهم بالسروج واللجم المحلاة ؛ وكان خروج ابي حوال من تونس في ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ومائتين ، وكل من مر عليه من القبائل بذل لهم العطاء والخلع والاموال والحملان لوجوههم ؛ فسارعوا اليه وقصد الى سطيف فلم يصل اليها حتى زاد الى عسكره مثله ، وتلقاه بنو عسلوجة اهل سطيف واهل بلزمة ومن حولهم ممن لم يدخل مع ابي عبد الله ، فصاروا في عساكر عظيمة ؛ ومال بهم على من دخل في حزب ابي عبدالله واستجاب لدعوتهمن اطراف كتامة فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم وذراريهم ؛ ثمقصد ابي عبد الله الى تازروت .

فاتصل الخبر بأبي عبد الله فبرز اليه في من معه . وكان ابو حوال مذ خرج يعبي عسكره ؛ ويسير (١٢٣) بهم زحفا كما تعبىء العساكر للقتال ، فاذا نزل لم يبت الا في خندق يحتفر حوله من وقت نزوله فلا تغرب الشمس الا وقد تم ، قد رتب (ذلك على رجال) (١) أوقفهم له بقياس معلوم بأذرع (٢) معدودة ورتب نزولهم على ترتيب معلوم ، وكل قوم قد عرفوا مكانهم ؛ فاذا أظلم عليهم الليل وقف الحرس على أبواب الخندق ، ودارت به الرجالة من داخله بالدرق ؛ والخيل تعس دون الرجالة ، ويخرج الف فارس يدورون حول الخندق ، الى أن يصبح وما زال ترتيبه على ذلك .

وخرج (٣) أبو عبدالله اليه فالتقوا ببلد ملوسة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكثر اصحاب ابي حوال على أصحاب ابي عبدالله ، فأزالوهم عن مصافهم ، ولم يثبتوا لهم ؛ وانهزم أصحاب ابي عبدالله آخر النهار ، واتبعهم ابو حوال الى الليل ؛ ثم نزل وخندق ؛ فلما أصبح زحف اليهم وقد كانوا نزلوا بقربه فاقتتلوا وانهزم (١٢٤) اصحاب ابي عبد الله ايضا ، وجاء ثلج عظيم فحال بينهم .

وانصرف أبو عبد الله الى تازروت فلم يروا انها تحصنهم ، فأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وانضموا الى ايكجيان ، وارتفع الثلج ، واتى ابو حوال الىتازروت فأصابها خالية فأحرقها وهدم قصر ابي عبد الله الذي ابتناه بها (٤).

---

(١) ذلك على رجال : على ذلك رجالا في ج

(٢) بقياس معلوم بأذرع:قياسات معلومات واذرعا في ج

(٣) وخرج : وزحف في ب (٤) ابتناه بها : ابتناها في ج

ومضى حتى اتى الى (١) ميلة فأصاب أهلها ايضا قد ارتحلوا عنها وانضموا الى ايكجيان ، فنزل منها بناحية على انه يزحف الى ابي عبد الله الى ايكجيان، واستأذنه ابن موسى بن عياش أن يمضي الى كجارمة ، فمضى في خيل كثيرة حتى اتى كجارمة ، وهي من بلد لطاية (٢) بالقرب من ميلة ، فأصابها خاليـة قد ارتحل أهلها مع ابي عبدالله، فاقبلت خيل من اهل كجارمة يريدون انيحملوا طعاما لهم ، فواقفوا ابن موسى بن عياش ومن معه فقاتلـوهـم فقتـل ابو غفال (ابن ابي ابراهيم) (٣) ابن موسى بن عياش وكان فارسا شديدا ، واتصلت (١٢٥) الصيحة بالفريقين وامد كل قوم اصحابهم ، والتحم القتـال بينهم وتكاثروا فلما قرب الليل وقعت الهزيمة على اصحاب ابي حـوال . وطلبهم الاولياء حتى قربوا من المسكر ودخل الليل عليهم فانصرفوا عنهـم ، وبات العسكر مع ابي حوال وقد خافوا (٤) ، فلما اعتكر الليل وقعت فيهـم نفرة ، واقتحموا الخندق وضربوا على وجوههم كل قوم منهم الى مواضعهم ؛ وحاول ابو حوال ان يصلح فلم يستطع ، فأمر برفع الثقل ؛ واشعل المشاعل وسار من ليلته فاخذ ناحية جيملة (٥) يريد افريقية ، فلم يصبح حتى خرج من بلد كتامة ، وانتكث عليه امره ؛ وافترق الناس عليه . واتصل بأبي عبد الله خبره ، فخرج اصحابه فغنموا ما في عسكر ابي حوال ، وانقطعت منهم خيل في طلبه ؛ فلم يلحقوا به ، وسار ابو حوال حـتى وصل الـى ابيه بتونس ، وتراجعت كتامة الى مواضعهم واهل ميلة الى مدينتهم .

وكان الحسن بن هرون قد اعتل فمات (١٢٦) رحمة الله عليه بايكجان . وكان بيان بن صقلان واحمد بن سليمان (٦) السكتانيان ، قدبلغا ابي عبدالله المبلغ الصالـح وحسن اثرهما ، فرغبا اليـه مع جماعـة مـن بني سكتان ان يقيم بايكجان ، فأجابهم الى ذلك ، وابتنى به قصرا وارتحل الناس اليـه وجعله دار هجرته ، وقرار اهل دعوته .

وفـرق ابـو عبـد اللـه الدعـاة الـى القبائـل ، وكـان يجلس (في كل يوم) (٧)للؤمنـين فيحدثهم ويعلمهم أحكام الدين ، فحسنت

---

(١) الى : سقطت في ج
(٢) لطاية : لكاية في ج
(٣) ابن ابي ابراهيم : سقطت في ج
(٤) خافوا : ماجوا في ب
(٥) جيملة : جيلة في ج
(٦) احمد بن سليمان : كان يقال له الجرارة لقوته وشدة مراسه .
(٧) في كل يوم : سقطت في ج

احوالهم ، وقويت نياتهم وبصائرهم ، ولما انصرف ابو حوال الاغلبي الى ابيه وصف له ما كان من ظهوره أولا وغلبته على البلد ، وان انصرافــه لم يكن الا لامر عرض له من غير علة ، وصغر أمر ابي عبد الله فأطمعه ذلك فجهز (١) جيشا ثانيا زاد في عدده على الجيش الاول ، وأكثر من عدته وقوته .

وخرج ابو حوال مرة اخرى بالعسكر ، وانضمت اليه القبائل ، وســـار حتى نزل سطيف على مثل ما كان عليه في المرة الاولى من التعبية والتحفظ ، وزحف من (١٢٧) سطيف ، وانتهى خبره (٢) الى ابي عبد الله ، فخرج ابــو عبدالله بمن كان معه من ايكجان فنزل قريبا من بلد لهيصة ، ونزل ابو حوال ببلـــد ملوسة .

وجرد ابو عبدالله عامةالخيل التي معه فقدمها (٣) الى ابي حوال ، فلــما اشرفت الخيل على ابي حوال خرج من خندقه بجميع عسكره ، فاقتتل القوم قتالا شديدا ، وكانت الغلبة لاصحاب ابي عبدالله على ابي حوال وأصحابه ، حتى ادخلهم اصحاب ابي عبدالله الى خندقهم ، وحال الليل بينهم ، وانصرف اصحاب ابي عبدالله ، ثم عاودوهم من غدهم ، فاحتصر ابو حوال في الخنــدق ولم يخرج اليهم ، ورأى ان أصحابه قد غلبوا .

فلما جن الليل خرج ابو حوال من خندقه بجميع الذين كانوا معه وقدم ثقله بين يديه ، وأوقد المشاعل وكثر راجعا الى سطيف . وتبعته خيل من خيل ابي عبدالله بعد الصباح فأصابوا جماعة من اصحابه وغنموا كثيرا مما كان(٤) معه ، بعد أن انتهبوا ما ترك في المناخ ، ورجع أبو عبد الله الى ايكجان .

ثم ان زيادة الله الاغلبي احتال في قتل ابيه، ابى (١٢٨) العباس ابن ابراهيم ابن أحمد صاحب افريقية ، فقتل وولى الامر بعده زيادة الله ، وأخوه أبو حوال في سفره ذلك الى بلد كتامة ، فحين عاد ابو حوال ارسل اخوه زيادة اللهصالح الزحاي فقبض على ابي حوال وكبله، وتولى صالح أمر العسكر بأمر زيــادة الله ، بعد أن اقراهم كتابه ، وانصرف الى تونس وقتل زيادة الله أخاه أبــا حوال وعمومته في شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وكــان قتل ابيــه

---

(١) فجهز : فجاز في ب

(٢) خبره : سقطت في ج

(٣) فقدمها : سقطت في ج

(٤) كان : سقطت في ج

واستولى على الملك ليوم بقي من شعبان سنة ٢٩٠ تسعين ومائتين .

ولما ولى زيادة الله اقبل على الفجور وشرب الخمور ، فالهاه ذلك عن كل شيء ، وكان شرب الخمر لا يعرف بأفريقية حتى اظهره زيادة الله ووصفت(١) عنه خلاعات كثيرة ، اقبل عليها ، واشتغل عن تدبير الملك ، ومـال اليـها ، وشغله (٢) الله بها ، لما اراد الله تعالى من ظهور دينه ، وعلو اوليائه ، واذلال اعدائه كما قال تعالى في كتابه : «واذا أردنا أن (١٢٩) نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (٣) .

وخاف زيادة الله من ابي عبدالله على رقادة ، فارتحل من تونس اليـها . وحصنها وابتنى سورها ، واقام فيها .

ولما ملك ابو عبد الله مدينة ميلة ، ودانت له نواحيها ، واستقام له امر من فيها ، خرج ابو عبد الله الى سطيف ، وكان صاحبها علي بن عسلوجة (٤) — نسب الى امه — وكان من الابطال المعدودين ، وكان في (٥) مـن قـام وقعد في امر ابي عبدالله ، ورجا ازالته وكان قد صار اليه جماعة من وجوه كتامةلماغلبهمابو عبدالله وكان يخرج الى ابي عبد الله ومنمعه منالعساكر علي ابن عسلوجة وأخوه أبو حبيب ، فيقاتلان ويبليان ، وقيل ان علي بن عسلوجة قتل من اصحاب ابي عبد الله ثلاثة عشر فارسا في يوم واحد ، لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة ، فقال ابو عبد الله حين راى ذلك منه (٦) (١٣٠) : هذا اللعين ممن قال الله تعالى فيه : « واذا بطشتم بطشتم جبارين » (٧) .

واقام ابو عبد الله على سطيف اربعين يوما ثم انصرف الـى ايكجان فأقام بها شهرا ، ثم جمع الاولياء واوعب في جمعهم ، وزحفه مرة ثانية الى سطيف في عساكر لا يحصى عددها ، فأحاط بالمدينة ، وخرج اليه علي بن عسلوجـة بجمعه فقاتلوه ، كما كانوا يقاتلونه خارجالمدينة ، ثم طال عليهمالامر ، وغلبوا وانحصروا في الحصن فمات علي بن عسلوجة ، واخوه ابو حبيب ، وهما في الحصار ، فحين ماتا انحل امر سطيف .

---

(١) ووصفت : ووضعت في ب
(٢) وشغله : وشاغله في ج
(٣) سورة :١٧/١٦
(٤) علي بن عسلوجة : ويقال علي بن حفص ، وعسلوجة هي امه .
(٥) في : سقطت في ج
(٦) منه : سقطت في ج
(٧) سورة : ٢٦/١٣٠

وكان ممن اوى الى سطيف من كتامة ، وكان من اهلها ، داود بن حباسة(١) اللهيصي ، فاستأمن من ابي عبد الله ، وكان أخوته مع ابي عبد الله ، وقال داود : لا استأمن الا لاهل البلد ، فأمنهم ابو عبد الله ، فخرج اليه داود اللهيصي ووجوه اهل سطيف ، وكان داود اللهيصي (١٣١) فارسا عاقلا من وجوه قومه فدخل في دعوته ، وحسنت حاله ، وانتهى امره الى ان كان داعيا من الدعاة . وانصرف ابو عبدالله الى ايكجان ، واستعمل عاملا على سطيف. وانتهى الى زيادة الله الاغلب أمر سطيف ، واستيلاء ابي عبدالله عليها ، ووصل اليه جماعة من الكتاميين ممن ابى الدخول في الدين ، فحركوه على القيام . وخوفوه امر ابي عبد الله ان تمادت عليه الغفلة ، فأخذ زيادة الله في جمع الحشود وأوسع في العطاء (٢) فاجتمعت له عساكر كثيرة ، فأخرج زيادة الله ابراهيم بن حبشي (٣) لحرب ابي عبد الله ، وكان ابراهيم بن حبشي من بني الاغلب . وخرج معه اربعون الفا بين فارس وراجل ، مما قيل انه لم يخرج لبني الاغلب مذ ملكوا افريقية عسكر مثله عددا ولا عدة ، واخرج معه احمالا كثيرة من الاموال والخلع (١٣٢) والسلاح، ولم يدع احدا من حماة رجاله ولا ممن نزع اليه من كتامة (واهل الزاب) (٤) الا اخرجه مع ابن حبشي ، وأمره ان يبذل العطاء لمن يمر به من القبائل ، وان يستميل وجوههم بالحملان والكساء وانفاق المال .

ودبر له أن يأتي أبا عبدالله من غير الجهة التي قصده فيها ابو حوال . فقصد الى القسطنطينية (٥) وهي مدينة عظيمة اولية في جبل وعر (٦) يتصل ببلاد كتامة ، فنزل بها ، فأتاه من كتامة من يليها . وحارب من قرب منها ، وقتل منهم من عند عنه . فاستهالت كتامة أمره وكثرة جيوشه ، وداخلهم الخوف منه . وكان بينه وبين ايكجان حيث نزل ابو عبد الله مرحلتان او اقل ، الا انه

---

(١) حباسة : حنامة في ج (٢) [illegible] في ج

(٣) ابراهيم بن حبشي : قال ابن الاثير : [illegible] . وقال صاحب الاتعاظ : ابراهيم بن حنيش .

(٤) واهل الزاب : سقطت في [illegible]

(٥) قسطنطينة : [illegible] المدن بالناحية [illegible] ومركز الادارة ، والتجارة ، والثقافة . وتقع على بعد ٨٩ ميلا [illegible] من [illegible] مبنية على هضبة صخرية ويحيط بها الوادي من جميع [illegible] .

(٦) وعر : سقطت في ج

في طرف بلد كتامة ، فتركه ابو عبد الله ولم يخرج اليه ، فأقام ابن حبشي بالقسطنطينة ستة أشهر .

وأردفه زيادة الله بابن ابي شداد (١) صاحب طبنة (٢) في (١٣٣) جيش عظيم ، فاجتمعت جيوش بني الاغلب في القسطنطينة مائة الف كما قيل بين فارس وراجل ، فلما رأى ابن حبشي توقف ابي عبدالله زحف بالعساكر الذين معه الى بلد اجانة ، فأخرج أبو عبدالله خيلا اختارها ليختبره أين يقصد ، فوافوه بكبونة ، فلما تراءت الخيل لابن حبشي قصد اليها بنفسه فعل جاهل بالحرب ولم ينزل ولا نزل احد من اصحابه ، ولا هيأ لهم محطا يرجعون اليه ، فوقع القتال ، وقام الحرب بين الفريقين ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، واصحاب ابن حبشي لم ينزلوا ولا لهم معسكر ، واتصل أمر القتال بأبي عبدالله فركب بالعساكر فوقعت الهزيمة على اصحاب ابن حبشي وعقر به بزدونه فلم ينج الا بجهد وشدة ، وأسلموا جميع الاثقال والاموال واخذوا طريق باغاية ، وطلبهم الاولياء من الليل ، ومن غدهم يقتلون ويغنمون ،فقتل منهم (١٣٤) ما لا يحصى عدده (وغنم من أموالهم الكثير) (٣) واخذ من السلاح والكراع ما لا عدد له .

وانصرف ابن حبشي الى افريقية ، وتفرق من سلم ممن كان معه الى مواضعهم ، وانصرف ابن ابي شداد الى طبنة (٤) ، واضطربت افريقية ، واستهال اهلها امر ابي عبد الله . واخبرهم من وصل من المنهزمين بما عاينوه ونالهم .

وكتب الداعي ابو عبدالله الى الامام المهدي بالله عليه السلام والصلاة الى سجلماسة ، وكان قد صار بها ، وأخبره بما فتح الله له ، وارسل اليه ببعض تلك الغنائم مع رجال من كتامة ، ساروا بزي الغرباء لا يعرفون ، فكان ذلك اول فتح قدم على المهدي بالله ، وكان ذلك ببركته وبركة ايام

---

(١) هو شبيب بن ابي الشداد المعودي كما ذكره صاحب البيان ١٣٨،١٤٠ ١

(٢) طبنة : طبنة في ج كانت من اكبر مدن الزاب في الجزائر وقد اندثرت الان وتقع خرائبها على بعد ثلاثة اميال جنوبي بريكة شرقي شط الحضنة بين وادي بريكة في الشمال ووادي بيثم في الجنوب .

(٣) وغنم من اموالهم الكثير :فقتل منهم وغنم ما لا يحصى عده في ج

(٤) طبنة : طنبة في ج

هجرته ، فسر بذلك ، وحمد الله عليه .

ثم توجه ابو عبدالله الى مدينة طنبة في جمع عظيم ، فأحاطت بها عساكره من كل جهة ، فاحتصر من بها ، وكان العامل عليها يومئذ حسين بن احمد بن قائد (١) المعروف بابي المقارع ، وبها شيب (٢) بن ابي شداد على اعنة العسكر (١٣٥) الذي كان بها ، وفتح بن يحيى على عسكر من اهل بيته وجماعة البربر ، فلما احتصروا في المدينة ، زحف اليهم الاولياء من كل جانب فنقبوا برجا من بروج السور فسقط ، ودخل جميع الاولياء منه ، ففر عسكر طبنة ودخلوا حصنا قديما مبنيا بالحجارة منيعا في داخل المدينة ، واحتوى الاولياء على المدينة ، وما فيها ، وعامتهم تجار ، فأمنهم ابو عبد الله . وامر ابو المقارع بنصب منجنيق كان في الحصن فانكسر فأصلحوه مرة اخرى فانكسر ايضا ، فقال ابو المقارع : دعوه فهذا أمر مقدر ، وطلب الامان ، فأمنه ابو عبدالله وخرج اليه ، فخيره ابو عبدالله المقام عنده ، او الانصراف الى بني الاغلب ، فقال : كيف اسير الى قوم قد ادبرت ايامهم ، واتركك مع اقبال ايامك؟ فأعجب ابو عبدالله حديثه ، وأسكنه معه بايكجان ، الى ان فتح ابو عبدالله القيروان ، فعاد اليها ، واستعمل ابو عبدالله على طبنة يحيى بن سليمان الملوسي (١٣٦) وانصرف بالعساكر الى ايكجان .

قال ابن حوقل البغدادي : طبنة : مدينة عظيمة ذات سور ومياه، وبساتين وزرع وقمح ، وقطف وبقر وغنم .

ثم خرج ابو عبد الله الى بلزمة ، وكان قد أخذ زرعها ثلاث سنين متوالية حتى انقطع من ايديهم الطعام ، ثم زحف اليهم وحاصرهم ، فامتنعوا وقاتلوا قتالا شديدا ، ودافعوا مدافعة عظيمة ، وعمل ابو عبد الله عليهم المنجنيقات والدبابات (٣) والابرجة ، فصنموا منجنيقات

---

(١) حسين بن احمد بن قائد حسن بن احمد بن نافذ في افتتاح الدعوة للنعمان وعند النويري اسمه الحسن بن ناقد٠والاصح ما ورد في الافتتاح لان المؤلف اخذ عنه هذه الاسماء والاحداث وربما جرى تصحيفها بواسطة النساخ والله اعلم ٠

(٢) شيب : شيث في ج

(٣) الدبابة التي كانت معروفة في تلك الايام كانت مصنوعة من الجلود والخشب فيدخل فيها الرجال ثم تدفع الى جانب الحصن فينقبون وهم في جوفها ، دون ان تلحقهم السهام والرماح كونهم محميين بالجلود والخشب ٠

واجتمعوا ودافعوا وطال عليهم الحصار وغلبهم الجوع، ونفذ ما كان معهم، فاكلوا لحوم ما كان عندهم من الحيوان ، ثم عادوا الى اكل جلودها ، ثم رجعوا الى درقهم فكانوا يقطعونها قطعا ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها الى أن غلبهم الجوع . فافتتحها أبو عبدالله وقتل (من بقي بها من المقاتلة) (١) ولم يعرض للحريم والذرية ، وغنم العسكر ما وجدوا فيها ، وامر أبو عبدالله بهدم سورها فهدم، ورجع الى ايكجان (١٣٧) .

قال ابن حوقل البغدادي : بلزمة بالكسر وبالزاي حصن لطيف بقرب القيروان ، ذو سور من طين ، وزروع وما حار ، ذو رخص واسع ، وكراع وماشية كبيرة .

وأخرج زيادة الله عسكر زهاء اثني عشر الفا (بين فارس وراجل) (٢) حين بلغه امر طبنة وبلزمة مع هرون بن الطبني ، وكان اخوه عامل زيادة الله على رقادة ، وأخرج معه الاموال الجمة ، وأمره ان يستميل من مر به من القبائل ، ويعطيهم ؛ فاعطى هرون الناس فاجتمعت عساكر عظيمة اكثر مما خرج به . فانتهى الى دار ملول ، فقتل أهلها وكانوا قد دخلوا في طاعة ابي عبدالله ، واخرب حصنهم ، وكان ابو عبدالله قد بعث غزوية بن يوسف في الف فارس الى بلزمة . ولم يكن عند ابن يوسف علم من خروج هرون الى دار ملول ، فلما راى غزوية ومن معه عسكر هرون اصطفوا على الخيل ، ينظرون العسكر ، ورآهم هرون وأصحابه فوقعت فيهم نفرة (٣) فتصايحوا : الجبل (١٣٨) الجبل ليتحصنوا به ، فما هو الا أن عطفوا يريدون الجبل اذ صاح بهم (٤) صائح : البلد البلد، فقصد كل قوم الى بلدهم ، ونظر غزوية الى الغبرة قد قامت ، والعساكر قد افترقت ، فشدوا عليهم وهم خيل مجردة ، فقيل انها لم تحص عدة من قتل لكثرتهم . وقتل هرون صاحب العسكر وغنموا جميع ما كان معهم ، وانصرفوا الى ابي عبدالله ظافرين ظاهرين . بفتح لم ير مثله . ومن الغنائم والاموال بما لا يحصى عدده . ووقع زيادة الله لذلك أمر عظيم وناله كرب شديد ؛ وكان

---

(١) من بقي بها من المقاتلة : المقاتلة في ج

(٢) بين فارس وراجل : سقطت في ب

(٣) نفرة : الصيحة في ج   (٤) بهم : سقطت في ب

قد صار الى ابي عبدالله اهل تيجس من هوارة (١) وراس الفحصين (٢) من بني معاد (٣) وكان فيهم قديم تشيع ، ومنهم اسماعيل بن نصر المعادي لحق الحلواني واخذ عن اصحابه، واتصل بأبي عبد الله مع جماعة من اصحابه فدخلوا في الدعوة ، وكانوا يغيرون على أهل تيجس ، ومع اهل تيجس رابطة خمسمائة فارس من قبل (١٣٩) زيادة الله مع عبد له يقال له : يحفور ، وكان صاحب تيجس (٤) ابن ركاب ، لما راى ظهور ابي عبدالله كاتبه في اخراج عسكر ، فاخرج ابو عبدالله عسكر مع مكنداس الجيملي ، الى تيجس فنزل تيجس فلم يمكن خروج الرابطة ، واحتصروا في الحصن ، وهو منيع ، فرجع مكنداس ، بعد ان اقام عليهم اياما . ثم ارسل ابو عبد الله جيشا ايضا الى تيجس مع يوسف بن سكله (٥) الفشمي ، فنزل على تيجس فصالح أهلها ، ودخل على الصلح ، وأمن الرابطة الذين كانوا من قبل زيادة الله ، فانصرفوا الى افريقية ، ولم يعارضوا بقليل ولا كثير ، ولم يتعرض أحد منهم ، بما يكره ، ومضى الى ابي عبدالله مع ابن ركاب جماعة فدخلوا في الدعوة وانصرفوا الى بلدهم .

ووصلت الرابطة الى زيادة الله ، وظهر منهم الثناء على اصحاب أبي عبد الله ، وذكر وفاؤهم ، فشاع ذلك في أهل افريقية ، وكان يشيع عندهم عن (١٤٠) أبي عبدالله من خلاف ذلك ، من القتل ، والنهب ، وقلة (٦) الوفاء والغدر بمن أمنوه ، فوضح عند اهل افريقية كذب ما ينسب الى ابي عبدالله الداعي وأصحابه ، وشاع فضلهم ، وعدلهم ، وتطلعت العيون اليهم ، فساء ذلك زيادة الله ، وكثر خوفه لتبوء الدائرة عليه ، وكثر الارجاف به ، فأظهر زيادة الله ملك أفريقية والغرب الخروج بنفسه لحرب الداعي أبي عبد الله .

ولما نظر الى كثرة الاشانيع عليه ، وتوجه اللوم اليه ، وراى اضطراب

---

(١) هوارة : قبيلة كبيرة من قبائل البربر البتر

(٢) راس الفحصين : راس الفحصيني في ج

(٣) معاد : مغار في ج وهم قوم من كتامة ينتسبون الى معاد بن غرسن بن كتم.

(٤) تيجس : تيجس في ج . مدينة قديمة في الجزائر من اعمال باغاية ، بينها وبين بونة الساحلية ثلاث مراحل وبينها وبين باغاية ثلاث مراحل .

(٥) سكلة : شكلة في ج

(٦) وقلة : وقل في ج

مملكته ، واختلال دولته ، فتقدم في (الاستعداد لآلات الحرب) (١) ونــادى في البلدان بالعطاء الواسع للداني والشاسع ، وفرض للفرسان والرجالــة ، فروضا كثيرة من العطاء والانفاق ، واخرج الحشاد الى الامصار لجمــع العساكر ممن دنى وقصر ، وتقــدم الــى أهــل بيته ورجالــه للخروج معه فاجتمعــت اليــه عساكــر عظيمة ، وســارع الناس اليه لبذل العــطاء ، ونصبــت لــه قبة يقال لها قبــة (العرض) (٢) (١٤١) وكانت تصب الدنانير بين يديه ويعرض أهل البلدان عليه ، فاذا مر به من يرتضيه غرف غرفة بمكيال اعده يسع خمسين دينارا أو نحوها فاعطاه بها ، فاتصلت الاخبار عنــه انه يكيل الدنانير ، واقبل الناس اليه من كل ناحية ، ووافته الحشود ، وكثــرت عنده الجنود ، وقطع ذلك خوض الناس فيه وارجافهم به ، وقال الناس هذه ضربة الفيصل تكون (٣) لمن تكون . وتهيأ كل واحد من اهل بيته وتفاخــروا ببذل العطاء والانفاق ، واخراج ما كان في خزائنه من ذخائر آبائه وذخائره ، واعطى قواده ووجوه جنوده ، وخلع عليهم ، فظهر لذلك زي لم ير مثلــه ، وهيئة لم يظهرها اهله ، وعمل بنودا ومضارب لم يعمل قبلها مثلها .

وخرج الى الاربس في اول سنة ٢٩٥ ، واخرج معه جماعة من شيوخ اهل القيروان ، فلما وصل الى الاربس ولى أبا العباس محمد بن عبد الله بــن جيمال (٤) القضاء ، وكان ممن يذهب مذهب (١٤٢) العراقيين ، فسر ذلــك أهل بيته ووجوه رجاله .

واقام بمدينة الاربس فتوافرت له بها العساكر فشاور خاصة رجاله ، وهو مزمع أن يسير الى ابي عبدالله بنفسه ، فقالوا له : هذا تغرير ، ان لقيتــه بنفسك وجميع عدتك ، ولا ندري ما يكون من الامر ، وقد وقع قبل هذا انهزام العساكر فلم يضعضع ذلــك المملكــة اذا كنــت ردءهــا وفيئــها (٥) ولا ندري ما يحدث في دار الملك ان فارقتها ، والراي ان تقيــم في موضع الملك ، وتقيم بالاربس عسكرا قويا مع من ترضاه من أهل دولتك ، فان قصد الشيعي

---

(١) الاستعدادا لآلات الحرب : في استعداد الالة للحرب في ج
(٢) العرض : الارض في ج
(٣) تكون : لكون في ج
(٤) جيمال : جيال في ج . فقيــه حنفي قليل العلم كثير الغفلة .
(٥) ردءها وفيئها : رداء لهم في ج

موضعا قصد اليه وتكون انت ردءا له ــ يعنون بالشيعي أبا عبد الله وبذلك كان يدعى ــ فاستحسن ذلك من رايهم وقدم ابراهيم (١) بن أبي الاغلب على العساكر ، وكانت له شجاعة وهو من وجوه اهل بيته ، وخاصته ، ثم رجع الى رقادة فأقام بها ، وابن أبي الاغلب بالاربس ، وعاد الى لهوه ولعبه ، واقباله على السكر وفعل المنكر ، (١٤٣) فشغله (٢) ذلك عن كل شغل ، والهاه عن كل أمر ، مع انه لم يخل نظره عن ابن أبي الاغلب ، بل كان يقويه بالعساكر والاموال ، ويبعث اليه من يتخلف عنه من الابطال .

وقصد الداعي أبو عبد الله باغاية بعد أن اتصلت به أخبار زيادة الله ، وكان قد صار اليه جماعة من اهل باغاية منهم ابراهيم المعروف بابن المذيلي (٣) وعبد الله بن الروم (٤) وغيرهما ، فكاتبوا اهلها وحركوا أبا عبدالله للمصير اليها ، فخرج أبو عبد الله في عساكر عظيمة ، فلما قرب من باغاية اتصل بالعامل عليها أن كثيرا من اهل باغاية قد كاتب أبا عبد الله ، وخاف أن يقبض عليه فهرب الى الاربس ، وخرج جماعة من اهل باغاية فلقوا (٥) ابا عبد الله وسألوه الامان فأمنهم ، ودخل عسكره باغاية ، واقام بها أياما ، ثم استعمل عليها أبا يوسف ماكنون (٦) بن ضبارة الاجاني عم أبي زاكي ، وترك معه رابطة خمسمائة فارس . وانصرف الى ايكجان ، وحين (١٤٤) بلغ زيادة الله امر باغاية ساءه ذلك واغتم له ، وخاض اهل افريقية وكثرت الاشانيع .

وجمع (زيادة الله) (٧) من يشاوره وسألهم الراي ، فاشاروا عليه أن يبعث الى ابراهيم بن أبي الاغلب بمحاصرة باغاية ، وأن ينفر اليها من الاربس بالعساكر الذين معه ، فقال عبد الله بن الصائغ ، وكان صاحب أمره وأمثل رجاله ، واهل رايه : ليس هذا وجه (٨) الراي ، وان نزل ابن أبي الاغلب على باغاية نفذ اليه الشيعي في جماعة كتامة ، فان قاومه لم يؤمن عليه ، وان تنحى بين يديه كانت الهزيمة ولم يؤمن ان يتبعه ، ولكن الراي مقام ابن أبي الاغلب مكانه (٩) ، فان زحف الشيعي الى غير باغاية كان السابق له الى

---

(١) ابراهيم : سقطت في ج
(٢) فشغله : فشاغله في ج
(٣) المذيلي : المديني في ج
(٤) الروم : الردم في ج
(٥) فلقوا : فتلقوا في ج
(٦) ماكنون : ماكبون في ج
(٧) زيادة الله : سقطت في ج
(٨) وجه : سقطت في ج
(٩) مكانه : سقطت في ج

حيث يقصد ، ولو سبقه الى باغاية لكان ذلك رايا ، فعند ذلك قام مغني زيادة الله ، وصاحب لهوه ، وكان يكنى ابن الشنميم، فجمع المغنين وغنوا لــه .

فضرب وقال : أشرب واسقينا من القرب يكفينا (١)

فضحك (١٤٥) زيادة الله ، وقال : نعم وأقل منه يكفينا ، فقال له : مــا الذي يعجلك الى الغم ، اوليس من القيروان هزم عسكر مدلج (٢) وقتــل ، قال : نعم . قال : واين باغايــة مــن القــيروان ؟ فأعجــب زيــادة الله قولــه ، وامــر باحضــار الشراب فشــرب ومن معه ، حتى ثملــوا . وافترقـــوا عن ما لـــه اجتمعـــوا ولهـــوا عن ما كانوا دبروا ، وانهمك زيادة الله في الشرب ، والعزف ، والملاهي ، وامر ابن ابي الاغلب باسبــاغ العطاء على عسكره ، وان لا يتحرك من مكانه الا لامر مهم لا بد له منه ،واقبل علــى لذاتـــه .

وجعل شغله في مطرباته ، واخرج ابو عبد الله الف فارس ، (وقدم عليهم ابا مديني) (٣) ، وقد انتقاها واختارها الى مجانة ، وهي مما يلي الاربس ،لما بلغه ما (٤) عقد زيادة الله من اقامة العسكر بالاربس ، وكان عامل مجانة من قبل زيادة الله خفاجة العبشي (٥) وهو من الفرسان المعدودين ، الا أنه كان قد تجذم ، وكانت معه رابطة بمجانة (٦) فأخذ ابن مديني بخيله على باغاية . (١٤٦) وخرج منها يريد مجانة ، فحين دنا منها خرج اليه خفاجة فــي الذين معه من الرابطة ، ومعهم اهل مجانة ، فقاتلوهم بقرب المدينة الى ان حجــز بينهم الليل ، فدخل خفاجة ومن معه المدينة ، ونزلت خيل ابي مديني علــى

---

(١) سقط هذا البيت في ب وورد نثرا في ج فنقلناه عن كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ورقة ١٢٠ .

(٢) مدلج : هو مدلج بن زكريا ، اخرجه زيادة الله بن الاغلب الى الاربس على راس جيش لمحاربة ابي عبد الله سنة ٢٩٣ . فخالف على زيادة الله هو وصاحبه احمد بن مسرور الخال يوم الاثنين لعشر خلون من جمادي الاخرى ووافيا بالعسكر مدينة القيروان لثلاث عشر ليلة خلت مـــن الشهر نفسه . فخرج اليهما الغوغاء من القيروان ودافعوهما ، وكبا بمدلج فرسه فقتل من ساعته وصلب مع رفيق له على بـــاب رقادة .

(٣) وقدم عليهم ابا : ابن في ج (٤) ما : من في ج

(٥) العبشـــي : العسي في ج والعبشي في افتتاح الدعوة ورقة ٢٣٦ .

(٦) بمجانة : سقطت في ج

وادي مجانة ، فانتهبوا تلك المنازل وانصرفوا الى ابي عبدالله وهو بايكجان .
وجرد ايضا ابو عبد الله ابا مديني الى مجانة في خيل ، وامره ان يقصدها، فلما انتهوا الى باغاية اتصل بهم أن اهل مجانة تقلعوا (١) الى قلعة قسر ، فاخذ ابو مديني على تبسا (٢) ثم مال الى ناحية مجانة ، فاخذوا على جبل الطاحق (٣) وقصدوا ملزورة (٤) وهي بقرب مجانة ، وكان خفاجة في مجانة ، واهل مجانة (كانوا على خيولهم) (٥) وقد رفعوا الاموال والضعفاء والعيالات الى القلعة ، فخرج خفاجة في الذين معه الى خيل ابي مديني ، ووقع بينهم قتال فقتل خفاجة ، واجتز رأسه ورؤوس قوم معه، (١٤٧) وانصرف العسكر الى ابي عبد الله الى ايكجان ، وما زال ابو عبد الله يرسل الخيل ، ويشن الغارات الى نواحي تونس ، فيقتل منهم ويغنم ، وهو مقيم بايكجان .
ثم خرج ابو عبد الله بنفسه في احتفال من العساكر فوصل الى باغاية ، وسار حتى اتى مسكيانة (٦) ، ثم اتى تبسا (٧) ، ثم ميدرة (٨) ، وهي حصن حصين ، فاصاب فيها بقايا أهل قصر الافريقي ، وكان قد أوقع بهم عسكره، قبل ذلك مع احمد بن سليمان السكتاني ، ومعهم في ميدرة قوم من اهل مجانة وتبسا (٩) ومرماجنة ، واخلاطا من الناس قد تحصنوا بها فنزل ابو عبد الله عليها فأصابته علة شديدة من الحصاة (التيكانت تعتريه) (١٠) وأمن

---

(١) تقلعوا : تعلقوا في ج
(٢) تبسا : مدينة قديمة في الجزائر تقع على خط عرض ٢٥/٣٥ شمالا وخط طول ٥/٨ شرقا ، وتبعد خمسة وخمسين ميلا جنوب شرق العين البيضاء ، ومائة ميل جنوب شرق بونة واثني عشر ميلا غرب الحدود التونسية .
(٣) الطاحق : المطاحن في ج
(٤) ملزورة : ميزور في ج وهي بيت من نفزة .
(٥) كانوا على خيولهم : سقطت في ج
(٦) مسكيانه : مسكانة في ج- وهي بلدة في شرق الجزائر تقع على بعد ٩٤ ميلا الى الجنوب الشرقي من العين البيضاء .
(٧) تبسا : نيسا في ج
(٨) ميدرة : بلدة قديمة في غرب تونس تعرف اليوم باسم حيدرة ، وتقع على بعد نحو خمسين ميلا الى الشمال الشرقي من تبسا .
(٩) تبسا : سقطت في ج
(١٠) كانت تعتريه : كانت يعتادها في ج

اهل الحصن بعض اصحاب ابي عبد الله ، ففتحوا أبوابهم (بغير أمر) (١) ابي عبد الله ، فدخل عليهم العسكر فانتهبوهم ، فلما بلـغ ذلك ابا عبد الله ازعجه وأجزعه ، فخرج وهو لما به من العلة ، الى الناس ، وجمع المشايخ و (١٤٨) الدعـاة ، وطلـب مـن فعـل ذلـك ، فلـم يقدر عليه ، ولـم يعرفه، فاسترجـع أكثـر المنهوبـات ، واعادها الـى اصحابها ، ولـم يبـق من ذلك الا ما أعياه طلبه ، ولم يعلم مكانه ، وكان لذلك من زيادة الله شناعات، ونسب الغدر الى ابي عبد الله واصحابه ، وأنهم يؤمنون الناس ، ثم يغدرون بهـم ، واشباه ذلـك .

وارتحل ابو عبد الله من ميدرة فنـزل على القصرين (٢) مـن قمودة (٣) واحتصروا(٤) اهلها فأمنهم، وامرهم ان لا يفتحوا أبواب مدينتهم، لما كان من امر ميدرة ، فكانوا يبايعون العسكر ويشارونهم من خلف الاسوار .

واتصلت الاخبار بابن أبي الاغلب ان ابا عبدالله يريد ان يضرب على زيادة الله برقادة وانه قد انتهى الى القصرين ، ولم يكن مع زيادة الله كثير عسكر . فخرج ابن أبي الاغلب من الاربس (بجميع عساكره) (٥) ونزل دار مدين ، واتصل بأبي عبد الله ذلك وهو بالقصرين ، فأمر باخراج الفي فارس الى ناحية دار مدين (١٤٩) لاختبار عسكر ابن ابي الاغلب، فانتهوا اليها فوافوهما، واشتد بينهم القتال ، فقتل جماعة من الاولياء ، واستبطأ أبو عبد الله خبرهم فركب في جميع عساكره ، وسار نحوهم ، فاذا هم قد انهزموا واقبلوا عليه متفرقين (٦) في الوعر والسهل، وقد دنا الليل فلما رأوه عطفوا وكرت معهم(٧) الطلائع (٨) فانهزم ابـن أبي الاغلب بين أيديهـم وقتلوا جماعـة مـن اصحابـه .

---

(١) بغير امر : بغير استيمار في ج

(٢) القصرين : مدينة غرب تونس وتقع الى الجنوب الشرقي من مدينة تبسا والى الشمال من قفصة .

(٣) قمودة : حمودة في ج . اقليم في تونس يقع الى الشمال الشرقي من جبل سيدي عيش وتقع قفصة على حدوده .

(٤) واحتصر : واحتظر في ج

(٥) بجميع عساكره : وجمع عسكره في ج

(٦) متفرقين : مفترقين في ج

(٧) كرت : سقطت في ج

(٨) الطلائع : الطوالع في ب

وحجز بينهم الليل ، وانصرف ابن ابي الاغلب الى دار مدين ، وكتب الى زيادة الله بالخبر وانه قد هزم ابا عبد الله وقتل عسكره وزاد في القول ، ثم زاد فيه زيادة الله ، وقرىء على المنابر ، واشعر به الغائب من اهل مملكته والحاضر، فقطع ذلك كثيرا من خوض الناس في امر بني الاغلب ، واظهروا ان لهم القوة والغلب ، وعاد ابو عبد الله الى ايكجان ، وابن ابي الاغلب الى الاربس ، وصار الى بني الاغلب بنو وشنو (١) وبنو صدغايات(٢) من بني هراش (١٥٠)، وكانوا قد دخلوا في طاعة أبي عبد الله .

واخرج ابو عبد الله لهم عسكرا قدم عليه غزوية بن يوسف وابا مكدول ، فصبحوهم مع الصباح فقتلوهم قتلا ذريعا ، وانتهبوا اموالهم ، وعادوا الى قصر الافريقي ، وهو خال فنزلوا به .

وكان ابن أبي الاغلب قد خرج يريد قتل بني (٣) ورديم لدخولهم في طاعة ابي عبد الله ، فاتصل خبر خروجه بأبي عبد الله ، فارسل الى غزوية وأبي مكدول ، فحين أتاهم خبر ذلك ، مشوا يومهم وليلهم حتى نزلوا (قالمة) (٤) ، وأرسل أبو عبد الله خمسمائة فارس ايضا الى ناحية بني ورديم فوافوا غزوية وابا مكدول بقالمة ، وانصرف غزوية وأبو مكدول الى ايكجان ، وسارت (٥) الخمسمائة فارس الى حيث ارسلهم ابو عبد الله فقرت لذلك قلوب بني ورديم ، وناصبوا ابن ابي الاغلب فهزموه ، وقتلوا جماعة من رجاله ، واعانتهم خيل ابي عبد الله ثم انصرف ابن ابي الاغلب الى الاربس ، وعادت خيل أبي عبد الله اليه الى (١٥١) ايكجان. ونافق الى ابن ابي الاغلب بنو ماجن من هوارة (٦) وبلغ خبرهم ابا عبد الله فاخرج اليهم عسكرا من جيملة واجانة (وقدم على الجيمليين ابا مكدول) (٧)

---

(١) وشنوا : يقال بانهم بني واسنووهم من البربر المصامدة .

(٢) صدغايات : صدغانات في ج . وهم من كتامة استوطنوا جزيرة جربة الواقعة الى الجنوب المشرقي من قابس بتونس .

(٣) بني : سقطت في ج (٤) قالمة : قالة في ج

(٥) وسارت : وصارت في ج

(٦) هواره : هوازه في ج

(٧) وقدم على الجيمليين ابا مكدول : عليهم ابو مكدول في ج

وعلى الاجانيين (١) ابا يوسف ماكنون (٢) بن ضبارة ، فوافوهم وقتلوا كثيرا منهم .

ثم أن ابا عبد الله جمع عساكر عظيمة ، وخرج يريد قسطيلية ، فلما انتهى الى باغاية واتاه الخبر من يحيى بن سليمان عامل طنبة ان جماعة من الاولياء كان أرسلهم ابو عبدالله الى المهدي بالله (صلع) باموال وكتب ، فادوا ما عندهم ، ورجعوا بجواب الامام عليه السلام ، وكتبه ، فلما رجعوا قطع عليهم زناته (٣) فقتلوهم ، وقد دفنوا كتب الامام التي معهم ، وكانوا اربعة عشر رجلا رحمة الله عليهم ، ثم اصابهم مطر فاستفاق رجل منهم ، كان بقي فيه رمق ، فأتى الى عامل طنبة فاخبره الخبر ، واعلمه حيث تركوا كتب الامام عليه السلام . فأرسل عامل طنبة من اتاه بالكتب ، واصدرها الى ابي عبد الله ، فغم ابا عبد الله ما اصاب الرسل غما شديدا ، وسر سرورا (١٥٢) عظيما بسلامة كتب الامام عليه السلام أن يطلع الفجار عليها ، وأراد ان يرسل عسكر الى زناته فاجابه الاولياء موطدين انفسهم على الصبر ، راجين الشهادة وعظيم الامر ، واستبعدوا (٤) المكان ، فاخروا ذلك الى اجل .

وسار ابو عبد الله الى قسطيلية ، فخرجوا اليه فقاتلوه قتالا غير كثير ، ثم استسلموا اليه وسألوه الامان فامنهم ، واخذ ابو عبد الله ما كان لزيادة الله ولرجاله (٥) من الاموال بقسطيلية ، وسار ابو عبد الله فنزل قفصه فسألوه الامان فأمنهم ، واخذ ما كان لزيادة الله عندهم . ورجع الى ايكجان بعد أن خلف في باغاية ابا مكدول في خمسمائة فارس ، وغزوية في مثلها .

وكان ابراهيم بن ابي الاغلب قد استعد للخروج الى ابي عبد الله ، وظن انه يريد القيروان فحين رجع الى ايكجان خرج ابراهيم بن ابي الاغلب يريد باغاية ، وارسل أبو مكدول رسلا الى أبي عبد الله ، فحين (١٥٣) وصلت الرسل الى أبي عبد الله امر بضرب الطبول ، فتبادرت كتامة راكبين الصعب

---

(١) وعلى الاجانيين : سقطت في ج (٢) ماكنون : ماكيون في ج

(٣) زناتة : قبيلة من البربر البتر ينتسبون الى زانا بن يحي بن ضري بن زجيك بن مادغس .

(٤) واستبعدوا : واستبعد في ج (٥) ولرجاله : سقطت في ب

والذلول ، عالين للوعر والسهول ، مبادرين الى باغاية . فأمر ابو عبد الله من حبس الناس ، واختار منهم اثني عشر الف فارس وقدم عليهم ابا مديني وقال له : ان لحقت القوم الى باغاية فقاتلوك فاحمل نفسك عليهم ولو حملتها على الاسنة ولا يردك راد عن الوصول الى باغاية ، وان اصبتهم قد انصرفوا فلا تجاوز فج العرعار (١) . وانصرف ابو عبد الله بالجمع الى ايكجان .

ومضى ابو مديني فوجد ابن ابي الاغلب قد قاتل اهل باغاية ، وخرجوا (٢) اليه فقاتلوه قتالا شديدا ، وكان لغزوية في ذلك اليوم مقام مشهور ،(٣) وجلاد مذكور ، ولحارث المدغري (٤) وكان بباغاية في ثلاثمائة من قومه . وكان زيادة الله قد احسن اليه فقال له ابراهيم بن ابي الاغلب : يا حارث ، خذلك (٥) الله باحساننا اليك ، (١٥٤) فقال حارث : احسان ابي عبد الله الي اكثر من احسانكم . وفضله علي أكثر من فضلكم ، بصرني من العمى وانقذني (٦) من الجهل . وقاتل في ذلك اليوم قتالا شديدا وجاء (رجاء بن ابي قتة) (٧) وكان ممن كان من الاولياء بباغاية ، وابلى بلاء عظيما . فلما نظر اصحاب ابن ابي الاغلب الى صبرهم في القتال ، وجدهم في مبارزة الابطال ، راوا منهم ما هالهم ، وخافوا وفود الغارات عليهم ، فأشاروا على ابراهيم فارتحل من الليل ، وخرج اهل باغاية الى مناخه فانتهبوا ما ترك وانصرف ابو مديني من فج العرعار (٨) راجعا ، وقال: هذا المكان الذي امرنا الشيخ ان لا نتجاوزه ، ولحق ابن ابي الاغلب بالاربس

وخرج الداعي ابو عبدالله احمد بن زكريا من ايكجان في جمادي الاخرى من سنة ست وتسعين ومائتين ، لما طاب الزمان واعتدل ، ودخل فصل الربيع . في جمع عظيم ، وعدة قوية ، فنزل بمدينة باغاية وعرض عسكره (١٥٥) فبلغوا مائتي الف فارس وراجل ، وكان زيادة الله قد حشد وبذل العطاء وزاد فيه ، وبعث الى ابن ابي الاغلب الى الاربس من العساكر ما لا يحصى عدده (٩) الا الله وحده .

---

(١) العرعار : العرعاء في ج — (٢) وخرجوا : سقطت في ج

(٣) مشهور : عجيب في ب — (٤) المدغري : المزعري في ج

(٥) خذلك : اخذك في ج — (٦) وانقذني : واستنقذني في ب

(٧) رجاء بن ابي قتة : ابن ابي اوقية في ج

(٨) العرعار : العرعاء في ج — (٩) عدده : عده في ج

وسار أبو عبد الله من باغاية حتى انتهى الى مسكيانه (١) ، فأخذ مـــع الوادي وانتهى الى وادي مجانة ، ثـــم خرج على مرماجنة (٢) الـــى وادي الرمل (٣) ، ونزل عليه ، وأخرج خيلا الى منيولة (٤) يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الاخرى فانتهبوها ، وجرد ابو عبد الله خيلا فضربت جريدة منها الى بني جودان ، فوافوا بها خيلا كثيرة لابن ابي الاغلب ، فقاتلوهم . واسر رجل من كتامة ، واتي بـــه الى ابن ابي الاغلب فقتله رحمة الله عليه .

ولما أصبح أبو عبد الله يوم السبت لست بقين من جمادي الاخرى زحـــف الى الاربس وقد ميز عساكره وعبأها فجعل في الميمنة بني نبطاش (٥) وفي الميسرة بني يناوة (٦) ، وفي القلب ملوسة (١٥٦) ومسالته ، وانتقى واختـــار عشرة الاف فارس من الدعاة ووجوه القبائل ، فوقف بالعشرة آلاف على كدية مطلة على المدينة ، والتحم القتال ، واخذ الناس بعضهم بعضا ، ووقعت بينهم معركة عظيمة ، ومواقفة شديدة ، وصـــبر الجمعان ، وكثـــر فيهم الضرب والطعان . واشتد القتال ، وأبوا الفرار ، واقام بينهم القتال مـــن اول النهار الـــى وقـــت العصـــر ، وكلح اصحـــاب ابـــن ابي الاغلب ولم يكن بقـــي بافريقية ونواحيها واطرافها من عربها وبربرها ، ومن رجال زيادة الله احد من كماتها وحماتها الا وقد كان مع ابن ابي الاغلب .

ونظر ابو عبد الله اليهم قد شقوا على أصحابه ، واحس من اصحابه بعض الفشل ، وخاف عليهم الهزيمة ، فقال لمن حوله من المشائخ : انتقوا (٧) من الرجالة من قدرتم عليه وابعثوهم يأخذون في هذه المسيلة ، مسيلة تعـــرف بالمغارة (٨) يستترون فيها حتى يضربون في الخيل ، فلعلهم أن يحركوهـــم . فانتقوا (٩) (١٥٧) من الرجالة خمسمائة وخمسة وسبعين رجلا مـــن اشد

---

(١) مسكيانة : مستكانة في ج

(٢) تقع مرماجنة قرب بلدة تالابين حيدرة وسبيبة .

(٣) على حوالي عشرة كيلومترات الى الجنوب من مدينة الكاف ، وعلى بعد اربعين ميلا من القيروان .

(٤) منيولة : مينولة في ج

(٥) نبطاش : بنطاش في ج فـــي افتتاح الدعوة للنعمان ميطياس ورقة ٣٦٨ .

(٦) يناوة : بناوة في ج

(٧) انتقوا : تنقوا في ج

(٨) بالمغارة : بالمضارة في ج

(٩) فانتقوا : فضنقوا في ج

من قدروا عليه ، فاخذ كل واحد منهم رمحين ودرقة وساروا في تلك المسيلة . ووافق (١) ان كان ابن ابي الاغلب دبر ذلك التربير واخرج رجالة من قبله في ذلك المسيل ، فوافى (٢) بعضهم بعضا في موضع يعرف بالغرة البيضاء على طريق الاربس ، فوافق اول رجل طلع من الكتاميين أول رجل طلع من اصحاب ابن ابي الاغلب ، فحمل كل واحد منهما على صاحبه ، فقتل الكتامي الخارج اليه من جند ابن أبي الاغلب ، وحمل أصحابه على رجالة ابن ابي الاغلب فانهزموا وقامت الصيحة فيهم ، فانهدت عساكر ابن ابي الاغلب ، وانتقضت مصافها. وداخلت خيلها رجالة ابي عبد الله ، وحملوا حملة واحدة عليهم فولوا مدبرين وعلى اعقابهم ناكصين ، وقصد كل قوم منهم الى جهة بلادهم ، وقصد ابن ابي الاغلب في من بقي معه جبل الحراقين ، (١٥٨) واتبعهم الاولياء من كل ناحية يقتلون ويأسرون ويغنمون ، وقصد قوم منهم المدينة فانتهبوا منها وقتلوا ودخل الليل ، فانصرفوا الى مناخهم (فباتوا فيه) (٣) . وامر ابو عبدالله بقصد مدينة الاربس ، حين اصبح ، وذلك ان أهلها (اضرموا نارا و) (٤) أصروا مع ابن أبي الاغلب ، فدخلها (٥) الاولياء ، قهرا بالسيف فقتلوا بها ما لا يحصى وانتهبوها واقاموا بها يوم الاحد ، وانصرف ابو عبد الله بجميع العساكر يوم الاثنين ، واخذ على دقة (٥) يريد قمودة (٦) والناس يظنون أنه يريد قسطيلية .

وهرب زيادة الله من رقادة حتى أتته الهزيمة يوم الاحد بعد صلاة الظهر . وأيقن انه لا يقوم له امر بعد انهزام عسكر الاربس لانه لم يترك شيئا من القوة والمال ، والرأي والحيلة ، والبذل والانفاق ، الا وجه ذلك الى الاربس. وكان قد تقدم في شد (٨) الامتعة واستعد للهرب ، فلما أتاه خبر الهزيمة . اظهر (١٥٩) انه جاءه الفتح ، وارسل الى السجن فأتي برجال منه فضرب اعناقهم واجتز رؤوسهم وامر ان يطاف بها في القيروان وبالقصر القديم .

---

(١) ووافق : واتفق في ج

(٢) فوافى : فوافق في ب

(٣) فباتوا فيه : سقطت في ج

(٤) اضرموا نارا و : سقطت في ج

(٥) فدخلها : فدخل في ب

(٦) دقة : مدينة قديمة بتونس تقع على تل مرتفع على بعد ثلاثة اميال الى الجنوب الغربي من مدينة طبرسق .

(٧) قمودة : قمودية في ج

(٨) شد : شري في ج

واخذ في ضم حوائجه ورفع ثقله وامواله . وارسل الى خاصة اهل بيتهورجاله وعرفهم ما جاءه من الخبر ؛ فأشار عليه ابن الصائغ بالمقام فاتهمه وقال له : هذا تصديق ما قيل فيك انك تكاتب الشيعي ؛ وانما تريد أن توقعني في يده . فسكت عنــه ابن الصائغ .

واخذ زيادة الله في شد الامـــوال ونفيـــس الخلـــع والسلاح والجواهر. وانتخـــب مـــن عبيـــده الصقالبـــة الف خادم . وجعل على وسط كل واحد منهم منطقة فيها الف دينار من العين ؛ فلما نادى المؤذن لصلاة العشاء الاخرة. خرج من رقادة واتبعه الناس يهتدون بعده بالمشاعل . ووقف بعـــده ابـــن الصائغ ساعة ؛ ثم ركب ابن الصـــائغ البحر واراد قصد سوسة (١) ؛ ووصل زيادة الله الى (١٦٠) طرابلس يريد مصر ؛ وحرفت الريح مركب ابن الصائغ الى طرابلس . فحين علم أن زيادة الله قصدها ؛ وانـــه قد صار فيها ؛ اتاه واعتذر اليه انه كان معه من الاحمال ما اثقله ان يكون طريقه معه في (٢) البر. وأتى زيادة الله بعض من كان مع ابن الصائغ فأعلمه ان قصده كان الىسوسة فصرفته الريح الى طرابلس ؛ فعلم براءته مما نسب اليه من مكاتبته ابى عبد الله ولو كان ذلك لاتام برقادة ؛ ثم ان زيادة الله حمله رجاله على ابن الصائغ فقتلـــه .

وما ابراهيم ابن ابي الاغلب فانه وصل الى القيروان في من انضم اليه بعد الهزيمة يوم الثلاثاء ؛ فلما علم من معه بهروب زيادة الله تفرقوا عنه ؛ فلميبق معه الا قليل ؛ فدخل الى قصر القيروان فنادى مناديه لمن فيها بالامان ، واراد أن يقيم ما انحل من الملك ويقوم بأمره ؛ ويجعل ذلك له؛ وجمع فقهاء القيروان. وذكر ما كانلزيادة الله من (١٦١) سوء الحال والاقبال على اللهو ؛ والانهماك فيه ؛ والاشتغال ؛ وانه يقيم العدل والانصاف ؛ ويحتـــال في دفع اهـــل الخلاف ؛ وقال : انما اتيت اليكم لاجاهد دونكم ؛ وطالب اهـــل القيروان ان يسلفوه شيئا من اموالهم ؛ وما في أيديهم من الودائع لغيرهم . فقالـــوا : نحن رعية لمن غلب ؛ وليس عندنا ما يقيم السلطان ؛ ولا نستطيع ان ندفع ما الم

---

(١) سوسة : مدينة كبيرة تقع علىخط عرض ٤٩/٣٥ شمالا وخط طول ٣٩/١٠ شرقا على بعد نحو ٩٠ ميلا الى الجنوبمن تونس وعلى بعد ٣٧ ميلا الى الشمال الشرقي من القيروان .

(٢) في : سقطت في ج

من معظم الحدثان ، فانحل أمره ، وبطل كيده ، فركب وخرج من القيروان . ولحق زيادة الله فوافاه بطرابلس ، وعنفه (١) على ما كان منه من الخروج عن دار ملكه ، وموضع أمره . وانه لو أقام لرجا ان يقوم له الحال ، وأن ينضم اليه الرجال .

ووجد زيادة الله أبا العباس محمد بن زكريا أخ أبي عبد الله بطرابلس . وكان قد وافاه بالقيروان فحبسه ، لما رفع اليه أنه أخو أبي عبد الله ، واليه متقصده . ثم انه خرج من السجن لما هرب زيادة الله ، ولم يستطع (١٦٢) أن يلحق ناحية أبي عبد الله فوافى طرابلس ، ووافق فيها الخزري (٢) ، وهو من دعاة المهدي بالله صلوات الله عليه ، وكان المهدي عليه السلام ، ارسل الخزري بحرمه ، فاجتمعا في طرابلس هو وابو العباس . وكانا اذا اجتمعا وحدهما فأمرهما واحد . واذا كانا في الناس أظهر كل منهما الطعن على صاحبه ، وأرى أنه على غير مذهبه ، وجعلا يتناظران ، وكان ذلك الذي يظهر منهما مدة اقامتهما بطرابلس ، فلما وجد زيادة الله أبا العباس قال له : انت أخو الشيعي ؟ قال : لو كنت أخاه لقصدت مقصده ، ويممت بلده ، فقبل ذلك منه و (٣) عذره وأطلقه بعد أن تواعده ، ووافى الخزري زيادة الله فسلم عليه ، وكان لا يزال عنده ، وهو وكيل الامام عليه السلام على حرمه ، وكان من افضل من عنده ، وزيادة الله لا يعرفه . ولما خرج زيادة الله من طرابلس شيعه الخزري ، ودموعه تسيل على لحيته . وهو يقول : لمن (١٦٣) تتركنا يا سيد العرب ، وزيادة الله يثني عليه ويذكره بالخير ، وقيل للخزري بعد ذلك : ان الكلام قد يتصنع ، فكيف بالدموع وأنى تهيأ لك ذلك ؟ فقال : والله ما بكائي الا حزنا على عدو الله ، لما خلص سالما .

وقصد زيادة الله الى مصر ، ومالكه يومئذ النوشري (٤) ، وقد كان زيادة

---

(١) وعنفه : وعنف في ج

(٢) هو ابو جعفر الخزري من كبار الدعاة وكان مقربا من الامام عبيد الله المهدي وقد توفي برقادة .

(٣) منه و : سقطت في ج

(٤) النوشري : هو عيسى بن مخلد النوشري : ولي اصبهان سنة ٢٨٣ . ثم ولي فارس سنة ٢٨٧ ثم مصر سنة ٢٩٢ .وكانت وفاته سنة ٢٩٧ في شهر شعبان

الله طرد ابراهيم بن ابي الاغلب واقصاه ، واتهمه وعاداه ، ففر منه لما خافه . ودخل الى صاحب مصر ، فلام زيادة الله عنده ، وخوفه شره ، وقال له : انه كان من سوء حاله أن ترك ملك الغرب واقبل الى الشرق ؛ يريد أن يملكه . فخافه النوشري ، واغتاله . ثم أنه دخل زيادة الله الى مصر فأقبل على اللذات والانهماك فيها ، وكوتب الخليفة العباسي بسوء حاله ، وسقط امره ؛ عند الناس ، وكان يريد أن يستنصر بالعباسي ؛ فتهاون الكل (١) به؛ وآل أمره ان مات في بيت المقدس ؛ وقد ساءت حاله ونفد ماله ؛ (١٦٤) . وكان هروب زيادة الله يوم الاثنين فأصبح اهل القيروان والناس من كل مكان الى قصور زيادة الله ينتهبون امواله ويحملونها ، ويلقى القوي الضعيف فيسلب ما في يديه حتى افنوا ما فيها ، وصاروا الى انتزاع الحديد عن ابوابها ، واجتمع اليها الذعار عن الطرقات، فلم يبق سلب ولا نهب الا برقادة. وحين ابا بلغ عبد الله خبر هرب زيادة الله ؛ اخذ على سكتانة ، ونزل وادي الرمل . فبات به ، فلما اصبح قدم غزوية بن يوسف (٢) وحسين (٣) بن ابى خنزير الى رقادة ، وامرهم أن لا يعترضوا احد بمكروه ، فوصلت خيل الداعي ابي عبد الله الى رقادة واصابوا الناس بها (٤)؛ ينتهبون الطعام وما بقي (من خسيس الخرثي .) (٥) فلما راوهم هربوا ، وخافوا منهم ؛ فأمنوهم ولم يعارضوهم في شيء ، وتركوا لكل واحد منهم ما كان معه قد حمله ومنعوا ما بقي ؛ فحين بلغ أهل القيروان ما كان من اصحاب ابي عبد الله للناس برقادة من (١٦٥) الامان سرهم .

وخرج أهل القيروان وفقهاؤهم للقاء ابي عبدالله . فسلموا عليه وهناوه بالفتح ، فرد عليهم أحسن الرد ، واقبل عليهم بوجهه وامرهم فركبوا دوابهم ودعا وجوههم فاستصحبهم وحدثهم وآمنهم في أنفسهم، وما ملكته ايديهم ؛ فسرهم اقباله عليهم ، وما راوه من تواضعه لهم ؛ وصفوا له ما في قلوبهم من الرغبة اليه ، فقال لهم : قد اخذتم بحظكم ونظرتم لانفسكم وعملتم بما فيه نجاتكم وما يعود بالنفع عليكم في عاجلكم وآجلكم . ثم ذكروا له اخبار زيادة الله .

---

(١) الكل : كل في ج

(٢) ابن يوسف : سقطت في ج

(٣) حسين بن ابي خنزير : حسن من ابي خنزير في ج

(٤) بها : سقطت في ج.

(٥) من خسيس الخرثي : سقطت في ج

ووصفوا له سوء حاله ، وذميم افعاله ، فأعرض ابو عبد الله عن ذلك . فحين اطنبوا فيه واكثروا القول في مساويه ، قال لهم : ائمته الذين ولوه وآباؤه اسوا حالا ، واقبح افعالا ، ولو علمتم ورأيتم أحوال بني العباس وما هم فيه من الفسق وسوء الحال والاقبال على (١٦٦) الشراب ، لما تعاظمكم (١) ما رايتم من هذا الذي له تصفون ، ولسوء حاله تذكرون .

ودخل ابو عبد الله داعي الامام المهدي بالله سلام الله عليه وعلى آبائه . رقادة يوم السبت غرة شهر رجب سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل أبو عبد الله ببعض قصور رقادة وفرق دورها على كتامة ، ولم يكن بقي بها أحد من اهلها ، بل خرجوا بخروج زيادة الله ، فتفرقوا (٢) في البلاد ، ونزل قوم من كتامة ايضا بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيما حول رقادة . فكانوا كالجراد المنتشر ، واورثهم الله أرضهم ، وديارهم ، واموالهم ، ببركة الامام المهدي بالله صلوات الله عليه ، وما اراد الله من اظهار امره ، وعلو كلمتـه .

وامر الداعي ابو عبد الله رحمة الله عليه المؤذنين بالاذان بحي على خير العمل ، ونادى مناديه للناس بالامان ، وشملهم بالعدل والاحسان ، ونهى عن شرب المسكر ، وفعل المنكر ، واخاف الذعار و (١٦٧) المفسدين ، فصار الناس بالعدل مشمولين ، ومن الجوار آمنين ، فحقنت الدماء ، وسكنت الدهماء ، وقام (٣) أبو عبد الله خطيبا بجامع القيروان ، وامر بعد حمد الله تعالى بالصلاة على النبي المصطفى ، وعلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وعلى الحسن والحسين ، وفاطمة الزهراء صلوات الله عليهم ، وأمر بضرب السكة . ونقش (٤) فيها من وجه : بلغت حجة الله ، وفي الوجه الاخر : تفرق اعداء الله . ونقش في سكة أخرى : الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ونقش على السلاح : عدة في سبيل الله ، ووسم الخيل : بالملك لله ، ونقش في فص خاتمه : فتوكل على الله ، انك الحق المبين ، وفي الخاتم الذي يطبع به كتبه (٥) : وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم .

---

(١) تعاظمكم : تعظلمكم في ج
(٢) فتفرقوا : ففرقوا في ج
(٣) وقام : وقدم في ج
(٤) ونقش : سقطت في ب
(٥) كتبه سقطت في ج

وظهر للناس منه ومن أصحابه من العدل ، والتقشف ، والورع ، والاعمال الصالحة ، ما اشتهر (١٦٨) في جميع الافاق ، وعرفه اهل الخلاف والوفاق.

وولى ابو عبد الله علـى القضـاء في مدينة القيروان محمد بـن عمر (١) المروزي (٢) وكان له نظر في الفقه ، من قول اهل البيت صلوات الله عليهـم ، وتشيع قديم ، وكانت ولايته للقضاء في اول شهر رمضان ، احد شهور سنة ٢٩٦ ست وتسعين ومائتين .

ووصل ابو العباس محمد بن احمد ، اخو أبي عبد الله اليه الى رقادة ، فسر أبا عبد الله قدومه ، وكان أبو عبد الله يعظمه ، واذا دخل قام على وجهه على قدميه ، ومكث قائما حتى يأذن له بالجلوس ، واذا دخل ابو عبد الله قبل يده ووقف حتى يأمره فيجلس ، وكان ابو العباس اسن من ابي عبد الله واقدم سابقة، وأقرب بالامام عليه السلام عهدا ، واحد ذهنا ، وكان ابو عبد الله ارجح حلما، واحسن ورعا وزهدا من أبي العباس ، واجتمع فقهاء أهل القيروان وشيوخه الى أبي العباس ، وناظر الفقهاء في (١٦٩) الامامة وفيما خالفوا فيه اهل البيت صلوات الله عليهم من قبل الفتيا فقطعهم في ذلك ، وعجبوا من قـوة حججه (٣) ، ونقلا قوله ، وظهر العدل ، وقامت الدعوة الى الامام المهدي بالله عليه السلام ، وانقطعت دولة الجبارين في الغرب ، وكان ظهور أبي عبد الله رحمة الله عليـه كطلـوع الفجـر حتى علـت الشمس وظهرت . وظهـر المـهدي بـالله عليـه السلام ، من كهف ستره ، وعلت دعوتـه . فاشتهرت فخفيت النجوم ، وظهر نور الله الحي القيوم ، وسنذكر من ذلـك ما يعين الله على ايراده ، بتوفيقه تعالى ومعونته ، وارشاده ، والحمد لله رب العالمين واياه نعبد وبه نستعين ، وصلى الله على سيد الادميين محمد خير النبيين ، وعلى وصيه علـى أمـير المؤمنين ، وعلـى الائمـة من ذريتهما الطاهريـن .

ذكر نبذ مما كان من امر مولانا الامام المهدي بالله صلوات الله عليه وعلى

---

(١) عمر : محمود في ج

(٢) المروزي : المرودي في ج. وهو محمد بن عمر بن يحي بن عبد الاعلـى المروزي ، يقال بان أبو عبد الله ولاه القضاء يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٢٩٦ . واقره الامام المهدي على القضاء سنة ٢٩٧ وتوفي في العذاب برقادة سنة ٣٠٣ .

(٣) حججه : حجاجه في ج

الائمة الطاهرين من آبائه وأبنائه وسيرته وماله من الامتحان والتنقل (١٧٠) من مكان الى مكـــان حتى قضى الله تعالى بظهوره وعلو دعوته واخبار ما كان في أيامـــه الى انتهاء عمره وتمامه .

كان مولد امير المؤمنين الامام المهدي بالله ابو محمد عبدالله بن الحسين بن أحمد ابن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق سلام الله عليهم ، في سنة ستين ومائتين ، في الليلة المصبحة من يوم الاثنين الثاني عشر من شـــهر شـوال . وقيل بل كان مولده في سنة تسع وخمسـين ومائتين ، وولد علـــيه السلام بمدينة عسكر مكرم (١) خورستان ، ثم ان والده عليه السلام ، انتقل به الى سلمية ، وفيها كان منشأه ، واستكفل له ابوه عليهما السلام ، عمه ابا علي الحكيم . وهو محمد بن احمد المكنـــى بسعيد الخـــير على ما قدمنا ذكره (٢) . وكان عم الامام عليه الســـلام ، هـــو الـــذي أنفـذ الداعـــي المنصـــــور ابـــا القاســـم الـــى اليمن بـــعد وفـــاة والد المهـــدي بالله صلوات الله عليهما . وعلى أولبائه الطاهرين . (١٧١) على ما ذكره صاحب سيرة الامام المهدي عليه السلام . قال صاحب السيرة (٣) : وكانت وفـــاة أبي الامام المهدي عليهما أسنى السلام ، وكفالة عمه له . وعمر المهدي ثمان سنين . وتزوج المهدي عليه السلام ابنة عمه أبي علي الحكيـــم رضوان الله عليه . ومنها كان ولده الامام القائم بأمر الله ، فولده الامام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله ابو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وآبائه الطاهرين مـــن ابنائه ولد سنة ثمانين ومائتين .

قال جعفر الحاجب رحمة الله عليه : وتوفي الامام قدس الله روحه بعـــد زواج (٤) المهدي بالله عليه السلام بأيام يسيرة . وولي سلمية غلام تركي من

---

(١) يقول ابن خلكان في كتابه (وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٢) : وكانت ولادته في سنة ٢٥٩ هـ ، وقيل سنة ٢٦٠ هـ بمدينة سلمية . وقيل بالكوفة ، وربما كانت ولادته حسب اقوال المؤلف في عسكر مكرم باعتبار ان الائمة كانوا يعيشون في الستـــر والتقية ويتنقلون من قطر الى قطر باسمـاء مستعارة لا يعرفها الا الدعاة الحرم الذين يكونون دائما وابدا حسب تنظيمات الدعوة بمعية الامام والله اعلم .

(٢) اشار المؤلف الى ذلك فـــي السبع الرابع من عيون الاخبار صفحة ٤٠٢ تحقيق مصطفى غالب .

(٣) استتار الامام ورقـــــــة ١٢ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .

(٤) زواج : زواجه في حـ

بغداد فاحسن اليه المهدي بالله صلوات الله عليه . كما كان الائمة يحسنون الى كل (١) من يلي البلد للتقية منهم، وما يخافون من شرهم ، وتابع الاحسان الى التركي حتى استراب به لجزيل ما كان يوليه ، فسأل قوما من اهل البلد عن سبب افراطه في الجميل (٢) ، وهو لا يسأله شيئا . فقال له بعض من كان (١٧٣) يحسد الامام عليه السلام . هذا فعلهم مع كل من يلي البلد حتى يردوهم خولا وعبيدا ، وانه يرمي بأمر عظيم ، ويقال انه يملك (المشرق والمغرب) (٣) وله في كل بلد داعي وأموال اكثر من أموال الخلفاء . فلما سمع التركي هذا القول أخذه الطمع . وتابع السؤال للمهدي عليه السلام في الحوائج الكبار ، التي تجاوز المقدار . فاذا قضيت حاجته فيها سأل غيرها ، حتى ربما سأل في اليوم الواحد عشر حوائج ، واكثر ، فعل مفتنم . فعلم المهدي بالله عليه السلام مراده ، وكتب الى الدعاة ببغداد ، أن يبذلوا في عزله عن البلد ، ففعل الدعاة ما به امروا ، وعزل التركي ، وقد علم من حيث أتى فرفع الى الخليفة العباسي المعتضد ما انتهى اليه وقيل له في المهدي بالله صلع . وسأل أن يرده للقبض عليه . ووافق ذلك خروج القرمطي ابي مهزول لعنه الله . وكان ابوه أحد دعاة الامام عليه السلام ، وكان ابو مهزول واخوه راجيا (١٧٤) راجيان أن يكونا في مقام ابيهما ، فلما علم الامام صلوات الله عليه ، سوء سريرتهما ، وخبث سيرتهما ، اعرض عنهما ، وأمر الناس برفضهما . فحملهما ذلك على ان فارقا دعوة الامام عليه السلام . ودخلا في مذهب القرامطة الرافضين بشرائع الاسلام ، فاجتمع اليهم ناس كثير . وأشاع الناس انهم من قبل الامام المهدي بالله عليه السلام قاموا وهم قد (٤) فارقوا دعوته . وفي ضلال الاباطيل هاموا ، وهو وآباءه والائمة من ابنائه والتابعون لهم بريئون منهم ، وممن غير في دين الله وبدل . ولشريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . او لركن من اركانها رفض وعطل .

فخرج الامام (صلع) من سلمية سنة ست وثمانين ومائتين . وقد اشتهرت دعوته . وانتشرت وقامت دعاته ، وظهرت في اليمن والغرب . الا انه لم يعرف

---

(١) كل : سقطت في ج (٢) الجميل : الاحسان في ب
(٣) المشرق والمغرب : المشرق والغرب في ج
(٤) قد : سقطت في ج

اسمه . وفي اي موضع محله ، وكانت الدلائل فيه ظاهرة وعلامات الامامة مشهورة (١٧٥) مشتهر (١) ، وترك أهله ، وذخائره في سلمية ، وخرج معه ولده محمد بن عبد الله القائم بأمر الله صلوات الله عليهما ، وخرج ابو جعفر الخزري ، وكان أحد دعاة الامام بحرمه ؛ ومعه مملوك الامام المهدي بالله عليه السلام ، يقال له جعفر قبل دخول القرمطي الى سلمية .

ولما قوي امر اللعين ابي مهزول القرمطي ابا الحسين داعي الدعاة (٢) من قبل المهدي بالله عليه السلام ، الذي جعل الدعاة تحت يده ، ويرجعون اليه فيستمدوا من علمه ، وقتل معه كثيرا من شيعة الامام عليه السلام ، وخرج القرمطي اللعين بعد ذلك الى سلمية ، فاقام اياما خارج المدينة ، حتى بلغه أن عساكر بني العباس قد اتته قاصدة له تروم اخذه ، واستئصال شأفته ، فدخل مدينة سلمية ، واظهر انه يريد الحمام ، ثم قصد دار المهدي عليه السلام ، وكان قد وضع السيف في العباسيين ، ولم يعرض لدار المهدي بالله عليه السلام (١٧٦) ومن فيها ، فظن الناس انه لا يعرض لمن في قصره ، ولا يخالف ما يرد عليه من امره ، فجاءوا بذخائرهم وما يعز عليهم من امتعتهم فتركوها (٣) في قصر الامام عليه السلام ؛ فلما دخل دار الامام عليه السلام ، سأل عن لعب ، وهي ام ولد للامام عليه السلام ، فدخل وكانت عالمة بذخائر الامام عليه السلام ،وكانت(٤) حين دخول القرمطي اللعين الى قصرهم قد هربت واختفت ، فأمر القرمطي من اتاه بها ، ومعها ولد للامام المهدي بالله عليه السلام طفل ، فقال لها القرمطي : اين مولاك ، ولم خرج من قصره ونعمته ؟ فقالت له : انه خرج فيما لا بد له منه ، وهو مزمع على القدوم . فقال لها : اين ذخائره (٥) وماله ؟ قالت : لا أعلم . فسألها عن ذلك ولاطفها فحين أبت ان تعلمه ، وعرف انها ستر مولاها لا تكلمه ، امر بها وبولد الامام عليه السلام ، الذي كان في حجرها فقتلا ،

---

(١) مشتهرة : شاهدة في ب

(٢) كان داعي الدعـاة المذكور يقيم في مدينة حماه ويشرف على الدعوة في حمص وحماه . ولما وصل القرمطي الـى حمص جاء للسلام عليه مع بعض المشايخ فقبض عليه واقتيد الى سلمية حيث اعدم هو وابنه على يد القرمطي المذكور ونهبت داره في حماه .

(٣) فتركوها : فتركوه في ج

(٤) وكانت : وكان في ب

(٥) ذخائره : سقطت في ج

وقتل جماعة من قرابات الامام عليه السلام . (١٧٧) وحرمه وخدامه (١) وحشمه رحمة الله عليهم ، وامر بهم فالقوا في صهريج من الدار . وانتهب ما وجد في دار الامام . وخرج لعنه الله ، ووافته عسكر البغدادي وفيهم التركي الذي كان ولي سلمية فقاتلهم القرمطي فتفرق عسكره واخذ اسيرا . ثم قالوا لاهل سلمية: انتم الذين افسدتم على الخليفة واستدعيتم القرمطي اليكم . فاروهم الصهريج ومن فيه من القتلى . فقالوا : هذا فعل القرمطي معنا . ودليل على براءتنا (٢) مما قلتم فينا . فصدقوا قولهم . وانطلقوا بالقرمطي الى بغداد . فكان يضرب ، ويقال له : لاي شيء خرجت ، وما سبب خروجك ؟ فاظهر لهم انه انما خرج بامر المهدي بالله عليه السلام . وانه الذي امره بذلك . ووصف لهم صفته وعلامته . وكان اللعين يعرفه . وعرفهم ان داعي اليمن وداعي المغرب يدعوان اليه . ويدلان عليه . فكان ذلك مما زادهم تصديقا لقول القرمطي اللعين . وتلك منه (١٧٨) مكيدة للمهدي بالله . يريد ان يطفيء (٣) نور الله . والله متمم نوره . ولو كره الكافرون . فامر الخليفة البغدادي الى البلدان . وبث رسله الى كل مكان . يسأل عن صاحب تلك الصفة (٤) والعلامة . ويامر عماله بالقبض عليه . فلم يبلغ بذلك مرامه : وحمى الله وليه من كيد الكائدين . ودفع عنه شر أضداده المعاندين .

وسار الامام مهاجرا ومعه ولده محمد ابو القاسم صلى الله عليهما . وقد اشتهر ذكره . وفشا خبره . ودلت على آياته . وتبينت للناس علامته . وما برح العباسي يمعن في طلبه . ويكتب الى كل عامل بسببه . والله تعالى بحفظه ويكلأه . ويعين رعايته بتولاه . حيث نزل واني اقام . ورحل المهدي عليه السلام أوان هجرته ، حين استوى شبابه ، والامام أبو القاسم حدث (٥) . ومعهم غلامهم جعفر الحاجب . وفيروز . وكان فيروز من أكابر الدعاة . فغير وبدل (١٧٩) وضل واضل . وسنذكر من امره في موضع ذكره . ومن صحب الامام عليه السلام . طيب الحاضن . وابو يعقوب القهرمان . وابو محمد بن عزيز . وكان الامام قد أظهر لاصحابه انه يريد اليمن . وخرج الامام عليه السلام من دمشق . وقال لاصحابه : جدوا في

---

(١) خدامه : خادمه في ج

(٢) براءتنا : براءتنا في ج

(٣) ان يطفيء : ان طفوا في ج

(٤) الصفة : الصيغة في ب

(٥) حدث : حديث في ح

السير . فاليوم يرد الرسول في طلبنا الى دمشق ، فساروا ذلك اليوم واليوم الثاني ، وانتهوا الى طبرية ، فوجدوا الداعي الذي كان للمهدي بها على ظهر الطريق قائما ينتظرهم . فلما راى الامام عليه السلام ، سلم عليه وعرفه ان كتاب داعيه الذي بدمشق ورد على جناح الطير يذكر أن الرسول ورد الى عامل دمشق في طلب الامام عليه السلام .

فسار الامام عليه السلام من ساعته ، ولم يزل بطبرية حتى اذا انتهى الى الرملة نزل بها عند عاملها ، وكان ماخوذا عليه عهد الامام عليه السلام ، قال جعفر الحاجب رحمة الله عليه في (١٨٠) سيرته (١) : فلم يدر العامل من السرور بالامام عليه السلام كيف يخدمه ، وقبل يديه ورجليه ، فاذكر وانا قائم على راس المهدي عليه السلام ، وهو وفيروز والعامل يتغدون ، اذ ورد عليه (٢) النجاب الذي ورد من بغداد الى دمشق بكتاب العباسي بالقبض على الامام عليه السلام ، وذكر صفته ، فقراه العامل ودفعه الى المهدي بالله ، فلما وقف عليه ، انكب العامل (٣) على رجلي المهدي بالله صلوات الله عليه يقبلهما ويبكي ، فقال له الامام عليه السلام : طب نفسا وقر عينا (فوالله الذي) (٤) نفسي بيده لاملكن وليملك ولدي كثيرا من ممالك بني العباس . فلا تخشى علي شيئا مما ترى . فكتب العامل الى صاحب دمشق جواب كتابه (٥) بانه ما رأى هذا الرجل ، ولا عرف صاحب هذه الصفة ، ولا علم بجوازه ان كان جاز وان لم يكن جاز فنحن نترصده على جميع الطرق انشاء الله تعالى . فجدد الامام عليه السلام ، ذلك اليوم (١٨١) البيعة على عامل الرملة واقام عنده يومه وليلته ، قال : وسقطت في تلك الليلة النجوم والمهدي والقائم عليهما السلام ، على سطح دار العامل ، والعامل معهما ، واصحابهما ينظرون اليهما ، وقد انقلبت (٦) المدينة بصراخ (٧) الناس بالدعاء ، والابتهال الى الله عز وجل . قال جعفر : فراينا المهدي بالله عليه

---

(١) انظر سيرة جعفر الحاجب صفحة ١٨ الى ٢٠ نسخة خطية في مكتبتي الخاصة في ٨٩ صفحة ، مضافا اليها كتاب استتار الامام في ٥٣ صفحة قياس ١٢×١٦ سنتم وفي الصفحة ١٠ اسطر وفي كل سطر ١٠ كلمات .

(٢) عليه : سقطت في ب — (٣) العامل : سقطت في ج

(٤) فوالله الذي : سقطت في ج — (٥) كتابه : الكتاب في ج

(٦) انقلبت : انقلب في ج — (٧) بصراخ : سقطت في ب

السلام ، وقد شد على يد العامل وقال له : هذه احدى الدلائل وبعض (١) علاماتي ، ودعا الامام عليه السلام في تلك الليلة محمد ابن عزيزة (٢) فقال له : نحن نسير بالغداة على بركة الله وعونه ؛ فارجع انت الى سلمية واجمع من قدرت عليه من الغوغاء وسبنا بما قدرت عليه . واحمل العامة على هدم دورنا ، فاذا صح ذلك فاعمل على ان تقلب العلو على البركة التي تحته حتى لا يرى لها اثر ، فاذا فرغت من ذلك ، فاخرج الى النخلة التي على باب المدينة ، فاقطعها واظهر ان تحتها كانت تعقد العقود ليتم لك قطعها ، واقم (١٨٢) بسلمية حتى يرد عليك امري بالقدوم في الاوان الذي يصلح فيه قدومك ، ان شاء الله تعالى .

وارتحل الامام عليه السلام ، من الرملة الى مصر فاستقبله الداعي ابو علي باب الابواب ، وكان من افضل الدعاة واجلهم ، وبلغ مع الائمة عليهم السلام ، مبلغا عظيما ، وحاز مقاما كريما ، وكان ذلك اليوم مقامه بمصر يدعو الى الامام عليه السلام ، ويدل على فضله من اتبعه من الانام ، فتقدم اليه الامام ان لا ينزله عنده كي لا يظهر امره ويشتهر خبره ، وان ينزله عند من يثق به ممن لا يهتم بأمرهم ولا يشار اليه بولايتهم ، فأنزله عند رجل يدعى ابن عياس (٣) ، ما اقاموا الا يسيرا حتى ورد الكتاب الى عامل مصر في طلب الامام عليه السلام والقبض عليه ، فأرسل العامل الى ابن عياس وأوقفه على الكتاب ، فقال له ابن عياس : اما الرجل النازل علينا فلا يصل اليه الا ما يصل الي ، وهو رجل شريف من وجوه (١٨٣) التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار ، وليس هو الذي انتم تطلبون ، والرجل الذي انتم مجدون في طلبه قد بلغني خبره انه توجه الى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة، فقال لابن عياس (٤) نحن نقضي حقك (٥) في هذا الرجل وحقه لشرفه ، ولكن لا بد لنا ان نبلي عذرا في القبض على بعض غلمانه ونقرره خوفا من اصحاب (٦) الاخبار والامر يجري له ولك فيه على ما تحب ويحب ان شاء الله تعالى .

---

(١) يقول جعفر في الصفحة ٢٠ من سيرته: واحسب كان سقوطها تلك الليلة في سنة تسع وثمانين ومائتين ، اظنه قال في شهر رجب .

(٢) عزيزة : عزيز في ج

(٣) ابن عياس : ابن عباس في ج وفي سيرة جعفر صفحة ٢٤ ابن عياس

(٤) عياس : عباس في ج

(٥) حقك : حاجتك وطلبك في ج

(٦) اصحاب : نقلة في ج

قال جعفر الحاجب رحمه الله : وكنت انا ذلك الرجل المقبوض عليه ، وضربت أسواطا يسيرة ، وقررت ، وكان الامام المهدي بالله عليه السلام قد قال لي : لا توجع نفسك اذا دفعتك للعامل ، فاني أريد أن تأتي سلمية وتستخرج القمقمين اللذين (١) امرتك بدفنهما ، فانه لا يشعر غيرك بهما ، فاذا وقفت للتقرير فقل : انا رجل خدمت هذا الرجل باجرة (١٨٤) وصحبته لمدة قريبة ، وانا ارد عليه الاجرة وانصرف عنه الى بلدي ، قال : ففعلت ما امرني به الامام عليه السلام ، وخلى العامل سبيلي ، فدخلت على المهدي بالله ليلا ، وقال لي : بكر غدا حيث امرتك ، ولا تلوي على شيء ، وان لا يعلم بك احد من الناس ، الا محمد بن عزيز وولده وابن اخيك حسن ، وانا انتظر بطرابلس .

واظهر الامام المهدي عليه السلام ، مسيره الى المغرب ، وكان أصحابه يظنون أن قصده اليمن ، وسأل الداعي ابو علي (٢) الامام عليه السلام المسير معه ، ورغب اليه أن لا يفارقه ، فقال له الامام عليه السلام ، بل تقيم بمصر الى الوقت الذي يتهيأ قدومك فيه ان شاء الله ، فسمع واطاع قوله ، ووقف بمصر على شدة الرغبة منه في صحبته ، والكون معه ، واما فيروز فأحزنه مسير الامام الى المغرب ، واستبعد المسافة ، فتخلف بمصر ، وسار الى اليمن ، وكان الامام المهدي بالله عليه السلام ، (١٨٥) يقول : عجبت لرجلين من شيعتنا احدهما نفعه مفارقتنا ، والاخر تغمه صحبتنا .

ووصل فيروز الى داعي اليمن أبي القاسم المنصور قدس الله روحه ، فأحسن (استقباله واكرم) (٣) مثواه ، لما كان يعرفه من (محله عند) (٤) الائمة عليهم السلام ، ثم أن فيروز أراد ان يضله ويغويه ، فوجد نيته في ولاء الائمة عليهم السلام ، قوية ، ونفسه تشعشع (٥) أنوارها مضيئة ، فلما لم يجد فيه حيلة ، توجه الى علي بن الفضل فوجد فيه مراده ، واستفزهما الشيطان ، وصارا من اهل الضلال والطغيان ، وخرجا عن جملة اهل الايمان .

---

(١) اللذين : الذي في ج

(٢) الداعي ابو علي : يقال بانه صهر الداعي فيروز وزوج ابنته وان فيروز هو الذي ادخله في الدعوة .

(٣) استقباله واكرم : لقائه فاكرم في ج

(٤) محله عند : له من القرب من في ج

(٥) تشعشع : شعشع في ج

فظفر منصور اليمن بفيروز (١) فقتله . وحارب علي بن الفضل فكان من امرهما ما قدمنا خبره ، حتى أهلك الله علي بن الفضل ، وصير روحه الى النار ، والحقه بأمثاله من الكفار كما قدمنا ذكره ، وشرحنا امره ، ولما انتهى الامام عليه السلام ، الى طرابلس وقف فيها حتى قدم عليه عبده وخادم دولته جعفر بن علي المكنى الحاجب من سلمية ، بما وجهه (١٨٦) في طلبه ، فارتحل الامام عليه السلام ، الى قسطيلية (٢) ، وهي يومئذ لزيادة الله بن الاغلب . ثم خرج منها الى توزر ، وخرج على طريق سجلماسة ، فوافاه في طريقها رجل يسمى المطلب من آل المطلب ابن عبد مناف ، ومعه ولده ، فوجد فيهما الامام عليه السلام لقا وسيما ، وعقلا كاملا ، وكان من أمرهما أن اخذ عليهما عهده ، وقربهما منه ، وسارا في صحبته الى سجلماسة ، ثم توجها عن امره الى القيروان ، وقال لهما المهدي بالله عليه السلام : لولا انها تجري على من معي محن شديدة ، وامور متعبة لما رضيت فراقكما لي ، ولكن اذا توجه داعينا الى سجلماسة فارسل ابنك معه . وودعاه وانصرفا الى القيروان ، ونزل المهدي بالله عليه السلام، سجلماسة، ورئيسها وصاحب امرها اليسع بن المنتصر بن مدرار .

وانتشر ذكر المهدي بالله عليه السلام . في المدينة كلها . وتحدث الناس ان هذا رجل له شأن من الشأن ، ووقع في قلب كل من رآه له الهيبة والجلالة . (١٨٧) وقيل لليسع بن المنتصر بن مدرار : انه قد دخل بلدك رجل جليل من كبار تجار المشرق ووصف له ، ولهج الناس بذكره ، ثم انه صلى الله عليه دخل على اليسع بن مدرار ، فاكرمه ، واقبل عليه خرج عليه السلام . من عند اليسع ثم قال اليسع لاصحابه بعد خروجه من عنده (٣) : زعمتم ان هذا تاجر ، والله ما هذا تاجر ، لقد رأيت تجار المشرق والمغرب ، ولكن هذا الرجل عظيم الشأن اغضبه اهل بيته فخرج عنهم ، وفي نفسه اشياء الله اعلم بها .

---

(١) من المعروف ان الداعي فيروز كان له الفضل على منصور اليمن كونه تسبب في ادخاله في الدعوة ، لذلك اكرم وفادته عندما وصل اليه لما كان يعلم من مركزه عند الامام ، وخرج له من مسكنه وانزله فيه ، وكان يقف على راسه حتى ياذن له بالجلوس .

(٢) قسطيلية : قسطية في ج

(٣) من عنده : منه في ج

وكان المهدي بالله عليه السلام ، يواصل صاحب سجلماسة ويهدي اليه ، وكان اليسع يوجب حقه ، ويعظمه ، الى ان اتاه كتاب زيادة الله لما اتصل به مسيره اليه يخبره أن هذا الذي يدعو اليه ابو عبد الله ، وتواترت الاخبار والكتب بذلك الى اليسع بن مدرار (١) ، وكان اليسع يسأل الامام المهدي عليه السلام ، عن ذلك فلا يبوح (٢) له بشيء من أمره ، وكون الدعوة اليه باليمن والمغرب .

وتقدم الامام الى جعفر الحاجب وامره فاشترى له غلاما سماه صندلا ، وكانت له شجاعة رزقه الله بها الشهادة مع القائم عليه السلام ، واشترى لمولانا القائم عليه السلام ، عبدا أسماه مسلما ، واستعد لما يجري عليه من الامتحان له ولولده عليهما السلام ، حتى كأنه يعلم ذلك ، وذلك مما علمه الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وانتهى علمه الى آله عليهم السلام . واقام الامام عليه السلام ، في سجلماسة ، وكتب دعاته تصل اليه ، وابو عبد الله يعلمه مما يهيء الله له من النصر على الاعداء ، وعلو الامر للاولياء ، وان ذلك ببركة أيامه واقبال دولته ، وظهور مملكته ، وكان لليسع أخ لعين سيء الاخلاق فما زال باليسع يخوفه (٣) أمر المهدي عليه السلام ، حتى حمله على أن ضيق عليه، وتركه في داره التي كان بها لم يبرح منها ؛ وفرق بينه وبين ولده الامام (١٨٩) القائم بأمر الله عليهما السلام . ونقله الى دار أخرى، واخذ جعفر الحاجب وطيب وأبا يعقوب القهرمان فرمى بهم في السجن ، ونالهم بالاذى والضرب ، وحمى الله منه المهدي عليه السلام وولده ، فلم يكن منه اليهما غير أن تواعدهما وفرق بينهما ، وأما جعفر الحاجب وأصحابه فانهم تعرضوا للشدة (٤) والاذى ، حتى قال جعفر : لقد استدعيت السجان وطلبت منه (٥) ماء لاشربه ، فكان جوابه أن رمى فمي بفهر كسر به اسناني ، وسقاني من دمي ، وضرب القصب تحت اظفاري .

وحين استقر أمر ابي عبد الله برقادة وهيأ فيها ما اراده ، لم يكن له هم ولا شغل الا الخروج الى سجلماسة لانقاذ (٦) الامام عليه السلام ، من

---

(١) اليسع بن مدرار : يسع بن مدراه في ج

(٢) يبوح : يباح في ب (٣) يخوفه : خلفه في ج

(٤) تعرضوا للشدة : لقبوا المشدة في ب

(٥) وطلبت منه : سقطت في ج (٦) لانقاذ : لاستنقاذ في ج

اضداده ، وتخليصه من اهل عناده ، فاستخلف على افريقية ابا زاكي تمـــام ابن معارك ، وترك معه اخاه ابا العباس محمد بن زكريا ، وخرج ابو عبد الله من افريقية يريد الى سجلماسة ، في شهر رمضان من سنة ست وتسعـين ومائتين (١٩٠) ومعه أكثر كتامة واهل الحرب من رجال افريقية وابطالـــها . وابقى مع ابي زاكي روابط في سائر البلدان .

واخذ ابو عبد الله الجادة ولم يعدل الى بلاد كتامة واهتز (١) اهل المغرب لخروجه ، ومالت القبائل عن طريقه ، وخافتزناته ان يوقع (٢) بهاء وكان قد توعدهم لقتلهم الرسل الذين قدمنا ذكرهم حين رجعوا اليه من المهدي بالله ولقيه محمد بن خزر (٣) وهو يومئذ زعيم زناته والبربر ، وسأل الامان فامنه وقومه. بعد أن استخلفه ، قال ابو عبد الله ابن الاسود بن الهيثم رحمة الله عليه : ولما سار ابو عبد الله بلغتنا شوانع كثيرة على العسكر الذين معه ، وكثر خوض الخائضين من اجله ، فلما كانت ليلة الفطر .

دخل ابو زاكي ، وسهل بن كاش ، وابن القديم ، الى ابي العباس اخي ابي عبد الله فسألوه ان يقعد (٤) للناس يوم العيد ويدخلون اليه، فكره ذلك وامتنع منه ، فقالوا له : تعودك (١٩١) مما يجدد الدولة ، وينفي الشناعات ، فانه قد شنع على العسكر باخبار سمجة كرهنا ان نخبرك بها ، وتعمونك للناس يبطلها ، فأجابهم الى ذلك ، وامر باصلاح الاطعمة ، وشراء الغنم ، فلما صلى الناس انصرفوا اليه، ودخلوا مسلمين عليه ، فامر لهم بالطعام فأطعموا ، ووعظهم واسمعهم ووعدهم (٥) بكل فائدة من عاجل الدنيـــا وآجل الآخرة . فانصرف الناس عنه حامدين وشاكرين على ما وهب لهم ، وجدده فيهم ، من المواعظ والخيرات والبركات ، ثم انتصب للدعوة وسارع الناس اليه وشـــد شكيمة المروي الذي اقامه ابو عبد الله للقضاء ، وأمره باظهار قول آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وان لا يظهر احد من كتب مالك وابي حنيفة شيئا ، وقال : اجمعوا امركم واصلحوا ذات بينكم تسعدوا وتصلحوا ويعلوا امركم على غيركم ، فسارع (٦) الناس اليه واجابوا دعوته .

ولما قرب ابو عبد الله من سجلماسة (١٩٢) وانتهى خبره الى اليسع بـــن

---

(١) اهتز : سقطت في ب
(٢) يوقع : يقع في ج
(٣) ابن حزر في ج
(٤) يقعد : يجلس في ج
(٥) ووعدهم : وتواعدهم في ب
(٦) فسارع : فاسرع في ج

مدرار صاحب امرها انه اليه قصد ، ارسل الى المهدي بالله سلام الله عليه ، يسأله عن نسبه وحاله ، وهل قصد ابو عبد الله اليه فأظهر له نسبه صلى الله عليه ، اذ لم يسعه أن يكتمه ، قال : انا رجل تاجر ، وما انا من هذا في شيء ، وذلك انه اتقاه وخافه ، على نفسه فحماه الله ، ودفع عنه يده ، ووقاه كيده .

وارسل ابو عبد الله الى اليسع بن مدرار يعرفه (خبر قدومه) (١) ويسكن ذعره ، ويعلمه أن قدوم مولانا المهدي الى بلده من نعم الله تعالى ان عرف قدرها وادى الى الله شكرها نجا وسعد في نفسه وحاله واهله وماله ، وجميع من في بلده ، وان جهل ذلك فحظه اخطأ وازداد من الله بعدا واستحق منه سخطا، ووجه ايضا ابو عبدالله الى اليسع بن مدرار خادما له شفيعا يعرفه انه ان اخرج اليه امير المؤمنين صرف الجيوش عن مدينته واعطاه مما يرجوه غاية امنيته فامتنع ابن مدرار (١٩٣) وقتل شفيعا الخادم واصحابه. وبلغ ذلك ابا الله فأرسل اليه رسلا اخر منهم محمد حي الشكري ، ويعلى بن ناطيد الرماني. وخوفه وعرفه أنه ان عصي وتمادى في بغيه وامعن في غيه ، أوقع به ، فامتنع ابن مدرار ، وعمد الى الرسل فحبسهم وكبلهم (٣) ، وزاد في الحرس الموكلين بدار المهدي بالله عليه السلام وعذب المأسورين معه من اصحاب الامام عليه السلام .

فاستعان ابو عبد الله بالله سبحانه وعبأ عساكره ودنا من المدينة فخرج اليه ابن مدرار فوقع بينهم القتال ساعة وقتل من اصحاب ابن مدرار جماعة ، واقتحم عليهم العسكر ، ودخلوا معهم الى مدينتهم ، وكان ذلك قرب المساء فخالط (٤) الظلام ، ورجع عسكر ابي عبد الله حيث كان ، فلما جن الليل هرب اليسع بن مدرار في بني عمه واهل بيته ، وبات ابو عبد الله ومن معه طول تلك الليلة فى غم عظيم وهم اليم ؛ لا يعلمون ما صنع بولي الله عليه السلام، (١٩٤) ولم يمكنهم دخول المدينة في الليل ، ولم يعلموا بهرب اليسع حتى اصبحوا ، فخرج اليهم وجوه البلد واعلموهم بذلك ، ودلوهم على مكان المهدي بالله عليه السلام ، فاستخرجوه .

---

(١) خبر قدومه : سقطت في ج
(٢) فامتنع : فامنع في ج
(٣) وكبلهم : وكلمهم في ج
(٤) فخالط : فخلط في ب

وظهر امير المؤمنين المهدي بالله عليه الصلاة والسلام ، وولده الامام القائم محمد بن عبد الله الى أوليائهما وشيعتهما ، فسروا سرورا عظيما استفزهم، وكادت له أن تطيش عقولهم . وقرب لهما فرسان فركبا هما ، وحف المؤمنون بهما ، والدعاة يمشون حولهما ، وابو عبد الله يمشي بين ايديهما ، ويقول للمهدي بالله عليه السلام : هذا مولاي ومولاكم ايها المؤمنون ، ويحمد الله ويشكره ويبكي لشدة الفرح .

وضرب ابو عبد الله للمهدي بالله صلوات الله عليه ، مضربا (١) فجلس فيه، ولما اجتمع بولده القائم عليهما السلام ، لم يكن له هم غير غلمانه الذين كانوا في حبس اليسع ، فتقدم الى ابي عبد الله ان لا ينزل عن فرسه حتى يصلوا اليه، فامر ابو (١٩٥) عبد الله بطلبهم ، وكانوا قد خرجوا (٢) من السجن حين هرب اليسع بن مدرار ، واشتغل الناس بالسلام على الامام المهدي عليه السلام ، وطلبوهم حتى وجدوهم في الدار التي كان فيها الامام عليه السلام .

قال الحاجب (٣) : فلما رآنا ابو عبد الله نزل عن فرسه ونزلنا اليه ، فعانقنا واحدا واحدا ، فأما أنا فاقسم علي براس مولانا ان امكنه مما يريد مني ففعلت ، فكشف عن ظهري وقبل الجراح التي فيه من اثر الضرب ، وأخذ يدي جميعا فقبل اظفاري وعيني جميعا ، وقبل ظهر طيب وعينيه (٤) ، ولم يقبل من ابي يعقوب شيئا ، ومشى معنا الى مضرب الامام عليه السلام ، ونحن معه ، فاذا القائم عليه السلام، على باب المضرب، قائم ينتظرنا، وكأنه القمر الطالع (٥) ، فلما رآنا استبشر بنا وضحك الينا، ودخل معنا الى أمير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام ، فوجدناه جالسا على سريره وسط المضرب كأنه الشمس (١٩٦) المنيرة (حسنا ونضارة) (٦) فقلبنا الارض ونحن نبكي وهو يضحك ويسجد لله سبحانه ويحمده ويشكره ويمجده . ثم قال لصندل : هات الحلتين (٧) اللتين عزلتهما في التحت الفلاني فأتاه بها فلبس

---

(١) مضربا : فازة في ج (٢) خرجوا : خرج في ج

(٣) سيرة جعفر الحاجب صفحة (٧٦ ، ٧٧) نسخة خطية في مكتبة المحقق الخاصة .

(٤) وعينيه : سقطت في ج (٥) الطالع : الساطع في ج

(٦) حسنا ونضارة : سقطت في ج (٧) الحلتين : الخلعتين في ب

واحدة وكسا القائم عليه السلام ، الاخرى ، ثم قال : هات السيوف والثياب التي عزلتها (١) لهؤلاء . قال جعفر : فبدا عليه السلام ، بداعيه ابي عبد الله فكساه بيده وعممه وقلده سيفا ، ثم دعاني فخلع علي ثوبا تحته ثوب ديبقي وعمامة (٢) وسراويل وخفا وقلدني سيفا ، وفعل بطيب وابي يعقوب كذلك ، وقلدهم بالسيوف .

قال جعفر : وكان قد أعد ذلك من اول ما خرجنا من سلمية . ثم تقدم الى ابي عبد الله فضرب له مضربا واسعا وفرش فيه فرشا نفيسا ، وتقدم اليه بأن يقدم الناس اليه بالغداة يسلمون عليه على مراتبهم ، فقال ابو عبد الله : القوم يا مولانا فيهم جفاء وهم متشوقون (٣) الى النظر الى مولانا عليه السلام ، فيأمر من يراه من عبيده هؤلاء يقف (١٩٧) على باب المضرب ، وأقف انا للناس ، واقدمهم عشرة عشرة ، فاذا فرغت من الدعاة منهم والقواد ، قدمت من دونهم خمسون خمسين ، ثم مائة مائة ، ثم خمس مائة خمس مائة ، ثم اجزت باقي العساكر بين يدي مولانا مواكب حتى أعمهم بالنظر الى وجه مولانا عليه السلام ، واستكمل سلامهم عليه . فقال الامام عليه السلام : هذا صاحبك الذي طلبت واشار الي . قال جعفر : فلما أصبحنا جلس امير المؤمنين عليه السلام ، على سرير قد جعل له في المغرب ، وكأن الشمس طلعت من عينيه ، ووقف القائم بأمر الله عليه السلام ، عن يمينه ، ووقف أصحاب الامام عليه السلام ، دونه ابو يعقوب (٤) وبشرى وصندل عن يمين السرير ويساره بيديهما مذبتان وهما يذبان (٥) على راس المهدي بالله عليه السلام ، وانا على باب المضرب (٦) قائم على سيفي ، وابو عبد الله (١٩٨) بينه وبين المضرب قدر مائتي خطوة (٧) ، وهو يدعو بأسماء الدعاة والقواد ويقدمهم ، اذا اجتمعت له منهم عشرة ، وقدمهم الى عشرة عشرة ويقول لهم : امشوا على رفق حتى تصلوا الى ذلك الحاجب القائم بباب

---

(١) عزلتها : عزلناها في ج
(٢) وعمامة : عمام في ج
(٣) متشوقون : متلهفون في ج
(٤) ابو يعقوب : سقطت في ب
(٥) يذبان : يذبتان في ج
(٦) المضرب : السماء في سيرة جعفر الحاجب المنقول عنها النص صفحة ٨١ مخطوطة .
(٧) خطوة : ذراع في ج

المضرب . فقال جعفر رحمة الله عليه : ومن ذلك اليوم كنيت بالحاجب (١) فكنت أقدمهم عشرة عشرة يسلمون ويدعون فيبارك عليهم ، ويشكر لهم سعيهم ، ويعرفهم ما أعد الله لهم من جزيل الثواب في عاجل الدنيا وآجل الآخرة . قال جعفر : فما زلنا على هذا يومنا أجمع (٢) ، ثم أقام (المهدي بالله) (٣) بعد ذلك يجلس لهم والعساكر تمر بين يديه قبائل وافخاذا الى ان فرغت العساكر ثلاثة أيام ، وقد كان الامام عليه السلام ، أمر ابا عبد الله ان يأمر عسكرا لتتبع اليسع ، فمضوا في اثره حتى اخذوه ، ووجدوه في بلاد السودان فأتوا به وبأصحابه (٤) أسرى الى أمير المؤمنين سلام الله عليه . وسئل القائم عليه السلام المهدي بالله (١٩٩) عليه السلام ، ان يهب له اليسع ففعل وعفا عنه ، وحمل مع العساكر المنصورة فلم يأكل ولم يشرب ولم يكلم احد حتى مات . وأقام الامام عليه السلام ، بسجلماسة اربعين يوما ، ثم نهض الامام عليه السلام ، بالعساكر يريد أفريقية .

وكانت أخبار أبي عبد الله قد انقطعت عن أفريقية ، وارجفوا به ، وكثرت الاشانيع عليه . فلم يكن بأوشك من (ان قدم عليهم) (٥) البريد بفتح سجلماسة ، وبما كان من أمر أمير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه وبكتاب من أبي عبد الله (ونص الكتاب) (٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم (٧)

أما بعد فالحمد لله الهادي الى توحيده بآثار صنعته ، والداعي الى معرفته

---

(١) يقول جعفر الحاجب : وكنت اول من خدم المهدي بالله لما افضت الخلافة اليه .

(٢) اجمع : كله في ج (٣) المهدي بالله : سقطت في ب

(٤) يقول القاضي النعمان في افتتاح الدعوة : ان المهدي امر بضرب اليسع ابن مدرار بالسوط ، فضرب اربعين سوطا وطيف به في العسكر والمدينة .

(٥) ان قدم عليهم : قدوم في ج

(٦) نص الكتاب : نسخة عن ما فيه في افتتاح الدعوة للقاضي النعمان صفحة ٤٤٨ مخطوطة .

(٧) في افتتاح المدعوة للقاضي النعمان : بسم الله الرحمن الرحيم وبه عوني وعليه توكلي صفحة ٤٤٨ مخطوطة .

ببراهين حجته ، الذي (١) سبقت مشيئته (وجرت حكمته) (٢) باعزاز أوليائه الذين نصروا دينه ، وقاموا بحقه ، واذلال أعدائه الذين عندوا عليه وكفروا نعمته ، ولم ينتصب (٣) لاوليائه ناصب الا كان طاعنا في الدين (٢٠٠) الذي (٤) نصروه ، وعدوا للحق الذي أقاموه ، لانهم يقدمون الحجة أمام سيوفهم ، والدعاء قبل مناجزتهم ، والاناة دون معاجلتهم (٥) ثقة منهم بأن المحجوج من فارق سبيلهم ، والمغلول من خرج من جماعتهم ، فالاناة تظهر حقهم ، وتكشف باطل اعدائهم ، فمن عاد الى الحق تلذوا بالقبول أنابته ، ومن أصر (٦) على باطله ناجزوه بعد اقامة الحجة عليه ، ولم يجعل الله عز وجل لمصر اقالـة ولا لمعاند مقيم على الذنب توبة ، بل يحل بأسه ونقمته به والله اشد بأسا واشد تنكيلا .

وقد كنت قصدت سجلماسة على بعد شقتها (وتراخي مزارها ، ووعر سبيلها) (٧) لاقضي حق الله جل ذكره وأؤدي فريضة من فرائضه ، واظهر حجة من حججه في أرضه ، واستنقذ ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من بين اوباش وطغام ، طلبا لرضوانه وزلفى لديه ، فلما دنوت منها قدمت الامان الى الخائن(٨) اليسع بن مدرار كعادتي في البلدان ، ونويت اخذ حاجتي منها ، والانصراف عنها ، من غير ان اهيج فتنة (٢٠١) او اثير غبارا . فكتبت اليه كتاب الاخ الى اخيه استعطفه وأؤمنه وادعوه الى عقد الاخاء بيني وبينه في اخراج ابن رسول الله صلى الله وعلى آله ، رغبة في الابقاء عليه وعلى مؤازرته ، وحفاظا لما ضيعوه فمنع الخائن جانبه ، وقطب حاجبه ، فاظهر الانفة من دخول رسلي اليه (٩) ، وامر بقتلهم خلافا لسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الائمة (١٠) وما جرت به العادات في جميع الملل من ترك العرض بالمكروه للرسل . ثم استظهرت الحجة عليه ، واعدت

---

(١) الذي : الذين في ج

(٢) وجرت حكمته : وجرى حكمه في ج

(٣) ينتصب : ينصب في ج — (٤) الذي : الذين في ج

(٥) معالجتهم : مقابلتهم في ج — (٦) اصر : اقام في ب

(٧) وتراخي مزارها . ووعر سبيلها : وانتزاح مداها في ج

(٨) الخائن : سقطت في ج

(٩) اليه : سقطت في ج — (١٠) الائمة : سقطت في ب

رسلا اليه طمعا في اجابته ورجوعه الى ما هو اسلم له واعود عليه ، فاعتقل الرسل في المطابق وثقلهم بالحديد ، وحبس ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في اضيق المحابس ووكل به الحرس ومنع من ادخال الطعام اليه فبقي بأبي وامي في المحبس (١) اياما مواصلا (٢) الصيام لعدم الطعام ثم استصغر (٣) فعل نفسه في حبسه اياه في ذلك المحبس فنقله الى اضيق منه وتواعده بالقتل (٢٠٢) طلبا منه لدخول (٤) رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، فبعثت اليه رسلا اعده بالاحسان والامكان عن الحرب والانصراف عنه من غير أن أشرب من ماء مدينته ، فكلما ازددت الحاحا في طلبه زاد الحاحا في الامتناع (مما حاولته منه) (٥) عتوا على الله واصرارا على الكبائر واستكبارا وجهلا وخسارا ، فخسر الدنيا والاخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

فلما رايت ما عزم عليه الخائن من محاربة الله في ولد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وامل فيه أملا كاذبا ، ولله فيه وعد صادق ، وظن فيه ظنا خائبا ، ولله فيه قضاء نافذ ، وابى الا التسكع في جهالته ، والتوسع في ضلالته ، وآثر في اطلاق الحرب من عقالها ، واثارة غبارها ، فهززت اليه انصار الحق ، وحملتهم على مناجزته ، فوجدت نياتهم بالله مستحكمة وبصائرهم نافذة في محاربته ،فدلفت بهم اليه مستنجزا ما وعد الله اولياءه في اعدائه ، وجالت الخيل جولة وعاودت كرة بعد كرة عليهم طعنا بالرماح وضربا (٢٠٣) بالسيوف ورشقا بالسهام ، فلما مس الفسقة الم القتل والجراح وادوات الحرب عليهم رحاها ، (وكلمتهم انيابها ، وعلموا) (٦) أن ليس لهم من الله عاصم ، ولا من اوليائه موئل (٧) ، ولوا منهزمين على اعقابهم ، واخرج الفاسق الخائن راغما ما كنت طلبت منه راغبا ، وحجر الظلام بيننا وبينهم ، ثم عاودهم (٨) انصار الحق من غد فأخرجوهم ، وتحكم الاولياء في مدينتهم ، واضرموا نار الحرب فيها ، وجاسوا ديارها ، واتخذ الخائن الليل سجفا فهرب تحت ظلامه على وجهه الى بلد السودان لا يلوي على اهل ولا ولد (٩) ، فمنعت

---

(١) المحبس : الحبس في ج
(٢) مواصلا : يواصل في ج
(٣) استصغر : استشعر في ج
(٤) لدخول : لدخول في ج
(٥) مما حاولته منه : سقطت في ب
(٦) وكلمتهم انيابها : سقطت في ج
(٧) موئل : سقطت في ج.
(٨) عاودهم : عاودوهم في ب
(٩) ولا ولد : ولا مال في ج

حرمته وصنتها ، واسدلت ستر العفاف (١) عليها ، احتسابا لثواب الله . ثم تفوت اثر الخائن بنفسي في طلبه عشرة أيام حتى أمكن الله منه بلا عقد ولا عهد، فأتيت به في وثاق الى ولي الله ليكون عظة لاهل الشقاق وعبرة للعالمين ، والحمد لله المعز لدينه ، المكرم لاهل حقه ، الذي وصل اسباب السعادة بطاعته ، وجعل عاجل الفتح (٢٠٤) والظفر وآجل الثواب والفوز لاوليائه، فان جادلوا كانت الحجة لهم ، وان حاربوا كان النصر معهم ، حمدا قاضيا لحقه ، موجبا لمزيده . وأمير المؤمنين ولي الله وابن رسوله على افضل ما جرت به عادة الله الجميلة عنده في نفسه وولده وأنصار دولته ، وهو قادم على بركة الله وسعادته ونصره وتأييده ، والسلام .

فلما وصل كتاب أبي عبد الله هذا الى ابي زاكي وقراه امر به ان يقرأ على المنبر فقرأ ، وسر الاولياء سرورا عظيما ، وابطل الله شناعات المشنعين وكذب قول المرجفين . وسارت بذلك الاخبار في البلدان وبشرت (٢) بظهور المهدي بالله سلام الله عليه ، فسر به الولي ، وكبت العدو واستبشرت عامة الناس وانتظروا قدومه وتطلعت اليه اعينهم ، وتشوقت له قلوبهم .

وقد كان وصل الى أمير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام ، اهل ذرعة ، والسوس الاقصى ، ومن الاطراف وهو بسجلماسة أيام مقامه (٢٠٥) فيها، يهنئونه بالفتح ويسلمون عليه ، واقام رجلا يقال له ابراهيم بن غالب عاملا في سجلماسة (٣) ، ورحل عليه السلام يريد أفريقية يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم سبع وتسعين ومائتين ، ونظر بعض المنجمين أوان مسير أمير المؤمنين عليه السلام ، والطالع القوس ، والشمس في الميزان ، والمشتري راجع في الحمل ، والمريخ في السنبلة ، والزهرة في العقرب ، وعطارد في العقرب ، والراس في الجدي تسع وعشرون درجة ، فقال المنجم للامام عليه السلام : وقد ركبت في هذا الطالع يا مولانا لو أخرت السير لرجوع صاحب الطالع وقوة المريخ . فقال صلوات الله عليه : السير على اسم الله، ونصره عز وجل ، والمريخ والدولة لنا وسار ولم يعج على قول المنجم .

---

(١) العفاف : العافية في ج (٢) وبشرت : سقطت في ج

(٣) يقال بان سكان سجلماسة انقلبوا على هذا العامل في السنة نفسها وقتلوه ومن كان معه من الشيعة ومن كتامة وولوا على انفسهم واسول بن الامير بن مدرار . البيان ١/١٥٦ .

وكان أحمد بن حرز الزناتي وصل الى تاهرت واختطف منها ما قدر عليه ؛ وولى هاربا ، وعلم ذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، حين وصوله الى تاهرت ، فانفذ اليه (٢٠٦) بعض الاولياء ، فولى منهزما ، وأدركوا من ادركوا من اهل بيته ، وغنموا اموالهم ، ورحل صلى الله عليه وآله ، من تاهرت بجنوده وانصاره واوليائه حتى نزل بتامقلت ، فأمر باخراج الجيوش اليمدنية فخرجوا اليهم وهم في أوعار منيعة وجبال رفيعة ، فدخل الاولياء عليهم ووضعوا السيف فيهم ، فقتلوا اقبح قتل ، ورحل الامام عليه السلام ، من تامقلت فنزل مكايت ، وحين صار عليه السلام بازاء بلد كتامة مال اليها ، ووصل الى ايكجان وامر باحضار الاموال التي كانت بأيدي الدعاة والمشايخ ، وكانوا قد دفنوها هناك (١) ، فأحضروها اليه فأمر بقبضها منهم وشدها احمالا ، وكان ذلك أول ما خامر القلوب لما قد القوه وعودوه ، من كون الامر والنهي ، والتقديم والتأخير في أيديهم ، وقد جاء الحق وبطل ما كانوا يعملون . ولما وصل ولي الله الى ايكجان امر ابا (٢٠٧) عبدالله أن يكتب كتابا الى أبي زاكي يعرفه فيه بوصوله فكتب ابو عبد الله كتابا وانفذ به ، فلما وصل قرىء على المنبر برقادة ، وكانت نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد . فالحمد لله ناصر دينه ، ومعز وليه ، الذي اظهر دينه على سائر الاديان ، ووليه على من ناصبه من أهل الظلم والعدوان ، وكتابي هذا اليك من ايكجان دار الهجرة ومستقر الايمان ، وقد وصل الامام مولانا وسيدنا الامام المهدي بالله صلوات الله عليه وولده ، بلغ الله به افضل آماله اليه في جميع أوليائه الذين كانوا معه من المؤمنين ، أحسن وصول واهنأه واسره وارضاه ، فأضاء (٢) لتدومه دار الهجرة ، وسر المؤمنين والمؤمنات الذين خلفهم العذر عن الجهاد ومن كنا ائتمناه لضبط المكان به ، واقبلوا من كل حدب ينسلون اليه ، ومن كل افق يسعون نحوه ، يتبركون (٣) (٢٠٨) بالنظر اليه ويستشفون (٤) برؤيته ، ويحمدون الله تعالى على أن بلغهم انجاز وعده ، وظهور أمره ، وبادروا اليه (٥) بأمانات الله التي في ايديهم وخرجوا من حقوق

---

(١) هناك : هنالك في ج
(٢) فاضاء : فاضاءت في ج
(٣) يتبركون : يتباركون في ج
(٤) ويستشفون : ويستشفعون في ج
(٥) اليه : سقطت في ب

الله عليـــهم لـــه .

وضعت الحرب بحمد الله أوزارها واطفأ الله نارها ، واهلك من أثارها . وفرق الله أنصارها . وامير المؤمنين على النهوض الى افريقية ، ويقدر بتقدير الله وتوفيقه وعونه وتيسيره ان يكون وصوله يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين ، فاعلم ذلك وكن على أهبة منه ومن قبلك ، واحمدوا الله على ما أولاكم من ذلك وأن فسح لكم في آجالكم الـى أن بلغتموه ، وارغبوا اليه في تمام ذلك لكم (١) بالنظر الى مولاكم ورضاه عنكم والسلام .

فلما وصل الكتاب بذلك وقرىء (٢) وانتشر الخبر به تضاعف (٣) سرور الاولياء ، وانقطعت الشناعات وذهبت الاراجيف ، واستعد الناس وتأهبوا للقائه ، و (٢٠٩) تاقت نفوسهم واستشرفت للقائه ، وكان مقام الامام عليه السلام في ايكجان عشرين يوما حتى اصلح من أمور البلد ما اراد ، واستعمل يحيى بن سليمان الملوسي على الزاب ، وامر كثيرا من المؤمنين برفع عيالاتهم الى رقادة ، وسار صلوات الله عليه فتلقاه الناس ، وخرج للقائه ابو زاكـي تمام بن معارك ، وابو العباس ، وجميع الاولياء ، واهل القيروان في جموع لا تحصى عددا ، يسلمون عليه ويهنئونه .

قال ابو عبد الله بن الاسود بن الهيثم وكان مقيما مع أبي العباس بعد خروج ابي عبد الله وهو ممن دعاه ابو عبد الله فاستجاب له وكان من اهل بيت تشيع وفيه فضل وله عقل ، وبحث وبيان ونظر في الفقه ، وكان قد اخذ كثيرا مـن ظاهر علم الائمة وباطنه عن أبي عبد الله ، واقام مع ابي العباس بعد مسـير ابي عبد الله فاستفاد من علمه ، وكان من اهل الفضل وبلغ مع الائمة عليهم السلام مبلغ (٢١٠) الدعاة ، فقال فيما اتى عنه : ورد كتاب أبي عبد الله الى اخيه ابي العباس ، والى ابي زاكي بوصول مولانا عليه السلام ، الى ايكجان موطن الدين ، ومعدن الايمان ، فتجهزوا للخروج اليه فانفلق الصباح (٤) وظهر الفجر وجاء النهار وذهب الليل ، وابتهجت النفوس ، وانارت القلوب ، بالورود خبره ، فيالها من فرحة لا تنسى ، وضياء لا يطفى ، ونور لا يخفى ، ذلك الذي

---

(١) لكم : سقطت في ب
(٢) وقرىء : قوي في ج
(٣) تضاعف : فتضاعفت في ج
(٤) الصباح : الاصباح في ج

لم يخف فضله ، وجاء الحق ، وزهق الباطل ، وغارت النجوم ، واظهر امر الحـي القيوم .

فخرج ابو العباس وخرجنا معه فلقي الامام عليه السلام ، بفج سنبـة . فلا انسى طلعته السعيدة وبهجة نوره ، وضياء وجهه ، وعلو قدره ، وكمال خلقه ، وبهائه في فخره ، فلو قلت : ان الانوار المضيئة خلقت (١) من فضل نوره ، لقلت حقا يقينا وصدقا مبينا . فنزل ابو العباس اليه ، وقبل الارض وتمعك بين يديه ، ونزل اليه اخوه ابو عبد الله و (٢١١) جميع الاولياء من كتامة وغيرهم من اتباعهم ، ولم يبق راكبا الا امير المؤمنين صلوات الله عليه، الشمس المنيرة ، ومولانا ابو القاسم القمر الزاهر ، والنور الباهر ، منهمـا وعليهما السلام ، نور الدنيا ، ومولانا ابو القاسم خلف أمير المؤمنين صلوات الله عليهما ، فسلم ابو عبد الله على اخيه ، وقربني (٢) ابو عبد الله الى مولانا عليه السلام ، وقال له : يا مولانا هذا الذي عرفتك بخبره بسجلماسـة ، وتكلم ابو العباس وشكر واثنى ، قال : فلا انسى قول مولانا صلوات الله عليه، احسن الله اليك ، وبارك لنا فيك ، وشكر سعيك ، انتم شيعتنا حقا ، واهل ولايتنا ، ومن احبنا قديما .

ثم ركب الناس وحرك امير المؤمنين عليه السلام ، دابته للمسير ، وقرب ابا العباس الى نفسه ، وامرنـي بمسايرتـه ، فاشرقـت الارض بنوره ، وشرفت (٣) الدنيا بحلوله ، وفضل المغرب بكونه ، وملكه اياه . وكان دخول مولانا المهدي (٢١٢) بالله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمـين ، مدينـة رقـادة مـن البـاب القبلـي لاحـدى عشـرة ليلة بقيت من شهـر ربيع الاخـر من سنة تسـع وتسعين ومائتيـن ، فنزل القصر المعروف بأبي الفتح ، فاستقر الملك على ساق ، وظهـر نور الله في الافاق ، وزالت دولة اهل النفاق ، وجرى الامـر على احسن الانتـظام والاتفاق ، وقر الامر في قراره ، وقضى الله لدينه بعز أنصاره ، وزال ظلـم اهل العدوان ، وارتفعت راية الاسلام والايمان ، وطلعت الشمس من مغربها، وظهر (٤) على رأس الثلاثمائة كما وعد النبي صلى الله عليه وعلى آله بها ،

---

(١) خلقت : خلق في ج
(٢) وقربني : وقر في ب
(٣) وشرفت : واشرفت في ج
(٤) وظهر : وظاهر في ب

وزالت الظلمة التي شملت الامة بغيبة النبي والوصي ، وخفتكل مارد عصي، واقبل الدين بوجهه الرضي ، واشرقت الافاق بنوره الوضي ، ، وعاد زمن الاسلام جديدا ، وارغم الله من كان (١) لاوليائه عنيداً .

ولما كان يوم الجمعة (٢١٣) من غد يوم وصول أمير المؤمنين الى دار مملكته ، وما افاء الله عليه به من عز دولته ، اخرج الامام سلام الله عليه توقيعا امر بقراءته على المنابر في الامصار ، وانفذ به الى خطباء رقادة والقيروان وأمرهم (٢) بالدعاء به بعد الصلاة على النبي محمد المختار ، وذكر وصية امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والائمة من ذريته الاطهار ، كما كان في الخطبة اوان ابي عبد الله رحمة الله عليه ، ويقال بعد ذلك : اللهم صل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك ، عبد الله ابي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين ، كما صليت على آبائه خلفائك (٣) الراشدين المهديين ، الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون، اللهم وكما اصطفيته لولايتك ، واخترته لخلافتك ، وجعلته لدينك عصمة وعمادا ، ولخلقك (٤) موئلا وملاذا ، فانصره على أعدائك المارقين ، واشف به صدور (٢١٤) المؤمنين ، وافتح له (٥) مشارق الارض ومغاربها ، كما وعدته ، على العصاة الظالمين ، اله (٦) الخلق رب العالمين .

وكتب أمير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه ، كتابا أمر بأن يقرأ (٧) على منبر القيروان ، ووجه بنسخته الى البلدان ، وهذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين (٨)

(والحمد لله رب العالمين) (٩) من عبد الله ووليه (١٠) ابي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين الى اشياعه من المؤمنين وجميع المسلمين : سلام عليكم ، فان أمير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلي على محمد نبيه (١١) وعبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله .

---

(١) لاوليائه : لولاته في ج
(٢) وامرهم : وامر في ج
(٣) خلفائك : سقطت في ج
(٤) لخلقك : لبريتك في ج
(٥) وافتح له : وانفح له في ب
(٦) اله : سقطت في ج
(٧) بأن يقرأ : بقرائته في ب
(٨) وبه نستعين : سقطت في ج
(٩) والحمد لله رب العالمين : سقطت في ج
(١٠) ووليه : سقطت في ب
(١١) نبيه : سقطت في ج

أما بعد ، فالحمد لله الذي رفع عمد (١) الحق واعز اهله ، ونكس الوية الباطل ، وأذل حزبه ، القادر فلا يعارض في قدرته ، العزيز فلا يغالب في أمره ، الناصر لدينه الذي رضيه لنفسه ، وشرفه بأكرم انبيائه عليه وأعلاهم درجة عنده ، وأشرفهم منزلة واقربهم وسيلة لديه ، محمد صلى الله عليه ، وعلى آله ، حامل حكمته ، و (٢١٥) مستودع غيبه ، وما يكون بعده من كيد الكائدين ، وخيانة الخائنين ، وظلم الظالمين لاهل بيته الى ما (٢) سبق من وعده له فيهم بالنصر والتأييد ، والعز والتمكين ، كما قال تعالى في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل حيكم حميد : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » (٣) وقال (جل ثناؤه واسمه) (٤) : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون . ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين » (٥) . فانجز جل جلاله (٦) وتقدست اسماؤه وعده لرسوله صلى الله عليه وآله اجمعين برد (٧) ارث النبوة ومقاليد الامامة الى عترة نبيه ، واعز الدين والمؤمنين وايدهم (٨) وانقذت من الهلكة (٢١٦) في كل سكون وحركة بعبد الله ووليه أبي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين ، وأظهر بهجة الاسلام وجماله بقيامه واخذ (٩) تراث جده محمد النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وأبيه الوصي رضوان الله ورحمته عليه ، وجعل أولياءه وانصار حقه أولي البصائر النافذة (والنيات الصادقة) (١٠) من سادات العرب وانجاد كتامة ، فالقت عصاها الامامة في دارها ، وقرت عينها ، وانست وحشتها ، واستقر قرارها ، وصار امير المؤمنين طودا منيعا وجبلا راسيا على الارض وظلا ظليلا لاهلها ، فثبت به (وطأة الهدى ،) (١١) وسكن اليه نفور التقوى ، وتقوم به ما

---

(١) عمد : علم في ج

(٢) الى ما : الذين له في ب

(٣) سورة : ٢٨/٥،٦

(٤) جل ثناؤه واسمه : سقطت في ج

(٥) سورة : ٢١/١٠٥،١٠٦

(٦) جل جلاله : جل ثناؤه في ج

(٧) برد : فريد في ج

(٨) وايدهم : سقطت في ج

(٩) اخذ : اخذه في ج

(١٠) والنيات الصادقة : سقطت في ج وفي افتتاح الدعوة صفحة ٤٧١ .

(١١) فثبت به وطأة الهدى : فثبتت به وطأة الهدي في ج

كان متأودا من عودها (وتوطد ما كان بها متخلخلا من قواعدها) (١) وانبرم ما كان منحلا من حبلها ، واجتمع ما كان مفترقا من شملها ، وتلاءم ما كان متشعثا منها ، ببركة أمير المؤمنين ويمن نقيبته ، وسعد نجمه ، وشرف ريحه ، فداوى الاسلام من الداء العضال ، ورتق من فتوقه ما كان منخرقا ، وجبر من (٢١٧) كسره ما كان لا يجبر ، ولاءم من صدعه ما كان لا يلاءم ، فهو مفتاح الرحمة ودليل الخير ، ذبا عن الحق وحياطة للدين وعناية بأمور المسلمين ، وبعد نظر فيما يقطع به اماني المبطلين ، والحمد لله رب العالمين . فلم يحاول أمير المؤمنين عسيرا والحمد لله الا يسره ، ولا صعبا الا ذلله ، ولا وعرا الا سهله ؛ فاصبحت الكلمة مجتمعة ، والالفة متصلة ، والدهماء ساكنة ، وقواصي الارض وادانيها آمنة ، ووليه عزيزا ممنوعا ، وعدوه ذليلا مقموعا ، وكل من قدح بزنده ، واحتطب في حبله ، فمحكوم له بالنصر ، ومقضي له بالظفر . وكل من نكب (٢) عنه ، وخان امانته ، ونقض عهده ، وخفر ذمته ، فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه واطلاق الفتنة من عقالها ، (وكل من اوقد عليه الحرب احرقته بنارها ، وكلمته بأظفارها) (٣) وكل من تمسك بطاعته فقد تمسك بالعروة الوثقى ، وفاز في الاخرة والاولى ، وكل من التمس وليجة غيرها فقد خسر الدنيا والاخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، فاحمدوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين واختصكم ببركة ايامه (٢١٨) وسعادة دولته ، فلتنبسط آمالكم ، وليكثر بالثقة بعدله استبشاركم ، ولتنفسح بالمعرفة بحسن نظره صدوركم (٤) ؛ فانه لا يتصل بين الله وبين عباده سبب الا بمحبة آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، قال الله جل ذكره : « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » (٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله : ان مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وجددوا الشكر لله على ما منحكم من رأفة أمير المؤمنين ورحمته ، وتعاهده لاموركم وتغمده لكم ، فان الشكر احرس (حفيظة للابس نعمه) (٦)

---

(١) سقطت الكلمات المحصورة في ج و ب والنص نقلناه من كتاب افتتاح الدعوة صفحة ٤٧٢ .

(٢) نكب عنه : نكث عليه في ج

(٣) سقطت الكلمات المحصورة في ب

(٤) صدوركم : رجاؤكم في ج

(٥) سورة ٤٢: ٢٣

(٦) حفيظة للابس نعمه : سقطت في ب

واحفظ مؤتمن لفواضل منته ، (وابعث مستمد لمؤتنف صنعه) (١) ومواد مزيده . وامير المؤمنين يسأل الله ولي الاحسان والنعم ، والافضال والمنن . أن يصلي على محمد النبي مفتاح الرحمة ، والمبلغ لرسالته ، الذي حباه بجوامع فضائله ، ومزيد كرائمه ، وان يشعر خشيته ومراقبته ، وان ينفذ بالتوفيق عزائمه ، وان يلهمه فيما استرعاه وناط به من امور عباده ، (٢١٩) افضل ما الهم رشدا من خلفائه ، وان يعينه على صالح نيته ، وان يبتليه بأحسن بلائه ويوفقه للعمل بطاعته ، والقيام بحقه ، حتى يقمع الكفر والالحاد ، ويدوخ أطراف البلاد ، وان يجعله خير امام احسن الى رعيته ، ورعيته خير رعية ادت حق امامها ، فان التوفيق به والمزيد من عنده ، والسلام .

فقرأ هذا السجل ودعي لامير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه بالخلافة يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ربيع الاخر سنة سبع وتسعين (٢) ومائتين برقادة والقيروان والقصر القديم ، وجميع البلدان . فاستبشر الناس بذلك وسرهم ، واكثروا من الدعاء له ، صلى الله عليه وعلى آله ، ونقشت السكة باسمه ، وكتبت الطرز باسمه ، وجاءت وفود البلدان من كل جهة ومكان ، وواصل الجلوس للناس ، ورفعت شكاياتهم اليه ، وأزال المظالم ، واقام من الشريعة الغراء المعالم ، وامر باقامة الحدود ، واظهر (٢٢٠) تحريم الخمر ، وسائر جميع المحرمات ، واقام الناس على سنة جده محمد عليه السلام ، وافضل الصلوات .

ووصل الخزري رحمة الله عليه بحرم أمير المؤمنين ، واذن للاولياء فدخلوا اليه وهنأوه بوصوله ، وما هيأ الله من السلامة لهم ، وانشده الشعراء ، وكان ممن انشده سعدون الورجيني الذي اوله :

قف بالمطي على مرابع دور ... لبست معالمهن ثوب دثور
لعبت بها حتى محت آثارها ... ريحان : ريح صبا وريح دبور

---

(١) وابعث مستمد لمؤتنف صنعه : سقطت في ج

(٢) لا ادري كيف جعل المؤلف التاريخ سنة تسع وتسعين النسخة ج بينما القاضي النعمان يقول بانها كانت سنة سبع وتسعين والمقريزي في اتعاظ الحنفا يقول سنة ٢٩٧ . لذلك جعلنا التاريخ سنة سبع وتسعين وهو الرقم والتاريخ الصحيح ولربما جاء التصحيف من النساخ وهذا مؤكد .

حتى انتهى الى قوله شعرا :

وسفيهة هبت تصد عن النوى ... ويد النوى ملكت عنان مسيري
خافت علي من الخطوب لانني ... من قبل غبت بعد دهور (٢٢١)
ثم اجتمعنا بعد ذاك فيا لها ... مأسورة جمعت على مأسور

وكان الورجيني (١) الشاعر المذكور قد أسر ببلاد الروم ، وفدي فاستعبر المهدي بالله صلوات الله عليه حتى انتهى الى هذا المكان من الشعر ، وتلقى عبرته بكمه ، فسكت سعدون فأومأ اليه المهدي بالله أن مر ، فمر فيها حتى (انتهى الى قوله) (٢) :

اعن ابن فاطمة تصدين امرءا (٣) ... بنت النبي وعترة التطهير
كفـي عن التثبيط انـي زائـر ... من أهل بيت الوحي خير مزور

فقال له ابو عبد الله وكان قائما بين يدي المهدي صلوات الله عليه — صدقت هم أفضل العالمين — فقبل سعدون الارض بين يديه ، ومر فيها حتى انتهى الـى قوله : (٢٢٢)

هذا أمير المؤمنين تضعضعت ... لقدومه اركان كل أمير
هذا الامام الفاطمي ومن بـه ... امنت مغاربها من المحذور (٤)
والشرق ليس لشامه وعراقه ... من مهرب من جيشه (٥) المنصور
حتى يفوز من الخلافة بالمنى ... ويفاز منـه بعدله المنشـور

فقال امير المؤمنين صلوات الله عليه . ما شاء الله . ومر فيها الى ان ذكر ابا عبد الله فقال :

يا من تخير من خيار دعاته ... ارجاهم للعسر (٦) والميسـور
حتى استمال اليه كل قبيلة ... ورمـى اليـه قياد كـل عثور

---

(١) سماه المقريزي في الاتعاظ سعدون الورجيلي واورد له خمسة ابيات مـن قصيدته الرائية واولها :

كفي عن التثبيط اني زائـــر ... من اهل بيت الوحـي خير مزور
هذا أميـر المؤمنيـن تضعضعت ... لقدومـه اركـان كـل أمير

(٢) انتهى الى قوله:قال شعرا في ج (٣) تصدين امرءا:تصدير امراء في ب
(٤) مغاربها من المحذور : مغاربنا من المحذور في ج
(٥) جيشه : جنته في ب (٦) للعسر : في العسر في ج

اشبهت موسى وهو حينك التي (٢٢٣) تلقى فتلقف كل افك سحور (١)

فنظر امير المؤمنين صلوات الله عليه الى ابي عبد الله وتبسم ، فقال ابو عبد الله للورجيني : انا دون ذلك ببعد ما بين (السحاب والتراب) (٢) فأمر له امير المؤمنين صلوات الله عليه بصلة جيدة جزيلة ، وكان من شعراء بني الاغلب الذين يمدحونهم ، واجرى عليه امير المؤمنين ووصله ايضا ابو عبد الله .

ومدح امير المؤمنين عليه السلام الشعراء بما يطول ذكره ، واستعمل امير المؤمنين عليه السلام ، وجوه كتامة على مدن افريقية الى حيث بلغت طاعته ، وقسم على كتامة الاعمال لكل عسكر منهم ناحية ، وامرهم بالتزين والتجمل باللباس (٣) فلبسوا خير الثياب وحلوا سروجهم ولجمهم (بالحلي الثقيل) (٤) واظهروا زيا حسنا ، واتسعت اموالهم وكثرت نعمهم (لما أصابوا من الاعمال وملكوا من البلدان) (٥) واسبغ عليهم ولي الله العطاء ، واجرى عليهم الصلات ودون الدواوين وأمر باقتضاء واجب الاموال . (٢٢٤) . واقام ديوان الخراج ، وكان قد احرق ايام هروب زيادة الله ، واصطفى أموال الهاربين مع زيادة الله ، وترك ما كان لنسائهم وأمر بسترهن وحفظهن ، واتخذ العبيد من السودان والروم ، ونصب ديوان العطاء ، وأمر بطلب نهب رقادة ، فاسترجع منه كثيرا من ايدي الناس وطولبوا به ، فاجتمعت منه أموال كثيرة . وخلط وجوه بني الاغلب بأوليائه ، وكانوا قد خافوا جانبه فآمنهم ، وكان وجوههم وكبراءهم يدخلون اليه ممن يدخل فيقربهم ويؤنسهم ، ويحسن اليهم ، واستعمل جماعة منهم في النفوذ بالعساكر لمن كان يصلح لذلك ، فأمنوا واطمأنوا ، وكان صلوات الله عليه كثير العطاء والاحسان ، موصوفا بالكرم . وقيل ان صاحب بيت المال رفع اليه سلام الله عليه ؛ تحصيل ما خرج من الصلات في شهر رمضان وقد بلغ مائة الف دينار من العين ، واستكثر ذلك صاحب بيت المال فقال امير المؤمنين المهدي با لله (٢٢٥) : لئن بلغني الله عز وجل الى

---

(١) فتلقف كل افك سحور : فتدفع افك كل سحور في ج

(٢) السحاب والتراب : السماء والارض في ج

(٣) باللباس : سقطت في ج (٤) بالحلي الثقيل : سقطت من ب

(٥) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ج

حقي وبلغت (١) املي ما رضيت بهذا العطاء بأسره لواحد من اوليائي .

والجود بالمال مما كان يوصف به قديما المهدي عليه السلام ، ومع ذلك كان لا يضيع اقل شيء من المال ولا يستهين به ولا يترك منه واجبا ولا يصرفه في غير حقه ، وكان عليه السلام ، قد قطع الرقاق من وظائف الحرم ،فكشف بعض الناس (٢) عن ذلك ، والعلة فيه ، فقيل له انه دخل غير مرة حجرة من حجرهم فراى منه شيئا قد يبس (٣) وطرح في الارض ، فنهاهم غير مرة فلم ينتهوا فأمر بقطعه عنهم ، فلم يكن عليه السلام ، مع جوده العظيم ، وفضله العميم ، يترك شيئا يوضع في غير موضعه ، ولا يستخف بما آتاه الله من فضله ، وتلك سيرته ، وسيرة آبائه الطاهرين ، وابنائه الائمة الاكرمين ، ومما ورثوه عن جدهم سيد المرسلين . ونظر الناس من حسن سياسة أمير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه ، (٢٢٦) وضبطه الامور ، وعدله ، وكرمه ، ما لم يظنوا انهم يرون مثله ، وانصف من المظالم وكان يباشر سماعها بنفسه ويأخذ رقاع اهلها اذا ركب واذا جلس ويسمع منهم شكواهم وينصفهم ممن خاصمهم (٤) بوجه الحق وسبيل العدل ، فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة وعظم أمره في قلوبهم ، واعينهم ، وراى الناس من فضله وعدله ما انساهم ابي عبد الله ، ومالت قلوبهم الى الامام المهدي بالله عليه السلام ، وأين تقع النجوم من الشمس اذا ظهرت انوارها ، وتمالى نهارها ، وكان ابو عبد الله في جميع ذلك يدين لله بطاعته ويتواضع له ، ويخضع ويعلن بفضله في كل مشهد ومجمع ، ويدل على صفاء نيته ، وخلوص طويته: واعتقاد الواجب عليه في ذلك ، وعلى غيره من أتباع أولياء الله وطاعتهم ، والاقتداء في جميع الامور بهم، ومعرفة فضلهم، وعلو محلهم، الى ان كان ما كان مما نذكره اذا (٢٢٧) انتهينا اليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، نسأل الله العصمة ، والثبات على طاعة أوليائه الائمة ، وان يجعل على ذلك محيانا ومماتنا ، بحق محمد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

واخرج امير المؤمنين ابا عبد الله الى الغرب ، وقد بلغه فساد ، فخرج

---

(١) وبلغت : ونلت في ج
(٢) الناس : سقطت في ب
(٣) يبس : يباس في ج
(٤) ممن خاصمهم : من ظلاماتهم في ج

ابو عبدالله يوم السبت لثلاث خلون من ذي القعدة سنة سبع (١) وتسعين ومائتين ، فانتهى الى طنبة ، ووافى بها ابن حرز الزناتي ، وقد انضم اليه قوم من اهل الخلاف من قبائل كثيرة ، فقتل ابو عبد الله ممن معه ابرح قتل ، وولى ابن حرز هاربا في شرذمة قليلة ، وتفرق (٢) من كان معه وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة :

وكتب ابو عبدالله الى الامام المهدي بالله صلوات الله عليه بخبر الفتح، ووجه برؤوس من قتل في المعركة من وجوه (٣) زناته وغيرهم ، واوقع ابو (٢٢٨) عبد الله بعد ذلك بوسفانة ، ومليلة ، ومدهنة ، وصبارة ، وغيرهم في موضع يقال له ناولن ، وورد كتابه بذلك الى امير المؤمنين صلوات الله عليه ، ونافق اهل تاهرت فخرج اليهم ابو عبد الله بجيوش امير المؤمنين وقاتلهم فقتلهم . وكتب الى المهدي بالله بذلك ، وولى امير المؤمنين عليه السلام في تلك السنة صقلية (٤) وقلورية ، والارض الكبيرة ، الحسن بن احمد بن خنزير الميلي ، فوصل اليها ، واقام فيها ثم نافق عليه اهل صقلية فخرج عنهم ، وزحف ابو عبد الله الى بلد بجوار تاهرت، فتتبع عشائرها ، وقتل منهم قتلا كثيرا ، وكانوا قد باينوا بالخلاف .

وكتب الى امير المؤمنين عليه السلام بخبر ذلك في آخر ذي الحجة ، ثم قصد مدينة تيجس وقد (٥) اجتمع اليها قبائل كثيرة ، فزحف اليها ابو عبد الله في جيوش كثيرة فقتلهم اجمعين ، وغنم اموالهم ونعمهم ، ووصل الى امير المؤمنين (٢٢٩) كتابه بذلك ، وقصد وادي فدعر والحضرا فأوقع بمن فيها وقتلهم ، فسكنت الامور وانصلح الجمهور ، وصلحت احوال تلك البلاد ، وجرت على السداد ، وراح ابو عبد الله بمن معه من الجيوش الى الحضرة (٦) الامامية سالمين غانمين ، وامد الله امير المؤمنين ، وارغم المخالفين والمنافقين ، واعز به الدين ، ثم انه بدا الفساد ورجع كثير الا من عصم الله عن سبيل الرشاد .

وذلك ان ابا العباس محمد زكريا كان قد تطاعم (٧) الرياسة لانه حين

---

(١) سبع : تسع في ج
(٢) وتفرق : وفرق في ج
(٣) وجوه : اوجه في ب
(٤) صقلية : صقلبة في ج
(٥) قد : سقطت في ج
(٦) الحضرة : الخضرة في ج
(٧) تطاعم : طعم في ج

تدم على اخيه ابي عبد الله اكرمه وعظمه ، لما كان له من التقديم في السن، ورياضة في العلم ، وكان أبو عبد الله يجله ، وذلك لما كان أبو عبد الله رحمة الله عليه ، جرى عليه من حسن الادب ، والتواضع ، وصفاء النية وصلاح العقيدة .

ولما خرج ابو عبد الله الى سجلماسة انصرف الامر بأجمعه الى ابي العباس ، واقبل (١) عليه السلام ، فكان المقدم (٢٣٠) والمؤخر ، المورد والمصدر ، وحين قدم المهدي عليه السلام ، مالت اليه العيون ، وانقلبت الى تحقيق فضله الظنون ، وظهر فضله على ابي عبد الله وابي العباس ، بحيث لا يتدانا بظن ، ولا قياس ، واين السحاب من التراب ، وانا يتقارب ذلك بأي الاسباب ، فتداخل ابا العباس الحسد ، ولزمه ما لزم من ضل ، وعند ، فاستزله الشيطان ، وأخرجه من الايمان ، فنكث عهده ، وخان الله ربه ، وفارق حزب الله ، واختار الشيطان وحزبه . فكان يطعن على ولي الله ويزري عليه ، ويوجه اللوم عند اخيه ابي عبد الله واخوه ابو عبد الله يتعاظم ذلك ، وينكره وينهاه عن ذلك ويزجره ، وهو يتمادى في طغيانه ، ويتزايد في اثمه وعدوانه ، حتى جاهر ابا عبد الله فقال له : ملكت أمرا وانطاع لك (جميع الناس) (٢) فجئت بما غير سياستك . ونقصك رياستك ، وقبض عن البسط يدك ، وراى الناس باستقامة أحواله اودك وأسفلك عن ما كنت فيه ، (٢٣١) من رفيع المكان، واضطهدك ولقد كنت حريا ان يملكك ازمة امره ، ويخصك من كل فضل أويته شطره (٣) . فلم يزل يبكته بمثل هذا الكلام ويقرعه، ويوصل معه ما استحكم في قلبه ،ويفزعه، حتى أصغى اليه بعض الاصغاء ، وكاد سحره أن ينفذ فيه ، فيتبعه حين طغى وبغى ، فجاهر ابو عبد الله ولي الله ، فقال له على سبيل الناصحين : اني قد قومت هؤلاء الكتاميين وأجريتهم على ما أردت من التقويم ، وأخذتهم على ترتيب وتعليم ، فاستقام لي أمرهم ، وجلب نفعهم ، ودفع ضرهم ، فلو تركت

---

(١) واقبل : وجاء في ج

(٢) جميع الناس : سقطت في ب

(٣) ظهر بعض الخلاف في التعابير بين ما قاله المؤلف وقاله صاحب افتتاح الدعوة حيث يقول : ملكت امرا وانطاع لك فجئت بمن ازالك عنه واخرجك منه وتنقصك واضطهدك ، وكان اقل الواجب لك ان يدعك وما كنت عليه فتكون الآمر والناهي ويشتغل ان شاء بشغل نفسه دون ان يهتضمك او يقيمك من الذل في مثل هذا المقام. صفحة ٤٩٢ مخطوطة .

لي امرهم . وكنت في قصرك ، وادعا لكان ذلك اهيب لك ، واشـــد لامرك ، واعظم لسلطانك . فلما سمع ذلك المهدي بالله عليه السلام ، وعلم امره ، وما أضمر في ذلك وأسره ، وتحقق من حيث اتي ، وان ذلك من قبل اخيـــه ؛ وانه قد عمل سحره فيه ، وأجابه عليه السلام ، بجواب لطف له فيه القول. ولم يعلمه انه (٢٣٢) قد علم ما يخفيه .

وحين تحقق ذلك ابو العباس زاد في مكره واصراره ، وأمعن في افســـاده لاتباع ولـــي الله وانصاره ، واظهر من النفاق ما كان في اضماره ، فداخل المشائخ والدعاة. وكانوا يعظمونه، لما رأوه من تعظيم أخيه له، وكان يرمز لهم في الطعن على الامام عليه السلام ، والعناد له فيما يبديه ، ويخفيه من الكلام. ثم لما علم قبول قوله خرج من الرمز الى التصريح ، وباح بسره مخرجا له الى الاعلان عن التلويح ، وداخلهم بانه لم يعطهم الامام ما استوجبوه من حقهم بجهادهم واجتهادهم ، وان فعله بهم دون موادهم ، وذكرهم أموال الله التي اخذها الامام من ايديهم ، وانه كان يجب أن يتركها ويصـــرف امرها اليهم ، فأجابه بذلك من أجاب ، فانتشر (١) فيهم النفاق ، ودخل في ذلك جماعة من أهل أفريقية في المساعدة (٢٣٣) على ذلك والاتفاق ، وكل ذلـــك يتصل بأمير المؤمنين ، ممن جانـــب سبيل المنافقين. ومن معه من عبيده ، واهل طاعته ، يبلغه منه ، ثم أن ابا العباس دخل مع ابي عبد الله وغيره على وجه التحذير ، وقال لهم : ان المهدي بالله عليه السلام ، قد علم ما انتم عليه ، وانا لـــكم منه النذير ، فانه لن يدعكم بهذه الحالة ، وانه مهلككم جميعا لا محالة ، فكثر النفاق ، واجتمعت كتامة عليه ، الا من عصم الله وقليل هم (٢) .

وجمع أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، الى غزوية (٣) بن يوسف من بقي من المؤمنين ، ممن جانب سبيل المنافقين ، ومن معه من عبيده، واهل طاعته. وكذلك ابو حليفة في جماعة من المشائخ ، ممن ثبت على اليقين ، وَالِهِ يمـــل عن سبيل المؤمنين ، وباين هارون بن يوسف الذي كان يد شيخ المشايخ (٤) بالنفاق ، واظهر لولي الله العناد والشقاق ، وحمله جهله الى أن اظهر (٥)

---

(١) فانتشر : ففشا في ج
(٢) هم : ما هم في ب
(٣) غزوية : غزونة في ج
(٤) يقال انه الارباني او الاربابي، ولم تسميه المصادر التاريخية .
(٥) اظهر : ابدى في ج

لولي الله (٢٣٤) صفحته ، وقال له : ان كنت المهدي فارنا المعجزات ، فانا قد شككنا فيك ، فأوقفه المهدي بالله عليه السلام ، على فساد قوله من كتاب الله سبحانه من ذم الامم حين سؤالهم انبياءهم ان يروهم الآيات ، وما في ذلك من الدلالات ، وقال له في قوله شكنا في امرك : الم تكن قبل شككك على اليقين ؟ قال : بلى . قال : فان الشك لا يزيل اليقين ، فتمادي هارون في ضلالته ، وتزايد في غوايته ، الى ان اهلكه الله بيد عبيد وليه ، كما اهلك غيره من الاشرار . وكان لهم سوء الدار ، فعند ذلك ازداد ابو العباس في طغيانه ، واستحكم لمن اضله ما زخرفه من بهتانه ، وقال لابي عبد الله وغيره من مشائخ كتامة : انه لم يبق الا أن تؤخذوا بنواصيكم ، ويحكم حد السيف فيكم ، واجتمعوا في دار أبي زاكي تمام بن معارك ، فاجمعوا الآراء وعقدوا العقود ، ونقضوا ما قلدوه من المواثيق والعهود ، واجمعوا على ان يفتكوا بولي (٢٣٥) الله ، وينتزعوا حق الله من يديه ، ويصلوا بما راموه من الطغيان والعدوان اليه ، والله بالغ امره متمم نوره ، وكان يأتي من يأتي باخبارهم الى المهدي بالله أمير المؤمنين ، ويذكر له ما استفزهم به ابليس اللعين ، ثم انهم جمعوا الجموع واحاطوا بقصر الامام عليه السلام ، ليوقعوا به ، فلم يكترث بجمعهم ، ولا هاله ما هم فيه من امرهم ، بل استعصم بربه موقنا انه قد خلصه من اضداده ، وفل عنه شوكة عناده ، ووثق بوعد الله الذي وعده أن يظهره ، والائمة من أولاده ، وفرق الله جمعهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، وكان ذلك من مادة الله التي امد بها وليه ، وهيأ له نصره ، وابان له معجزته . ثم انهم كانوا يدخلون الى المهدي بالله صلوات الله عليه ، وهم يضمرون الفتك به . فيلقي الله الرعب في قلوبهم ويصدهم عن ما راموه من أمرهم ، وتغلبهم هيبته ، ويغل الله عنه ايديهم ، وهو في كل ذلك غير مستعد لهم ولا محتفل (٢٣٦) بأمرهم ، ثقة بالله ربه ، وتوكلا عليه ورجوعا فيما ابداه واخفاه اليه ، راجيا لصادق وعده مستمطرا للنصر والتأييد من عنده .

وكلما انصرفوا من عنده اخذتهم لتركهم اياه الندامة ، وعادوا الى ما كانوا فيه من اضمار المكر لابطال أمر الله الذي اراد تمامه ، وكان اجتماعهم ليلهم الى ابي زاكي لعقد ما أضمروه ، واجالة الراي والحيلة في ان ينالوا ولي الله بالمكروه .

ونظر المهدي بالله عليه السلام الى ابي عبد الله يوما وقد (١) دخل اليه وقميصه مقلوبا ، وذلك لما فيه من الشغل الذي ألهاه أن يشعر بذلك ، وطول السعي فيه ، والدأب عليه (٢) فقال له الامام صلوات الله عليه : يا ابا عبد الله ما هذا الامر الذي اذهلك (وشغلك مثل هذا الشغل) (٣) في أمر نفسك؟ قال : وما هو يا مولاي ؟ قال : ارى قميصك مقلوبا عليك (منذ ثلاث ما اهتديت اليه) (٤) ولا أحسبك نزعته عن نفسك ، فنظر اليه وقال : والله يا مولاي ما علمت به . قال : ان هذا الشغل عظيم ، فأين تبيت منذ كذا وكذا (٢٣٧) من الليالي ؟ فسكت ابو عبد الله ، قال : اليس في بيت ابي زاكي ؟ قال : نعم يا مولاي ، قال : وما اخرجك من دارك التي انزلناك بها الى دار ابي زاكي ؟ قال : يا مولاي خفت على نفسي ، قال : ممن ؟ فسكت ، قال : أمني تخاف ؟ قال : خوفت يا مولاي فخفت ، قال : فهل يخاف المرء الا من عدوه ؟ قال : أعوذ بالله ، فقال له امير المؤمنين عليه السلام : ان المؤمن لا يخاف وليه ، فسكت ابو عبد الله وايقن انه قد بدت عورته ووجبت لله عليه حجته، وانصرف . وعلم القوم بما قاله امير المؤمنين عليه السلام ، فأمسكوا عن الدخول عليه وخافوا منه .

وكان ابن القديم الذي كان عامل زيادة الله قد افسد كثيرا من الناس وغير قلوبهم، ووسوس اليهم واستمالهم، بأموال كثيرة بذلها لهم،وكان امير المؤمنين عليه السلام، قد ولاه ديوان البريد (٥) وامنه، واحسن اليه، فكافاه بالخلاف عليه . وأمر الامام عليه السلام ، بجماعة من الشيوخ الذين (٢٣٨) قد نافقوا فأظهروا البراءة مما قيل فيهم ، واعتذروا مما (٦) تأدى اليه عنهم فرد سلام الله عليه عليهم في ذلك ردا جميلا واخرج جماعة(٧) من وجوههم الى نواحي من البلدان وفرق جمعهم ، وكان فيمن اخرج ابا زاكي الى طرابلس ، وكان عمه ابو يوسف ماكنون بن صبارة عاملا عليها فلما وصل اليه كتاب الامام عليه السلام ، وعرفه بفعل ابن اخيه ابي زاكي قتله صبرا ، وبعث براسه

---

(١) يوما وقد : سقطت في ج
(٢) والدأب عليه : والدواب في ج
(٣) وشغلك مثل هذا الشغل :وشغلك في ج
(٤) منذ ثلاث ما اهتديت اليه : سقطت في ب
(٥) البريد : البربر في ج
(٦) مما : في ما ج
(٧) جماعة : سقطت في ج

الى الامام عليه السلام ، وقتل كذلك جماعة من المنافقين في البلدان ، والقاتلون لهم اخوانهم الباقون على الايمان ، وهرب ابن القديم فاستخفى ثم ظهر فأمر الامام عليه السلام بقتله ، وباء بذميم فعله .

وتقدم امير المؤمنين عليه السلام الى غزوية بن يوسف الهلوسي . وجبر (١) بن تماشت الجميلي ، بقتل أبي العباس محمد بن زكريا فقال جبر لغزوية : ما الذي امرك به مولانا عليه السلام ؟ قال : امرني بقتل ابي العباس، فقال : انا اكبر منك (٢٣٩) سنا ، فخذ من راي ، انقتل ابا العباس ، ويدخل ابو عبد الله الى امير المؤمنين فيبكي بين يديه ، فنقتل رضاء له ، ما هذا براي، لكن افعل ما امرك به امير المؤمنين ، ودعني وابا عبد الله .

وخرج ابو عبد الله وابو العباس من قصر المهدي بالله الى قصر القائم بأمر الله عليهما السلام ، فرمى جبر بن تماشت ابا عبد الله احمد بن زكريا فلم يخطئه فقتله وكانما كان سراجا فانطفى، ورمى غزوية ابا العباس فبقي ساعة من نهار ثم مات، فترحم امير المؤمنين علي ابي عبد الله رحمه الله ، وأمر بدفنه بعد ان صلى عليه .

واما ابو العباس فلعنه الامام عليه السلام ، وباء بما اقترف مخرجا من رحمة الله تحقبا للآثام ، فرحمة الله على ابي عبد الله ، وعلى المؤمنين المجاهدين الصابرين (٢) ، ولعنة الله على الظالمين ، الذين صدوا عن السبيل . ومالوا عن اتباع الدليل ، نسال الله أن يثبتنا على الايمان ، ويعصمنا من اتباع (٢٤٠) اهل الطغيان ، وان يميتنا على طاعة أوليائه الاطهار ، ويختم لنا بأحسن الاعمال ، ويتجاوز عن ذنوبنا انه هو الغفار .

وقد قيل ان الامام عليه السلام ،أمر بقتل أبي عبد الله ثم ترحم عليه ، فان كان ذلك فهو تطهير له ليموت على الطاعة قبل أن يصير في الذنب المحبط للعمل ، وترحم الامام عليه تكفير لذنبه ، وبه يدرك الرحمة والعفو (٣) من ربه ، لان اسائته كانت الى الامام عليه السلام ، فحين عفا عنه لم يلحقه ذنب الشناعة ، وذلك لا خلاف فيه ، ان ما كان بين الله وبين العبد من الذنوب

---

(١) وجبر : وجبرا في افتتاح الدعوة صفحة ٥٠٧ وحبرا في ب وجبر بن نداسب المبلي في البيان ١٦٤/١ .

(٢) الصابرين : الصائرين في ب (٣) والعفو : والاعفاء في ج

واخلص النية في التوبة الى الله والاستغفار ، ولم يتماد على الذنب والاصرار ، فان الله هو يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفار الرحيم ، كما قال في كتابه الكريم ، فأما التبعات التي بين المرء والعباد فلا تغفر حتى يخرج اليهم عنها ، ويبرأ اليهم منها ، واما اولياء الله الائمة سلام الله عليهم ، فانهم آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والشفعاء الى الله ، وبهم وبجدهم (٢٤١) نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، تعتق الرقاب من النار ، وبهم النجاة من العذاب ، والفوز في دار القرار فخاب، (١) لابي عبد الله سعيه واجتهاده، ولم يبطل عند ولي الله فضله وجهاده، بل استغفر له وترحم (٢) عليه، ورضي عنه ووهب له ما كان من اجترامه اليه ، جعلنا الله ممن ادركته الرحمة ، بشفاعة (٣) محمدا النبي وآله الطاهرين ، ولا جعلنا من المائلين عن سنتهم السوي والجائرين .

ولما كان من قتل ابي عبد الله واخيه ما كان اضطرب اهل القيروان ،وثارت بنو الاغلب ، وقد كان امنهم المهدي بالله عليه السلام ، واسبل عليهم عفوه، فذهبت طائفة منهم الى القصر القديم ، وفيه جماعة من الكتاميين فاخرجوا منه الكتاميين ، وقتلوا منهم جماعة (٤) واجتمعت لبني الاغلب جموع عظيمة من سوقة القيروان وغيرهم ، واخرجوا العدة والسلاح والخيل ، وخرجوا على الكتاميين فواقفوهم ساعة ، وخرج يومئذ ابو حليفة (٢٤٢) الكتامي ، واصيب جماعة من الاولياء من كتامة ، فارسل الامام عليه السلام الى كتامة فردهم ، واظهر الانكار عليهم ، فانصرفوا ، واخرج بنو الاغلب فازاتهم واخبيتهم فضربوها خارج القصر القديم مما يلي رقادة بموضع يقال له الهدف (٥) وبرزوا فيها (٦) مجاهرين بالمعصية ، مبتغين للحرب ، فأعرض عنهم ، امير المؤمنين ، ووقفوا كذلك اياما ثم انحل امرهم وتفرق جمعهم ، فرجعوا الى دورهم ، فتركهم الامام صلى الله عليه مدة ، ثم امر بقتل طائفة منهم ، وادخال آخرين السجن ، فمكثوا فيه حتى اخرجهم الامام المنصور بالله سلام الله عليه ، مع اهل السجون ، بعد الفتح ، ثم شجر ايضا بين بعض (٧) اهل القيروان وبعض الكتاميين شربها ، فاجتمع اهل القيروان

---

(١) فخاب : فلم في ج
(٢) وترحم : ورحم في ج
(٣) بشفاعة : بشفاعته في ج
(٤) جماعة : سقطت في ج
(٥) الهدف : الهداق في ب
(٦) فيها : سقطت في ب
(٧) بعض : سقطت في ج

على الكتاميين الذين في القيروان ، وقتل منهم (في ساعة واحدة) (١) زهاء سبعمائة رجل ، وانتهى ذلك الى المهدي ، فقال : ألهم عقد أو رئيس يعزون اليه، او احد في هذا الامر يجتمعون عليه ؛ قالوا: لا يعرف، (٢٤٣) ولا يوجد، فتمثل بقول الشاعر :

احثوا على ديسم (٢) من جعد الثرى ابى قضاء الله الا ما ارى

ثم اتى شيوخ القيروان مع القاضي المروزي (٣) الى الامام فاعتذروا عن فعلهم . فأعرض عنهم ولم (يعجل بالعقوبة عليهم مدة ،) (٤) ثم عاقبهم بعد ذلك في أموالهم عقوبة مثلهم (٥) ، اذ لم يعلم الذين قتلوا فيقتص منهم ، وينفذ أمر الله فيهم ، ولما فرق الله الظالمين ، وقطع شأفة المنافقين ، وأذل المفسدين ، ومكن عبده ووليه المهدي بالله أمير المؤمنين ، عهد أمير المؤمنين الى ابنه القائم محمد بن عبد الله ابي القاسم صلى الله عليهما ، عهده ، واتامه للخلافة بعده ، وكتب بذلك الى شيعته في جميع الافاق ، وعرفهم انه القائم بعده ، ساتيجاب (٦) واستحقاق ، وسماه ولي عهد المسلمين ، وخليفة أمير المؤمنين ، وكان يسر به اذا رآه ويتمثل كثيرا حين يلقاه (٧) :

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين (٢٤٤)

وبقيت من المنافقين بقية قد اجتمعوا الى بلد كتامة ، فاقاموا غلاما حدثا من أخس اهل بيت فيهم ، يقال لهم بنو ماوطنت (٨) من أورشية (٩) فزعموا انه المهدي ونحلوه النبوة وزعموا ان الوحي يأتيه وان الكتب من الله تنزل عليه، ونصبوا له دعاة كدعاة ابي عبد الله ، وقاسوا على ما كانوا يرونه من تربيته، وادعوا ان ابا عبد الله حي لم يمت ، وجاؤوا بكثير من الترهات ، والاقاويل المزيفات . فاجتمع اليهم طوائف كثيرة ، من اوباش الناس وسخائفهم . زحفوا الى ميلة فأخذوها فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام ، اليهم بنطاس

---

(١) في ساعة واحدة : سقطت في ج (٢) ديسم : بسم في ج وهو اسم علم
(٣) المروزي : الروذي في ج
(٤) بالعقوبة عليهم مدة : عقوبتهم في ج
(٥) مثلهم : امثالهم في ج (٦) باستيجاب : فاستيجاب في ج
(٧) حين يلقاه : اذا طلع عليه في ب (٨) ما وطنت : ما وطي في ج
(٩) اوشية : اورسية في ج

ابن أبي الحسن الملوسي (١) في عساكر عظيمة ، وجماعة من رؤساء كتامة ، الى الماوطي المدعي النبوة ، فأوقع به الماوطي ، وهزمهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فأنهض أمير المؤمنين ولده ولي عهد المسلمين ، والخليفة من بعده القائم بأمر الله عليهما السلام .
(٢٤٥) وهو يومئذ لاثنتين وعشرين سنة ، وخرج معه جميع الناس ، وقدم بين يديه عسكرين على أحدهما ابو خادر الملوسي ، وعلى الاخر محمد بن يعلى ، وسار بعدهما القائم بأمر الله عليه السلام ، ففتح قسطيلية لسبعتين من شوال ، والتقى بالماوطي في وادي الزيت من ميلة يوم الاحد لثلاث خلون من ذي القعدة فهزمه ولي عهد المسلمين عليه السلام ، بعد قتال شديد عرفت فيه للقائم بأمر الله صلى الله عليه النجدة .

ولما انهزم اللعين الماوطي انفذ ولي عهد المسلمين خلفه غزوية بن يوسف الملوسي فأخذه بوادي شهر ، ومعه أهل بيته ، فوصل بهم الى القائم عليه السلام ، وهو في ايكجان فقتله ومن معه وكتب القائم بأمر الله الى أمير المؤمنين المهدي بالله عليهما السلام ، بخبر الفتح ، وبما أمكنه الله وظفره من الكافرين ، والمنافقين ، وقمع به أعداء الله المفسدين ، واتصل بالامام المهدي (٢٤٦) بالله ما لاقاه القائم بأمر الله عليهما السلام ، من الحروب والشدة ، فأجابه وكتب اليه هذه الابيات في كتابه :

اتصبح في كتامة ذا انفراد ... تقابلها قيا في قيام
اذا ما وقعة دارت رحاها ... بحزم مفاصل وفلاق هام
اتت اخرى تطم وتعتليها ... يشيب لهولها راس الغلام
وكم من لذة في خفض عيش ... معاذ الله والشهر الحرام
ولكن التجلد لي خدين ... تسني ضاحك والقلب دام
عسى الرحمن يجمعنا وشيكا ... وقد تمت لنا رتب الكرام
فانفع غلتي بك واشتياقي ... اليك بحمد ذي المنن الجسام (٢٤٧)

وبلغ القائم بأمر الله عليه السلام ، أن أهل طرابلس نابذوا بالخلاف

---

(١) يقول القاضي النعمان بانه ارسل القائم في عساكر فقاتلوه فهزمهم حتى انتهى بهم الى البحر وقتل منهم خلقا عظيما صفحة ٥٢٢ ويوافق المقريزي وابن الاثير القاضي النعمان فيما ذهب اليه .

(٢) ماكنون : ماكيون في ج

والعصيان . وجاهروا بالعدوان واخرجوا ماكنون (٢) بن ضبارة ، والملح بن هارون ، القاضي الذي اقامه الامام عليه السلام ، فيهم ، وولوا عليهم رجلا من اهل باغاية اسمه أحمد بن نصر .

قال ابن حوقل البغدادي : طرابلس الغرب . مدينة من الحجر الابيض (١) ذات نصب ، وصلاح ، في اسواقها عمل واسع ، وارتفاع ، وفواكه الرطبة الطيبة ، كالخوخ والكثمرى ، وتحمل منها الاكسية (٢) الـــرزق والســـود الرفيعة ، والمناظر الجمة ، وتحط عليها المراكب من الغرب ليلا ونهـــارا ، ومن الشرق . ولاهلها حسن صور وقصد في المعاش .

فسار القائم بأمر الله عليه السلام اليهم فلما وصل الى طرابلس طـــاف بالحصن فعلم انهم لا ينالون بالحصاد ، والغلات ترد اليهم من البحر على أيدي هوازه . فسار الى هوازة فأوتعبهم وقتلهم . وغنم اموالهم ، وعاد الى (٢٤٨) طرابلس فحاصرها واقام في محاصرتها ستة اشهر ، ثم افتتحها واستخلـــف عليها ابا مديني بن كناوة اللهيصي ، وترك معه حباسة بن يوسف الملوسي . وعاد الى الامام المهدي بالله عليه السلام الى رقادة ، ظافرا منصورا مؤيدا محبورا ، ووافق عليه السلام ، موت الداعي ابي جعفر الخدري (٣) رحمةالله عليه . الـــذي ســـيره امير المؤمنيـــن عليه السلام ، مـــع الحرم مـــن سلميـــة ، فصلى عليه القائم بأمـــر الله سلام الله عليـــه وعلـــى آبائـــه والطاهرين من أبنائه ، ووقف على قبره حتى واروه فيه ، وترحم عليه .

واخرج امير المؤمنين عليه السلام . حباسة بن يوسف الملوسي ، وموسى بن عبد الرحمن الوادني . لخمس بقين مـــن جمادي الاخـــرى سنة احـــدى وثلاثمائة فملكا سرب ، وســـارا الى حذابية فملكاها ، وسارا الى برقـــة ، وبها قائد يقال له : ابو النمر احمد ابن صالح من قبل امير مصر (٤) ، فحين (٢٤٩) دنا حباسة بن يوسف ، وموسى بن عبد الرحمن في من معهما مـــن برقة . هرب احمد بن صالح منها ، ولم يقاتل ، فدخلا برقة وافتتحاها لسبع خلون من شهر رجب ، وكتبا الى امير المؤمنين المهدي بالله عليه الســـلام ، يبشرانه بالفتح ووقفا فيها ، ولما وصل احمد بن صالح الى مصر ارجعه امير

---

(١) الابيض : البيض في ج　　(٢) الاكسية : الاكسية في ج

(٣) ابي جعفر الخدري : ابي جعفر الخزري في ج .

(٤) مصر : سقطت في ج

مصر الى برقة بعساكر عظيمة، وكتب حباسة وموسى الى امير المؤمنين صلوات الله عليه يخبرانه برجوع احمد بن صالح ، ويستمدانه ، فاخرج اليهما سليمان بن كاف الجيلي . وعفيقان ابن كردوس ، في جيش فسارا من رقادة يوم الخميس خلوه من شعبان ، وحثا السير الى برقة ، فضلا عن الطريق فأصبحا وقد وقع ضباب لا يشعر احد بصاحبه ، فما شعرا حتى هجما على عساكر أهل مصر وكان سيرهما على تعبئة (١) الحرب لمن معهما ، فوقع بينهم القتال. وكانت الهزيمة في المصريين ، فلم يثبتوا ، وولوا على أدبارهم .

قال ابن حوقل البغدادي : برقة (٢٥٠) بالفتح مدينة وسطة بين مصر والقيروان ، برية جبلية ، بحرية ، ذات مال جم ، وضروب تجارة وشر ، وأهلها من ترك سعسع فيها ماء المطر ، ذات كور عامرة في بقعة فسحته مسيرة يوم في ميلة ، ويحيط بالبرية جبل من سائر جهاتها ، وارضها حمراء . وثياب اهلها حمراء بدا يعرفون بذلك ، وحولها بربر كثيرا . وذلك في يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان واقام العسكر ببرقة (٢) . ومضت من ذي الحجة ، وكانت طريقه على قابس ، ووصل الى طرابلس لست خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثماية ، ونهض من طرابلس لاثنتي عشرة خلت منه فنزل سرب ، وكتب الى حباسة بن يوسف أن لا يبرح من برقة حتى يأتيه . فلم يصبر حباسة ، بل رأى ان يتقدم ، ورجى أن يكون فتح مصر له ، فسار يريد مصر .

ورحل القائم بأمر الله سلام الله عليه ، من سرب ثالثة صفر ، فنزل احدابية لاثنتين عشرة من صفر ، ووافت (٣) (٢٥١) الى القائم عليه السلام ، كتب من حباسة ، وسليمان ابن كاف ، وعفيقان بن كردوس ، وعامر بن يوسف. يخبرونه بدخولهم الجنية ، وانهزام ابي الدلف القائد الذي كان في الجنية (٤)، من قبل امير مصر ، وخرج المنصوري وابا النمر الذي كان ببرقة ، ورحل حباسة واصحابه ومن معهم من العساكر فدخلوا الاسكندرية بجيوش امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام ، لليلتين خلتا من صفر ، وبلغت خيلهم ذات الساحل .

ورحل القائم بأمر الله صلى الله عليه ، من احدابية يوم الجمعة للنصف من

---

(١) تعبئة : تعباية في ج
(٢) ببرقة : سقطت في ب
(٣) ووافت : واوفت في ج
(٤) الجنية : الحنية في ج

شهر صفر ، ودخل برقة (١) لست خلون من شهر ربيع الاول ، و استخلف على برقة ابا داؤد الملوسي ، ودخل القائم بأمر الله عليه السلام ، الاسكندرية يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من شهر ربيع الاخر ، وكان مسيره من رقادة الى (٢٥٢) الاسكندرية اثنتان وسبعون مرحلة ، فاجتمع عليه السلام ، حباسة بن يوسف واصحابه ، وجميع عسكرهم بالاسكندرية ، واقام القائم بأمر الله عليه السلام ، على القضايا بالاسكندرية أحمد بن مسرة ، واستعمل عليها مطنب بن ربيع ، الملوسي ، وامر المؤذنين فأذنوا فيها بحي على خير العمل يوم دخوله اليها ، ثم قدم القائم عليه السلام ، بين يديه حباسة بن يوسف (٢) ، وعفيقان بن كردوس ، وسليمان بن كاف ، وعامر بن يوسف ، وخرج من الاسكندرية بعدهم للنصف من جمادي الاولى ، فنزل حبسا ، ونزلت مقدمته جوف البلور ، وانتهى القائم بأمر الله عليه السلام ، الى التمرورية في جميع عساكره ، وصح عنده كون تكين امير مصر بذات الساحل، فرحل يوم الاربعاء الثاني عشر من جمادي الاولى فنزل في ضفة النيل ، وبينه وبين عساكر مصر ستة اميال ، ولما كان يوم الخميس (٢٥٣) الثالث عشرين من جمادي الاولى عبأ القائم عليه السلام ، عساكره ، فجعل على الميمنة ملوسة الفحص وعلى الميسرة جميلة ، وجرى بينه وبين اهل مصر قتال فاصيب رجاء ابن ابي قند في ابطه بسهم مات منه ، فصلى عليه القائم بأمر الله عليه السلام، ودفنه ليلا رحمة الله عليه ، واقام الامام عليه السلام ، والقتال غير منقطع بينه وبين اهل مصر الى يوم الاربعاء لليلة بقيت من الشهر ، فاستأمن اليه جماعة من عسكر اهل مصر فاحسن اليهم ، ورحل فنزل على ثلاثة اميال من عسكرهم ، فارتاع لذلك اهل مصر ، واقام القائم هناك ، ثم انقطعت الميرة عن عساكر القائم عليه السلام ، فارتحل الى الفيوم لليلتين بقيتا من جمادي الاخرى ، فسبقه قوم من عسكره الى الفيوم فانتهبوها ، فأمر بقتلهم ، وسكن الناس وامنهم ، ورحل القائم عليه السلام ، (٢٥٤) الخميس لثلاثة عشر

---

(١) برقة : برقان في ج

(٢) ذكر الطبري (٣: ٢٢٩١ ، ٢٢٩٢) ان الجيش الفاطمي الذي هاجم مصر سنة ٣٠١ هجرية كان تحت قيادة حباسة بن يوسف وهو من زعماء كتامة ، وخالفه بعض المؤرخين فقال ان ابا القاسم كان على راس جيش المغاربة الذي دخل الاسكندرية في سنة ٣٠١ هجرية ، ويؤيد المقريزي ما ذهب اليه المؤلف حيث قال بان القائم كان قائد هذه الجيوش بعد مسيرها من برقة ،

ليلة من جمادي الاخرى الى الاربس ، ورحل السبت فنزل صيفه . ورحل الاحد فنزل الهرمين ، والتقى بأهل مصر ، فقتل واسر وغرق خلقا كثيرا في النيل . ثم رحل الثلاثاء لثمانية عشر ليلة خلت من شهر جمادي الاخرى ، فنزل بأرض الحمسن ، والتقى (1) بأهل مصر ، وكان في القلب جيملة ؛ وفي الميسرة أسجانة ، واهل افريقية ، وفي الميمنة ملوسة ؛ وبقية المغاربة ، وفي الساقة لهيصة ، فانهزم حباسة بعد مواقعة ومنازلة كانت بينه وبين اهل مصر ، فأرسل اليه القائم بأمر الله سلام الله عليه ، يأمره بالتوقف، وأن الحرب لم تبلغ الى الهزيمة ، فلم يمكنه الرجوع وهو مجد في هزيمته ، وقد أتبعه اناس ، وخرج من أهل مصر خلق عظيم لا يحصى ، والقائم عليه السلام ، واقف في بقية العسكر ممن صبر معه من الكتاميين والعبيد والجند والبربر ، ولم يزل يمسك القتال ، ورجا (2) ان يأتي الليل ، وجاء (255 ا) العصر ؛ والح عليه الناس وعظم البأس فهز اللواء عليه السلام ثلاث مرات. وحمل فحمل الناس معه ، ولم يتخلف عنه أحد فوقعت الهزيمة في اهل مصر فقتل منهم وغرق خلق عظيم ، فذكر اهل السير ان الذين قتلوا وغرقوا في ذلك اليوم من أهل مصر خمسين الفا ، فقيل انه لم يبق دار بمصر الا كانت فيه مناحة على غريق او قتيل . ورحل القائم بأمر الله عليه السلام لثلاث بقين من جمادي الاخرى فانتهى الى الاسكندرية لاربع خلت من شهر رجب . فأقام بها ، وكتب الى امير المؤمنين المهدي بالله (ع) وضمن كتابه بهذا الشعر :

انا سيف الاله وابن رسول الله ... قطب الهدى وللناس قبلة
واذا ما الغمام اشجم جدواه ... يكون الامام للناس مثله
يقصر القتل دون بغداد حتى (256) ... يظهر الله بالعراقين عدله
يا امام الهدى ومن طيب الله ... له فرعه وطيب أصله
تفخر الارض حين تعلو ثراها ... ثم تغدو حزونها وهي سهلة
يا ابن من اسدلت عليه ستور ... الوحي اثوابها ولم تكسه مثله
بك ظل الفخار يفخر والجود ... والبستني من الفخر حلة
ثم انهضتني لمصر وشام ... وخراسان والعراقين جملة
فانا سيفك الذي يفلق الهام ... بلا نبوة له ان تسله
يفرق الغرب والمشارق منه ... وتكل الجموع من ان تفله (257)

---

(1) والتقى : سقطت في ج

(2) ورجا : ورجت في ج

كـم مطيع قـد كان طود عـز | لام لما عصاك بددت شمله
وكفـور مناصـب ذي عـناد | بـك ارديته وافنيت فلـه
وانا سهمـك السريع اليـهم | مدرك للعدو من غير مهله
لا ارى هائبـا لسهل ووعـر | ولجيش في حين القاه كله
فبحسن اليقين والحزم والعـزم | كثـير العدو عندي اقلـه
فانتظر يا خليفـة الله مـا قـد | وعد الله فيك من قبل رسله
من فتوح تلقاك بالعـز والنصـر | لدى النيل والفرات ودجله
وكتابي اليك من غاية البعد (٢٥٨) | ووقت الرحيل أيمن رحله

ولما كان عيد الفطر ، والقائم بأمر الله عليه السلام ، مقيم بالاسكندرية ، خرج صلوات الله عليه فصلى بالناس صلاة العيد في السنة المذكورة ، وخطب عليه السلام خطبة العيد بالاسكندرية فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، الله اكبر ، الله اكبر ، ولا اله الا الله ، والله اكبر ، الله اكبر ، لا حكم الا اللـه ، ولا طاعة (١) لمن عصى الله ، الا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدون عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس .

الحمد لله الخلاق العليم ، المدبر الحكيم ، الذي لـه مقاليد السموات والارض ، وهو على كل شيء قدير ، ما يكون (٢) من نجوى ثلاثة الا وهـو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هـو معهم ، اينما كانوا احاطت بهم قدرته وعلمه ، ولا يحيطون بشيء من علمه ، الا بما شاء ، (٢٥٩) عنت (٣) الوجوه للحي القيوم ، وقد خاب من حـمل ظلما ، هو الاول قبل كل اوان ، وزمان ، ومكان ، وغاية ، ونهاية ،وهـو اللطيف الخبير الذي خلق السموات بغير عمد ترونها، فغلق مصابيحها ، وأضاء شمسها ، وانار قمرها ، والارض بعد ذلك دحلها (٤) ، وفـجر ينابيعها ، واخـرج منها مائهـا ، ومرعاهـا ، فسبحـان الذي لا يدل عليـه الا بآياته ، وما فطر من ارضه وسمواته ، وبان لخليقتهم من تدبيره ، وتكـامل رسله الى الامم كافة من عباده ، اذ قال لهم : « فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى » (٥) .

---

(١) لا طاعة : لا قرار في ج
(٢) ما يكون : وكان في ج
(٣) عنت : غفت في ج
(٤) دحلها : رحلها في ج
(٥) سورة : ١٤/١٠

معاشر الناس : اني أصبت امتكم (١) هذه كما اصاب رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، اليهود والنصارى ، معهم التوراة والانجيل ، ومعهم كنائس وبيع ، فدعاهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، بالسيف والجزية ، والسبي والنهب والجلاء ، وكذا أصبت (٢٦٠) امتكم هذه قد اتخذت قرآنكم عضين ونبذتموه ، وراء ظهوركم ، واشتريتم به ثمنا قليلا فقلت لكم : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، وما انزل اليكم من ربكم ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا نعبد الا الله وحده ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فرميتموني (٢) بأني خارجي مبتدع ، ورأيتم جهادي وقتالي ، والله ناصري ومعيني ، ورايت اهل الامصار قد دعوا علي في مساجدهم ، والله عز وجل سائلهم عن كلامهم ، يحسبون انهم على شيء ، الا انهم هم الكاذبون ، فتظن الامة الكاذبة المرتدة الناكصة على عقبها ، المغيرة لامر ربها أنها قد اصابت فيما ادعته (٣) لخلفائها الذين يزعمون انهم خلفاء رب العالمين ، مثل صبي لم يبلغ ، ومثل غلام (٤) لم يعقل ، ومثل طفل (٥) ، يدير الاسلام بزعمهم ، ومعه امراة تحمل اليهم الخمور ، ومن (٢٦١) كل واد وكل قطر على ظهور الخيل ، وبطون السفن، كما قال الله تعالى: «اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٦) فانفقوا أموال اليتامى والمساكين ظلما منهم وعدوانا لمغن عواد ، وطنبراني حاذق ، ومعز فائي ، وطبال مجيد، وزان ولاتها في الامصار ، يصعد احدهم اعواد منبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيعظ الانام ، وهو غير واعظ لنفسه ، وينزل عن ذلك الموضع فيسألكم في البلد عن مغن ومغنية ، وطنبراني وعواد ، وسارق وباخس مكيال ، وناقص ميزان، فيجيء ذلك اليه، لمن الله الظالمين ، واعدلهم سعيرا ، فلا آمر بمعروف ، ولا ناه عن منكر ، حتى اذا قام عبد الله الضعيف المسكين ، يدعوهم الى الله ، كادوا يكونون عليه لبدا ، من كل

---

(١) امتكم : امانيكم في ب
(٢) فرميتموني : فرموني في ج
(٣) ادعته : قالته في ج
(٤) غلام : غلمان في ب
(٥) طفل : يقصد به الخليفة المقتدر بالله ابو الفضل جعفر العباسي ، الذي بويع بعد وفاة اخيه المكتفي بالله في سنة ٢٩٥ وله ١٣ سنة ، ولم يل الخلافة احد قبله اصغر منه ، وخلع من الخلافة اول مرة بعبد الله بن المعتز في ربيع الاول سنة ٢٩٦، ثم اعيد وقتل ابن المعتز ، ثم خلع ثانية في سنة ٣١٧ باخيه القاهر ثلاثة ايام ، ثم اعيد الى ان قتل سنة ٣٢٠ هجرية .
(٦) سورة : ٣١/٩

حـــدب ينسلـــون ، ومن كـل حـزب يهطلـــون . فهلموا عبــــاد الله الـى مـا دعا الله تعالـى (٢٦٢) فـي كتابـه . كـلا فالله الـــذي لا اله الا هو ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . ولـــكم الويل مما تصفون . يا ايها الناس : انكم اصبحتم في عمياء (١) مظلمة سوداء مدلهمة غامرة بفتنة تنقلكم الى فتنة ، قد اظلتكم بأضاليلها المبتدعة ، وشملتكم بأكنافها المهلكة،فانتم عائمون في غواشيها، مفرقون في مباديها، قد غلقت عليكم أبوابها ، وعميت عليكم اسبابها ، فأعلام دينكم طامسة ، وآثار نبيكم دارسة، والمنكر فيكم ظاهر ، والمعروف بينكم داثر ، فأين تذهبون الى الجحيم لا محالة تسحبون (٢) ، أفمثابون انتم ام معذبون ؟ اشكرتم لله نعمته لانها حجته عليكم، ما استحفظكم من أمر دينه ، والذب عن حرم نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الذي استنقذكم من الهلكة ، قال الله عز وجل : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » (٣) فجعل الطاعة فريضة. وصل بها طاعة ولاة (٢٦٣) امره ، فهم القائمون لله بحقه ، والداعون اليه من رغب الى طاعته، واستخصهم بالامامة التي هي اعظم الدرجات بعد النبوة . وفرض على العباد حقوقها ، وأمرهم بادائها ، وجعلها موصولة بطاعتـه ، وضاعف لهم الثواب بقدر ما والوا من أمروا بولايته . وليس للامام أن ينقص الرعية حقها ، ولا للرعية أن تنقص حق امامها ، فمن حق الرعية على امامها اقامة كتاب الله جل ثناؤه ، وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله ، والاخـذ لمظلومها لظالمها ، ولضعيفها من قويها ، ولوضيعها من شريفها ، والتفـقد لمعاشها ، واختلاف حالاتها ، نظر الشفيق على عياله بجهده الكالـي لـهم بعينه ، فانـــه عز وجل ، فيما حمد مـــن أخلاق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : « لقـد جاءكـم رســـول مـــن انفسكم عزيز عليـــه مـــا عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (٤) فاذا فعل ذلك كان علـى الرعية اجلاله واكرامه ، ومكانفته (٥) ، والا ستعداد و (٢٦٤) الاستقامة لـــه ، ما استقام على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم . اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ، انت تحكم بين عبادك

(١) عمياء : عياء في ب

(٢) تسحبون : تسبحون في ج

(٣) سورة : ٥٩/٤

(٤) سورة : ١٢٨/٩

(٥) مكانفته : اي مساعدتـــه ومؤازرته .

فيماكانوا فيهيختلفون، اللهمصلي (١) علىالمهديبالله عبدالله ابي محمد امير المؤمنين ، كما صليت وباركت على الخلفاء الراشدين المهديين ، الذين قاموا بالحق وبه يعدلون ، اللهم كما جعلته للدين غياثا ، وللعباد ملجأ وملاذا ، فاقر به اعين المؤمنين ، وانصره على اعدائك العصاة الفاسقين ، الكفرة المارقين الظالمين ، اله الحق رب العالمين ، اللهم انصر جيوشنا وسرايانا في مشارق الارض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وسهلها وجبلها ، اللهم العن اعدائك وأهل معاصيك من الاولين والاخرين ، وقوم نوح في العالمين ، انهم كانوا قوما فاسقين ، وعادا وثمودا واصحاب الرسي ، وجبابرة بني امية ، وبني مروان ، ومعاوية ابن ابي سفيان ، الذي اتخذ من عبادك نصيبا (٢٦٥) مفروضا بالدنانير والدراهم ، وقاتل بهم المهاجرين والانصار ، والعن عمر بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن ابي معيط ، والوزغ ابن الوزغ ، والمغيرة ابن شعبة ، وزياد بن سمية ، وعبيد الله بن زيادة ، والسلم ، وذا الكلاع ، وحوشا ، والاشعب بن قيس ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وعبد الرحمن بن ملجم ، والناكثين والمارقين ، والمخالفين ، والمبتدعين ، والمرجئين ، والقاعدين عن الجهاد مع امير المؤمنين ، اللهم انصر الحق وطلابه ، واذل الباطل واحزابه ، انك انت العزيز الحكيم . (٢)

ووصل أهل مصر الى القائم بأمر الله عليه السلام ، يسألونه امنا يكتبه لهم على نفوسهم حين هلك منهم من هلك ممن قتل وغرق ، فلما كتب لهم عليه السلام ، بذلك استثنوا عليه ، وقالوا : أنت من قبل ابيك ، وانا نريد أن يكتب لنا الامان كما كتبت ، ونحن نسلم مصر اليه واليك ، فكتب (٢٦٦) القائم بأمر الله الى المهدي بالله عليهما السلام ، يعلمه بما سأل اهل مصر من الامان ، فورد عليه الجواب من أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال له : انما يريد اهل مصر ان يخادعوك حتى تاتيهم المواد من بغداد معا .

---

(١) صلي : صل في ج

(٢) اشك بأن القائم بأمر الله يعمد في خطبه الى اللعن وتسمية الاشخاص على هذه الصورة . لاننا لم نلاحظ في خطب الائمة امثال هذه الشطحات ، مما جعلنا نعتقد بانها دست من قبل النساخ ، وكنا نرغب في عدم ذكرها ولكن المحافظة على النص من شروط الامانة العلمية .

ثم انه وصل الى مصر مؤنس الظفري (١) من قبل المقتدر العباسي في يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم أول سنة ثلاث وثلاثمائة ، فدخل مصر في عدة وعدد ، والتقاه أمير مصر الى خارج في من معه من العسكر والقواد . وعبر الى الحيرة ، ونزل بأرض الحمسين فضرب فيها مضاربة ، وعبأ كتائبه. وكان محمد بن طغج مقيما بالمخائض اميرا بها من قبل صاحب مصر ، فلما كان يوم الثلاثاء لثلاثة عشر يوم بقيت من المحرم ، سار اليه فتح بن ثعلبة ، من قبل القائم بأمر الله عليه السلام ، في جمع معه فصبح محمد بن طغج ، فثار ابن طغج ، وكان حازما محربا فركب في غلمانه وخواصه وقد وقعت الصيحة في (٢٦٧) عسكره ، فحين راى محمد بن طغج صدق القتال استقبل القوم فأحاطوا به فرمى عنه غلمانه فأصابوا اثنين من فرسان المغاربة فقتلا ، وتوقفت المغاربة عن القتال ، ورجع من كان انكشف من الناس وانهزمت المغاربة . وقتل جماعة منهم ، ورجع فتح الى عسكر القائم عليه السلام ، فلما انتهى خبر ذلك الى مؤنس اظهر الفرح والبشرى بذلك ، وكتب الى المقتدر العباسي ، وكثروا غاية التكثير ، واظهروا به الجذل والسرور. وتشغب المصريون على مؤنس فقتل منهم نفرا ، ولعشر خلون من شهر ربيع الاول من السنة المقدم ذكرها رحل القائم بأمر الله عليه السلام ،عن الاسكندرية لما قل فيها الطعام ، واستخلف في الاسكندرية فتح بن ثعلبه ، وامره ان يستعد (٢) منجنيقان وعرادات وينصبها ليمنع المراكب من العبور الى الاسكندرية وانتهى (٢٦٨) القائم بأمر الله سلام الله عليه الى الفيوم ، ووافق ذلك موت ابراهيم بن كيغلغ فملكها ،وحين بلغ مؤنس خروج القائم بأمر الله عليه السلام ، عن الاسكندرية ارسل اليها ثمال الخادم فاستولى عليها ، وقتل كثير من أهلها ، وخربها (٣) وكتب مؤنس الخادم (الى القائم) عليه السلام ، يتهدد ويتوعد . ويقول فيه ، انه أن اطاع بني العباس كان له الامان ، واقطاع الناحية التي هو

---

(١) مؤنس الخادم قائد من اكبر قواد العباسيين خدم المعتضد اولا ثم ابعده الى مكة ، ولما بويع المقتدر احضره وقربه وفرض اليه الامور ، وقد استطاع ان يرد الفاطميين عن مصر في سنتي ٣٠٣ و ٣٠٧ لقبه المقتدر بالمظفر . وفي سنة ٣١٩ نوبت الوحشة بينه وبين المقتدر فارسل اليه جيشا حاربه فانتصر مونس وملك الموصل . ثم خرج المقتدر لقتاله بنفسه فقتل في سنة ٣٢٠ . وفي سنة ٣٢١ قتل مونس في الثمانين من عمره .

(٢) يستعد : يعود في ج   (٣) وخربها : واخربها في ج

فيها ، ويحلف له مغلظات الايمان بالامـــان ، فكان جــواب القائم بأمـــر الله صلوات الله عليـــه :

بســـم الله الرحمن الرحيم

من ابي القاسم محمد ولي عهد المسلمين ابن الامام ابي محمد عـــبد الله المهدي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه ، الى مؤنس . سلام على من اتبع الهدى ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، واسأله ان يصلي على محمد رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

اما بعد : فانه وصلني كتابك (٢٦٩) وترجمته من مؤنس مولـــى امـــير المؤمنين ، وتذكر ما اختص الله عز وجل ولد العباس رحمة الله عليه من خلافته في ارضه ، وامانـــــة عبـــاده ، وتمكينـــه لهم ، وانه يلزمني الائتمام بهم والدخول في طاعتهـــم ، وتسكـــين الدمـــاء ، ولـــم الشعـــب ، وتـــرك ابتـــاع الفرقـــة ، واثـــارة الفتنـــة ، ومـــا بذلتـــه ورغبتني فـــيه مـــن الاموال والاقطاعات من الناحية التي انا فيها ، اذا دخلت في جملتهم ، ووصفته من وفور جيشك ، وكثرة جموعك ، وتوعدني باللقاء والمقارعة (١) ان ابيت ذلـــك وفهمته .

فأما الخلافة فما جعل الله عز وجل للعباس بن عبد المطلب فيها حظـــا ، وما هو منها في شيء لانه ليس من المهاجرين ، ولا من العشرة الذين تـــوفي رسول (٢) الله وهو عنهم راض ، ولا ادخل في الشورى ، ولا التمسها لنفسه في وقت من الاوقات (٣) وانما خص الله بها امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وامتحن بها (٢٧٠) من بعد رسول الله صلى الله عليه وعلـــى آله وسلم ، رفعا لدرجته فـــي جنـــات النعيـــم ، فصبر صلى الله عليه على مضض الامور ابتغاء لما يبقى في الدار التي لا تبيد ولا تفنى ، وصـــارت لولده من بعده ، وكانوا أحق بها واهلها ، فغصبهم بنو امية الكفرة الفجرة . الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن ، ثم بنو العباس رضوان الله عليه العباس من بعدهم ، فاطفأوا نور الله ، وبدلوا الحق بالباطل ، وكانوا مثل الملـــوك الذين عتوا في الارض من قديم الدهر ، وجعلوا الملك بينهم ميراثا فاملاً (٤)

---

(١) والمقارعة : المقاومة في ج
(٢) رسول : الرسول في ج
(٣) الاوقات : الاقات في ج
(٤) فاملاً : فامل في ب
(٥) بهديتكم : سقطت في ج

الله عز وجل لهم المدة ليستدرجهم ، ثم أن ينتقم منهم ويأخذهم ، وهو فاعل ذلك ومهلك آخرهم ، كما أهلك أولهم ، وراد الحق الى أهله . ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين ، كتب الله لاغلبن انا ورسلي ، ان الله قوي عزيز ، واما ما بذلته من المال والامان ، والاقطاع . فما أتاني الله خير مما اتاكم ، بل انتم بهديتكم (٥) (٢٧١) تفرحون .

ولما وصل جواب القائم بأمر الله عليه السلام ، الى مؤنس انقطع فلميكتب بعد ذلك كتابا الى القائم بامر الله عليه السلام ، واقام القائم بأمر الله الى أن ورد عليه كتاب امير المؤمنين المهدي بالله يستنهضه اليه الى رقادة ، فرحل القائم عليه السلام ، الى رقادة من الفيوم ، وواصل السير حتى وصل الى امير المؤمنين صلوات الله عليه ، وجلس له الامام عليه السلام ، في الايوان واعتنقه وسلم عليه .

وقد روى القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه عن الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه أنه قال (١) : لقد أنهض المهدي بالله صلوات الله عليه ، القائم عليه السلام ، الى مصر كرتين ، وهو عالم انها لا تفتح على يديه . ولكنه اراد تأكيد حجة الله عليهم بدعوته ، وان لا يدع شيئا من المجهود الا بلغ منه ما في نفسه ، وان كان ذلك قد أدخل الشك على بعض المستضعفين في أمره ، ولذلك ما كرهنا (٢) (٢٧٢) أن تدخل عليهم مثله بالحركة في غير اوان الوقت .

ولقد اخبرني المنصور بالله صلوات الله عليه انه تلقى القائم عليه السلام ، عندما انصرف من الكرة الثانية من مصر ، وكان المهدي صلوات الله عليه قد ارتحل بعد خروجه الى المهدية ، فلما انتهى القائم بأمر الله عليه السلام ، الى باب المهدية ، نظر اليه ، ثم قال : الاحاجة في نفس يعقوب قضاها ، ودخل الى المهدي بالله صلوات الله عليه ، في وقته ذلك ، فسلم عليه ، وضمه اليه . ثم قال : الا حاجة في نفس يعقوب قضاها ، فكأنما نطقا معا بلسان واحد . الى اذن واحدة . هذا قول المعز صلوات الله عليه ، واخر الله الاجل الى اوان المعز لدين الله عليه السلام ، ففتح الله مصر (٣) على يديه ، وسوف نذكر ذلك اذا انتهينا اليه ، وحديث المهدي للقائم عليهما السلام ، كان بعد رجوعه

---

(١) قال هذا القول القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات المجلد الاول مخطوطة في مكتبة المحقق .

(٢) ما كرهنا : ما رهنا في ج (٣) مصر : المصر في ج

من مصر المرة الاخرى بعد أن عمرت المهديه ، لانه قد قيل انه خرج عليه السلام : الى مصر المرة الاخرى في سنة تسع وثلاثمائة ، وملك في المرة الاولى الاسكندرية (٢٧٣) والفيوم ، وجبى خراجها ، وخراج بعض اعمال الصعيد ، واقام المهدي بالله صلى الله عليه في رقادة اياما ، ثم امر بعمارة البيضاء المسماة بالمهدية ، نسبة اليه صلوات الله عليه، فبنيت بالحجارة وبويت بالحديد المحض (١) .

قال ابن حوقل البغدادي : المهدية المباركة مدينة بالمغرب ، ابتناها الامام المهدي بالله سلام الله عليه ، وسكنها سنة ثمان وثلاثماية ، منها الى القيروان مرحلتان فرضته الى والاها ، وذات سور من حجارة وبابين من حديد ، عظيمة التصور ، ونظيفة المنازل والدور ، حسنة الفواكه ، طيبة المداخل والمخارج ، بهية المنظر .

وانتقل المهدي بالله صلوات الله عليه ، الى المهدية كما ذكرنا في شهر شوال من شهور سنة ثمان وثلاثمائة ، فسكنها وراى الناس منه صلوات الله عليه معجزات مما هيا الله عز وجل له في بنائها ويسر له من الصعب فيها ، وزاد اليها (٢٧٤) في البحر ، وجعل لها الى البحر مخرجا ، وجعل عليه قفلا . وكانت من اعجب المدن وامنعها واحسنها بناء ، واعجبها هيئة ، وجعل فيها اهراء كثيرة للطعام ، وأجرى اليها انهارا ، واحتفر فيها للمطر حفائر عظيمة، وكان عليه السلام ، اذا نظر الى حصنها وابوابها وراى أعجاب الناس بها وبامتناعها قال ، انما هذا كله عدة لساعة من نهار . وكانت تلك الساعة هي التي انتهى فيها بن كيدار الدجال ، ولم يقف الا ساعة واحد ، ولم يزل بعد ذلك مهزوما مغلوبا حتى رفع على سور المهدية مصلوبا ، وسنذكر قصته اذا انتهينا اليها ، وبالله نستعين .

وأمر المهدي بالله عليه السلام ، ببناء مصلى خارج المهدية ، جعله علما ، وقال : الى هناك ينتهي مخلد الدجال ، وكان الامر في ذلك كما قال .

---

(١) يقول المقريزي في الاتعاظ صفحة ١٠١ ان المهدي خرج بنفسه الى تونس وقرطاجنة وغيرهما يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ، وكان يجد في الكتب خروج ابي يزيد النكاري على دولته، فلم يجد موضعا احسن ولا احصن من موضع المهدية ، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند ، فبناها ، وجعلها دار ملكه ، وجعل لها سورا محكما ، وابوابا عظيمة ، زنة كل مصراع مائة قنطار .

ونقر في ارضها اهراء للطعام ، ومصانع للماء ، وبنى فيها القصور والدور ، فلما فرغ منها، قال : اليوم أمنت على الفاطميات، يعني بناته ، وارتحل عنها .

وهذا الحديث معروف مشهور ، مأثور مذكور ، وقد ذكره الشريف الزيدي ادريس (٢٧٥) بن عبد الله في تاريخه الذي سماه كنز الاخبار ، واجمع عليه اهل السير والاخبار ، وهذه معجزات الائمة الاطهار صلوات الله عليهم ، التي اتاهم الله علمها ، وورثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنبأوا (١) بها قبل كونها ، مما يشهد بفضلهم وعلو قدرهم ، وسمو محلهم ، وكثير مما يشبه ذلك قد رواه المخالفون عن الائمة صلوات الله عليهم ، وهم معروايتهم لها لفضلهم من الجاحدين ، كما قال الله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » (٢)

واستقر الامر للمهدي بالله صلوات الله عليه ، وتوطد الملك ، وعلت الكلمة ، واتسقت الامور ، معتدلة منتظمة ، فنشر علم آبائه الطاهرين ، واقام الدعاة والمعلمين ، وفتح أبواب منحة للطالبين ، وأتاحها للراغبين ، ونشر العدل ، واظهر وابعد الباطل ، وادحضه ، (٢٧٦) واقام السنة واحياها ، وامات البدعة ومحاها ، واقام امير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه للنظر في القضاء بالمهدية ورقادة وغيرهما من الاعمال ، أفلح بن هارون الملوسي ، وهو أحد دعاة المهدي بالله صلوات الله عليه ، وقد ذكره الداعي ابو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الاسود بن الهيثم رحمة الله عليه ، في بعض ما الفه ، فقال : وما نسيت فلا انسى داعي ملوسة وشيخ الجماعة ، وفقيها أفلح بن هارون العباسي ، فقد كان جمع من الدعوة علوم الفقه ، وادرك ابا معشر ، والحلواني ، وكان يحدث عنهما عن الحلبي ، وانتسخ كثيرا من كتب الفقه ، والاثار ، والفضائل ، وخطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، وعلى الائمة من ولده ، وسمعت عنده دعوة النساء ، وما يخاطبهن به من الدلائل التي تتقبلها عقولهن ويحفظنها ، وكان يقول فلله الحجة البالغة . وقال : هي الحجة التي يخاطب بها العالم (٢٧٧) من علمه ، والجاهل من حيث يعقل .

ولقد كان يخاطب المراة ويقيم لها الدليل من حليها ، وخاتمها ، وخناقها ، وخلخالها ، وسوارها ، وثوبها ، وعجارها ، ومن المغزل ، والشعر ، واللباس وغيره ، مما هو من حلية النساء ، وكان يخاطب الصانع من صناعته ، ويخاطب الخياط من ابرته وخيطه ، وحلقته ، ومقصه ، ويخاطب الراعي من عصاه ، وكسائه قال : فما أعرف اليوم من يفي بهذا ، ولا من يقوم به قيامي ،

---

(١) فانباوا : فانبوا في ج   (٢) سورة : ٢٧/١٤

ولا من يحفظه حفظي ، كل ذلك بتوفيق ربي وخالقي ، والمنعم علي ورازقي .
فرحمة الله عليه ؛ فلقد كان في كلامه اذا تكلم خاشعا لله ، مريدا ما عند الله ، رقيق القلب عزيز الدمعة ، رطب اللسان ، يذكر الله خشوعا متذللا عطوفا ؛ واني لاحفظ من امثاله وقضاياه كثيرا ، وكان يقول : احذر ان تثق بأحد حتى يتمكن ، فاذا تمكن ظهر منه السر في العلن، ولقد بلغني ان امير المؤمنين (٢٧٨) المهدي بالله عليه السلام ، بلغه عن افلح بن هارون المذكور حسن صوت ؛ وجودة قراءة ، وصدق نية ، وكان قد كلفه النظر في القضاء بالمهدية ، ورقادة. وفي غيرهما من جميع علمه ، وكان نقيا تقيا ، ورعا عفيفا ، زكيا ؛ فوجه في طلبه اشتياقا اليه ، وأمر البوابين بدخوله راكبااليه، وكان اميرالمؤمنين عليه السلام ، متخلفا في بعض أعماله فدخل عليه حتى نزل على باب الحرمة في القصر الكبير ، فادخل عليه ، ورحب به ، وقربه ، واستدعاه للكلام فأجلـه وعظم ذلك عليه ؛ فاذن له في الكلام ، فتكلم ، ثم قال له امير المؤمنين عليـه السلام : اسكت فسكت . وتكلم امير المؤمنين ، وافلح يشهق بالبكاء حتـى علاه النحيب ، وسمع من المهدي بالله ما جل موقعه ، وكبر في مسامعه؛فمعك خديه بين يديه ، ورغب اليه ان يدعو له بالموت ، فقال : ولم ؟ قال : يا مولاي احللتني منك محلا جليلا ، وهذا (٢٧٩) مقام كريم ، وكلام مكنون لا يمسـه الا المطهرون ، واخاف الزلل على نفسي ، فموتي بهذه الطهارة أزكى (١) موضعا ، واجل مقاما ؛ فسألتك يا مولاي بالعظمة الا دعوت لي ؟ فقال المهدي بالله سلام الله عليه : يا افلح ، لا تفجعني بنفسك ، فقال : يا مولاي عنـد الله الملتقى . فبكى امير المؤمنين عليه السلام ، وقال : خار الله لك . وخرج أفلح ذلك اليوم وقعد فهنأناه بما بلغ من هذا ، وذكر لنا بعض ذلك، وتوفي في ذلك الشهر رحمة الله عليه ، ورضوانه . **ونقول : ما اشبه هذه القصة** بقصة همام حين وصف له امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه المتقين ، فصعق همـام فمات رحمة الله عليه، وقصته معروفة. وكذا يفعل قول أولياء الله سلام الله عليهم، ومواعظهم ، وحكمهم الشريفة ، في القلوب الزكية ، والحلوم الذكية ، والنفوس الطاهـرة .

ولما كان في سنة (٢٨٠) احدى عشر وثلاثمائة ، وصل الى امير المؤمنين

---

(١) ازكى : ازهى في ج

المهدي بالله صلوات الله عليه ، طغيان بفوارس الخيل بناحية طرابلس (١) ، فأنفذ اليهم سليمان بن كاف الاسجاني في جيش كثيف ، فحاربهم وغنم كثيرا من أموالهم ، وكتب الى المهدي بالله سلام الله عليه ، بخبر الفتح فوافى كتابه لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر شعبان ، واخرج أمير المؤمنين عليه السلام لغزو الروم جعفر بن عبيد ، في جيش عظيم ، فسار الى صقلية ، وخرج منها في اسطول كبير ، فنفذ في أول من سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة فغزا النصرانية ، وجاوز العدوة الاخرى الى بلد الروم فافتح مدنا كثيرة ، أكثرها بالسيف عنوة ، وسبى سبيا كثيرا قيل أنه بلغ عددهم احدى عشر ألفا ، ووافى بهم الى المهدي بالله عليه السلام ، وكان وصوله بهم الى المهدية لاحد عشرة ليلة مضت من جمادي الاخرى من سنة (٢٨١) ثلاث عشرة وثلاثمائة .

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة زحف ابن حرز الى تاهرت بعدة (٢) عظيمة وقوة ، واجتمعت اليه جموع كثيرة من قبائل زناته وغيرهم من البربر من أهل الاطراف وطمعوا فيها ، لقلة (٣) من كان مع فضل بن حبوس عامل أمير المؤمنين بتاهرت . فخرج العامل في ثلاثمائة فارس من الاولياء فهزم ابن حرز اقبح هزيمة . وقتل وجوه أصحابه . وغنم جميع ما معهم ، وولى ابن حرز هاربا على وجهه ، وأتى كتاب عامل تاهرت بخبر ذلك في شهر شعبان من سنة ثلاث عشرة .

واخرج أمير المؤمنين عليه السلام ، يحيى بن سليمان بن كاف ، والمعلى ابن محمد ، ومولى بن قريش ، ومحمد بن ثعلبة ، ووجوه كتامة في جيوش عظيمة الى المغرب لاصلاح الاطراف ، وحرب زناته ، وغيرهم من البغاة (٤) في سنة أربع عشرة وثلاثمائة (٢٨٢) ، واتصلت الاخبار بأمير المؤمنين عليه السلام ، بقوة الفساد في الغرب وظهور النفاق والطغيان ، واجتماع قبائل البربر (٥) جمعا مع زناته حول تاهرت وغيرها من الاعمال ، فأمر أمير

---

(١) يقال ان قائد هذه الثورتيعرف بابن طالوت وينتمي الى قريش وكان من بعض كتاب العراق فصار الى ناحية طرابلس فزعم للبربر انه ابن المهدي فقاموا معه واتبعوه فزحف الى مدينة طرابلس ليأخذها في عدد عظيم ، فقاتلوه وهزموه وقتلوا جماعة من اصحابه ، ثم تبين للبربر امره فقتلوه واتوا براسه الى القائم بأمر الله

(٢) بعدة : بتند في ج — (٣) لقلة : لقلق في ج

(٤) البغاة : البغي في ج — (٥) البربر : البرابرة في ج

المؤمنين صلوات الله عليه بالاستعداد ، وحشد كتامة وجنود افريقية ،والعبيد وغيرهم ، وخرج القائم بأمر الله سلام الله عليه ، في جيوش عظيمة واحتفال ووافاه الناس من كل جهة ، وكان خروج القائم عليه السلام ، من حضرة الامام من المهدية يوم الخميس لسبع ليال مضين من صفر سنةخمس عشرة وثلاثمائة ، بعد الصلاة الاولى ، فنزل ذلك اليوم بسبخة بني معروف ، فبات بها ، واقام فيها الجمعة والسبت والاحد والاثنين الى الظهر ، ووفد اليه اهل القيروان يوم الاثنين ، فجلس لهم وامر بفتح ابواب الفازة (١) التي جلس فيها ، وامر أن لا يمنع احد من السلام عليه ، فدخل الناس جميعا اليه، فدعوا له بالنصر والظفر ، (٢٨٣) وسالوا الله سبحانه ان يمده بمساعدة القدر (٢) .

وسار صلى الله عليه يوم الثلاثاء حتى انتهى الى الاربس فوافاه بها خليل بن اسحق التميمي بعساكر افريقية ، وكان قد جمعهم الى الاربس فبلغت عدتهم أربعين الفا ، واتاه كتاب عامل تاهرت يذكر انهزام ابن حرز حين سمع بخروجه ، وانه ولى على وجهه ، فشكر الله كثيرا ، وساله ان يكون له نصيرا ، وارتحل الى باغاية سادس عشر من شهر ربيع الاول ، فاقام بها بقية (٣) ذلك الشهر ، وشهر ربيع الاخر . ووافته هناك مزاته ، وقبائل هوازة ، وصدينة وعجية ، واهل يتجس ، وقصر الافريقي ، وزناته ،وغيرهم، بحشودهم وامرهم بمصير وجوه رجالهم بعيالهم الى المهدي بالله صلوات الله عليه ، وان يسكنوا المهدية وانفذ الكتب الى كل القبائل بالترغيب والترهيب والتحذير لمن عصاه ، من بعيد وقريب ، ثم رحل من باغاية يوم الخميس لليلتين (٢٨٤) خلتا من جمادي الاولى ، فنزل في اشراف مسيلة بني عيسى ، وانتهى عليه السلام الى سطيق لعشرة ايام بقين (٤) من جمادي الاولى . فتلقاه وجوه كتامة ، واقبلوا اليه من كل فج عميق ، فانفذ رجالا منهم الى نواحيهم لاصلاح امورهم ، وانفذ كتبه الى القبائل كافة واعذر الى مزاته وكياته ، وبني كملان ، فتمادوا في بغيهم ، واصروا على غيهم ، فأحكم في سطيق ما أراد احكامه ، وانفذ الجيوش مع وجوه كتامة ، وأمر عليهم جعفر بن عبيد ، وذلك لاربع عشرة بقيت من

---

(١) الفازة : فازات في ب

(٢) القدر : المقدرة في ج

(٣) بقية : سقطت في ج

(٤) بقين : بقى في ج

جمادي الاخرى ، وقد اجتمعت جماعة عظيمة من كتامة ، وبني كملان ،وقبائل زناته ، فتحصنوا في قلعة منيعة وعرة المسالك صعبة المرام ، تعرف بعقار، فقصدتهم العساكر في قلعتهم فأحاطوا بها ، واقتحموا عليهم الوعر ، وتسنموا (١) الجبل فاحاطوا بهم من كل ناحية ، وقتلوهم أبرح قتل ، ولم ينج منهم الا قليل ممن (٢٨٥) رمى بنفسه في وعر او بطن واد ، واحرقوا ديارهم ، وغنموا ما كان في القلعة لهم من النعم والخيول ، والاثاث ،وانصرف جعفر ومن معه من الاولياء الى القائم بأمر الله عليه السلام ، فهنوه بالفتح ، فحمد الله على ذلك ، واثنى عليه ، وامر بالنساء والاولاد الى اهليهم بعد ان احسن اليهم ، واجرى الوظائف عليهم ، وامر بالنداء بأمان كل من دخل في الطاعة ، فأتته قبائل كثيرة من كتامة فأمنهم وعفا عنهم .

وكتب اليه بنو كملان يطلبون الامان فأمنهم وعفا عنهم ، وأمرهم انيلحقوا بالعسكر الى تاهرت ، وأمر عليه السلام ، ببناء مدينة المسيلة ، واقام (٢) يعلي بن حمدون لبناءها وامره ان يتخذها دارا وينزلها مع عجيشة ، وجماعة من العبيد ، وهي أرض فيها مياه جارية ، وفحوص واسعة ، كثيرة الزرع، ورحل صلوات الله عليه ، لثلاث ليال بقين من جمادي الاخرى،فنزلبباسل ، (٢٨٦) واقام بها وقوم امر الزاب كله ، واصلح امر هوازة ، واقام بها حتى انقضى شهر رجب ، وامر بقطع الميرة (٣) عن زناته لما تمادوا في الطغيان ، واصروا على العصيان ، ورحل يوم الخميس لاربع ليال خلون من شعبان ، فشق بلد صنهاجة ، وواصل السير حتى نزل بموضع يقال له حائط حمزة ، لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان ، وهنالك وافاه مصعب بن ماتا الزناتي ، وجماعة كثيرة من زناته ، فعفا عنهم ، واوسع عليهم العطاء ، وكساهم ، وامر بانزالهم ، وأجرى الوظائف (٤)عليهم، وأمرهمانينزلوا حيث احبوا من البلاد واعمال الطاعة ، وانصرفوا .

واقبل الناس من كل جهة يطلبون الامان فأمنهم عليه السلام ، ورحلفمشى راجلا قدر ميل لصعوبة المسالك ، والاخبار تتصل به أن ابن حرز عبد الله بن تباذلت قد تحرز في قلعة حمسة مع اهلها ، ووعدوه بنصره ، والدفع عنه ، وحياطة أمره ، و (٢٨٧) واصل السير عليه السلام ، حتى انتهى الىالقرب

---

(١) ونسنموا : وتسلموا في ج
(٢) واقام : وقوم في ج
(٣) الميرة : الميزة في ج
(٤) الوظائف : الوطائف في ج

من حمة في آخر يوم من شهر رمضان ، وأمر الناس بالخروج الى الصلاة خارج واستأذنوه في حربه ، فأذن لهم العسكر ، واقام الخطبة ، ثم امر بالرحيل فلما انتهى الى عز أتاه (١) أهل تاهرت ، فذكروا له أن عبد الله بن تباذلت مقيه بقلعة مميسة ، واستأذنوه في حربه ، فأذن لهم . فلما عرف ابن تباذلت وهو ابن حرز دنو القائم بأمر الله عليه السلام ، لم يكن له ولا من معه حيلة غير الهرب ، ومعه اهل القلعة ، فأصبحت خاوية ، وفيها جميع النعم ، والاموال .

ومضى القائم عليه السلام بنفسه في خيل مجردة ، فالفى (٢) القلعة فيها المواشي ، والمطاعم ، والشحن ، فأمر الناس فانتهبوا ذلك ، وأنفذ خيلا مجردة في طلب ابن حرز ومن معه ، وانصرف الى مناخة (٣) ، فقام فيه . والناس يغنمون ما في القلعة ، ورحل يوم السبت لسبع خلون من شهر شوال فنزل بوادي السوالي ، واقام به ذلك (٢٨٨) اليوم ، وما بعده الى آخر يوم من ذي القعدة وتوالت الغيوث والانواء والامطار ، وكثر الوحل ، فسمى الناس ذلك المناخ مناخ الوحل ، وفي كل ذلك والقائم عليه السلام ، يعذر الى أهل مطماطة وزبرقة ، وينفذ الكتب اليهم ، فلما تمادوا على الاصرار ولم يفيئوا للاعذار والانذار ، رحل القائم عليه السلام ، بجميع الجيوش يوم الاحد عشرة ذي الحجة فنزل بالقرب من مطماطة ، وأمر العسكر بالنزول ، وحط الانقال ، ونصب الفازات ، وسار بنفسه في خيل مجردة حتى وقف على مطماطة ، ونظر اليها ، وارتاد مواضع القتال ، وارسل اليهم يعرض الامان عليهم ، فتمادوا في العصيان ، ولجوا في الطغيان ، فرجع الى العسكر فبات به .

ولما كانت صلاة المغرب جعلت خيل مطماطة ورجالها يتراؤن للناس ، ويوهمون أنهم يريدون ليبيتوا (٤) العسكر ليلا ، فاجتمع الى القائم بأمر الله عليه السلام ، جميع الاولياء (٢٨٩) يسالونه الرحيل من ذلك المناخ الى موضع آخر ، أمكن للقتال ، فزجرهم زجرا عنيفا ، وأمر الناس جميعا باسراج خيولهم والجامها ، ولبس لامتهم ، والاستعداد للقتال ، وأمر بايقاد السرج والمشاعل في كل وجهة ، فاضاء الليل حتى صار كالنهار ، وبات (٥) الناس

---

(١) اتاه : اتوه في ج
(٢) فالفى : فالقى في ج
(٣) مناخة : مواخ في ج
(٤) ليبيتوا : ليبتوا في ج
(٥) وبات : وتاب في ج

جميع ليلنهم تلك مستعدين للقتال ، قد اقاموا صفوفهم ، وركبوا خيولهم ، فلما أصبح الصباح زحف القائم عليه السلام ، في جميع الجيوش والعساكر الى مطماطة ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجة ، وكان قد اجتمع الى قلاع مطماطة قبائل كثيرة ، قد تعلقوا بابن تباذلت ووعدوه النصرة والمؤازرة ، فحين اقبل القائم عليه السلام ، بجنوده وعساكره ، خرج ابن تباذلت الى قلعة القربوس في فترة (١) من حماتهم ، وعدة من كماتهم ، وقد اجمع راي من معه أن يكمن هنالك حتى يقع القتال ثم يخرجون على الاولياء متى اشتغلوا (٢٩٠) بالقتال ، ووع ذلك بقلب القائم عليه السلام، وكان أول ما ابتدا به أن حفظ موضع (٢) معسكره ، واقام من يحميه من الفرسان والرجال الشجعان والابطال ، وامر خليل بن اسحق أن يقف بعسكر الجند من أهل أفريقية ، بخيلهم ورجالهم بازاء قلعة القربوس ، وتقدم اليه ان يأمر من معه من العساكر بالتعبئة واقامة الصفوف ، وركوب الخيل ، والاستعداد للحرب ، وأن يكونوا على غاية الحذر ، فان وافاهم العدو ، فلا يقاتلوه الا بعد مطالعته ، وانتظار امره ، فاعتمد خليل ما أوصاه به ، واقام بعدده وعدته .

قال الرواة : وزحف ابن الامام عليه السلام ، بجيوش كتامة والعبيد وغيرهم ، في هيئة تملأ العيون والقلوب ، وقد ركبوا خيولهم ، ولبسوا لامنهم لاماتهم (٣) ، وشرعوا رماحهم ، وصفوا درقهم، وبين يديه الرجالة (٢٩١) يتلو بعضهم بعضا بالقسي ، والرماح ، والسيوف ، والدرق ، حتى اشرف على مطماطة ، فوقف الامام على شرف ينظر القتال ، وارسل الى اهل مطماطة ، يعرض عليهم الامان ، فلم يقبلوه ، وخاب سعيهم ، وما أملوه ، فاذن في قتالهم ، فاقتحمت اليهم الجيوش من كل ناحية ، وملكوهم (٤) بالسيف عنوة ، وتسنموا اليهم الحصون والقلاع ، ودخلوا عليهم ، فحين ايقنوا بالهلكة (٥) ضرعوا وخضعوا ونادوا بالامان ، فرق القائم عليه السلام ، لهم ورحمهم ، وامر الناس أن يكفوا عنهم ، واقال عثرتهم ، بعد أن اقتحمت جنوده قلاعهم ، وأما خليل بن أسحق فانه راى خيول العدو بالقربوس فتعرف خبرهم ، فاذا هي خيل ابن تباذلت قد اقبلت من ميسرة خليل ، فلم يأذن خليل في قتالهم

---

(١) فترة : سقطت في ب
(٢) موضع : مواضع في ج
(٣) لاماتهم : لامتهم في ج
(٤) وملكوهم : وملكهم في ج
(٥) بالهلكة : بالهلاك في ب

حتى ارسل الى القائم عليه السلام ، فاذن له بقتالهم ، فلم يرجع الرسول الى خليل (٢٩٢) الا وقد حمل على ابن تباذلت ومن معه فولوا هاربين، وانهزموا مدبرين ، واتبعتهم الخيول يقتلون ويأسرون ، وركض ابن تباذلت فرسه حتى اجهده ، ووقف به فنزل له بعض أصحابه عن دابة (١) فركبها ، وامعن في الركض ، وخيل خليل قد اشرفت في طلبه ، وكادت أن تلحق به ، فلم ينجح الا بعد جهد وشدة لما ارخي له في المدة ، وقتل الرجل الذي نزل له عن دابته ، وقتل معه جماعة من وجوه بني ورزمان اهل بيت ابن تباذلت ، وولى ابن تباذلت هاربا على وجهه ، لا يلوي على شيء ، فلم يناد المنادي بالاذان وقت العصر حتي فتحت قلاع مطماطة ، وكان فتحا لم ير الناظرون (٢) فيما ذكر الرواة كمثله ، ونصر اتاحه الله لوليه ، وبين فيه عظيم فضله ، والقائم عليه السلام ، على فرسه يرفع يديه بالتكبير ، ويحمد الله سبحانه على ما اتاح الله له بالصوت الجهير ، فلما راى (٢٩٣) أولياءه اليه من كل جهة برؤوس القتلى وبالاسرى ، مقبلين ، وقلاع مطماطة قد ملكها الاولياء عنوة . وهم غير متهيبين ولا فاشلين (٣) حول نحو القبلة وجهه، وسجد لله تعالى على عرف فرسه ، وكان ركوبه (٤) ذلك اليوم على فرس اشهب ، وانصرف الى المناخ وقد اعز الله نصره ، واظهر امره ، واطلق الاسارى ، وأمر من معه أن لا يتعرضوا للاولاد والنساء ، ومن على اهل مطماطة بأموالهم ، وامرهم أن يدخلوا في جملة أوليائه ، وقررهم في كل احوالهم ، ورحل عليه السلام ، بكرة يوم الجمعة لست ليال خلون من ذي الحجة ، فنزل بموضع يعرف بالهوى من ميداس ، وأقام باقي شهر ذي الحجة .

ورحل يوم الاربعاء لسبع ليال خلون من المحرم بريد زبرقة ، فنزل بموضع يعرف بالعرقوب فبات به ، ورحل منه فأشرف على زبرقة ، وهي مدينة حصينة حولها خندق عظيم ، وقد (٢٩٤) تحصنوا في جوف مدينتهم ، وتوافروا فيها ولزموا سورها وحموه (٥) بالرجال والسلاح ، وقد اجتمع اليهم من كل اوب كل فارس مشهور ، وذي نجدة مذكور ، ورجع ابن الامام عليه السلام الى معسكره بالعرقوب ، فأقام فيه يوم الجمعة ، ثم رحل بكرة يوم السبت ، فنزل بموضع يعرف بتاعشمت ، فأقام فيه ،

---

(١) دابة : دابته في ج

(٢) الناظرون : سقطت في ب

(٣) فاشلين : فشلين في ج

(٤) ركوبه : مركوبه في ج

(٥) وحموه : وحملوه في ج

الى يوم الثلاثاء النصف من شهر المحرم .

وزحف عليه السلام ، الى زبرقة وتعرف باغيت ، وهو اسمها بالبربرية ، سار اليها بنفسه ، واتبعته الجموع من الاولياء بالتعبئة والاستعداد ، وقد عبأ صفوفهم وهيأهم للقتال ، وأمر عليه السلام ، كل من معه من صغير وكبير ان يحملوا الحطب والمشب ، ليلقى في الخندق ، ويمكن الجواز الى القلعة ، فحمل الناس جميعا وأحاطوا بالمدينة من كل جهة ، وسدوا على من فيها من كل (٢٩٥) وجهة ، ونصبت عليهم منجنيقات عظيمة ، وعرادات ، وأمر خليل بن يعقوب أن يقف في جموع افريقية على جبل هناك مشرف على المدينة مما يلي الخليل ، وأمره بالحزم (والانتباه من) (١) أن يغتاله العدو وقد كانت جماعة (٢) البربر ارادوا أن يعتلوا هذا الجبل ، فحين غشيهم خليل ومن معه ولوا على أعقابهم ، وأحاطت الجيوش والعساكر بزبرقة من كل ناحية ، ورموا بما معهم من الحطب في الخندق ، فلم يمتلىء الخندق لسعته . واشتغل الناس بالقتال ، ووقف القائم عليه السلام ، على فرس وردي (٣) بهيم يدور بالقلعة من مكان الى مكان ، ويحرض الناس ، ودنا حتى وقف في اول الصفوف ومعه درعه وسيفه ، ومعه رمحه ودرقته ، والبيضة على رأسه ، وليس للمدينة غير بابين قد اكتنفهما العدو برجاله (٤) ، وأنجاد حماته (٥) . وأمر القائم عليه السلام ، بالرمي (٢٩٦) بالمنجنيق ، فرمى عليها (٦) بأحجار كثيرة ، وأخذت العدو الحجارة والسهام من كل ناحية ، وتوالت عليهم الجيوش من كل جهة بالجد والاجتهاد ، مع صعوبة المدينة وضيق مجازرها ، فاقتتل الناس قتالا شديدا حينا من النهار ، وأمرهم القائم عليه السلام ، ان لا يرتدعوا عن الخندق ، وثقب السور ، ووقف ينظر اليهم ، فتقدموا بين يديه ، واقتحموا الخندق ، ووصلوا الى السور ، ووضعوا فيه الفؤوس ، ومال العدو الى تلك الناحية ، ووقع بينهم القتال الشديد وتنادى (٧) الناس الى تلك الجهة ، بين يدي القائم عليه السلام ، وتضعضع السور ، وتداعا وانهار منه وجه كثير على من كان تحته ، فنجاهم سبحانه ببركة القائم بأمر الله عليه السلام ، ولم يمت أحد منهم ، وتكالب أهل زبرقة،

---

(١) والانتباه من : سقطت في ج
(٢) جماعة : جموع في ج
(٣) وردي : ورد في ج
(٤) برجاله : برجالهم في ج
(٥) حماته : حماتهم في ج
(٦) عليها : عنها في ج
(٧) وتنادى : وتمالى في ج

وايقنوا بالهلاك . واشتد القتال واستماتوا ، وجالت الجيوش عليهم . (٢٩٧) الى ما تضعضع من السور ، فحمـــوه ، بالخيل والـــرجال ، وجعلت نساء زبرقة يضربن فيما بينهم الدفوف ، ويحرضنهم على القتال ، ويرفعن أصواتهن بالبربرية ليشجعن (١) الرجال ، واصاب الناس مطر وهم في الحرب .

ووقف القائم عليه السلام ، وحرض الناس ولم يثنه وقوع الغيث عن قتال العدو ، وكف المطر والقتال قائم ، وبنار الحرب تضطرم حتى اذن المؤذنون لصلاة العصر ، واهل القلعة على طغيانهم مصرون ، والى القتال مسارعون متذرون ، وقد اكتنفهم القتل من كل جهة ، وطمعوا أن يصبروا (٢) بالقتـــال حتى يأتي الليل ، فينصرف القائم عليه السلام ، بجيوشه عنهم ، ويمكنهم من الهرب عن قلعتهم ، فلما أن مالت الشمس للمغيب ، سأل (٣) بعض الاولياء القائم عليه السلام ، ان يستريح ويريح عسكره الى الصباح ، فزجرهم عن (٢٩٨) ذلك ، وارسل الى خليل بن يعقوب أن ينصرف بجميع من معه من وجوه اهل افريقية الى المناخ لاحاطته (٤) ، وعرفه انه مقيم على العدو ليلته، وتقدم القائم عليه السلام فانتقى من الجيوش وجوههم ، وذوي بأسهـــم ، ومن يعرف بالشجاعة منهم ، وامرهم فمشوا بين يديه ، وقصد السور ، فلما انتهوا اليه ، كبروا تكبيرة واحدة ، وتسنموا السور ، واقتحموا المدينة،وركب بعضهظهور بعض ، ووضعوا السلاحفي العدو ، وأضرموا بيته (٥) بالنيران ، واقتحم الناس عليهم من كل مكان ، وعملت السيوف فيهم (٦) من كل ناحية ، ورأوا الهلاك عيانا ، فمالوا علـــى نساءهم وأولادهـــم فقتلوهم بايديهـــم ، واستماتوا واستبسلوا ، واشرف بعض أهل زبرقة من السور ، فراى القائم عليه السلام ، وقد دنا من السور فرماه بحجر ، وقد التفت يحرض الناس ، فاتقاه بالدرقة ، وقال : ابعدك الله . فما برح الرامي (٢٩٩) في مكانه حتـــى أتاه منهم سهم (٧) فوقع في اليته (٨) فخر ميتا ، ورمى الرماة بالسهام حتـــى صارت خصوص أهل القلعة وبيوتهم كأنها قنافذ لكثرة السهام ، واضرمـــت نيرانا ، واستمر القتل فيهم والنهب ، وغابـــت الشمس ونزل القائم عليه

---

(١) ليشجعن : ليذمرن في ج
(٢) يصبروا : يصابروا في ج
(٣) سأل : سول في ج
(٤) لاحاطته : لحياطته في ب
(٥) بيوته : بيوتهم في ج
(٦) فيهم : عليهم في ج
(٧) سهم : غرب في ج
(٨) اليته : ليته في ج

السلام ، عن دابته وصلى المغرب والعشاء الاخرة ، وركب فرسه فوقف عليها طول ليلته وهو لابس لامة حربه، وقد أضاء الليل من كثرة الحرائق (١) والنيران حتى أصبح (٢) كالنهار ، ولم يزل القتل في المدينة والنهب حتى طلعت الشمس. ولم يفلت احد من اهل المدينة ، الا من خرج من الجهة التي كان فيها القائم عليه السلام ، فكل من قصدها منع من قتله ، ومن عليه ، وحين طلعت الشمس مشى القائم بأمر الله عليه السلام ، حول القلعة ونظر الى القتلى ، وقد تركوا فيها ، حتى واروا السور ، واحتوت جيوشه على ما في المدينة من الخيل والسلاح والاثاث ، (٣٠٠) وأكثر من حمد الله وشكره ، وكتب الى امير المؤمنين بما من الله به من الفتح الذي ملأ جميع الارض صيته وذكره ، وحل بعدوهم فيه هلاكه وخسرانه (٣) .

وانصرف القائم بأمر الله عليه السلام ، الى مناخه بتاقشمت حامدا الله تعالى على ما أولاه ، وأيده بنصره ، وحباه ، واطلق الاسارى . وامر بصيانة (٤) الحرم والاطفال، وردهم الى اولياءهم من الرجال ، وامنهم . واقام في مناخه ذلك ، واتته القبائل مذعنة بطاعته ، وخائفة لسطوته . فأمر لهم بحسن النزول ، وانعم على اكابرهم وكساهم ومن عليهم واعطاهم ، وهم اهل الماتة ، ومطماطة ، ومكياسة ، وقصيرة ، وزواغة . وهوازة ، واهل العيون ، وارتحل في يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر ، حتى انتهى الى وادي تامرت فبات به ، وقصد منه الحمير ، وهو مدينة لبني مسرة، اهل بيت ابن تباذلت ، الذي هو ابن حرز فأصابها خاوية ، ومن اهلها خالية ، (٣٠١) وهي في موضع انيق كثير الاشجار والانهار ، فأمر صلوات الله عليه بهدم سور المدينة ، وقطع اشجارها ، واقام بها حتى فرغ الناس من هدمها ، ورحل قاصدا دار جلف ، فبات بها ، ورحل الى بهيروج ، وفيه حصن منيع قديم ، فطلع اليه وتامله ، فراى حصانته ، وأمر بهدمه ، ورحل منه لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الاول حتى انتهى الى وادي صداق ، وهو واد مشرف على تاهرت ، فأقام فيه سبع ليال من شهر ربيع الاخر ، وانشد هناك قصيدته التي يقول فيها :

---

(١) الحرائق : الحريق في ج

(٢) اصبح : عاد في ج

(٣) وخسرانه : خسره في ب

(٤) بصيانة : بحياطة في ج

سلام على آل النبـــي ورهطه ... وشيعته أهل النهى والفضائــل
تحية مـــن أمسى بتاهــرت قائما ... بحقهم بـــين المــلا والقبائــــل
قبائل من تيم وقيس وخنـــــدق ... ومن يمن في عزها المتطاول(٣٠٢)
ومن كل حي قد أتانا زعيمهم ... وفارسهم عنـد اختلاف الذوابل
وفتيان صدق من ذوابة هاشـــم ... أتوني ببيض مرهفات فواصل
يقدون هامات العدى دون حقهم ... ويحمون دين الله فعل الاوائـل
أنا ابن رسول الله جدي وجدهم ... اذا ذكر الاقوام عند التفاصـــل
ومفخرنا العــالي على كل مفخر ... عليه سلام(١) بالضحى والاصائل
وجبريل منا حين قمنا وعصيـة ... الى الله ندعو عند ذكر التباهـل
وان(٢) كان من مجد وفخر فاننا ... حويناه قسرا بالقنــا والمناصـــل
انا ابن رسول الله والبيت والصفا(٣٠٣) ... انا ابن علي ذي التقى والفضائل
وفاطمة الزهراء امي ومن بـــها ... سموت الى العلياء اعلا المنازل
وقد قمت ادعو الناس حقا الى الذي ... ينجيهم من كل افك وباطـــــل
الى منهل فيه الهدى وشرائـــع ... اقيم بها من دينهم كل مائــــل
فان يستقيموا استقم لصلاحهــم ... وان يعدلوا عنــي فلست بعادل
عمرت بلاد الغرب بعد فســاده ... وطهرتها (٣) من كل غاو وجاهل
فلم يبق في سهل من الغرب فاسق ... وفي الوعر الا في اسى وبلابـــل
ففر لكي ينجو وهيهات خلقـــه ... قبائل تهوى كالليوث(٤) البواسل(٣٠٤)
كما فر ابن(٥) الاغلبي وقد رأى ... موارد موت عاجل غير آجـــل
فمر بحث الركض في كــل مهمه ... وخلا لنا عن داره والحلائـــل
وعن كل خود ذات حسن وبهجــة ... وكــل جواد في السوابق صاهل

---

(١) سلام : السلام في ج
(٢) وان : وما في ج
(٣) وطهرتها : وطهرت في ج
(٤) كالليوث : كالليوت في ج
(٥) ابن : ذاك في ج

فيا شيعة الحق الذين نحبهم — وحبهم فينا كثير التواصل

أما حان ان ترجوا الى مطيكم — وتاتوا سراعا بين حاف وناعل

فتحظون عندي بالذي تأملونه — لاحميكم من كل خوف وهائل

اذا ما حللناها وبالله عصمتي (١) — الي سراعا كانقضاض الاجادل

فقدازمعت خيلي اليكم سريعة(٣٠٥) — تجوب بلاد الله ذات المراحل

الى ارض مصر والعراق وبعدها — فبغداد همي من جميع المنازل

فان بها جور شديد وفتنة — وفيها اناس كالسوام الهوامل

يعادوننا ظلما ويهوون قتلنا — وكم جرعونا من مرارة شاكل

فسيري على اسم الله خيلي وشمري — الى بابل حتى تحلي ببابل

اذا ما حللنا وبالله عصمتي (١) — فان بها يوم شديد الزلازل

ويوم لنا في الرقتين وبالس — يكون لهم فيها اهتياج التلاتل

فتشفى نفوسا من لذيذ دمائهم — ونلحقهم فيها بكل الطوائل(٣٠٦)

اذا اجمعوا من كل غاب واقبلوا — على الفور من شط (٢) الفرات المقابل

ذكرت حسينا فاستهلت مدامعي — وقلت فاني لست انسى اوائلي

فاقتل منهم كل راس وتابع — واتركهم صرعى بملقى الجنادل

وتسري خيولي من ورا النيل تبتغي — عرى (٣) الدين حتى تستقر بكابل

ولو انني ضفت كل وقائعي — لطال بها شرحي وطالت رسائلي

وكم بدمشق من صريع مجندل (٤) — ومن ثاكل باك وجمع ارامل

وحمص وسلم (٥) والثغور ومن بها — وكل حصين في اعالي المعاقل (٦)

وثارت الينا عصبة خزرية(٣٠٧) — وقوم من الاخلاط اهل تخاذل

فمن كان يبغي السلم في الامن سادر (٧) — ومرمى الاعادي في جميع المقاتل

---

(١) عصمتي : عصمني في ج

(٢) شط : شاطيء في ج

(٣) عرى : عدي في ج

(٤) مجندل : مجزل في ج

(٥) سلم : يقصد بها سلمية

(٦) وكل حصين في اعالي المعاقل : الى بجدار من واهل المعاقل في ج

(٧) يبغي السلم في الامن سادر : في سلمي ففي الامن سادر في ج

فكان مما وعد في قصبدته في ايامه وايام الائمة من ذريته عليهم السلام ، واتم الله لهم ميعاده ، واورثهم أرضه ، وبلاده .

وانفذ القائم عليه السلام ، البرد خلف ابن خزر ليعرف احواله ، فاخبر انه ولى هاربا على وجهه في الرمال حيث لا يعرف له مسلك ، وتواترت بذلك الاخبار فترك ورحل حتى وصل اومنت غرة جمادي الاولى وارتحل قاصد لابن خزر رابع عشر شهر رجب ، فنزل شرف الرّاعب ، واقام بذلك الموضع الى آخر الشهر ، ورسله تخرج لارتياد الطريق ومعرفة المسالك فياتونه فيعلمونه انها قفار ، وسباخ كالبحار لا سكن فيها ، (٣٠٨) ولا انس بها ، ولا علم يهتدي به اليها ، فرحل يوم السبت لليلتين خاليتين من شهر شعبان ، فنزل دون سوق ابن جلالة ، وأقام به عشرة ايام ، وسار حتى نزل بعيون أبي فرات على ماء قليل ، وقد فني ما بأيديهم من الطعام والعلف لكثرة الجموع ، والعساكر ، والخيول ، والكراع ، والرقيق ، والاسارى ، ورجع قافلا عليه السلام ، حتى انتهى الى طنبة ، فاقام بها بقية (١) شهر شعبان ، ورحل سلام الله عليه ، من طنبة لثلاث خلون من شهر رمضان ، فنزل بموضع يعرف بابي مفرط ، فبات بها ، ووافاه فيها كتاب امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام ، يعرفه بفتح بلدان (٢) من بلدان الروم على يد سالم بن أبي اسد ، وصامن الخادم ، وأن كتامة الذين ببرقة مع فحل بن نوح اللهيصي العامل عليها زحفوا الى ذات الحمام ، وبهما أبو النمر احمد بن (٣٠٩) صالح من قبل صاحب مصر فهزموه ، وقتلوا ممن معه قتلا ذريعا ، وأخذوا لهم (٣) بنودا وأعلاما ، وغنموا لهم غنائم كثيرة ، ووجهوا بالاعلام الى باب امير المؤمنين صلوات الله عليه وآله ، فأمر بانفاذها الى القائم بأمر الله عليه السلام ، وكتب ايضا اليه عليهما السلام ، بأخبار سارة (٤) وردت من بغداد ، وفتح الانبار ، فأمر القائم عليه السلام ، باعلام المصريين ليطاف بها في العسكر ، وهي منكوسة ، فاستبشر الناس ، وحمدوا الله سبحانه ، وارتحل عليه السلام ، حتى دخل المهدية .

وفي خمس عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، بعز

---

(١) بقية : سقطت في ج
(٢) بلدان : بلد في ج
(٣) لهم : له في ج
(٤) سارة : سار في ج

شامل ، وزي كامل ، ونصر ظاهر ، ومجد باهر ، وعدة بهية ، وجموع (١) كثيرة قوية ، ودخل على امير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه ، (٣١٠) وهو جالس في الايوان (٢) الكبير ، ودخل جميع الاولياء ، وكافة النـــاس ، وسائر العبيد ، فسلموا عليهما ، وهنوهما بخيرات الله المتوالية اليهمـــا . وفي سنة سبع عشـــرة صار ابن خزر الى نواحي سكره ، واتصل ذلكبامير المؤمنـــين عليـــه السلام ، فأنفـــذ اليه مسعود بـــن غالب الرسولي في خمسمائة فـــارس ، وذلـــك لاحد عشرة بقيت مـــن شهر صفـــر فهزمه مسعود بن غالب وأوقع بأصحابه ، وكتب الى امير المؤمنين صلوات الله عليه، بخبـــر ذلـــك .

وفي هذه السنة قدم فلفل بن خزر في وجوه زناته واشرافهم على يديعلى ابن حمدون الى باب أمير المؤمنين عليه السلام ، فاذن لهم في السلام عليه (٣)، وأمر لهم بالكساء والصلات والحملان (٤) ، فكسوا في القصر . وفي سنـــة ثمان عشرة وثلاثمائة قدم صابر الخادم احمد ابن سامية الى باب أمير المؤمنيين عليه السلام ، على اسطول صقلية ، وقد رجعوا من بلد الروم (٣١١) بغنائم جليلة ، وأموال عظيمة ، وأثاث ، وصنوف من المغانم كثيرة ، وذكر أن عدد ما سبوا من الروم يزيدون على نيف وثمانية عشر الف نفس ، وكان خروجهم من المهدية حين غزوا بلد الروم في ربيع الاخر من سنة ٣١٦ ستة عشـــرة وثلاثماية ، وكان انصرافهم الى المهدية لثمان خلت من شهر شعبان منالسنة المذكورة ، وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة أمر امير المؤمنين بعمارة الاساطيل، وأن تشحن بالازواد والسلاح يغزو (٥) بلاد الروم ، فلما ايقن الروم بذلك . بعثوا رسلهم بالهدايا ، وسألوا الهدنة وكف الحرب ، فأقامت الاساطيـــل ، ولم تغز)٦(. وسنة عشرين وثلاثمائة امر أمير المؤمنين عليه السلام ، حميد ابن نصل بالزحف الى موسى بن ابي العافية ، فزحف اليه من تاهرتفيعساكر كثيرة ، وكانت بينهم وقائع مهولة ، والتجا موسى الى قلعة منيمة ، فحاصره فيها (٣١٢) حميد بن نصل ، واقام عليها بالجيوش ، ثم انها وقعت غفلة عـــن بعـــض السبـــل ، فخرج منها ابن خـــزر وسار هاربا بقصد الصحاري ، ويهيـــم في البراري .

---

(١) وجموع : وجماعة في ج
(٢) الايوان : الديوان في ج
(٣) عليه : عليهم في ج
(٤) الحملان : الحمل في ج
(٥) ليغزو : اخذوا في ج
(٦) تغز : غزا في ج

وفي هذه السنة سنة عشرين جرت الوحشة بين المقتدر العباسي ومؤنس الخادم . الذي كان المقتدر أخرجه الى مصر لحرب القائم عليه السلام ، وقدم مؤنس على المقتدر بجيوشه ، فأشار على المقتدر وزراءه واهل رايه ، أن يخرج الى مؤنس وقالوا أن عسكره عبيد دولتك ، ومن عليهم جزيل نعمتك . فاذا راوك (١) لم يكن لهم وقوف على التفرق، او يقبضوا على مؤنس ويصيروه اليك ، فركب المقتدر وخرج الى مؤنس يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر شوال من السنة المذكورة ، والتقى عسكره وعسكر مؤنس بباب الشماسة خارج بغداد ، فوقع (٢) الحرب بينهم ، وكان اول النهار لعسكر المقتدر ، ثم عليهم آخر النهار لعسكر مؤنس ، و (٣١٣) اسروا ابا الوليد بن حمدان ، واحمد بن أحمد كيغلغ من اصحاب المقتدر ، وانهزم عسكر المقتدر ، واخذ بعض عسكر مؤنس السيف من يد المقتدر ، ونزعوا البرد منه ، واخذوا خاتمه . وكان من ياقوت احمر مربع ، وقتلوه بعد ذلك ، واتوا براسه الى خادمه مؤنس ، وتركوا جثته ولا ستر على عورته ، فطرح عليه القطيب والحشيش ، ثم أمر مؤنس بالجمع بين جثته وراسه ، وسلمه الى الشوارب قاضي بغداد فدفنه .

عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه ، قال الامام المعز لدين الله صلى الله عليه (٣) : كان بنو العباس قد غلبوا على ذي الفقار سيف رسول الله ، وسيف وصيه صلوات الله عليهما ، فرده الله الينا ، وذلك لما قتل جعفر العباسي المسمى بالمقتدر ، وانتهب قصره ، وكان فيمن شهد ذلك ، بعض أوليائنا فنظر الى امراة من حرم جعفر وقد كشفت ، وهي تقول : الا (٣١٤) رجل يسترني حتى يوصلني الى مكان كذا وكذا . فرق لها ذلك الرجل وسترها ، وقال لها : سيري أبلغك ، فقالت : والله ما عندي ما اجازيك به ، ولكن ادخل هذا البيت ففيه ذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله (٤) فخذه ، فأخذه ، ومضى بها الى حيث سالت ، واصاره الله الينا بمنته ونعمته .

وتولى القاهر بن المعتضد العباسي فأمر بقتل مؤنس الخادم ومن اشار

---

(١) راوك : سقطت في ب (٢) فوقع : معا ، فوقع في ج
(٣) هذا ما قاله القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات المجلد الثاني.
(٤) فخذه : سقطت في ج

الفتنة ، والقى الله كيدهم بينهم ، وعجل على ايديهم حينهم ، واعز دولة الائمة من آل رسوله ، وما زالت دولة بني العباس تتضعضع (١) ودولة اهل بيت الرسول عليهم السلام ، يعلو بنيانها ويرتفع ، وسنذكر من ذلك اذا انتهينا اليه ، ما يعين الله عليه .

كان يعقوب بن اسحق التميمي (٢) اخو خليل بن اسحق في حبس بغداد فخرج منه حين قتل المقتدر ، وكان لما خرج القائم عليه السلام الى مصر كما ذكرنا فاخرج معه يعقوب فولاه القائم خراج (٣١٥) الفيوم ، فابتنى بها مسجدا وترك له وقفا ، وعاد الى المغرب بما جمع من المال ، وامره امير المؤمنين المهدي بالله بالعودة الى مصر في اسطول كبير ، وذلك بعد رجوع القائم بالله عليه السلام ، الى المهدية وكان مع يعقوب صقلي يعرف بسليمان (٣) ، وهو (٤) من عبيد الامام عليه السلام ، فوصلا الى الاسكندرية ، وفني ما عندهما من الزاد ، وتفرق عسكرهما ، فاخذ يعقوب التميمي ، وسليمان الصقلبي ، وطيف بهما في شوارع مصر ، وحملا الى بغداد مكبلين وذلك في حياة المقتدر فأمر المقتدر بضرب عنق الصقلبي رحمه الله عليه فضربت ، وامر بسجن يعقوب ، فاقام في بغداد اربع عشرة سنة ، منها تسع سنين مضيق عليه في سرداب تحت الارض وسبع ، وما من شهر الا ويصل اليه المال من امير المؤمنين عليه السلام ، على يدي دعاته بالمشرق ، المستترين ، فكان يدفع اكثر ذلك الى السجان و (٣١٦) المسجونين ، حتى اثرى السجان ، وكان قد اطمأن اليه ، فمتى نوجه في امرا (٥) استخلفه على اهل السجن ، فحين هلك المقتدر ، بادر السجان الى كسر باب السجن واخرج يعقوب بن اسحق وجماعة معه من المسجونين ، فسار يعقوب لوقته بعد ان اخذ شعر لينه وراسه ، ولبس جبة صوف ، ولم زيل يقصد بلد بعد بلد فيجد النداء حيث وصل ، من جاء بيعقوب وزير الفاطمي فله جملة من الدنانير كثيرة ، وعطيات جزيلة .

ولم يكن للقاهر العباسي لما استخلف شغل غير طلب يعقوب بن اسحق ، ويعقوب يجتمع في كل بلد بمن فيه من دعاة الامام عليه السلام ، وهم في

---

(١) تتضعضع : تضعضع في ج
(٢) التميمي : الميمي في ج
(٣) بسليمان : سلمان في ج
(٤) وهو : سقطت في ب
(٥) امرا : سرا في ج

التقية ، ويسيرونه من بلد الى بلد ، الى ان وصل الى مصر بعد خوف عظيم، وتعب مهول ، فقصد موضعا يسمى درب العصافير ، واذا بواحد قد عرفه ، وكان (١) النداء عليه بمصر فضرب يده اليه ، وقال : هذا نصيحة السلطان . وكان يعقوب فيما يقال قويا (٣١٧) شديد البأس (فضبط الرجل) (٢) وجعل ثيابه على وجهه ، وصاح يعقوب : هذا رافضي ، وتكاثر الناس عليـه ، فانسل يعقوب الى مسجد بدرب العصافير ، وقد يئس من السلامة ، ولـم يزل به الى العتمة فعرفه بعض المصلين في المسجد فلم يكلمه (٣) حتـى اذا طفيت القناديل ، عمد الى يعقوب فتطارح عليه ، وجعل يقبل رجليه ، ودعاه الـى منـزلـه واخـرج الـيه ولـده ، فقـال : هذا مولاكـم وبقي مع ذلك الرجل والنداء عليه بمصر غير منقطع ، وجعلت الحرس على الجسر الذي يعبر من الجزيرة الى النيل رصدا ليعقوب ، وكذلـك جعلـت الخـيل والرجال (٤) في موضع يعرف بذات احمام على محجة من يسير الى المغرب . فلم يكن احد يجوز حتى تصح عندهم معرفته .

وحين بلغ ذلك يعقوب بن اسحق بقي منقطعا ، ووقف متحيرا ، واشتغل بذلك قلبه ، و (٣١٨) ضاق صدره حتى ان زوجة الرجل الذي هو معه ضمنت أن تسير به الى (٥) الجسر في نسوة معها ، فقدم يعقوب غلاما له قد اشتراه بردائه وحوائجه ، واخذت تلك المراة نسوة فتزيا يعقوب بزيهن ، وقد أخذت آلةالحماممعهن ، فحين صاروا في وسط الجسر ، وثب احد الحراس (٦) فضرب بيده على يعقوب فأكثرت المراة الصياح ومن معها من النساء ، وقلن : نحـن بنات عواتق . والتأمت (٧) العامة فلم يمكنوه من كشف وجهه (٨) وتخلص، وصار الى الجزيرة ، واستأجر منها دليلا واثقا بمعرفة الطريق فنزل الدليل عن الطريق فما شعروا حتى وقعوا وسط الحرس ، وكان ذلك ليلا ، فقالوا: من انتم وما حاجتكم ؟ فقال يعقوب التميمي : انا رجل تاجر ولي ولد كـان موسرا وبلغني انه مات ، وقد خرجت مسرعا وخشيت أن يقبض السلطان

---

(١) كان : سقطت في ج

(٢) فضبط الرجل : فضبطـــه يعقوب في ج

(٣) يكلمه : يتكلم في ج

(٤) والرجال : والرجل في ج

(٥) الى : سقطت في ج

(٦) الحراس : الحرس في ج

(٧) والتأمت : والتقت في ب

(٨) وجهه : وجه في ج

ماكان لولدي. وارادوا منعه، فسال بعضهم أن يجيزه، واراد أن يعطيه خمسين دينارا فأبي (٣١٩) قبولها ، واجتهد في خلاصه ، فسار من ساعته ، فلما انتهى الى برقة ، كتب الى امير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه ، وعلى آله يعرفه شعرا :

انت امير المؤمنين على الظمى ... أحب الى قلبي من البارد العذب
فوالله(١) مادري اذا غبت ساعة ... ودادا وشوقا أين عقلي ولا لبي
فديتك يا خير البرية كلهما ... امامي الذي ارجو به الفوز من ربي
اثيت ببرهان من الله واضح ... وفسرت ما استعمى علينا من الكتب
فاصبح دين الله بعد دروسه ... جديدا كما انبأ به جدك المنبي(٢)
وقد سعد الاشياخ منك بنظرة ... وفازوا بها دوني فاوجعني قلبي (٣٢٠)
قدمت على الايام في كل نعمة ... مليكا على اهل المشارق والغرب

فلما انتهت الابيات الى المهدي بالله سلام الله عليه ، امر بدخوله من ساعته ، فدخل اليه وانشد الابيات بين يديه .

وتزايدت العلة بامير المؤمنين المهدي بالله سلام الله عليه ، حتى كانت وفاته بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الاول احد شهور سنة ٣٢٢ وثلاثمائة ، وعمره يوم وفاته صلوات الله عليه ورضوانه ، ورحمته ، وبركاته، وسلامه ، ثلاث وستون سنة ، لان مولده كان في سنة ستين ومائتين (٣) ، وكتم امير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، خبر وفاته مائة يوم ، ثم اظهر نعيه ، يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادي الاخرى من السنة المذكورة، واظهر عليه من الحزن ما لم يعرف من احد من قبله ، فنيح عليه في أمصار المغرب ومدنها ، وبواديها ، ورثي بمراثي كثيرة ، وممن رثاه صلى الله عليه وآله (٣٢١) عثمان بن سعيد الصقيل من اهل القيروان شعرا :

وهت مرة (٤) الصبر فانجلت ... ورثت عرى الحزم فاجتثت

---

(١) فوالله : ووالله في ج (٢) المنبي : النبي في ج

(٣) يقول القاضي النعمان في كتاب افتتاح الدعوة : وكانت مدة ظهور امامته عليه السلام من يوم وصل الى رقادة الى اليوم الذي نعي فيه اربعا وعشرين سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما. (٤) مرة : مرر في ج

وأي سبيل الى سلوه ... وأوعية الدمع قد فضت
وكيف العزاء وقد خدشت (١) ... خدود الخرائد واربدت
جنود التجلد قد ولت ... وألوية الوجد قد صفت
وداهية قد اتت فجاءة ... فمنها المسامع قد سكت
توالت (٢) فلم ار لي مذهبا ... كأن المسالك قد سدت
فاومأت ارمق نحو السما ... وارنو اليها هل انشقت (٣٢٢)
الا ليت شعري اهل ميزت ... أكف المنية من بزت
وهل علمت من رمته الخطوب ... وهل درت الارض من ضمت
فليت الحوادث لم تخترم ... وليت يد الدهر قد شلت
امامي الذي اخترمته المنون ... لو قد ترى انه استحيت
وقائلة اذا رأت عبرتي ... سجاما على الخد قد سحت (٣)
جزعت وقد كنت جلدا على ... صروف الخطوب اذا كرت
وكيف العزاء ولم يدر ما ... تضمن قلبي وما قضت
لاية احدوثة اسعدت ... شؤن جفونك فانهلت
اكورت الشمس أم زلزلت(٣٢٣) ... جبال البسيطة أم دكت
فقلت لها الخطب فوق الذي ... ظننت واضعافه قد (٤) صمت
فلا غرو ان سفحت عبرة (٥) ... ولا عذر ان لم تفض يا مهجة (٦)
ذوى علم الارض فارتجت ... ومالت من الوجد فانهدت
وكادت تزلزل بالراسيات ... لاحدى الكبائر اذ حلت
فلما تجلى امام الهدى ... عليه السلام لها قرت
ولو لم يعزيها (٧) بتدبيره ... أبو القاسم المصطفى خرت

---

(١) خدشت : خودت في ج
(٢) توالت : الت في ج
(٣) سحت : سحن في ج
(٤) قد صمت : فاصمت في ج
(٥) عبرة : عبرتي في ج
(٦) يا مهجة : مهجتي في ج
(٧) يعزيها : ينشئها في ج

فالبست الارض جلبابها ... لفقد الخليفة فاسودت(٣٢٤)
ولما بدى القائم المرتضى ... وقابلها نوره ابيضت
واقسمت الريح اذ بان من ... تباريسه بالجود لا هبت
فلما سرت نفحات الامام ... واستنشقت عرفه حنت
فازمعت المزن اذ غاب من ... له ينزل الغيث لادرت
فلما رأت سبب كف الامام ... فلم تتمالك بان اروت
فاولع بالجو اظلامه ... واخفقت الارض فاغبرت
وذابت نفوس الورى رقة ... لفرط الرزية فاعتلت
فلولا الامام وانعاشه (٣٢٥) ... قلوب الرعية لانفتت
فيا حجة الله في ارضه ... عزاءك عنها وان حلت
ليهني(١) الخلافة ما احرزت ... من المجد والشرف المصلت

وخسف القمر في الساعة التي توفي فيها امير المؤمنين المهدي بالله سلام الله عليه ، خسوفا كليا ، وفي اليوم التاسع والعشرين من الشهر الذي توفي فيه صلى الله (٢) عليه كسفت الشمس ، ولم ينتقل صلى الله عليه وعلى آله، ولم يفارق هذه الدار حتى اقام امير المؤمنين القائم بأمر الله صلى الله عليه لولاية عهده ، ونص عليه بالخلافة من بعده ، الحمد لله جاعل الامامة في اهلها القائل تعالى : « ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها » (٣) وصلى الله على سيدنا (٣٢٦) محمد ، وعلى آله أمراء الامة في عقدها وحلها، وسلم ، وحسبنا الله وكفى ، ونعم الوكيل .

ذكر نبذ مما كان في اوان خلافة امير المؤمنين القائم بأمر الله ابي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه ، وعلى الطاهرين من آبائه ، والاكرمين من ابنائه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبويع امير المؤمنين صلوات الله عليه القائم بأمر الله ابو

---

(١) ليهني : ليهن في ج
(٢) الله : سقطت في ج
(٣) سورة : ١٠٦/٢

القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه المنتجبين ، بعد وفاة المهدي بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعمره سبع وأربعون سنة ، فقام مقامه ، واقتفى سيرته (١) وآثاره وأحكامه ، ونصب لدين الله اعلامه ، وهم آل رسول الله حقا ، والائمة من عترته الذين بشر بهم صلى الله عليه وعلى آله ؛ ووعد بظهورهم ، فملأوا الارض (٣٢٧) عدلا وقسطا ، بعد ان ملئت جورا ، وظلما ، وخبطا ، وكانت سيرتهم سيرة جدهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهداهم هداه ، وهم المصطفون من ذريته والطاهرون من عترته . الذين جرى النص فيهم من واحد الى واحد ، وفي مولود عن والد ، حتى انتهى اليهم صلى الله عليهم وعلى آلهم ، من علي امير المؤمنين ، عن محمد خاتم المرسلين ، عن جبرائيل الروح الامين ، عن رب العالمين ، ليسوا كمن ولت (٢) العامة على أنفسها ، ونصبته لدينها ، بغير وحي من الله تعالى . ولا نص من رسوله ، ولا تنزيل في كتابه ، فلما كان العدل سيرتهم ، والتقوى ظاهرهم وسريرتهم ، وشريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله شريعتهم ، يحرمون ما حرم الله ، ويحلون ما احل الله ، ولا يرخصون في تضييع فرض من فروض الله عز وجل ، ولا في اتيان شيء من المحرمات ، وينهون عن (٣٢٨) المعاصي الموبقات ، ويشددون فيها أعظم التشديد ، ويقيمون على من خالف حكم الله الحدود ، ليسوا كمن ادعى الامامة من بني امية وآل العباس ، الذين فتنوا الناس ، وتراسوا عليهم بغير برهان صادق ، ولا نص من النبي الناطق ، فأباحوا ما حرم الله في القرآن ، وشربوا المسكر غير منتهين عنه ، وجاءوا بالافك والعدوان ، وجمعوا للعزف القيان ، واشتروها (٣) لذلك بعالي الاثمان ، وأباحوا جميع الملاهي واقبلوا على دنياهم اقبال الساهي اللاهي ، فحين لم يجدوا في الائمة الطاهرين من آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله تلك السيرة ، ووجدوهم يدعون الى الله تعالى على بصيرة يأمرون بالحق ، بعد ان يأتمروا ، ويزجرون (٤) عن المعاصي بعد ان ينتهوا عنها وينزجروا ، لم يجدوا فيهم مطعنا ، ولا استطاعوا أن يطفئوا ما آتاهم الله من (٣٢٩) النور الباهر والسناء ، ووجدوهم علماء لا يعلمون ، وفقهاء لا يؤدبون ، طعنوا في انسابهم صلوات الله عليهم ، عدوانا وظلما ، وبغيا واثما ، فقالوا : هم من

---

(١) سيرته : بسيرته في ج
(٢) ولت : علت في ج
(٣) واشتروها : وشروها في ج
(٤) ويزجرون : ويزدجرون في ج

اولاد ميمون القداح ، لكي يطفئوا نور الله الواهج (١) الوضاح ، وميمون القداح رحمة الله عليه ، هو من شيعتهم وأوليائهم ، وقد ذكرنا انه كان حجة الامام اسماعيل ابن جعفر عليه الصلاة والسلام ، وولده عبد الله بن ميمون كان حجة محمد بن اسماعيل وبنيه ، وداعيا اليهم ، يوضح فضلهم لمتبعيه ، وهو عبد (٢) من عبيدهم ، وحد من حدودهم ، والائمة عليهم السلام ، فمن ذرية جعفر الصادق الامين الذي هو من افضل ذرية علي أمير المؤمنين ، وانتسابهم الى فاطمة الزهراء كريمة (٣) سيد المرسلين سلام الله وصلاته عليهم أجمعين ، فمن زعم غير ذلك فهو (٣٣٠) مفتري آفك ، وكانوا صلوات الله عليهم من بعد محمد ابن اسماعيل قد دخلوا في كهف التقية ، واخفوا اسماءهم وانسابهم لعظم المحنة والبلية ، خيفة ، وخفية ، من عدوهم ، كما خرج موسى الكليم عليه السلام ، خائفا يترقب ، واستتارا من احزاب الشياطين حين غلب ضدهم وتغلب ، وكانت الدعاة وقت التقية يخفون اسم الامام ، وربما تسمى أحدٌ من الدعاة باسمائهم تقية عليهم ، وسترا .

وقد قدمنا من ذكر ذلك فيما سلف من الكلام حتى طلعت شمس الحق من مغربها ، وبدت من حجبها ، فاظهر الله امره ، وهم كارهون ، وجاء الحق وبطل ما كانوا يعملون ، وانما فعل ذلك الغزالي (٤) واشباهه تقربا الى الخليفة البغدادي العباسي ، ولا شك ان الغزالي كان مناصبا لاهل بيت محمد مبغضا لهم ، وهو الذي ذكر ان الامام الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، خارجي خرج على يزيد بن معاوية ، ولعن الغزالي من (٣٣١) يلعن يزيد بن معاوية ، لعنهما الله واوردهما النار الحامية ، ذكر ذلك

---

(١) الواهج : الوهاج في ج (٢) عبد : عند في ج

(٣) كريمة : نجلة في ب

(٤) الغزالي : هو محمد بن محمد بن احمد الغزالي ، المعروف بابي حامد - نسبة الى ابن له مات صغيرا - وبحجة الاسلام لزوده عن حياض الاسلام بالقلم واللسان ، كانت ولادته في مدينة طوس سنة ٤٥٠ هجرية وقيل ولد في قرية « غزالة » من اعمال طوس واليها انتسب . الف كتاب فضائح الباطنية او المستظهري الذي صنفه تلبية لرغبة الخليفة المستظهر العباسي ، وكفر فيه الباطنية بعد ان تعرض لرايهم في الامام المعصوم ، طبع في ليدن سنة ١٩١٦ مع المتن العربي . وقدم له «كولدتسهير» وقد رد على هذا الكتاب الداعي الاسماعيلي علي بن الوليد في كتاب يقع في مجلدين وسماه دامغ الباطل وحتف المناضل وقد قمنا بتحقيقه وهو تحت الطبع .

القاضي ابن خلكان في تاريخه المشهور ، وذلك فيه مذكور ، فلعداونه أعني للغزالي ونصبه طعن على الائمة المهديين ، وجاء في شرفه نسبهم بالبهتان المبين ، فاتبعه على ذلك أكثر العامة المبغضين لآل الرسول ، الحاسدين لهم على ما أتاهم الله من الفضل الجليل ، وقد ذكر ذلك الشريف الزيدي الحسيني: وهو ادريس بن علي بن عبد الله في كتابه المسمى كنز الاخبار في السير والاخبار ، وقال : ما يدريهم بذلك ، وعلي بن ابي طالب قد سمي آدم الاصغر لكثرة ذريته ، وتشعبهم في الآفاق . وكانت هذه من الشريف المذكور سلوكا لطريق الانصاف ، وميلا عن المين الذي سلك فيه أهل الخلاف ، ألا لعنة الله على الكاذبين ، الذين يضلون الناس بغير علم ، عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا . شعر (٣٣٢) :

لي حيلة فيمن ينم — وليس لي في الكذب حيلة
من كان يخلق ما يشاء — فحيلتي فيه قليلة

ولو تقصينا القول في هذا لطال واتسع فيه المجال ، وفي اقل قليل مما ذكرناه ما يهدي الى السبيل ، والصدق لا يبطله الافك ، واليقين ، لا يمحوه(١) الشك ، ولا تشك بحمد الله أن مولانا أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن المهدي بالله ابو القاسم محمد بن عبد الله بن الحسين بن احمد ابن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم أجمعين وعلى آلهم الطاهرين . شعرا :

نسب كمطرد الكعوب مقوم — ما فيه من أود ولا عرجون

بل كما قال ابو الطيب أحمد بن الحسين حيث قال :

نسب كأن عليه من شمس الضحى — نورا ومن فلق الصباح عمودا (٣٣٣)

وان الامامة كما قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : الامامة في العقب تجري في واحد عن واحد لا ترجع التهقري ، ولا تعود الى الوراء . والحمد لله على ما أتانا ودلنا عليه ، من ولاية أوليائه ، وهدانا . وقد ذكر ذلك الامام المعز صلوات الله عليه في سجله الى داعيه بالسند حليم بن شيبان

---

(١) لا يمحوه : لا يرفعه في ج

قدس الله روحه فقال سلام الله عليه في ذلك السجل : قال الصادق عليه السلام : الايمان والعبادة التصديق بأمرنا واعتقاد امامتنا وانتظار قائمنا ، والصبر على ذلك حتى يأتي أمر الله .

هذا بعض (١) ذكرته من تهويس القوم وتخاليطهم . مما ذكرته في مسائلك من ذكر الخلفاء السبعة ، وان النهاية في السابع منهم ، وهذا من التوقيت مثل ما تقدمنا ذكره ، وذلك انهم لما وقتوا في محمد بن اسماعيل عليه السلام ما وقتوه ومات وقالوا عنه ما قالوا زعموا (٢) انه استخلف خليفة بعده (٣٣٤) من غير ولده ، واستخلف الى ان بلغوا سبعة زعموا ان اولهم عبد الله بن ميمون القداح ، وكل ذلك ليثبتوا قولهم الذي يقولون به ان الامام بعده وان استخلفه (٣) هو من عرض الناس ، فقطعوا ما أمر الله به ان يوصل . وخالفوا قوله تعالى ، اذ يقول : « وجعلها كلمة باقية في عقبه » (٤) . وكان لذلك سبب أوجب ذكره ، وذلك انه لما فشت دعوة محمد بن اسماعيل عليه السلام طلب المتغلبون من بني العباس من يشار اليه بالامر فاستترت الائمة، وكنى الدعاة عن اسمائهم تقية عليهم بما هو لهم ويليق فيهم ، فقال الامام من ولد محمد بن اسماعيل بن عبد الله ، وهو عبد الله ، كما قالوا وابن ميمون القداح ، وهو كما قالوا ابن الميمون النقيبة (٥) القادح زند الهداية الموري نور الحكمة ، وجرت الكناية على من بعده من الائمة بأمرهم وما رسموه لدعاتهم ، ثم سقط ذلك الى من لم يفهمه بعد (٣٣٥) الماضين فاحتمله على ظاهره كما ذكرناه اولا فضل واضل عن سواء السبيل ، ولو انهم فعلوا ما أمرهم الله عز وجل به من الرد الى أوليائه لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، كما علمت انت الان لكن الاعمى اذا لم يكن له قائد ولا هادي ، تردى في هوة لا مخلص (٦) له منها ، ومن استكبر ضلّ وغوى ، فاياك أن تقول او أن تعتقد أن الله عز وجل قد اهمل الخلق ، ولا يهملهم طرفة عين من قيام امام من أعقاب الرسل والائمة ، يقوم بأمر الامة (٧) ، فان قال قائل بخلاف ذلك فقد أشرك . وهو قوله قد شاع في دعوتنا ، وذاع على السنة جماعة ممن ينتسب الينا

---

(١) هذا بعض : مما في ج
(٢) زعموا : قالوا في ج
(٣) استخلفه : خلفه في ب
(٤) سورة : ٤٣/٢٨
(٥) النقيبة : سقطت في ج
(٦) لا مخلص : لا خلاص في ج
(٧) الامة : اسقطت في ج

فينبغي لمن انتهى اليه قولنا هذا أن يلطف في تقريره وبيانه عند من سبق ذلك الشك اليه ويقرره عنده ، حتى يزول الشك من صدورهم ، ويثبت للحق من ذلك عند اهله ، ومن يرجى صلاحه (٣٣٦) وقيامه الى ما هو أعود (١) نفعا عليه في دينه ودنياه ، وأولاه وآخرته ، بحول الله ، وقوته .

هذا قول المعز لدين الله امير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين ، في سجله ، وهو سجل طويل معروف فيه فنون من العلم والادب ، حض على صلاح الاعمال . وهذا هو الحق اليقين ، والصدق المبين ، والحمد لله رب العالمين .

نرجع الى ما نحن فيه ، قال المنصور الكاتب العزيزي الجوذري رحمة الله عليه فيما رواه عن جوذر الاستاذ عبد الائمة صلوات الله عليهم ، ورضي الله عنه (٢) : ولما نقل الله عز وجل امير المؤمنين المهدي بالله صلوات الله عليه ، الى دار كرامته ، ومحل رحمته ، وأفضى بالامر بعده الى حجته امير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، صرف الي النظر في بيت المال وخزائن البر والكسى ، وجعلني سفيرا بينه وبين اوليائه ، وسائر عبيده واذا اراد (٣٣٧) أمرا ليكشفه في حضرته انفذني فيه .

قال : ثم خصني بفضيلة آثرني بها على جميع العالمين ، وافردني بها من بين جميع الدعاة والمؤمنين ، وذلك انه لما اراد دفن المهدي بالله قدس الله روحه وصلى عليه ، احضرني دون جميع العالم ، وقال لي ولبس الا انا وهو على حافة القبر الذي يريد انزال المهدي بالله قدس الله روحه فيه : يا جوذر انه لا يحل للحجة بعد الامام أن يدفن الامام حتى يقيم لنفسه حجة ، ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتي ، وقد ارتضيتك لهذه الامانة دون جميع الخلق ، وتلا علي هذه الاية من قول الله عز وجل : «انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال » (٣) الى آخر الاية .

ثم قال : ادن مني ، فدنوت منه فقال : هات يدك . فبسطت يدي وأنا خائف وجل من الهيبة التي جعلها (٤) (٣٣٨) الله عز وجل له في قلبي حتى

---

(١) أعود : اعم في ج
(٢) سيرة الاستاذ جوذر صفحة ٢٣ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .
(٣) سورة : ٧٢/٣٣
(٤) جعلها : ركبها في ج وفي سيرة الاستاذ جوذر صفحة ٢٥

كانه ليس هو الولي (١) الذي كنت أدل عليه في الخطاب وغيره اياه حياة المهدي قدس الله روحه ، فقال لي : أنا آخذ عليك عهد الله وغليظ ميثاقه (٢) تكتم عني ما اظهره لك واكشفه ، فقلت : نعم يا مولانا صلى الله عليك . فقال: ولدي اسماعيل هو حجتي وولي عهدي فاعرف له حقه ، واكتم أمره أشد كتمان حتى اظهره بنفسي في الوقت الذي يشاء الله عز وجل ذلك (٣) ويختاره. ثم دفن المهدي بالله قدس الله روحه ، وواراه في قبره بعد أن صلى عليه.

قال جوذر رضي الله عنه : فكتمت امر المنصور بالله صلوات الله عليه في نفسي. فلم يطلع على ذلك أحد مني سبع سنين . روى منصور الكاتب قال : وحدثني ابو الحسين (٤) جوهر الكاتب وهو المعروف بالقائد انه سمع هذا (٣٢٩) الحديث شفاهاً من المنصور بالله صلوات الله عليه . بلا زيادة ولا نقصان . قال : وكان المنصور بالله عليه السلام . يميل في حياة امير المؤمنين القائم بأمر الله الى جوذر (٥) كثيراً دون غيره . ويكثر الوقوف عنده في بيته ، وكان الناس في ذلك الوقت في غمرات يعمهون . قد تعلق كل قوم (٦) منهم بغير سبب يثبت بواحد من اولاد أمير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، وجوذر (٧) رضي الله عنه قد وثقت نفسه بما عوهد عليه . قال جوذر: فلما كان ذات يوم أدبت بعض الصقالبة الذين تحت يدي على جناية كانت منهم استحقوا عليها (٨) الادبه ، وهم قيصر ومظفر وطارق وغيرهم (من صقالبة الغار) (٩) فأدبتهم واعتقلتهم ، وكل ذلك في أيام أمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، والمنصور بالله مستور (١٠) فضله (١١) لا يقف أحد (٣٤٠) على أمره. فلما اجتاز المنصور بالله عليه السلام بالجهة التي هم معتقلون بها توسطوا (١٢) به ، ورغبوا اليه في التشفع لهم ، فما شعرت حتى أتتني رقعة منه بخطه ، وهي : يعلم الله — عافاك الله وأحسن اليك وأتم نعمته عليك — تجنبي (١٣)

---

(١) الولي : المولى في ج (٢) أن : انك في ج
(٣) ذلك : سقطت في ج
(٤) ابو الحسين : ابو الحسن في ج و ب والتصحيح من كتب التواريخ .
(٥) الى جوذر : اليه في ج (٦) قوم : واحد في ج
(٧) وجوذر : وهو في ج (٨) عليها : بها في ب
(٩) من صقالبة الغار : سقطت في ب و ج والتصحيح من سيرة الاستاذ جوذر صفحة ٣٠ مخطوطة .
(١٠) مستور : مستتر في ج (١١) فضله : سقطت في ج
(١٢) توسطوا به : توسلوا به في ج (١٣) تجنبي : تجانبي في ج

الاشياء ، وكراهيتي ان اتكلم في شيء من الامور الا اني اذا ذكرت ديانتك ومودتك وانسي بك رأيت أن الدالة تسقط الحشمة ، وتوجب الا اشح عليك نصيحة ، فالذي كان من امر هؤلاء الصبيان الخدم ، وان كنت اردت بذلك ادبهم وتقويمهم فقد جاوزت الحد قليلا ، والمؤمن فرض عليه واجب مثل فرض الصلاة والصيام ان يكون رحيما للدني والشريف ، شفيقا على المؤمن والكافر لطيفا بمن قرب منه أو بعد ، وللغيظ سلطان شديد ؛ قل من يملكه اذا هاج او (٣٤١) يكسره اذا فار .
وقد ذكر لجالينوس رجل من اخوانه وقيل : كان رجلا شريفا عاقلا اديبا ، لم يكن فيه عيب الا شدة غضبه ، وانه كان لا يملك غضبه اذا هاج ، وذكر عن الرجل انه سار معه في طريق بعيد ، قال فرأيته وقد غضب على بعض عبيده فضرب العبد بالسيف ضربة كاد ان يقسمه (٢) فيها ، قال : ثم ندم بعد ذلك على فعله . (٣) وقال : يا جالينوس تفضل علي وعالج هذا الطبع الذي انا عليه ، لعل أن ينقص به من غضبي ، قال : فقال له : ان هذا لا يداوى بالعقاقير والأدوية وانما يداوى باللسان والموعظة . قال : فوعظه وعرفه ان ليس شيء (٤) أضر على العقل ولا اعدى الى النفس من الغضب . قال : فقبل ذلك وانتفع به .

وانا احب ايضا ان تقبل انت موعظتي كما قبلها ذلك الرجل من جالينوس . وتنقص من (٣٤٢) غضبك شيئا بعد شيء لئلا يكون فيك خلق مذموم . ويكون اول (٥) ما اعرف من قبولك اطلاقك سبيل هؤلاء الغلمان ، الذين حبستهم من قبل نفسك دون ان يعلموا اني سألتك فيهم ، فانهم قد سألوني في ذلك ، وتظلموا الي فيه ، ولكني والله ما وعدتهم بأني اكلمك فيهم ، ولا أحب ان يعلموه ، وبالله لولا ما اعرفه من الانس بيني وبينك ما ذكرت لك شيئا منه مع ما احبه ايضا من الخير لك ، والا توصف الا بالشفقة والرفق لا بالشدة والغلظة ان شاء الله تعالى .

وقد روى القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه عن الامام المعز لدين

---

(١) سار : سافر في ج (٢) يقسمه : يفنيه في ج
(٣) على فعله : سقطت في ج و ب وجرى التصحيح من سيرة الاستاذ جوذر صفحة ٣٣
(٤) شيء : سقطت في ب (٥) اول : سقطت في ج.

الله مما رواه الامام المنصور بالله عليهما السلام : قال المنصور بالله صلوات الله عليه ؛ انه لما كان من أمر الله في المهدي بالله عليه السلام ما كان ، لم يتقدم القائم عليه السلام للصلاة عليه ، حتى اخذ بيدي وخلا بني فقلدني عهده ، واسر الي في ذلك ، واستكتمني (٣٤٣) اياه ، فوالله ما علم بذلك منه الى بعد الله غيره ، واقمت مدة ايام حياته ثلاثة عشر سنة انظر الى من قرب منه ، ومن بعد عنه ، صلى الله عليه ، يسعون بالفساد في دولة ، وهي لي ؛ قد قلدني الله أمرها ، وانا كافل الابعدين لا آمر ولا انهي ؛ ولا أتعرض لشيء انكره ؛ ولا أومي اليه ، ولا الى شيء يتوهم من اجله علي شيء ؛ مما انا فيه ، واهل خاصتي يؤذون ، ويستطال عليهم ، وينال منهم ، فلا يجد احد منهم عندي (١) نصره ، ولا قياما اكثر من ان اقصيهم عن نفسي ، وابعدهم من قربي ؛ وينال مني ، واسمع ، وتهتضم اموالي وتؤكل ، وانا عن ذلك كله بمعزل ، اتجرع غصص الغموم ، واتحمل فادح النوازل . صبرا على ما حملت ، وقياما بما قلدت ، وحفظا لما استرعيت . من ان تشخص فيه ابهة القدرة ، او ان يظهر علي منه عز الملكة ، ولو بقيت على ذلك ايام حياتي ما عدوت ما كان مني ، ولو شئت لبسطت يدي (٣٤٤) ولساني . وانفذت امري ، لان الله عز وجل قد جعل لي ذلك ، ولكني لم ازل من حالي الى ان كان من امر الله عز وجل في القائم صلوات الله عليه ، ما كان (٢)

هذا قوله عليه السلام ، فكان ذلك منه سلام الله عليه تواضعا لله عز وجل ، وحفظا لما استرعاه وليه ، وقلة اكتراث بالدنيا ، اذ كثيرها في اعين اولياء الله قليل حقير ، وجليلها هين يسير ، وانما قاموا بما قاموا منها حفظا لدين الله ، واقامة لحقه ، ورعاية لمن استرعاهم الله من خلقه .

---

(١) عندي : عندنا في ج

(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الثاني مخطوطة .

وقد روى القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه انه قال : ذكر المعز لدين الله صلوات الله عليه الحديث الذي كنا نسمعه ، قال : كان المنصور بالله سلام الله عليه حملا في أيام المهدي بالله صلوات الله عليه ، وكان عند المهدي حمل (١) فولد المنصور عليه السلام ، وولد ابو الحسين (٢) للمهدي بالله عليه السلام ، وكانت (٣٤٥) أمه قد قالت وهي حامل به للمهدي بالله عليه السلام : اني رايت كأن القمر في حجري ، وأنا أرضعه (٣) . فلما ولد المنصور وأتى به الى المهدي بالله سلام الله عليهما ، ليبارك عليه ، دعا بأم ولده ابي الحسين . وقد ولدته فدفع اسماعيل (٤) المنصور عليه السلام . اليها ، وقال لها : ارضعيه مع ابنك . ففعلت ، مسرورة بذلك فرحة به . فلما أرضعته ، قال لها المهدي عليه السلام : اتذكرين الرؤيا (٥) التي رأيت انك ترضعين القمر وهو في حجرك ؟ (٦) قالت نعم يا امير المؤمنين . قال لها عليه السلام : فهذا تأويل رؤياك . ثم لم يلبث ابنها ابو الحسين أن جدر فذهب بصره ، فأيقنت امه أن رؤياها كانت للمنصور عليه السلام . ... المهدي عليه السلام . لها ذلك .

قال المعز صلوات الله عليه : وكانت بعد ذلك من اليقين والولايةلنا في غاية ما يكون ... اهل الاخلاص واليقين (٨) ، (٣٤٦) وكبرت ، واسنت ، وهي ... ذلك . وكانت تقول لولد المهدي عليه السلام ونسائه بعد وفاته : والله لقد خرج هذا الامر من هذا القصر ... قصر المهدي

---

(١) حمل : هكذا نقلها المؤلف عن المجلد الثاني من المجالس والمسايرات للقاضي النعمان مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .

(٢) الحسين : الحسن في ب   (٣) ارضعه : ارضعته في ج

(٤) اسماعيل المنصور : المنصور في ج

(٥) الرؤيا : سقطت في ج

(٦) انك ترضعين القمر وهو في حجرك : سقطت في ج

(٧) امه : سقطت في ج   (٨) واليقين : سقطت في ج

عليه السلام ــ فلا يعود اليه أبدا ، وصار في ذلك القصر يعني (١) الى قصر القائم عليه السلام ، فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا . واذا رأت الواحدة من نسائنا قالت : هذه السيدة لمن كانت منهن قد ولدت اماما ، فيقلن لها بناتها : لقد كبرت ، وخلطت ، فتقول : اما الكبر فنعم . وأما التخليط فلا والله ، ما انا بمخلطة ، ولكن سمعت ذلك من علم الائمة . ولم تزل على ذلك حتى ماتت .

قال القاضي النعمان (٢) : قلت رحمها الله . قال المعز عليه السلام : نعم . ونغصها باعتقادها .

وكان القائم بامر الله حريصا على العلم ، ومؤثرا (٣) لحفظه ، وان لا يقع الى غير اهله ، مؤدبا للمتصلين به ان يضعوه (٣٤٧) في غير موضعه ، وأن لا يزرعوه الا في مزارعه ، وعلى ذلك جرت عادة أولياء الله سلام الله عليهم ، وبذلك قامت سنتهم ، وعليه جرت حكمتهم ، كما روى القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه ، عن الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه قال : سمعته عليه السلام ، وقد ذكر من يظهر ما ليس له ولم يؤمر به من الحكمة التي يسمعها ، وأنهم اذا سمعوا منه صلوات الله عليه شيئا مما يمن به عليهم من ذلك ، او يقع في ايديهم شيء من هذه الكتب ، فأفضوا (٤) بعض القرابة ، ومن لا يجوز لهم ولا لغيرهم أن يظهروا لهم شيئا منها ، حتى لقد هممت أن احرم على نفسي ان افيد احد كلمة واحدة من أمر الدين .

وذكر صلوات الله عليه ، ما سبق من الائمة عليهم السلام ، في ذلك ورسموه ، وأوصوا به وحرموه على كل أحد ، أن يسترق السمع ، أو ينظر في ما لم يؤذن (٣٤٨) له في النظر فيه من ذلك ، أو يبديه لاحد اذا من عليه شيء منه من غير اربابه الذين قد اودعهم الله ذلك ، وجعلهم أهله ، ومعدنه ثم قال عليه السلام :

---

(١) يعني : قومي في ج

(٢) النعمان : النعمان بن محمد في ج

(٣) مؤثرا : موسرا في ج (٤) فافضوا : فافاضوا في ج

كنت ادفع اليك (١) الكراسة في بعض الليل ، وأخذها منك في صباحه ؟ فقال : عندي جماعة من عبيدي ، ممن يكتبون ؟ فكنت احل الكراسة وافرقها عليهم ، ورقة ورقة ، فيكتبون . ثم أشد الكراسة ، واجمع الاوراق التي كتبوها فأولفها . فأخبر المنصور بالله القائم عليه السلام ، (٣٥٠) فقال : قد اخبرتك ، قد أخبرتك وأراك تضن بهذا الرجل ، ووالله لا انتفعت به ، ولا وجدت عنده ما تريده أبدا ، وهو أكبر من داعينا الذي الف هذا الكتاب ؛ فليظهر فضل ما عنده . ويجاري هذا في علمه ، ويسابقه فيه .

ثم استرجع تلك الاجزاء من المنصور عليه السلام . ولم (يطلعه على) (٢) باقيه . والح المنصور صلوات الله عليه المسألة . والتضرع اليه ، فلم يجبه عليه السلام ، الى شيء منه ، ولا اطمعه فيه ؛ قال المنصور بالله عليه السلام : فذكر لي أن الكتاب عند بعض خدم للقائم عليه السلام ، فانفذت اليه فيه ؛ فأبى علي . وقال : لا أعطيك الا بأمر القائم عليه السلام ، واذنه .

ولم يطلعني (٣) عليه ، فذكر لي أن نسخته عند آخر . فانفذت اليه . فقال : اهلا ومرحبا هو اهله ومعدنه ، وبعث الي بالكتاب . وهذا من الائمة عليهم السلام ، تأديب لمن اتبع (٤) أمرهم ليقتدي بهم في آدابهم ؛ ويجهد نفسه فيما جعلوه (٣٥١) من دابهم . وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله : من نظر في كتاب اخيه بغير اذنه ، فكانما ينظر في النار . وكثير عن أولياء الله تعالى قد اتى في صيانة العلم وحفظه ، وأن لا يدفع الا الى اهله ، لو تقصينا القول فيه لطال الكلام ، واتسع المجال . والواجب الاقتداء بأولياء الله عليهم السلام ، في الاقوال ، والافعال ، ومؤلف كتاب الزينة هو الداعي أبو حاتم احمد بن حمدان الرازي قدس الله روحه ؛ وهو من الدعاة الفضلاء ، الذين

---

(١) اليك : سقطت في ج (٢) يطلعه على : يطعمه في في ج

(٣) يطلعني عليه : يطعمني فيه في ج (٤) اتبع : سقطت في ج.

لما الف داعينا كتاب الزينة (١) ، وهو كتاب ظاهر في فضل اللغة العربية ، ومنافع الشعر ، وما فيه ، ومعنى اشتقاق أسماء الله عز وجل ، وغير ذلك مما يدل على فضل هذه اللغة الشريفة، ثم قال صلوات الله عليه : وقد ذكر فيه الاصل الذي أراده ونحا اليه ودفنه في فصوله ، لئلا يقف عليه الا صاحب المال الذي كانت بضاعته في يد داعيه ، هذا . حمل هذا الكتاب الى القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، في اجزاء كثيرة ، وكراريس غير مجلدة قال : فدفع عليه السلام ، منه الى المنصور اجزاء وأمره ان ينظر فيه ويتدبره ، فاطلع المنصور بالله صلوات الله عليه ، بعض المختصين به من الدعاة على الكتاب ، وأراه اياه ، وكان القائم أحس في نفسه شيئا (٣٤٩) من ذلك ، فقال للمنصور صلوات الله عليه : هل اطلع احد على ذلك ، أو ينظر (٢) فيه ؟ قال : لا يا مولاي . فاستقصى عليه السلام ، في ذلك ، فقال : والله يا مولاي ما رآه احد ، ولا وقف (٣) عليه ، الا فلان ، يعني ذلك الرجل قال : فانه قد نسخه . قال معاذ الله كيف ينسخه وانا لم امكنه منه ، فقال : والله لقد نسخه ، فأهم ذلك المنصور بالله عليه السلام ، وسأل الرجل هل نسخ من ذلك شيئا (٤) ، فانكر ان يكون قد فعل .

فلما الح عليه الاستقصاء في ذلك ، اقر انه قد نسخه، قال : ويحك ، كيف قدرت عليه ، وأمكنك منه ، وانما

---

(١) كتاب الزينة : الف هذا الكتاب الداعي الشيخ (ابوحاتم الرازي) ويحتوي على ١٢٠٠ صفحة ويعتبر من اقدم كتباداب الدعوة الاسماعيلية . واسمه الكامل هو احمد بن حمدان الليثي الورسناني الرازي لعب دورا هاما في الدفاع عن الدعوةواشترك في النقاش الذي دار بين الدعاة فالف كتاب(الاصلاح) . ووضع كتاب (اعلام النبوة) ويحتوي على ما جرى بينه وبين الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسالة النبوة وامر الدين . نشرجزء منه باول كراوس في Roginal orient على اساس النسخة المخطوطة الموجودة في M.S:H

(٢) ينظر : نظر في ب

(٣) وقف : اطلع في ج

(٤) شيئا : الاشياء في ج

غزر علمهم ، وعظم فضلهم ، وجل محلهم ، وله تاليفات وتصنيفات عدة في باطن العلم ، والتأويل المأخوذ عن الائمة ؛ وقد تجارى هو والداعي ابو يعقوب السجتاني (١) في التأليف . وأتيا بكثير من التصنيف ، مما يدل على علو قدرهما ، وغزارة بحرهما ، فمن ذلك كتاب الاصلاح لابي حاتم في اصلاح اشياء مما أورده الشيخ الحميد في كتابه المحصول ، واتى الداعي ابو يعقوب بكتاب النصرة ، نصرة (٣٥٢) لصاحب المحصول ، وجاء بعدهما الداعي حميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني (٢) حجة الامام الحاكم بأمر الله ، في كتاب الرياض ، بما أبان غامض الكلام ، ونظم قول هؤلاء الدعاة أحسن نظام ، وكان له فيه الفضل المبين ، والتبريز في العلم الذي جارى به في حلبة السابقين رضي الله عنهم ، وأرضاهم ورفع درجاتهم ، واحمد عقباهم ، وجعلنا من المهتدين بهديهم ، المقتفين لاثارهم في طاعة الله تعالى ، وامتثال اوامره ، وطاعة اولي الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته ، وطاعة رسوله ، الفائز من نجا بشفاعته صلوات الله عليهم أجمعين .

نرجع الى سيرة القائم بأمر الله سلام الله عليه ، ولما كان بعد وفاة الامام المهدي بالله صلى الله عليه ، وقدس روحه ، أخرج امير المؤمنين سلام الله عليه ، يعقوب بن اسحق التميمي (٣) لغزو الروم ، فخرج (٣٥٣) يعقوب من

---

(١) ابو يعقوب السجستاني : هو اسحق بن احمد السجزي ، او السجستاني قيا انه ولد سنة ٢٧١ هجرية ومن اهمكتبه: كتاب اثبات النبوة ، وكتاب الموازين ، وكتاب الينابيع ، وكتاب النصرة الذي رد فيه على كتاب الاصلاح للرازي وانتصر فيه لصاحب المحصول النسفي . قتل سنة ٣٣١ هجرية في تركستان .

(٢) حميد الدين احمد بن عبدالله الكرماني : هو حجة العراقيين وفيلسوف الدعوة الكبير صاحب المؤلفات الكثيرة في المذهب الاسماعيلي واثبات الامامة للفاطميين والرد على مخالفيهم ، ومن مؤلفاته كتاب راحة العقل ، وثلاثة عشر رسالة في الفلسفة توفي سنة ٤١١ هجرية .

(٣) من كبار قواد الدولة الفاطمية البحريين عرف بالحزم والشجاعة والولاء للدولة الفاطمية وحسن القيادة .

المهدية يوم الاحد ظهر السبت لست ليال خلون من شهر رجب من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، في عشرين مركبا ، فغزا الروم من جهة الاندلس ، ووافى في طريقه مراكب الروم وفيها تجاراتهم فأخذها وأسر من فيها ، وتمادى في السير الى بلد الروم ، فنزل على مدينة منيعة هنالك تعرف جنوة (1) فقاتل من بها قتالا شديدا فامتنعوا منه بسور المدينة ، فما زال يقاتلهم حتى ملك عليهم سور المدينة ، فقاتلوه في أزقة (2) المدينة ، فرزقه الله النصر عليهم ببركة الامام عليه السلام ، ويمن دولته ، فملك المدينة وجمع ما فيها ، وقتل المقاتلة من النصارى والمشركين ، وسبى ذراريهم ، وغنم جميع ما في المدينة من البز ، والحرير ، والكتان ، وغير ذلك ، ثم أضرمها (3) بالنيران ، وجميع كنائسها ، (354) وتصورها ، وبقية أمتعتها ، مما ثقل حمله ، وتسامعت به الروم فجاءوه من كل ناحية وقاتلوه ، فمنحه الله النصر عليهم ، فقتلهم قتلا ذريعا مبرحا ، وعاد يعقوب ظافرا منصورا غانما مجبورا ، فوافى ساحل المهدية بجميع من كان معه ، ووقف في مرساها يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من شهر رمضان/ سنة ثلاثة وعشرين وثلاثمائة ، واخرج السبي ، وزين الاسطول ، ودخل المدينة بأحسن زي ، واجمل هيئة ، وكان السبي الذين جاء بهم معه ثمانية الاف نفس ، وقعد امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، في مجلس البحر ، ودخل يعقوب فسلم عليه ، فأدناه ، وشكر سعيه ، وحمد الله سبحانه على ما اتاح له ، وامر باخراج ما يحببه للغزاة ، واحسن اليهم .

واخرج أمير المؤمنين القائم بأمر الله ميسور الصقلبي (4)

---

(1) جنوة : بجيوة في ج (2) ازقة : سقطت في ب

(3) أضرمها : اشعلها في ج

(4) ميسور الصقلبي : ويعرف بميسور الفتى ، وهو خادم من خدام الدولة الفاطمية . سيرة القائم الى المغرب فانتهى الى فاس ، والى تكرور ، وهزم خارجيا هناك ، واخذ ولده أسيرا .

فـي عسكر (٣٥٥) عظيم الى المغرب ، وانتهى الى فاس ؛ ولقي أبا موسى بن أبي العافية ، وكان قد نافق وخالف ، وهو في جمع عظيم فهزمه ميسور الخادم ، وغنم ما كان معه واستولى على فاس ، واتى بابن ابي العافية أسيرا ، فوقف في السجن حتى اخرجه المنصور بالله صلوات الله عليه ، مع جماعة من المسجونين بعد الفتح ، وعفا عنهم .

وثار رجل يعرف بابن طالوت ينتمي الى قريش . وكان هذا محمد بن طالوت من بعض كتاب العرائف ، فصار الى ناحية طرابلس ، وزعم للبربر انه ابن المهدي عليه السلام ، فقاموا معه ، واتبعوه ، واجتمع له منهم جماعة كثيرة ، فزحف الى مدينة طرابلس ، ليأخذها في عدد عظيم ؛ فقاتلوه اهل طرابلس ، وهزموه ، وقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم تبين للبربر بعد ذلك افكه (٣٥٦) وبهتانه ؛ الذي افتراه ، وتحققوا بطلان ما ادعاه فقتلوه . واتوا (١) برأسه الى باب امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام .

خبر خروج مخلد بن كيداد (٢) اللعين :

وخرج ابو يزيد الاعور الدجال النكاري مخلد بن كيداد اللعين ابن اللعين بجبل أوراس في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ؛ وجبل أوراس هذا على ما حكاه الرواة من أهل السير ، والتواريخ ، جبل عظيم يتصل الى داخل المغرب ، فيه جماعة من جميع قبائل البربر ، وكان ابو يزيد اباضي المذهب ، يرى رأي الخوارج المارقين ، ويتوالى أبا بكر ، وعمر ، ويتبرأ (٣) من امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، ومن عثمان ، ويستحل سبي ذراري المسلمين ، ممن خالف رايه واعتقاده ويكفرهم ، وكان في ابتداء

---

(١) واتوا : وحملوا في ج
(٢) كيداد : كيدار في ج
(٣) ويتبرا : ويبري في ج

امره يتردد في البلدان ، ويحض من انس به على القيام على السلطان ، وكان بربريا من زناتة من مدينة توزر ، من (٣٥٧) قسطيلية (١) ، وكان ابوه تاجرا ؛ ثم اتصل بابي عمار الاعمى ، كنار بن عبد الحميد فعاضده على امره ، وادعيا الصلاح ، وكانا يسيران في البربر ، ويسعيان في الفساد ، والتأليف على الدولة العلوية ، وتكفير المسلمين غير من يدين بدين الخوارج ، واستحلال قتالهم ، وجهادهم ، ورميهم بالكفر ، وعظمهما البربر ، ورفع امرهما الى أمير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، فأمر بامساك ابي يزيد ، فأخذ بتوزر ، وبلغ ذلك صاحبه ابا عمار ، فجمع أربعين رجلا ممن يرى راي الخوارج ، وكانوا يتصلون بابي يزيد ، ويتكلمون عنده ، فقصدوا السجن ليلا وكسروا بابه واستخرجوا (٢) ابا يزيد ، وتوجهوا به الى ناحية سماطة ، فأقام بها سنة ، ثم عاد الى وأراس، ونزل هو وصاحبه ، ابو عمار الاعمى بموضع يقال له : المتوالان ، في اوراس ، وما برحا يجمعان من يرى راي الخوارج المارقة اليهما ، و (٣٥٨) يحضان على القيام على الدولة العلوية ويقولان : انه قد خفي ذكر ابي بكر ، وعمر ، وظهر فضل علي بن ابي طالب عليه السلام ، واشتهر. حتى اجتمعت لابي يزيد جماعة فعاقدهم ، وحالفهم على انهم ما اخذوه من مال المسلمين ، حكموا فيه كما يحكم في غنائم المشركين ، وان ما سبوه من النساء والذرية فهو مباح لهم ، غير محرم عليهم ، فمتى اجتمعت جماعتهم ، وملكوا المهدية ، وازالوا الدولة العلوية ، رجعوا الى الخيار ، فاختاروا من ترضاه جماعتهم ، فولوه عليهم .

وكان ابو يزيد اذا لقي احدا يذكر له الشيخين

---

(١) قسطيلية:بين قطيلية والقيروان مسيرة سبعة ايام .

(٢) واستخرجوا : سقطت في ج

ابا بكر وعمر ، ويشنع على الشيعة لبغضهما ، وانهم لا يرون بهما ، ويأتي أهل الرياسة من حيث يحبون في تزيين الرياسة لهم ، وان السلطان قد ساوى بينهم ، وبين غيرهم ، من هو دونهم ، واذا لقي من همه الغارة والفتنة من الغوغاء والعوام ، اتاهم من باب تحليل الاموال (٣٥٩) والفروج ، يحضهم على القيام والخروج .
حتى اجتمع مع ابي يزيد مائتا فارس ، فقصد باغاية (١) بهم ، وكان كبون بن تصولا (٢) ، قد خرج من قبل امير المؤمنين صلوات الله عليه الى جهات باغاية . واوقع بقوم من اهل اوراس من البربر المخالفين على امير المؤمنين ؛ فزحف مخلد بن كيداد في سلخ جمادي الاولى من سنة ٣٢٣ ثلاث وعشرين وثلاثمائة في من معه ممن اجابه واتبعه الى قصر لصولات بن مملول ، فيه عبيد له ، وادوات وطعام ونعمة ، وكان صولات ، من احد رجال دولة امير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، وهو عامله على باغاية ، فانتهب مخلد ما في قصره ، وقتل رجلا من أهله ؛ وغنم ورجع بمن معه الى جبل اوراس، فلما تسامعت البربر بتلك الغنيمة اجتمع له لفيف من الناس منهم ، فصار معه اربع مائة ، ورجالة كثير (٣٦٠)، وزحف بهم الى قصر يعرف بأبي معلوم ، من فحص باغاية على اثني عشر ميلا منها ، وفيه نعم كثيرة ، فأتاه نهارا فاجتمع بالقصر مائة رجل ، وصعدوا (٣) الى اعلاه . وقاتلوا عن نفوسهم ، فبذل مخلد لهم الامان حتى وقعوا في يده ، وغنم جميع ما كان معهم ، وجز رؤسهم ، وترك الغنائم لمن كان معه ، وكانت كثيرة فامتلات منها ايديهم ؛ وتسامع بذلك من البربر من يليهم ، فأقبلوا اليه بالخيل والرجال ، وعظم به عند ذلك الحال ، فزحف الى

---

(١) باغاية : مدينة بافريقية ، ذات انهار ومزارع ، على مقربة من جبل اوراس المتصل بالسوس الذي يعرف بجبل المصامدة المسمى بدرن .

(٢) تصولا : تضولا في ج (٣) وصعدوا : سقطت في ج

باغاية في الف فارس ، وخرج اليه صولات عامل باغاية بمن معه ، فقاتلهم البربر فهزموهم حتى أدخلوهم مدينتهم ، واقبل الليل فضرب ابو يزيد أخبيته ، وقد طمع في مدينة باغاية ، فزحف اليها ثاني يومه ، وفرق جنوده (١) للقتال على نواحيها ، فتعاقد من بها على الصبر .

وخرجوا على البربر ، وتراموا من السور اليهم ، فولى ابو يزيد ومن معه (٣٦١) ناكصين على الاعقاب . وقتل منهم ثلاثمائة رجل ، وتفرقوا الى كل جهة وجناب . ولم يبق مع مخلد غير عشرة فرسان ، فمضى بهم حيران ، لا يعلم كيف يصنع ، ولا بأي حيلة عن نفسه يدفع ، ثم تراجع اليه الناس ، واجتمع له من البربر خمسمائة فارس ، والف راجل ، فضرب (٢) بهم على محيجة ، فغلب على اهلها بعد قتال شديد ، وحاز مواشيهم ، واخذ ما في ايديهم ، واستمال البربر ، واجتمع اليه منهم عسكر بعد عسكر ، وكتب اهل باغاية الى أمير المؤمنين القائم بامر الله عليه السلام ، فكتب الى كبون بن نصولا (٣) يأمره بالمصير الى باغاية ، لقتال ابي يزيد ، وكان كبون بطبنة ، فوافى كبون الى باغاية في نحو من خمسماية فارس ، ومعه جماعة (من وجوه) (٤) اهل جبل اوراس ، فقال لهم : اما أن تاتوا بأبي يزيد ، والا فلا أمان لكم . فقالوا: قد تفاقم امره ، وعظم شأنه ، ولا حيلة لنا فيه . فلم يعذرهم عند ذلك ، فعمل القوم على مكيدة كبون (٣٦٢) بعد ان شاوروا ابا يزيد ، فأتوه ، وقالوا : ان ابن كيداد ، لم نقو عليه بالحيلة ، ولا ساعدنا شبابنا على ما نريد منه ، والراي أن تخرج ونحن ننصرك (٥) على القوم ، فأجابهم وساعدهم الى ما يطلبون ،

---

(١) جنوده : جنده في ج

(٢) فضرب : فذهب في ج

(٣) نصولا : فضولا في ج

(٤) من وجوه : سقطت في ج

(٥) ننصرك : نناصرك في ج

وظن صدقا ما له يظهرون ، فزحف كبون الى الجبل يريد ابا يزيد ، فلما بلغ كبون الى موضع من الجبل يعرف بفج العافية ، وجد ابا يزيد قد كمن له كمينا على ما عاقد عليه القوم ، فحين توسط كبون الفج ، علت رجالة الكمين على جوانب الخيل ، وعلم كبون المكيدة ، فرجع ومن معه ، وتبعته خيل (١) البربر حتى وصل الى باغاية .

وزحف ابو يزيد الخارجي الى باغاية وعمل كبون على لقائه ومن معه ، وامر عامل باغاية بالخروج بمن معه ، فتزاحف القوم ، ووقع بينهم قتال عظيم ، انهزم فيه اصحاب كبون ، وخلص بنوده ، بعد أن كاد ابو يزيد يغلب عليها ، ورجع الى باغاية في خمسمائة فارس والفي راجل ، واخذ في اصلاح سور (٣٦٣) باغاية ، ورمرمة (٢) ابوابها ، واعد عدة الحصار ، وذلك للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية .

ولما اتصل ذلك بأبي يزيد قوي قلبه ، فزحف الى باغاية ، وخرج اليه كبون ومن معه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وهزم الخارجي ، وقتل عدة من رجاله ، وعقرت لهم خيول ، وعاد ابو يزيد الى موضعه بفج العافية ، فأقام اياما ثم زحف مرة أخرى الى باغاية ، فخرج اليه كبون بمن معه ، فامتنع ابو يزيد من قتاله ، فحين راى ذلك كبون ، رجع بمن معه الى المدينة ، وبقي ابو يزيد واصحابه وقوفا على دوابهم الى الليل ، ثم رجع الى معسكره وجاء ابو يزيد الى بساتين باغاية فقطع (٣) شجرها ، ونزل جماعة من اهل باغاية فقتلوا من اصحاب الخارجي رجلا ، وعقروا خيلا ، ثم خرج اليهم كبون بمن معه فانتشب القتال بينهم الى الليل ،

---

(١) خيل : خيول في ب
(٢) ورمرمة : ومرمة في ج
(٣) فقطع : فقطعوا في ج

وانتصب بعضهم من بعض وعاد كل فريق الى موضعه ، (٣٦٤) ثم انتقل الخارجي من موضعه ونزل من باغاية على ميلين ، وافسد ما حولها من الشجر ، واغار على القبائل الذين حول باغاية ، ثم وافت عساكر كتامة الى باغاية ، وذلك ان امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، لما بلغه محاربة الخارجي لاهل باغاية اخرج العسكر (١) اليهم ردءا وقوة ، فحين علم ابو يزيد بقدومهم ، رجع مبادرا الى موضعه (٢) من الجبل . على مسافة اربعة وعشرين ميلا من باغاية ؛ ثم أن سعيد بن خلف الهوازي هرب من باغاية ، وحمل معه اهله . ووافى الخارجي ، وذلك لامر كان بينه وبين الحسين بن ناكسين الاجاني ، فلما صار سعيد الهوازي الى ابي يزيد الخارجي ، قوي به أمره .

واجتمع مع كبون عساكر كثيرة من خيل (٣) كتامة وهوازة ، وغور فجومه ، واهل تيجس ؛ وميلة ؛ وسطيف . وبلزمة ، وغيرهم ، فارتحلوا ونزلوا بقرب جبل اوراس . فأراد الخارجي أن يعاجلهم (٣٦٥) قبل ان يأنسوا بالحرب . ويعرفوا الجبل ، فسار اليهم حتى انتهى الى بعض الطريق فرجع عنه البربر ، وبقي في مائتين وخمسين بين فارس وراجل ، فلما رأى تعداد كبون مال الى عسكر ابي دقل الملوسي ، وكان على بعض عسكر كتامة ؛ فوقع بينهم قتال ، ودفعوا ابا يزيد عن أنفسهم ، واتاهم كبون ليعضدهم فوجدهم قد ردوا ابا يزيد ، فعاد الى معسكره من كتامة ، فوجد عسكره قد شدوا رحالهم يريدون بلادهم ، فمنعهم من (٤) ، ذلك وصاك عليهم ، فاختلفوا عليه بين راحل ومقيم ، وعلت بينهم الصيحة ، فمال ابو يزيد اليه وترك قتال ابي دقل ، فحين احسوا به هربوا بين يديه .

---

(١) اخرج العسكر : اخرجهم في ج
(٢) موضعه : مواضعه في ج
(٣) خيل : عسكر في ج
(٤) من : سقطت في ج

فقاتلـــه كبـــون والحسين بـــن ناكسيـــن قتـــالا شديـــدا حتـــى جرحـــا ؛ وتفـرق النـــاس عنهمـــا ؛ فغلـــب ابـــو يزيـــد الخارجـــي علـــى مـــا كـــان فـــي عسكرهمـــا ، ثـــم كر كبـــون على أبـــي يزيـــد فـــي قـــوم التقـــوا (١) اليـــه بعـــد (٣٦٦) الهزيمـــة ؛ فانهـــزم ابو يزيـــد الخارجـــي بـــين يديـــه ولحـــق بموضعـــه ، وهرب ابـــو دقل الملوســـي بمـــن معـــه حـــين راى افتـــراق عسر كبـــون والحسين بن ناكســين الاجانـــي ، فبـــات كبـــون والحسيـــن فـــي معسكرهمـــا الى الصبـــح ، ثـــم ارتحـــلا فيمـــن بقـــي معهمـــا الـــى باغايـــة ، وذلك فـــي شهر شوال سنة ٣٣٣ ثلاثمائـــــة وثلاث وثلاين . ووافـــى جحفل كثـــير مـــن كتامـــة عليـــهم رجـــل يسمـــى بديـن بـــن محمـــد الجيلـــى فنزلـــوا قبلـــي باغايـــة ، ثـــم خافـــوا المبيـــت (٢) فانتقلـــوا الـــى ربـــض باغايـــة ، وكـــان يهـــرب منهـــم كـــل ليلة طائفـــة الـــى بلـــد كتامـــة ، وعمـــل مخلـــد بـــن كيـــداد علـــى ان يبيتهـــم (٣) فـــي الربـــض ، فزحـــف اليهـــم فقاتـــلهم قتـــالا شديـــدا ، وخشـــي كبـــون عليـــهم الهـــلاك فنـــادى النـــاس بالخـــروج وامـــر بضرب الطبـــول ، وايقـــاد المشاعـــل ، وفتـــح الابـــواب واخراج البنود ، وخـــرج فيمـــن معـــه ، فقاتلـــوا البربـــر حتـــى اخرجـــوهـــم مـــن الربـــض ، وبـــات القتـــال الـــى الصبـــاح فانهـــزم ابو يزيـــد ، وسابقـــه بديـــن الـــى الجبل ليحـــول (٣٦٧) بينـــه وبين الدخـــول ، مـــن كتامـــة ، وقتـــل مـــن الكتاميـــين ثلاثـــون رجـــلا او مـــن كتامـــة ، وقتـــل الكتاميـــين ثلاثـــون رجـــلا او يزيـــدون ، ومضـــى ابـــو يزيـــد الـــى موضعـــه ، ورجع الكتاميـــون الـــى باغايـــة فدخلهـــا جماعـــة مـــن وجوهـــهم ، وانصرف باقيـــهم الـــى بلـــدانهـــم .

واجتمـــع مخلـــد الدجـــال فـــي جمـــع عظيـــم مـــن نفيـــف النـــاس وطغامهم ، وطمعـــوا فـــي باغايـــة حيـــن انصرفـــت جموع كتامـــة عنـــهـــا ، وكاتـــب ابـــو يزيـــد مـــن حـــول قسطيليـــة من البربـــر بمـــنـى ، واسيـــن ، وغـيرهم يأمـرهم بحصـــار قسطيليـــة

---

(١) التقوا : التقوا في ج
(٢) المبيت : البيات في ج
(٣) يبيتهم : يبيتهم في ج

فحاصروها ؛ ثم زحف مخلد الدجال الى باغاية فخرج اليه كبون والحسين بن ناكسين في أهل باغاية ، وبدين ومن بقي معه من الكتاميين ، فوقع بينهم قتال شديد ، وانصرف (١) الدجال الى مكانه ، ورحل من الغد فنزل بقرب باغاية ، وزحف اليه كبون فيمن معه فقاتلوا قتالا شديدا عظيما ؛ وقتل جماعة من اصحاب الدجال ، وعقرت عليهم خيول كثيرة ؛ فعلم ابو يزيد ان لا طاقة له بباغاية ، (٣٦٨) وانها عنه ممتنعة ؛ فقال لاصحابه : ان بني كيداس الذين جول نيسا ، قد كاتبوا كبون ليصيروا اليه ، فاذهبوا بنا لناكل اموالهم ، ونسبي عيالهم)٢(ونقتل رجالهم .

وسار الدجال في جموعه الى بني كيداس ، فحين صار بالقرب منهم علموا انهم لا يطيقون لقائه (٣) ؛ فبعثوا اليه يسالونه (٤) الامان ، فاعطاهم الامان ، على أن يتقدموا امام عسكره الى نيسا ، وان يكونوا اهل القتال ؛ وكان عاملها غلاما لكبون ، فلما اتصل خبرهم به ، خرج اليهم فقاتلهم ، فقتل نفر من اهل نيسا الذين مع غلام كبون . واقبل الدجال في جموعه والقوم في قتالهم ، فأغلق اهل نيسا ابواب حصنهم ، حين راوا جموع البربر قد اقبلت . وقتل غلام كبون رحمة الله عليه وجماعة من اصحابه . وخرج جماعة من اهل نيسا الى ابي يزيد يسالونه الامان فامنهم على أن يخرجوا اليه ما كان لكبون وكتامة . ويسلموا اليه اولاد كتامة الذين معهم ، فأخرجوا اليه كل ما كان معهم ؛ فغنم لعنه (٣٦٩) الله الاموال ، وسبى النساء والذرية . واغتنم (٥) ذلك البربر ، واخذ بزعمه الخمس . ورحل الدجال الى مرماجنة (٦) فلقيه رجل من اهلها ، يقال له : اين

---

(١) وانصرف : وصرف في ج (٢) عيالهم : عائلاتهم في ج

(٣) لقائه : لقاء في ج (٤) يسالونه : يسال في ج

(٥) واغنم : وغنم في ب

(٦) مرماجنة : مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق ، قريبة من مجانة .

خلاف ، فاستأمنه ، واهدى له (١) حمارا اشهب ، وكان الدجال يركب ذلك الحمار ، وبه يسمى صاحب الحمار (٢) .

وبات ابو يزيد بقرب بني سعيد من نواحي مرمجنة ، واشرف على أفريقية ، فهاب أصحابه الهجوم الى افريقية ، وكان بالاربس جماعة من كتامة فحين علموا ما صنع ابو يزيد مع اهل نيسا ، وما فعل في طريقه من القتل والنهب ، خافوه ، خوفا شديدا وجتمعوا وعقدوا عسكرا بموضع يقال له : دقة ، واجتمع البربر الى الدجال صاحب الحمار ، وقالوا : انا لا نقدم على أفريقية ، وانا نخاف أن يصل الى اهلها جنود السلطان ، فلا يقوم لنا حال معهم، فهم يموجون في ذلك اذ قدم عليهم ابراهيم بن توبان بن ابي سلاس ، من الاربس ، وكان من وجوه الجند ، فسلم على ابي يزيد وعرفه ان (٣٧٠) اسحق بن خليفة عامل الاربس قد هرب عنها بأهله وولده ، خوفا من قدومه ، فسر ذلك ابا يزيد ، وقوى قلوب البربر ، وامر ابو يزيد بالاعلان بالخبر ، وسأله ابن ابي سلاس أن يعطي أهل الاربس الامان في انفسهم واموالهم ، فأعطاه العهود والايمان على الحياطة لهم ، والامان . ثم امر ابو يزيد سليمان بن جيران الزوابلي (٣) وهو رجل كثير الشر من مزانة ، وامره أن يقتل من وافاه على الطريق ، ويسبي ، ويحرق كل منزل يمر به ليرهب بذلك كتامة ، الذين بدقة ، وركب ابو يزيد حماره الاشهب ، ولبس جبة صوف قصيرة الاكمام . مفتوحة المواتق ، وكان يخرج يديه من تلك الفتوح ، وعلى راسه قلنسوة بيضاء كدرة ، وسار الى دقة ، ووافى عسكر كتامة فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانهزمت كتامة ، وتمادوا الى

---

(١) له : اليه في ج

(٢) يقال بانه كان قصيرا اعرج يلبس جبة صوف قصيرة،وكان قبيح الصورة.

(٣) الزوابلي : في ابن الاثير ايوب الزويلي وفي الحاشية الدويلي او الديلي .

القيروان ، وغلب صاحب الحمار على دقة ، وذلك (٣٧١) يوم الثلاثاء لاربع عشرة خلت من ذي الحجة ، ووجه جماعة من اصحابه الى مدينة تسيلية سبيبة (١) ، فغلبوا عليها ، واخذوا عاملها عبد الله الفاشي ، فقتلوه وصلبوه ، رحمة الله عليه .

وسار الدجال الى الاربس (٢) فوصلها يوم الاربعاء للنصف من ذي الحجة فغدر بأهل الاربس ، وقال : لا أمان لكم حتى تخرجوا الينا المشارقة ، وخدم السلطان ، واتباعهم . وتعطونا اموالهم . واخرج اليه خطيب الجامع ومتولي الصلاة به فقتلهما ، رحمة الله عليهما صبرا ، ودخل البربر الاربس وتغلبوا عليها ، وقتلوا المشارقة واتباع السلطان ، وكثيرا من اهل الاربس ، وأحرقوا كثيرا منها بالنار ، ولجأ كثير من اهلها الى المسجد الجامع فقتلوا فيه ، وافتضت الابكار من من النساء في المسجد ، واظهروا الكفر والطغيان ، وزادوا على كفر فرعون وهامان ، ولما اتصل خبر الاربس بأهل المهدية ، استعظموا (٣٧٢) ذلك ، وهالهم .

وبلغ الخبر الى امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، فاستعظم ذلك كل من حضر مجلسه الشريف ، وقالوا له : يا أمير المؤمنين ، هذه مدينة عظيمة ، وهي باب افريقية ، ولما أخذت في ايام بني الاغلب ، وهنت دولتهم ، وكان فيمن خاطب امير المؤمنين عليه السلام ، بذلك محمد بن علي بن سليمان . فقال له امير المؤمنين عليه السلام : يا محمد اقلبك قوي ؟ قال : يا امير المؤمنين ، وان زدته قوة قوي . فقال عليه السلام ، لا بد أن يبلغ مخلد المصلى وهو غايته ، وذلك مصلى المهدية حيث علم امير

---

(١) سبيبة : تسيلية في ج

(٢) الاربس : مدينة وكورة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة ايام من جهة المغرب ، وقيل انها مدينة مسورة لها ربض كبير ، واليها سار ابراهيم بن الاغلب حين خرج من القيروان سنة ٢٩٦ ، وزحف اليها ابو عبد الله الشيعي ، ونازلها وبها جمهور اجناد افريقية مع ابراهيم بن الاغلب ففر عنها في جماعة من القواد والجند الى طرابلس ودخلها الشيعي عنوة .

المؤمنين المهدي بالله صلى الله عليه وآله . واتصل خبر الاربس بكبون فعمل على الخروج من باغاية ، ومعه الحسين بن ناكسين . وابو دقل ، وبدين بن محمد الجيملي في مائة وخمسين فارسا ، وجماعة من وجوه اهل باغاية . فخرج بهم ، ولقيه خيل عظيمة (٣٧٣) من لواته فساروا جميعا الى قلعة مجانة ، فعسكروا بها ، ووجدوها خالية من الرجال ، وقد ترك بها ابو يزيد ثقله وكثيرا مما كان معه . فانتهبوها ، وساروا الى المهدية ، فدخلوا يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم اول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

واخرج امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه : محمد بن علي بن سليمان ، وتميم الوسفاني ، في خيول كتامة الى رقادة ، ليكونوا بها ويضبطوها لاحدى عشر ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . ثم أخرج خليل ابن عدنان بن اسحق التميمي الى مدينة القيروان في وجوه العبيد والجند ، ولما ودع خليل امير المؤمنين عليه السلام قال شعرا :

وما ودعت خير الناس طرا ولا فارقته عن طيب نفسي
وكيف تطيب نفسي عن حياتي(٣٧٤) افارقها وعن قمري وشمسي
ولكني طلبت رضاه عني وعفو الله يوم حلول رمسي
فعاش ملكا ما لاح نجم على الثقلين من جن وانس

فوصل خليل فيمن معه الى القيروان يوم الاربعاء لثمان بقين من ذي الحجة ، في الف فارس ، من العبيد والجند ، ونادى في الناس فاجتمع اليه خلق عظيم ، واتصل خبره بالدجال أبي يزيد فهابه وخافه وغمه ذلك . واخرج امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، بشرى الخادم الى باجة ليضبطها ، ويعسكر بها ، وكان خروجه من المهدية يوم الجمعة غرة شهر المحرم اول شهور سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، في كتامة ووجوه العبيد . ووصل الى باجة فعسكر بها ، وأخرج امير المؤمنين

القائم بأمر (٣٧٥) الله صلوات الله عليه ميسور الخادم (صاحب الجيش الاعظم) (١) من المهدية فعسكر بالكدية الحمراء ، وكان خروجه يوم الاربعاء لثلاثة عشر ليلة خلت من المحرم أول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . ولما اتصل بأبي يزيد الدجال وهو بالاربس خروج بشرى الى باجة خلف اثقاله . وما اخذ من الحرائم المسلمات في قصر ابراهيم بن ابي سلاس بالاربس . وتوجه الى باجة ، وقد اجتمع له خلق عظيم من الاجناد والبربر ، واهل افريقية ، فلم يمر اللعين بمنزل الا قتل اهله وسبا حريمه ، واخذ ما حازته ايديهم .

وقدم ابراهيم بن ابي سلاس الى باجة ، وقال له : ان كنت لي ناصحا فاقتل من لقيت واسبي (٢) حريمهم ، وخذ اموالهم ، وغارت (٣) البربر فتنيم ابراهيم بن ابي سلاس ، وجاءوا الى ابي يزيد فوجه الى ابن ابي سلاس ان يقيم (٣٧٦) مقامه (٤) حتى يأتيه ، فلما وصله ابو يزيد عزله عن الجيش ، واجتمع لابي يزيد خلق عظيم ، من كل ناحية ، من كل ذاعر ومفسد ، وقاطع طريق ، وسارق . وتوجه الى باجة ابو يزيد بنفسه لقتال بشرى فتزاحف القوم واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم اصحاب ابي يزيد هزيمة فاحشة وابو يزيد قائم في ناحية ومعه من غزاته نحو اربع مائة فارس ، ومثلهم من الرجالة بالسيوف المصلتة ، فلما راى هزيمة اصحابه نزل عن دابته وركب حماره (٥) ، واخذ عصاه ، وقال : اهذا عمل من يريد الهرب ؟ وبشرى قد مضى في الطرد خلف القوم فخالفه ابو يزيد الدجال فيمن معه الى اخبيته فحازها ، فحين علم بشرى بحيازة اخبيته ولى الى تونس ، فيمن بقي من اصحابه ، بعد افتراق اكثرهم ، وانقطع في طلبه الف فارس من البربر ، ففاتهم أن (٣٧٧) يلحقوه ، وقتل معه جماعة من وجوه كتامة ، وذوي (٦) بأسهم ونجدتهم . ودخل ابو يزيد باجة بالسيف ، وذلك في اليوم الذي خرج فيه ميسور من المهدية ، فأحرق ابو يزيد الدجال دور (٧) باجة ، واقام القتل في اهلها ثلاثة ايام بلياليها .

---

(١) صاحب الجيش الاعظم: سقطت في ج

(٢) واسبي : سقطت في ب

(٣) وغارت : وغرت في ج

(٤) مقامه : قوامه في ج

(٥) حماره : الاشهب في ج

(٦) وذوي : واصحاب في ج

(٧) دور : بيوت في ب

والتجأ النساء والاطفال الى مسجدها الاعظم ، وظنوه يمنعهم عن البربر . فدخلت عليهم البربر ، فافتضوا في المسجد الابكار من البنات ، وفعلوا الافعال المنكرات ، وكانوا يأخذون بأرجل الاطفال الصغار ويضربون بهم عمد الجامع وحيطانه ، فتفلق أدمغتهم ، وكانوا للجراة على الله يرمون بالاطفال في الهواء ، ثم يلتقونهم بالسيوف ، وقيل : انه أحصي من النساء من حبلت يوم باجة الف امرأة ، ولم يحص السبي ، والقتل لكثرته ، واقام مخلد اللعين بباجة اياما كثيرة يغير على (١) من حولها (٣٧٨) ويقتل ويسبي . وكتب الى قبائل البربر فأتته عساكرهم من كل ناحية ، ولما وصل بشرى الى تونس لقيه عاملها حسن بن علي فأكرمه ، ومن كان معه ، واجرى الوظائف عليهم ، وواصل الاحسان اليهم ، واخرج الدجال جيشا عظيما من البربر مع منصور ابن منصور الهوازي الى تونس . أخرج اليهم حسن بن علي اخاه عمارة بن علي ، في ثلاثمائة فارس . فالتقوا بالبر وقاتلوهم فانهزم البربر ، وقتل منهم جماعة ، ورجع عمارة الى تونس غانما سالما ، ثم افترق الناس بتونس على حسن بن علي ووقعت (٢) فيهم فتنة ، فانتهبت دار حسن بن علي . وعمل على خلاص اهله وولده ، وسار هو وبشرى من تونس الى سوسة يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، واقام حسن بن علي بأمر أمير المؤمنين القائم (٣٧٩) بأمر الله عليه السلام ، وابو يزيد في ذلك الوقت ما بين باجة والقيروان يريد ملاقاة خليل ، وكان خليل بالقيروان . ومع خليل الف فارس من الجند والعبيد ، وقد نزل دار الامارة المعروف بابن أبي خنزير ، وفرض العطاء فاجتمعت اليه الجنود ، وأتته (٣) الوفود . وفرق عساكره في مدينة القيروان ، في الفنادق والدور ، ولم يعسكر بهم خارج المدينة ، وظهر منه سوء التدبير لما جرت به احكام المقادير ، واراد الله التمحيص للمؤمنين ليزداد عتوا كل كفور .

ونزل ميسور بعساكره في الموضع المعروف بالاخرين متوسطا بين المهدية والقيروان ، لئلا يخالفه أبو يزيد الى المهدية أو القيروان ، وكان متوسطا بين الطريقين ، وكان خليل قد كاتب جماعة ممن مع ابي يزيد ووعدوه (٤) بقتل أبي يزيد ، فرجى ذلك ، و (٣٨٠) استخف بأمره . وكان

---

(١) على : سقطت في ج
(٢) ووقعت : واصابت في ج
(٣) واتته : ووافته في ج
(٤) ووعدوه : وعده في ج

جماعة من الزويليين قد اساء اليهم ابو يزيـد ، وكان (١) منهم الذين كاتبوا خليلا يعدوه بالحيلة في امره ، وكان ذلك مما الهاه عن ابي يزيد ، ولم يكترث بـه ، وقـوي لذلك قلبـه ، وكان اذا ذكر له الناس امر ابي يزيد يشتمهـم ويعاتبهم (٢) ، وقطع ارزاق الجند ، ووصل ابو يزيد الى فحص ابي صالح فرابـه الناس ، وقتل أهل الاطراف ، وجاء الناس الى القيروان من كـل ناحية ، فامتلأت فنادقه ، ورحابه ، وشوارعـه ، وارتجت القيروان ، وكثر خوف اهلها ، ولمـا نـزل ابو يزيد بفـحص ابي صالح طمع الجند في أخـذ ارزاقهم ، واتى خليل كبرائهم فهزأ بهـم ، ولامهـم ، وعنفهـم ، وامتنـع عن عطائــهم ، وقال لرجل من خاصته : اكثر تعظيم ابي يزيد ان كنت قـد جبنـت ، فأدخـل فـي كمـي ، فاني لا اخرج الى ابي يزيد ، ولا اقاتله ، (٣٨١) وانه لاحتر من ذلك . ولم يكن في خليل تخلف ، ولا سوء تدبير ، فيما قبـل ذلك ، وهو من اهل التجربة بالحروب ، وممن غزا في وقـت المهدي بالله صلوات الله عليه ، وكان مع القائم بأمر الله سلام الله عليـه ، في مصـر ، والمغرب ، وشهد حروبـه ، وكان له حسن التدبير والقتـال المعروف الشهـير ، ولكنها اذا جاءت بأمر الله المقادير ، عمي لهـا الناظر البصير ، وجهل عواقبها المعروف (٣) الخبير .

وامر خليل باصلاح أبواب مدينة القيروان ، وافتقاد سورها ، وعميت اخبار ابي يزيد عن خليل ، وكثرت الاراجيف والاخبار عنـه ، وكان الناس يمرون اليه ، ولا ياتي (٤) أحد اليهم (٥) مـن قبله ، وكان خليل يكتب الـى أمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، باخبار مختلفة ، واقوال غـير مؤتلفة ، فأمر أمير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، حسن بـن علي ، وبشرى الخادم ، وهما (٣٨٢) بمدينة سوسة أن يخرجا ويعلما أخبار الناس، فتوجها بمن معهما من العساكر حتى صارا بمرصد شرك من طرف الجزيرة ، فنزلا بها وقتلوا مـن وجدوا من أصحاب أبي يزيد ، وبلغه خبرهمـا ، فأخرج اليهما أيوب بن جيران الزويلي في عسكر عظيم ، وقال له : اقتل من مررت عليه في طريقك ، واسبي (٦) الذرية ، وانهب الاموال ، واحرق المنازل،

---

(١) وكان : سقطت في ب

(٢) ويعاتبهم : ويعتبهم في ج

(٣) المعروف : العارف في ج

(٤) ياتي : لجأ في ج

(٥) اليهم : سقطت في ب

(٦) واسبي : واسب في ج

ومثل في القتلى ، فان الناس بذلك يخافون ، ويرهبون ، ويعرفون قوة امرنا ، وشدة بأسنا ، فتوجه أيوب قاصدا الى مرصد شرك ، واتصل بحسن وبشرى خبره فمالا عن طريقه ، وانتهيا الى ناحية هرقلية بالقرب من مدينة سوسة ، فتمادى أيوب ، وعسكر على موضع بينه وبين سوسة مسافة نصف نهار ، واتصل بحسن بن علي وبشرى خبره ومعسكره ، فرجعا من مكانهما ، وقاتلاه قتالا شديدا ، فانهزم ايوب و (٣٨٣) الذي كان (١) معه ، وقتل منهم اربعة الاف رجل وأسر خمس مائة رجل ، ووجه حسن وبشرى بالرؤوس والاسرى الى المهدية ، فلما صار الاسرى الى المهدية ، وثبت العامة عليهم ، فقتلوا اكثرهم بالعصي ، والحجارة ، وكانت تلك من اعظم النكبات على ابي يزيد ، وقال : انما ينهزم عسكرنا اذا لم نكن معهم ، ولكن نعاجل القوم من قبل أن تقوى قلوبهم بذلك ، فجعل طريقه موضع المعركة ، ونظر الى القتلى وغمه ما راى من كثرتهم ، ثم رفع فبات بقرب المكان ، ورفع فبات على ساقية طنباس ، ثم سار فبات بقرية البرجاس (٢) على مسافة عشرة اميال من القيروان ، وكان خليل بن عدنان اذا جاءه احد بخبر صحيح عن ابي يزيد دفعه ولم يصدقه ، فجاء رجل فأخبره بمبيت ابي يزيد ، وقال : انه مصابحنا غدا بالقتال ، فاستمد له ، فما أجابه خليل (٣٨٤) الا قال له : سمعت البارحة صوتا لو سمعته لطرت اليه وهو :

قد خصت البيضة راسي فما اطعم نومي غير تهجاع
اسعى على حل بني مالك كل امرا في شانه ساع

والبيتان لابي قيس بن الاسلت يريد خليل : انك لست من الحرب ، وأنا من اهلها ، فلا يخفى هذا القول علي ، وانت عنه في غفلة ، وجاءه القاضي القيروان احمد بن بحسر فأجابه بمثل ذلك ، وارتحل ابو يزيد من البرجاس يوم الاحد لثلاث بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، فأخذ على نخيل بسلول يريد رقادة لقتال الكتاميين ..

واخرج الكتاميون طلائع ، فوافت طلائع ابي يزيد في خلق عظيم .

---

(١) الذي كان : الذين في ج (٢) البرجاس : البرحماس في ج

فانهزمت طلائع الكامنين ، وتمادى الطرد عليهم الى رقادة ، وتسابقت اليهم ، فلما راوا انهم لا طاقة لهم بكثرة من اتاهم ، هربوا الى المهدية . وطلبوا الى (٣٨٩) قصر المغيرة ، وقتل منهم جماعة (١) وترامى رجال منهم في الابار فقتلوا بالحجارة ، وامتنع ثلاثة في قصر البحر برقادة فاتى اليهم فضل بن مخلد الدجال وامرهم بالنزول فامتنعوا ، وتحصنوا (٢) بالحجارة فأطلق البربر النار في القصر ، وأحرقت خشبه ، وتكلس الرخام ، وانهدم القصر .

ونزل الخارجي ابو يزيد بعسكره بالقرب من قصر حلف (٣) على اربعة اميال من القيروان فبات به ، وانتقل من غده ، فنزل شرقي رقادة في خلق عظيم يزيدون على مائة الف فارس وراجل ، وخليل في كل ذلك لا يعبأ به . ولا يلتفت اليه ،ودخل اليه القاضي احمد بن بحر ،وغيره ،فذكروا له امرالعدو وقربه : فلم يلتفت الى قولهم ، فخرجوا وقد يئسوا من الحياة لسوء تدبيره، ثم رجعوا اليه لوقتهم ، واجتمع جماعة من الجند ، فقالوا : دعنا نخرج الى (٣٨٦) العدو ، فقال : لا يخرج منكم احد حتى تضرب (٤) الطبول ، فمن خرج قبل ان يأتي اليه امري ضربته بالسياط ، فارسل الجند الى اوليائهم الذين مع الدجال وعرفوهم سوء تدبير خليل وفساد امره ، وكان ابو يزيد قد تهيب القيروان ، وخاف ميسور ان يعاجله ، فحين جاءه الخبر بما وجه اصحاب خليل الى اوليائهم ، قوي قلبه ، وقلوب البربر ، وسألوه المسير الى القيروان ، فرام ان يسكنهم ،فما ساعدوه ، ورجعوا اليها فلما راى ذلك خاف أن ينزل بهم ما نزل بابي سليمان ايوب بن حيران . وسألهم عن موضع خليل ، فقيل : بباب تونس . فقصد الى ناحيته ، وتوجه قوم من البربر الى باب الربيع ، وخرج اليهم جعفر الفاماني في زهاء مائة رجل ، فقاتلهم قتالا يسيرا ، وقتلوا اكثر اصحابه ، فانهزم بين ايديهم ، فدخل القيروان .

وقصد البربر (٣٨٧) الى مصلى العيد فخرج اليهم الجند فقاتلوهم قتالا يسيرا ، ثم سلموا على اوليائهم الذين في عسكر ابي يزيد . وصاروا

---

(١) جماعة : سقطت في ج

(٢) وتحصنوا : وحصنوا في ج

(٣) حلف : خلف في ج

(٤) تضرب : اضرب في ب

معهم ، وخليل في داره لم يخرج ولم يتحرك ، وارسل خليل الى اصحابه ان يتركـوا القتال ، وظن أن البربر ينصرفون حتى يأتيه ميسور .

ودخل القاضي (فأعلم خليل بمصير) (١) الجند الى ابي يزيد . وجاءه منصور بن عمار ، فقال له : ان العدو قد التصق (٢) بالمدينة ، فقال خليل : ارجـع فاعمل برأيك في قتالهم ، فقال منصور : واي راي يكون لي في هـذا الوقـت ، وقد هرب أكثر الجند ، فقاتلوهم ، وتفرق الناس ثم خرج منصور . وكان قد استعمله خليل على القيروان وعزل الجليقي ، وعاد الى خليل . وقال له : ان الجند الذين (٣) كانوا في عسكرك صاروا مع أبي يزيد ، فاخرج ليراك الناس ، فقام خليل ، وقال للقاضي : اركب ، وامر باخراج البنود وضـرب الطبول ، (٣٨٨) وركب ومن بقي معه حتى صاروا الـى باب تونس عنـد القنطرة ، فاذا بأبي يزيد قد أقبل بخيله ، فلما رآهم خليل دعى بدرعه ليلبسها فوجدها مقلوبة ، فنزعها ، وامسكوا له دابته ليلبس لامته ، فاذا حزام الدابة مرخي ، فمال به السرج الى بطن فرسه ، وكاد ان يسقط ، وقرب منهم ابـو يزيـد الدجـال الخارجي وجنوده ، وافترق الناس من حول خليل ، فلما راى خليـل فسـاد الاحـوال ، قـال : هـذا امـر فاسـد : وحـول وجـه دابتـــه ، ودخـل القـيروان ، فقال لـــه المنصور بن عمـار : لا تتحصن بالقيروان ، واخرج بنا في جمية لنمضي الى ميسور ، فليس بيننا وبينـه غير مسافة يسيرة ، والبربر مشتغلون (٤) بالنهـب في القيروان ، والليـل قد اقبـل ، وكان ذلك وقت العصر ، فقال خليل : يا أحمق انا ادخل الـدار . واغلق الباب ، حتى يأتيني ميسور .

ودخل الدار (٣٨٩) ومعه القاضي أحمد بن يحيى ، وعبد الله بـن باذر ، وكاتب خليل ، وسهل بن نفس صاحب النفقات ، ومنصور بن عمار . وجماعة معهم ، نحو اربع مائة راجل ، فاغلقوا باب الدار على انفسهم . ودخلت البربر القيروان ، يقتلون ، ويأسرون . وكتب خليل حين انحصر فـي الدار الى امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، وعلق الكتاب علـى حمام وأطلقه الى المهدية ، فطار الحمام قليلا ثم صار الى نخلة (٥) بقـرب

---

(١) فاعلم خليل بمصير : با مصير الجند في ج
(٢) التصق : الصق في ج (٣) الذين : الذي في ج
(٤) مشتغلون : مشغولون في ج (٥) نخلة : خلة في ج

الدار فنزل عليها ، ثم كتب رقعة اخرى فأرسل بها حماما آخر . فطار قليلا ، ورجع فوقع في الدار ، فجاء أبو سليمان أيوب بن جيران الزويلي فحاصرخليلا، ورجع ابو يزيد الى موضعه الى رقادة ، ورفع خليل من معه الى اعلى الدار ليقاتلوا بالنبل والحجار ، وكان يطمع (١) أن يأتيه ميسور ، وتمادى القتال الى (٣٩٠) الليل ، وخاف البربر أن يأتيهم ميسور في تلك الليلة فخرجوا خائفين ، الا ايوب بن جيران ومن معه من البربر ، فانهم باتوا على محاصرة خليل في الدار ، والقى البربر النار في الاصطبل المتصل بدار خليل ، فخاف اصحاب خليل أن تتصل النار بهم وفشلوا في اخمادها . (٢)

وصاح لهم البربر بالامان ، وقالوا : انما نطلب خليلا وحده ، فتراموا من أعلى الديار بالحبال ، ولم يبقَ مع خليل الا من لم يمكنه النزول . وكان خليل قد دبر أن يعطي من معه الارزاقَ ، ويفتحوا (٣) الابواب ويهربوا بالليل ، فحين ارتمى اصحابه الى البربر لم يمكنه تنفيذ (٤) ما دبر ، وأعطاه ابو سليمان الامان ، وحلف الايمان ، فنزل خليل بعد ان اشترط أن الدار تكون له ، وقال : هي لي من مولانا امير المؤمنين ، وجعل يكرر ذكر الدار ، وانها له من امير المؤمنين عليه السلام ، فأعطاه ايوب ما طلب ، وكتب القاضي بذلك كتابا واشهد من (٣٩١) حضر من البربر ، وقال أيوب لخليل : اركب في [illegible]ه دوابك ، وتزي بأحسن ثيابك ، فانه لا يكون الدك ش[illegible] تكرهه .

وخرج خليل والقاضي معه وجماعة من اصحابه. وأنزل خليل عن دابته. واركب (٥) برذونا اشقر ، وركب ابو سليمان ، وتوجهوا الى أبي يزيد وهو في مناخه برقادة . فأمر ابو يزيد اللعين ابا سليمان أن يحبسهم في فازته . وان يجعل ارجلهم في سلاسل الحديد ، فباتوا (٦) على ذلك الى ان اصبحوا .

وروي عن رجل يقال له سهل ، قال : كنت مع خليل عند ابي سليمان،

---

(١) يطمع : يطع في ج
(٢) في اخمادها : سقطت في ج
(٣) ويفتحوا : فتحوا في ب
(٤) تنفيذ : سقطت في ج
(٥) واركب : وركب في ج
(٦) فباتوا : فتابوا في ج

وبات بربري واحد يحوطنا ونحن ثلاثون رجلا ، والخيل المسومة عندنا فما منعنا أن نقتـــل الرجل ، ونركب الخيل ، وننجو والليل يسترنا ، الا مـــا أراد الله تعالى ، من تمام أمره ، واقام خليل وأصحابه معتقلين(١) عند أيوب بن جيران باقي ليلة الثلاثاء ، ويوم الثلاثـــاء ، وقتلوا جميعـــا يـــوم (٣٩٢) الاربعاء ، وكان ابو يزيد شاور صاحبه ، أبا عمار الاعمى في ابقاء خليل . وقال : ليس في قتله فائدة ، وهو يعرف احوال افريقية ، ونحن نحتاج اليه . فقال له الاعمى : لا بد من تعجيل قتله ، لان من في عسكرنا مـــن الجـــند والعبيد ما ملكناه بأسيافنا ويكرهون (٢) سرنا ، وخليل قائد مشهور ، ورئيس معروف ، وعيون الناس ناظرة اليه ، فلا بد اذا شعروا (٣) بأدنى حركـــة في العسكر ، أن يحـــدث (٤) اختلاف بين القبائل ، او أي عمل من السلطان أو من مبسور قد يستخلصونه به ومن معه ، وقد قيل في كتاب كليلة ودمنـــة : ليس للعدو المخوف أولـــى مـــن قتلـــه ، واراحـــة النفس منه ، وان كان في غاية الضعف ، والقلة . فاجابه ابو يزيد الى قوله .

وروى محمد بن عمرون القصري ، وكان فيمن أسر مع خليل ، ولم يبق من القوم غيره ، وغير سهل الذي تقدم ذكره ، وقال : كنا في الاغلال ، وقد جاع (٣٩٣) خليل ، ولم نجد ما نأكل لان القوم كانوا يأتونا بطعام خشب ، وكان عند ابي سليمان خادم كان يشفق علينا ، وكان أصله لمحمد بن من الله . فقال له خليل : ويحك اطلب لنا فروجا ، وفزعا في اصلاحه ، فبينما (٥) نحن كذلك ، اذ دخل بربري من أصحاب أبي سليمان الزوبلي ، فجرد عمامـــة خليل ، ونزع ثيابه واتى قوم آخرون ففعلوا بنا مثل ذلك ، وجعـــل غـــلام محمد بن من الله الذي عند ابي سليمان يناولنا خرقا نستتر (٦) بها عوراتنـــا من خلف الباب ، وهي كساسمل قد شقه ، وقال : استتروا بها (٧) فانكـــم تخرجون الى القتل ، وظهر من القاضي احمد بن يحيى بن بحر من الجزع أمر عظيـــم ، وجعـــل يقول : أيرضى أبو يزيد بقتل القضاة ، من سبقه الى هذا؟

---

(١) معتقلين : عاقلين في ج
(٢) ويكرهون : يكره في ب
(٣) فلا بد اذا شعروا : سقطت في ج
(٤) ان يحدث : سقطت في ج
(٥) فبينما : فبينا في ج
(٦) نستتر : نستر في ج
(٧) بها : بهذا في ج

فقال له خليل : كم عمرك يا قاضي ؟ قال : قد بلغت الستين . فقال خليل : هذا (٣٩٤) معترك المنايا . وانا اسن منك ، وتمثل شعرا :

ما بعد ستين قد اخلقت جدتها　　من حالة يترجاها ذوو الكبـــر
الا التي تسلب الاجسام انفسها　　وتنقل الناس من دار الى حفـر

فعـلا صـوت القاضـي بالبكـاء ، والاستغاثـة الـى اللــه تعالى والدعاء ، فقال خليل : ما في المقام (١) بعد هذا الحال خير ، قبسح الله الدنيا ومن يغتربها ، واركبوا خليل بن عدنان واصحابه على حمير ، واهل افريقية حولهـم وجنود البربر .

فيما اتى عن محمد بن عمرون قال : توسطنا العسكر فجاء (٢) قوم من البربر من قبل ابي يزيد ، فقالوا : لا تقتلوا محمد بن عمرون القصري . قال : وفيهم من جاورني بالقصرين في بلدي ، فأحسنت اليهم ، فسألوا ابا يزيـد في ابقائي : فأجابهم الى ذلك . قال : ووضع (٣٩٥) البربر السيوف والرماح في خليل ، وقد عارضه ابن زرية الفاسق القيرواني فبصق لعنه الله في وجه خليل ولطمه ، ونتف من لحيته ، وانشد اول شعر (٣) عارض فيه مروان بن ابي حفصـة ؛ رافعا صوته ، وهو يقول :

قف بالمنازل واسأل اطلالهــا　　ماذا يضرك ان اردت سؤالها
هل انت اول من بكى في دمنـة　　درست وغيرت الحوادث حالهـا

قال : فانحدرت الدموع من عيني خليل ، وقال : احسنت ، وظهرت منه اريحية ، وشجاعة لم تظن فيه ، وضرب خليل بالسيوف فيما قيل ثمانية عشر ضربة ، وهو قائم على قدميه ، ولم يتأوه ، ولا انجدل ، حتى ضربه احـد البربر بالسيف على الاوراك فسقط ، وضرب حتى مات رحمة الله عليـه ، وظهر من القاضي احمد بن يحيى بن بحر ومن سائر الجماعة غير قليل مـن الجزع ، و (٣٩٦) قتلوا صبرا رحمة الله عليهم في طاعة الائمة الطاهرين ، وعلى ولاية القائم بأمر الله امير المؤمنين صلوات الله عليه ، فهنيئا لهم ما اتاهم

---

(١) المقام : المقال في ب
(٢) فجاء : فصار في ج
(٣) شعر عارض : شعر خليل الذي عارض في ج

الله من الجزاء الطويل ، والنعيم في الاخرة الذي لا يفنى ولا يزول ، كما وعد تعالى ، وهو الصادق في وعده ، اذ يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ● فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) الحقنا الله سبحانه بالشهداء ، وجعلنا في محيانا ومماتنا من السعداء .
وكان خليل رحمة الله ورضوانه عليه ، شاعرا بليغا ، وقد ذكرنا من شعره.
ومن ذلك ، قوله :

ذهبت اكاليل الوسامة ... وابيض مسود الغمامة
وجفاك من غذيته ... واطلت من شوق غرامه
والغانيات اذا راين ... الراس اصبح كالثغامة (٣٩٧)
أعرضن أعراض الجموح ... اذا أبحت له لجامه
فمن ودني فمودتي ... وقف عليه الى القيامة
ومن انثنى عني دعوت ... له المهيمن بالسلامة
لا احمل الحقد المقيم ... على الصديق ولا الملامة
واذا تعرض جاهل ... او ظالم مني ظلامة
طوقتها عن قدرة ... في جيده طوق الحمامة
ولقد ركبت الخيل لحمل ... سكتي مثل النعامة
ونصرت آل محمد ... واذقت شانيهم حمامه
والخيل تعلم انني ... في الحرب أصدقها شهامة
واعزها نفسا واكرمها ... واكثرها صرامة
ولقد اتيت مع الفتاة ... كأنها شمس الغمامة
في ريقها ولحاظها ... طرف الفواكه والمدامة
لا والذي خص الخليفة ... بالخلافة والامامة
وحباه بالنباء العظيم ... وبالفضيلة والكرامة
ما خنت عهدا للصديق ... ولا رجعت له ندامة (٣٩٨)
ولقد وفيت لمن هويت ... كما وفى كعب بن مامة
لاخير في الدنيا لمن ... ولا يرتجى دار مقامة

---

(١) سورة : ١٦٩/٣ ، ١٧٠

وله يخاطب الامام عليه الصلاة والسلام ، ويذكر له الكتاب ، واقتطاعهم الامـــوال شعـــرا :

اللـــه يعلـــم يا خليفة ربـــنا ... وابن الخلائف انني لك ناصح
فاذا نصحتك يا بن بنت محمد ... فالحظ لي وانا السعيد الرابح
اضحت دواوين الامام ونقصها ... بعد الزيادة مستبين واضح

ولـــه ايضـــا :

بأن الشباب فبن مـــن اللذات ... وتول منصرفا عن الشهوات
واهجر صواحبك الحسان اللائي ... في هجر المشائخ غير مختلفات
ان التصابي بالخرائد كالدمى (٣٣٩) لاولي النهى والشيب غير مواتي
لله در فتى يروح ويغتـــدي ... حذرا من الاثام والشبهـــات

وفي اليوم الذي استولى فيه مخلد على القيروان وقتل خليل رحمة الله عليه ، وافق اخذ العباس ابراهيم المقتفي بن جعفر المقتدر صاحـــب بغداد فسملتا عيناه ، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر ، وتولى منـــه ذلـــك غلامه بورق التركي ، وكان المقتفي قد قدم الدقة وصار بين الانبار وبغداد ، بقرية يقال لها : السندية على نهر عيسى ، وقد تلقاه بورق بها ، واقـــام معسكرا فيها ، ينتظر قدومه ، ويظهر انه اتاه مستقبلا له ، فتغلب عليـــه ، وانتهب عسكره ، ومال به الى مضربه ، فكحل عينيه وأعماه ، وأجلس مكانه المستكفي ، وتوجه الى بغداد فأدخله اياها ، وكان ببغداد النهب وظهـــور (٤٠٠) اللصوص ، وغلاء الاسعار ، وكان القمر قد انخسف لاربعة عشر من شهر صفر خسوفا كليا ، وقد ذكر اصحاب النجوم أن القمر اذا خسف (١) في برج الحمل ، وقابله نحسا الفلك ، فان ملك بابل يهلك ، فذكر انه كـــان كذلك ، وهلك بعد الخسوف بسبعة ايام ، نرجع الى ما كنا فيه .

ولما قتل خليل رحمة الله عليه ، وافى البربر القيروان ينهبـــون (٢) الاموال ، يسبون (٣) النساء ، ويقتلون الرجال ، فنادى الناس في السحـــر

---

(١) خسف : انخسف في ج (٢) ينهبون : ينتهبون في ج

(٣) يسبون : يستبون في ج

ليذهبوا الى مخلد بن كيداد الدجال ، فخرج اهل القيروان الى مخلد يصطرخون ، ووافاهم البربر فجردوهم من ثيابهم ، وقتلوا جماعة منهم ؛ ووافى اهل القيروان أبا يزيد وقد ركب من مناخه وهو يريد القيروان ؛ فقرب ابراهيم بن الغشما القيرواني ، وكان يقول بخلق القرآن، وعانقه ، وشكا(١) اليه اهل القيروان، وما نالهم، ونال له رجل(٤٠١) منهم: يا شيخ انك تطلب أمرا عظيما لا تناله بهذه الافعال ، وانما تناله بالعدل ، والاحسان . فقال لهم : ذلك بما كسبت أيديكم ، ولا مهم في تخلفهم عنه ، وقرأ آيات من القرآن، فقالوا : انه حيل بيننا وبينك . فقال : وما منعكم أن تهاجروا الي ؟ واشار عليه صاحبه ابو عمار الاعمى بأمانهم وتقريرهم ، (٢) وقال له : انك تحتاج الى القيروان ، ولا غناء لك عنه ، فأمنهم بعد ان عاهدهم على أن يبذلوا له اموالهم ، ويخرجوا للجهاد معه بزعمه ، ووجه معهم رجلا من وجوه البربر ليدفع البربر عنهم ، فسار في رجال معه ، ونادى مناديه فكف البعض ، وبقي الاكثر ينهبون ، ويسبون البنات والنساء ، ولم يرفع البربر ايديهم عن اهل القيروان ، وما زالوا يسبون وينهبون ، ويفتضون الابكار ، واهل القيروان يترددون الى ابي يزيد ، وجاءه رجل فشكى عليه أن جارية له أخذت ، وان داره نهبت (٣) (٤٠٢) فتمثل ولم يكترث ، وانشد :

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

وكان اللعين فيما قيل من أبرع الناس وأسرعهم تمثيلا بأبيات الشعراء ، وآيات القرآن . وقال : يا أهل القيروان ان خربت مدينتكم فقد خربت مكة ، والبيت المقدس (٤) . وأقام مخلد الدجال الى شهر ربيع الاول ، ونادى مناديه بتحريك اهل القيروان للخروج معه ، وان يوافوا مصلى العيد ؛ فاستعمل بدرس المزاتي على القيروان ، وكان من اغلظ اصحابه ، وكان ميسور مقيما في الموضع الذي عسكر به ، وقد اجتمع اليه خلق عظيم من كتامة، والعبيد ، والمغاربة ، وبني كملان ، بالكراع ، والسلاح ، والاموال ،

---

(١) وشكا : واشتكى في ج

(٢) وتقريرهم : وقرارهم في ج (٣) نهبت : انتهب في ج

(٤) يقول ابن الاثير بان اهل القيروان قالوا لمخلد: خربت المدينة ، فقال : وما يكون ، خربت مكة والبيت المقدس ؟

والقوة التي لم يكن مثلها في عسكر قبله .

واتصل بأمير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، ان جماعة من بني كملان الذين في عسكر (٤٠٣) ميسور قد كاتبوا ابا يزيد وراسلوه ، ووعدوه أن يعملوا الحيلة في قتل ميسور ، وقد كاتب عليه السلام ، ميسور بكتابا (١) يحذره منهم ، ويأمره بازالتهم عن معسكره ، وطردهم عن نفسه . فساروا الى أبي يزيد وحرضوه على ميسور ، وقالوا (٢) : ان عاجلتهبالحرب ظفرت به ، فسار يريد ميسور ، ثم عطف على قصر المغيرة فبات بالماجل الذي على طريق المهدية على ستة عشر ميلا من القيروان ، وكانت ليلة باردة ،ولم يكن مع أهل القيروان لها (٣) عدة ، فمات تلك الليلة كثير منهم ، ورجع ابو يزيد صبيحة الاربعاء لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الاول ، فوافقت طلائعه طلائع ميسور ، فأخذته دهشة وحيرة ، واتاه جماعة من وجوه رجاله يسألونه تفريق السلاح على العسكر ، فأبى عليهم ، وهجمعليهم عسكر ابييزيد وهمفي الكلام في أمر السلاح ، فالتحم القتال وركب ميسور ، (٤٠٤) ووقف على جسر كان بالقرب من موضع القتال ، وفي ذلك المكان جسور أولية لا يستطيع الراجل أن يعلوها فضلا عن الفارس ، وانما نزل ميسور هنالك ليحصن بها من البيات ، وانهزمت ميسرة ابي يزيد حتى بلغوا في هزيمتهم الى القيروان ، ولما راى ابو يزيد هزيمة ميسرته قصد فيمن معه من غزاته ، فانقطع أصحاب ميسور من بين يديه ، وانتشرت الهزيمة ووجوه رجاله ، الى موضع ميسور ، وقد حفت (٤) بأبي يزيد رجالهوفرسانه، فانقطع أصحاب ميسور من بين يديه ، وانتشرت الهزيمة فيهم ، وقصدوا الى المهدية ، فلما راى ميسور فساد الامر حول دابته ليزول عن الجسر ، فأصابه (٥) سهم مغلغل في دماغه ، ووقع الجسر فكسر فخذه ، وكان السهم الذي وقع فيه قد احال عقله ، فجعل يضحك كالمعجب ، وغارت دابة ميسور فلم تدرك الا في (٤٠٥) المهدية ، وترجل عليه وجوه (٦) رجالهمن كتامة، والمغاربة،والعبيد،

---

(١) بكتابا : كتابا في ج
(٢) وقالوا : وقال في ج
(٣) لها : له في ج
(٤) حفت :خفت في ب
(٥) فاصابه : ووافاه في ج
(٦) وجوه : وجهاء في ب

وقصده بنو كملان فقتلوه .

وقصد ابو يزيد الى مضربه فنزل فيه . وتسابق (١) البربر الى الفارات والاخبية فغلبوا عليها ، وانتهبوا ما فيها ، وامر ابو يزيد لعنه الله بميسور رحمة الله عليه فشرح جسده ، وعلق على شجرة زيتون ، وامر براسه الى القيروان فلم يشك الناس بعد قتل ميسور ان ابا يزيد يظفر (٢) بالمهدية . وانه قد غلب .

وكان فضل بن ابي يزيد مقيما برقادة ، ومعسكر ابيه مع ابى عمار الاعمى ، فأتاهم كتاب الدجال أن توجهوا براس ميسور ، وانها استقامت له الاحوال ، ولما اتصل قتل ميسور رحمة الله عليه بأهل المهدية ، ووصلت الهزيمة اليهم كثر الخوف لديهم ، وزلزلوا زلزالا شديداً ، وظنوا ان ابا يزيد الدجال سيعجالهم (٣) ، فارتحل عامة الناس من كتامة (٤٠٦) سراعا الى حول المهدية بعيالاتهم ، يريدون دخول المهدية للتحصن بها ، وليكونوا حول امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، فامر عليه السلام حبان البواب بمنع الناس من الدخول ، وان يرجعوا بعيالاتهم الى مواضعهم ومساكنهم ، وأمره ان يقول للقوم الواردين من كتامة لا خوف عليكم فارجعوا الى مواضعكم آمنين ، فان هذا ابو يزيد سوف يذهب وينصركم (٤) الله تعالى على القوم الظالمين ، ولكل اجل كتاب ، ولكل امر مدة ، ولا بد أن تغلبوا ان شاء الله تعالى . فخرج اليهم حبان فبلغهم رسالة امير المؤمنين عليه السلام ، فما سكن الى قوله الا قليل من الناس ، وماج الناس بعضهم في بعض مترددين على باب المهدية ، واقاموا ثلاثة أيام بالعراء (٥) بأهاليهم واموالهم ، واخذهم سوء عظيم ، فلما يأسوا (٦) من الدخول رجع بعضهم الى مساكنهم ، وسكن بعضهم (٤٠٧) في زويلة (٧) ، واكثروا من التردد يتوقعون مجيء ابي يزيد ، واستعد من في المهدية للحصار ، وأقام النكاري الدجال في معسكر ميسور يشن

---

(١) وتسابق : وسابق في ج
(٢) سيظفر : يظفر في ج
(٣) سيعاجلهم : يعاجلهم في ج
(٤) وينصركم : ويديل في ج
(٥) بالعراء : بالفضاء في ج
(٦) يأسوا : ايسوا في ج
(٧) زويلة : زوملة في ج

الغارات على اهل السواحل ، وغيرها من الكور ، وسائر اقاليم افريقيــة ، ويبعث البعوث ، ويخرج العساكر الى الحصون ، ففتح كل الحصون التــي على البحر ، وأخذ ما فيها .

ودخل البربر مدينة سوسة (١) بالسيف وانتهبوها ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها ، وخربوا منازلها ، وقتلوا من بقي من الرجال في سائر الكور والمنازل ، وعذبوهم بأنواع العذاب التي لم يسمع مثلها في الامم ، مثل قطع الاعضاء ، وتشويه الخلق ، وبقر البطون ، وشق الفروج ، وغير ذلــك من الافعال المنكرة ، وسبوا النساء ، وأجلوا الاقاليم بأفريقية ، فلم يبق سقف مرفوع ، ولا مهاد موضوع ، وانحفل من بقي في المدن الى (٤٠٨) القيروان، والى الحصون التي على البحر ، وخرجوا من منازلهم ، عراة حفاة ، ومــات كثير منهم جوعا وهزلا وعطشا ، وبردا . ثم كانت البربر يدخلــون القيروان بما غنموه من الاموال ، والدواب ، والجمال ، والامتعة ، والسبايا مــن النسان والولدان ، ركبانا ورجالــه ، مخضبــات بالدماء ، باكيات حاسرات، مستغيثات الى الله عز وجل .

وجمع البربر من السبايا المسلمات ، واموال الناس التي اغتصبوها الى معسكر الدجال ، والى القيروان ، ثم الى نواحيهم ، ما لا يحصى عــدده ، ولا يدرك امــده .

وكانت ظلمة عمت المغرب ، ومحنة شملت على كل مسلم من كل بعيــد ومقترب ، وكان الناس يأتون يطلبون أمهاتهم وذوات أرحامهم فمن عرف منهن أحدا بادرت اليه البربر فقتله ، وقيل أن رجلا جاء يستغيث (٢) الــى أبي يزيد اللعين فقال له : انا بالله وبك يا شيخ المسلمين . فقال له : اشرح قصتك . فقال : انا رجل ذو نعمة (٤٠٩) ويسار ، ولكتامة مذ اخذوا هــذه البلاد اربعين سنة ، وانا أؤدي خراجي ، ويجوز من العمال علي من يجوز ، فمــا

---

(١) سوسة : مدينة صغيرةبنواحي افريقية . بينها وبين سفاقس يومان كــان اكثر اهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة ، وبينها وبين المهدية ثلاثة ايام ، وبين القيروان وبينها ستة وثلاثون ميلا ، ويحيط بها البحر من ثلاث نواح من الشمال والجنوب والشرق .

(٢) يستغيث : سقطت في ج

اخذوا مني الف دينار في طول تلك (١) المدة ، واصحابك اخذوا مني ما يزيد على اربعة الاف دينار في ساعة واحدة ، وسبوا لي جماعة من النساء الحرائر، منها ابنتان لي صالحتان ، وقد يكفني ان عندك احداهما واسمها عزيزة. فقال ابو يزيد لعنه الله : اذهبوا فادفعوا اليه ابنته (٢) ان عرفها عندنا ، فما زال الرجل يطلب الاخبية ويستخبر ومعه رسول ابي يزيد حتى انتهى الى فازة ، فاذا ابنته وقد عرفها وعرفته ، فخرجت اليه وهي تشهق بالبكاء والنحيب ، وهو كذلك ، وعلت أصوات (٣) النساء عند ذلك بالنحيب ، وقل من يرى الا صبية مفتضة ، وقالت الصبية لابيها : يا ابتاه ، اقتلني واستر علي ، وعلى نفسك ، فلا خير لي في الحياة ، ومالي وجه يحملني ان اراكبه، وهذا ابو يزيد قد (٤١٠) افتضني واختي على فراش واحد ، فهي معي تبكي وتصيح ، ولم تستطع أن تنظر اليك حياء منك .

فعاد الرجل الى خباء ابي يزيد وهو يصيح ويبكي ، ويسفي التراب على وجهه ورأسه ، ثم اقتحم على ابي يزيد كالاسد غير مكترث ، وقال له : ان ابنتي عندك جميعا ، وانك افتضتهما معا ، وكيف استحرت ذلك ، وانت تزعم انك من المسلمين ، ومن اين حل لك ما حرم الله ، وكيف تجمع بين الاختين ؟ فقال ابو يزيد : (انه حلال) (٤) في مذهبي ان جميع الاخوات المملوكات . وهاتان مملوكتان من سبايا ذراري المشركين . فولى الشيخ ، وهو يصيح ، يا الله قد ترى ما يفعل بعبادك ، ويفسد في بلادك ، فاشار ابو يزيد اللعين الى اصحابه ان اقتلوه ، فقتلوه .

وكان ابو يزيد اذا جاءه احد يطلب ذات رحمة ، واكثر القول عليه ،يقول للبربر : انما ابحناكم سباياهم بعد ان تقتلوهم ، فأما وهم احياء يشنعون علينا (٤١١) ، فلا ، فيبثون على من (وفد عليه) (٥) لذات رحمه فيقتلونه ، وذلك ما لم يعلم منذ الاسلام ، وقيام النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، الى الان ، ولو كان الدجالون كثيرون ، ومنهم من قد (احتذى حذو) (٦) هذا اللعين ، فانهم لا يكادون يتجرؤن على اظهار فعل ذلك لخيفة من المسلمين ، وانما يفعلون .. ئل من ذلك ابطانا للكفر ، واظهارا للاسلام .

---

(١) تلك : ذلك في ج
(٢) ابنته : سقطت في ب
(٣) اصوات : الوان في ج
(٤) انه حلال : ان في ج
(٥) وفد عليه : جاءه في ج
(٦) احتذى حذو : حذا حذوه في ج

وهذا اللعين صرح لكفره (١) ، واتى بجميع خبثه ونكره ، ولبس الدجال، ابو يزيد الديباج والحرير ، وترك ما كان يلبس من الصوف ، وركب مسومات الخيل وعاتبه (٢) من اصحابه في ذلك من عاتبه (٣) ، فلم يلتفت الى قولهما ذلك اصل مذهب الخوارج ، وقد انكروا على عبد الله بن عباس رضوان الله عليه ، لما ركب افره دوابه ، وتزيا باحسن زيه ، وقالوا له : بينما (٤) انت خير الناس ، اذ جئتنا الان (٥) في زي الجبارين ؟ فتلا عليهم عبد الله بن عباس قوله سبحانه : « قل من حرم (٤١٢) زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (٦) الاية . وقد ذكرنا ذلك .

وفي خلال مقام ابي يزيد بالاخوين بعد قتل ميسور رحمة الله عليه ، أمر أمير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه بحفر خندق حول ارباض المهدية وشرع في حفره لسبع بقين من شهر ربيع الاول من سنة ٣٣٣ ثلاث مائة وثلاث وثلاثون ، وامر امير المؤمنين صلوات الله عليه بانفاذ الكتب الى الكتاميين ، والى من يليهم ، وامرهم بالحركة الى المهدية ، وحضهم على الجهاد للخوارج النكارية اللعناء، وندبهم أن يأتوه خفافا وثقالا ، كما أمر الله عباده الذين تصدهم بذلك وغني ، وبعث بالكتب في السر الخفي حتى (٧) لا يطلع عليها ابو يزيد ومن تابعه من الاشرار الخبثاء . فاخذ اصحاب ابي يزيد بعض الرسل ومعه (٨) كتاب من تلك الكتب ، وقد كان الرجل جعله مجلدا بين (٤١٣) تمائمه ، وجاءوا الى ابي يزيد لعنه الله بالكتاب ، ففتحه وقراه ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، من عبد الله محمد بن ابي القاسم بالاسراع في الخروج بالاحتفال بالخيل والرجال ، لجهاد الفاسقين الكفرة المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد

---

(١) بكفره : كفره في ب
(٢) عاتبه : عاذله في ج
(٣) عاتبه : عاذله في ج
(٤) بينما : بينا في ج
(٥) الان : سقطت في ج
(٦) سورة : ٣٢/٧
(٧) حتى : لئن في ج
(٨) ومعه : ومن في ج

عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى عترته ، الابرار الطيبين الاخيار .

اما بعد : فقد تقدمت كتب أمير المؤمنين اليكم يتلو بعضها بعضا ، يأمركم بالاسراع في الخروج بالاحتفال بالخيل والرجال ، لجهاد الفاسقين الكفرة المارقين ، اهل اوراس ، اذ جهادهم افضل من جهاد المشركين ، وكانوا بالاريس (١) بعد قتلهم من قدروا عليه من اخوانكم ، وسبيهم ذراريهم ، وانتهاكهم حرمهم ، واكل اموالهم ، وبقوا على ذلك بنفاق أهل افريقيةكافة معهم . ومعاضدتهم (٤١٤) اياهم على فسقهم ، فقد آلت أمورهم الى ما تقدم به الكتاب من غدر بخليل بداخل مدينة القيروان مع معاونة (٢) الفجرة أهلها وهم على ذلك ، سيما ان الله عز وجل ، أنزل بهم من الخزي والنكال ، وسبي الذراري ، وانتهاب الاموال ، ما في أقله شفاء لما في الصدور ، وعبرة لاولي العقول ، جزاء لهم بمكرهم ، فتثاقلتم عن القدوم ، وتربصتم عما لكم فيه الحظ الجسيم لدينكم ودنياكم ، حتى استقدر (٣) الكفرة معدجالهم الذي نصبوه علما لنفاقهم ، ونزلوا على اثنين وعشرين ميلا من المهدية ، وانحفل جميع اخوانكم بمن تخلص (٤) من أهاليهم ، وأبناءهم اليها ، فتثبتون على المصاف لقتال الكفرة الاخسرين ، وهم منتظرون لقدومكم ، فاعلموا ذلك، وبادروا بالقدومساعةورود هذا الكتاب اليكم ، فان كان سبب تخلفكم لخروج الرجالة ، فانهضوا (٥) بالخيل وحدها مسرعين وجدوا ، وخذوا (٤١٥) في ذلك بالجد وقوة العزم ، واحذروا أن يكون لكم تثبط وتثاقل ، مبتغين لما يرضي الله عز وجل ، ويحمد أمير المؤمنين اليم ، وتستزيدون من النعمة عندكم ، لاولادكم واخراكم ، ان شاء الله ، والسلام عليكم ، ورحمة الله .

فلما قرأ أبو يزيد صاحب الحمار الكتاب ، امر بقتل الرجل الذي حمله، وعلم أنها قد وصلت كتب كثيرة الى كتامة ، بمثل ما في ذلك الكتاب ، وخاف ان يحدث عليه الامر ، فلا (٦) يطيق دفعه (٧) وتأتي عساكر كتامة ، ومن والاها من جهات افكارها وأعمالها ، ومن الذين منهم في عسكره ، فارتحل

---

(١) بالاريس : بالارتس في ج
(٢) معاونة : معاوية في ج
(٣) استقدر : قدر في ج
(٤) تخلص : خلص في ج
(٥) فانهضوا : سقطت في ج
(٦) فلا : لماذا في ج
(٧) دفعه : دفاعه في ج

نحو المهدية بجميع عساكره ، وكان ارتحاله من معسكر ميسور رحمة الله عليه نصف الليل من ليلة الثلاثاء لعشر بقين من جمادي الاولى أحد شهور سنة ٣٣٣ ثلاث وثلاثين وثلاثماية ، وحط رحاله بموضع يقال له : خربة جميل ، على خمسة عشر ميلا من المهدية ، وافترق العسكر عن (٤١٦) أبي يزيد (ينهبون ما يجدون) (١) ، ويقتلون الرجال ويستبون النساء .

وانحجز الناس بالمهدية ، وانحصروا بها ، واجمع راي الاولياء على أن يقصدوا (٢) ابا يزيد حين افترق عسكره الى مناخه ، فخرجوا من المهدية يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الاولى في احتفال من الخيل والرجال ، واتصل خبرهم بأبي يزيد ، وقد وافق (٣) قدوم ابنه فضل بن مخلد في جيوش عظيمة من البربر ، فوجه بهم لملاقاة الاولياء ، وقدم ابنه فضلا عليهم ، فوافى الاولياء بموضع يقال له : اشراف ، مسافة ثمانية أميال من المهدية ، فوقع بينهم القتال ، وارسل (٤) ابنه اليه يخبره ذلك ، فركب مخلد فيمن كان معه ، ولم يترك احدا من الرجال في الاخبية ، وتوجه يريد القوم ، فوافى أصحابه وهم في الهزيمة ، وقد قتل منهم ثلاثة عشر رجلا ، فترك أصحابه عن يمينه وقصد الى وسط (٤١٧) عساكر الاولياء ، فلما راوه ما تمالكوا حتى (٥) انهزموا من غير قتال ، وولوا الى المهدية ، وتبعهم البربر حتى انتهوا الى باب الفتح (٦) ، وبلغ أبو يزيد خندق المهدية المحدث الذي أمر أمير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، بحفره ، وأشرف على المهدية ، وذلك عند صلاة المغرب ، واراد المبيت ، فأشار عليه أصحابه بالرجوع ، فرجع الى معسكره بخربة جميل ، بعد زوال الليل .

وكتب مخلد بن كيداد الدجال الى ابي عمار الاعمى ، وهو بالقيروان ، بخبر ذلك ، فقرىء كتابه على المنبر ، وكتبوا به الى البلدان ، وكثر جمع ابا يزيد ، واتى الناس اليه من كل جهة،

---

(١) ينهبون ما يجدون : ينهبون ما وجدوا في ج

(٢) يقصدوا : يقصد في ج

(٣) وافق : رافق في ج

(٤) وارسل : وامر في ج

(٥) حتى : ان في ج

(٦) الفتح : الفج في ج

وتصدوب من كل وجهة ، طمعا في الحطام ، وطلبا للنهب ، والسبي واكل الحرام ، وخيفة من شر ابي يزيد ، ان يعاجلهم بالاصطدام .

ورحل ابو يزيد يريد المهدية لثلاث خلون من جمادي الاخرى سنة ٣٣٣ ثلاث (٤١٨) وثلاثين وثلاثمائة ، ووجه كثيرا من البربر الى باب الفتح (١) وكان هنالك عسكر امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، من كتامة ، ووجه الى الباب المعروف بباب لكه ايوب الزويلي ، وكان هنالك من قواد امير المؤمنين صندل الخادم الاسود في العبيد المسترقين لامير المؤمنين ، وتوجه ابو يزيد الدجال بنفسه ومعه ابطال الرجال من حماته وغزاته ، ومن اهل القيروان، ومن انضم اليه من جبل أوراس ، وأعمال افريقية ، وسائر البلدان ، وقد انتقاهم (٢) واختارهم ، فقصد الخندق المحدث ، وكان عليه من رجال امير المؤمنين رشيق الريحاني الكاتب في عدة من العبيد ، فوقع القتال بينهم وبين أبي يزيد على السور والخندق المحدثين ، فارتموا بالسهام ، وتطاعنوا بالرماح ، واقتحم ابو يزيد ومن معه في شاطىء (٤١٩) البحر ، فبلغ الماء صدور دوابهم حتى جاوزوا الخندق المحدث ، فانهزم رشيق ومن معه حتى بلغوا الى باب المهدية ، فأصابوه مغلقا ، فتحصنوا بفصل الرباط ، وتقحم كثير منهم في البحر ، وتعلقوا بسور المهدية ، وبالحجارة التي حولها في وسط الماء ، فتحصنوا بها من البربر ، ووصل ابو يزيد الى قرب الباب عند مصلى العيد الذي ابتناه امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام ، حيث وقع السهم من المهدية ، وقال : ان الدجال ينتهي اليه . اذ ليس بينه وبين المهدية الا قدر مرمى القوس ، وذلك اقصى مبلغه من المهدية ، ثم تفرق أصحاب ابي يزيد ينهبون ويقتلون ، والناس فوق سطوح بيوتهم يكبرون ويهللون ، ويطلبون الامان من أبي يزيد ، والحرب عند باب الفتح (٣) بين كتامة والبربر ، وهم لا يعلمون(٤٢٠) ما صنع ابو يزيد ، ولا حيث بلغ ، وكانت للاولياء كرة على البربر هزموهم فيها ، وقتلوا جماعة منهم ، فأتى مخلد رجل فأخبره بهزيمة اصحابه،

---

(١) الفتح : الفج في ج
(٢) وانتقاهم : وانقاهم في ج
(٣) الفتح : الفج في ج

فخاف من المقام على باب المهدية ، وتوجه يزيد (باب الفتح) (١) ليأتي كتامة من ورائهم ، فزحف ومعه الطبول والبنود ، فلما راى من في الارباض البنود ، وسمعوا الطبول والجلبة ، ظنوا أن أمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، خرج بنفسه من المهدية لقتال ابن كيداد ، فقويت نفوسهم ، ورفعوا (٢) بالتكبير اصواتهم ، واشتد قتالهم ، ووافى ابو يزيد من الازقة والشوارع ، فلما رآه اهل تلك النواحي من الاولياء تيقنوا أنه أبو يزيد ، فمالوا عليه بالحرب ، والطرد ، والقتل ، وقتل جماعة من أصحابه ، ولم يجد (٣) مسلكا حتى هدم اصحابه حائطا فخرج منه ، ووصل الى ناحية القتال بعد صلاة المغرب ، فقويت نفوس اصحابه ، وانهزم الاولياء ، وقتل من (٤٢١) الفريقين خلق عظيم ، وقتل من أصحاب أبي يزيد جماعة كثيرة حين افترقوا للنهب .

وكان حين وصل مخلد اللعين باب المهدية وأمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، جالس في مجلس له على البحر ، عرف بوصول أبي يزيد الى المصلى ، وانه بالقرب من الباب ، وقال جماعة ممن في الحضرة من رجاله وعبيده لامير المؤمنين : لو خرج امير المؤمنين بنفسه ، ورآه الناس ، رجونا ان يكشف الله تعالى هذا الامر بيمن طلعته ، وعظموا الامر ، ولم يشكوا الا ان أبا يزيد قد ملك الارباض ، وهو صلوات الله عليه ، مستبشر اليهم ، غير مكترث ، ولا ملتفت الى ما يقولون ، فحين اكثروا القول ، قال عليه السلام : لو جاءني ابو يزيد حتى يأخذ بحلقتي الباب ، ما خرجت اليه ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، وليبتلي المؤمنين ، ويمحق الكافرين ، والذي نفسي بيده لينجز لنا وعده ، ولو كره المشركون ، ثم قال لبعض (٤٢٢) الخدم الصقالبة الذين كانوا بين يديه : امضي الى سور المهدية ، واطلع عليه ، فاذا رايت الفاسق انصرف من مكانه ، فلوح الينا بسيفك ، لنعرف (٤) وقت انصرافه ، فمضى الخادم كما أمره ، فلما انصرف ابو يزيد لوح بسيفه ، فقال أمير المؤمنين لمن حوله : ابشروا فقد بلغ الفاسق الى اقصى مدى غايته ، وقد انصرف عنكم ، وليس ترونه بعد هذا بالغا الى هذا

---

(١) باب الفتح : الفح في ج
(٢) ورفعوا : ودافعوا في ج
(٣) يجد : يوجد في ج
(٤) لنعرف : ليعرفوا في ج

المكان ابدا ، فاستبشر القوم ، وايقنوا بقول امير المؤمنين عليه السلام ، وابتهلوا الى الله سبحانه ان يفرج تلك المحنة ، ويزيل (١) تلك الفتنة ، ويمكن لاوليائه كما وعد لهم ، ويبلغهم من صلاح عباده أملهم .

وقد كان الناس ظنوا حين انتهى ابو يزيد الى المصلى ان ينصب فازته، فعاد ابو يزيد الى محطته ، وموضع فازته بخربة جميل ، ثم انتقل الى الموضع المعروف بترنوطة (٢ يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من (٤٢٣) جمادي الاخرى من سنة ٣٣٣ ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وأمر بحفر خندق على معسكره وتحصن به ، واجتمع اليه خلق عظيم من الاجناد والبربر ، ومن بلاد افريقية، واقصى المغرب ، وادناه .

وحاصر المهدية حصارا شديدا ، ومنع الناس من الدخول اليها ،وخرج اليه ابراهيم الاشل من المهدية مستأمنا ، فقال له : يا ابراهيم كيف حالكم في المهدية الم افزعكم ؟ قال له : والله ما افزعتنا ولا اشتغلنا بك ، قال : فلم اغلق ابو القاسم — يعني امير المؤمنين ، صلوات الله عليه — باب المهدية ؟ قلة اكتراث ، والله لقد اخبرني ابو القاسم — يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه — منذ سبعين يوما بأنك تبلغ الى مصلى المهدية ، ثم لا تعود ابدا ، فقال ابو يزيد كالمستهزي : اخبرك بهذا ابو القاسم ؟ قال : نعم ، اي والله ، لقد اخبرني ، بهذا .

وزحف ابو يزيد بجموعه يوم الجمعة لسبع بقين من جمادي الاخر ، وقصد الى (٤٢٤) باب الفتح (٣) ، وكان بينهم اهل المهدية حرب شديد ، قتل فيه جماعة من وجوه الاولياء ، وجماعة من البربر ، واقتحم ابو يزيد بنفسه حتى صار الى قرب الباب ، فعرفه بعض عبيد الاولياء ، وقبض على لجام جواده ، وصاح : هذا مخلد الفاسق فلا يفوتكم ، فأتاه

---

(١) ويزيل : ويزال في جـ

(٢) بترنوطة: بتربوط في جـ . ويقال نيا ترنوط ، وهي فحص على ستة اميال من المهدية ، ومنها زاحف ابو زيد مخلد المهدية، وبهذا الفحص كانت محلته ايام حصار المهدية . وفي ابن الاثير ترنوطة .

(٣) الفتح : الفبح في جـ

رجل من اصحاب ابي يزيد فضرب يده فقطعها ، وخلص (١) الفاسق مخلد .

ولما راى الدجال اقدام كتامة ، والعبيد ، وجنود امير المؤمنين عليه السلام ، الذين في المهدية ، وشجاعتهم ، وشوكتهم ، وشدة بأسهم ، كتب الى اهل القيروان يأمرهم بالخروج اليه بالفازات ، والسلاح ، والعدة ، ووجه اليهم جماعة من اصحابه ، فأخذ الناس بالخروج واخرجوا (٢) جميع ما معهم من القوة والعدة الى عسكر ابي يزيد ، فلما وصلوا زحف بهم الى المهدية ، وبجميع عساكره ، يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رجب .

وانشأ الامام القائم بأمر الله امير المؤمنين صلوات الله عليه خطبة يحرض (٤٢٥) فيها المؤمنين ، وأمر المروذي قاضيه بالمهدية أن يقراها عليهم ، يقول فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ، والصلاة على النبي محمد وآله الطاهرين : ايها الناس ان هذا اللعين النكاري قد استشرى شره (٣) واستوبى مرتعه ، وحملته الاماني الفرارة ، والنفس التي هي بالسوء امارة ، على ان يحمط نعمة الله عليه ، وسول له الشيطان الذي هو قرينة (٤) ان لا غالب له ، وانما ارضى له امير المؤمنين في زمامه ليعثر في فضل خطامه ، فلعنه الله لعنا وبيلا ، واخزاه خزيا طويلا ، وصيره الى نار لظى لا يصلها الا الاشقي ، وقد علمتم يا معشر كتامة ما مضى عليه آباءكم ، وقدم (٥) اسلافكم من لزوم الطاعة ، والاعتصام بحبلها ، والتفيء بظلها ، والمجاهدة في الله حق جهاده ، وانكم خبية الله لهذا الحق المحمدي ، الفاطمي ، المهدي ، حتى اظهره واعلاه ، وجعل لكم فخره وسناه ، فانتم كحواري عيسى ، وانصار محمد صلى الله عليهما ، (٤٢٦) يا ابناء المهاجرين والانصار ، والسابقين الاولين المقربين ، اليس بكم ازال الله دول الظالمين التي مضت لها احقاب السنين ، حتى جعلهم حصيدا خامدين ، واورثكم ارضهم ، وديارهم ، فصرتم تغزون ، بعد أن كنتم تغزون .

ونزل بازائكم دجال لعين في شرذمة ضالة مضلة، لم يستضيئوا بنور(١)

---

(١) وخلص : ونجا في ج

(٢) واخرجوا : واخرج في ج

(٣) شره : اشره في ج

(٤) قرينه : قرنيه في ج

(٥) وقدم : وقدما في ج

(٦) بنور : بنورهم في ج

هدايتهم ، منهم كالانعام المهملة ، والصور الممثلة ، والخشب المسندة . والحمر المستنفرة ، ان اقاموا هلكوا ، وان طولبوا ادركوا ، فلا تنكصوا بعد الاقدام ، وانتم حزب الله ، وهم حزب الشيطان ، وقتيلكم في الجنة ، وقتيلهم في النار ، فأي حق بعد هذا الحق تطلبون (١) ، ومع اي امام بعد امامكم تقاتلون ، فقاتلوا رحمكم الله احزاب الضلال ، وذئاب الطمع ، وفراش النار ، واطلبوهم في نواحي الارض واقاصي البلدان ، وجميع الافاق ، حتى يحق (٤٢٧) الله الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المشركون .

فلما سمع الاولياء هذه الخطبة ، قالوا : سمعا وطاعة . وارتفعت الاصوات بالبكاء والضجيج ، وانصرفوا للقتال ، وقد اقبل الدجال في جموعه ، وقصد بجنوده كلها الى ناحية تعرف بدار قوام فوقع بينهم قتال عظيم ، وحرب شديد ، وتواصى الاولياء ، وصبروا ، واستبسلوا ، وتذمروا ، وهزم مخلد الدجال هزيمة منكرة ، وقتل كثير ممن معه (٢) من اهل القيروان وغيرهم ، وفيهم سعيد الجبروتي ، قتل ، وكان له مكان جليل عند ابي يزيد ، وكان على الشيعة مشنعا ، ولاهل البيت مبغضا ، وقتل جماعة من اكابر البربر ، وانصرف مخلد (٣) الى موضعه مغلوبا مهزوما ، وجز الاولياء رؤوس من قتل ، فطافوا بها في المهدية ، وسروا ، وايقنوا بالظفر ، وقويت نفوسهم ، وقال الداعي الاجل جعفر بن منصور اليمن ، ابي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب قصيدته التي اولها (٤٢٨) :

الحمد لله هذا الفتح والظفر	هذا الذي كان للايمان ينتظر
فاستبشروا يا رجال الدين وانتدبوا	لحرب قوم هم ضلوا وهم كفروا
وايقنوا ان جند الله غالبهم	وانه جل للايمان ينتظروا
سيهزم الجمع اذ جاء والحر بكم	والمارقون فقد خابوا وقد خسروا
فان وعد أمير المؤمنين لكم	حق به جاءت الآيات والسور
عن جده المصطفى الهادي وحيدره	وآله العز جاء العلم والخبر
فلا تملوا ولا عن حربهم تهنوا	وان بغوا وطغوا في الكفر واشروا

---

(١) تطلبون : يطلبون في ج

(٢) معه : معهم في ج

(٣) مخلد : سقطت في ج

واستنصروا الله واحموا عن حريمكم (٤٢٩) ودينكم وانهضوا للقوم وابتدروا

وحين بلغ أهل ورداجة هزيمة الدجال قويت قلوبهم ، وارسلوا الى أمير المؤمنين ثلاثة فرسان منهم يسألونه ان يوجه اليهم عاملا ليتقووا به على ابي يزيد ، فبلغ ذلك مخلد فارصد لهم رصدا فاخذ احد الفرسان الثلاثة ، وخلص منهم الى المهدية اثنان ، واخرج اللعين الى ورداجة ابنه ايوب ابن مخلد ، وامره بالمقام بها ، وحفظ نواحيها ، وكان في عسكر أبي يزيد ولي من أولياء امير المؤمنين ، يرفع اليه اخبار ابي يزيد ، فشاع ذلك عنه ، ودس اليه أبو يزيد رجلا أراه النصح حتى استحصل على ما عنده ، واخذ الى البلدان كتبه ، فأوقف عليها أبا يزيد ، فطلب أبو يزيد وزع بن علي ، وأوقفه على كتبه ، وقبض عليه ، ثم أرسل الى (١) ابنه ابراهيم بن وزع وقتلهما جميعا رحمة الله عليهما ورضوانه .

واشتد (٤٣٠) الحصار على المهدية ، وقدمت مواكب كثيرة ، من صقلية ، وطرابلس ، بالطعام وغيره ، يزيدون المهدية ، فدفعتها الريح الى الشطوط وانتهبها أصحاب ابي يزيد ، وبلغ سعر القمح والشعير بالمهدية مبلغا عظيما من الغلاء ، وزحف أبو يزيد (مرة أخرى) (٢) بجنوده لقتال اهل المهدية ، فبلغ الماء المالح ، ووقع قتال شديد بين الفريقين ، وعاد مخلد الدجال منهزما ، وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من شوال سنة ٣٣٣ وثلاثين ، وكثر خروج الناس من المهدية لشدة الجوع ، والجهد ، وفتح أمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، الاهراء (٣) التي كان المهدي بالله صلوات الله عليه شحن فيها الطعام حين عمر المهدية ، والقائم بعده ، فأنفقها في الناس ، وفرقها على رجاله ، وعبيده ، وقال : لهذا الوقت أعدت .

وعظم البلاء على الناس ، واشتد بهم الجهد ، حتى (٤٣١) احتاجوا الى اكل الميتة ، والدوب ، وغيرها ، وصبر الكتاميون صبرا عظيما لم يصبر احد مثله جهادا واحتسابا ، يرجون به من الله سبحانه ثوابا ، ويدفعون عقابا في طاعة ولي الله وصفيه ، وخيرته من خلقه ، وابن نبيه ،

---

(١) الى : سقطت في ج
(٢) مرة اخرى : امرة في ج
(٣) الاهراء : الاهواء في ج

فطوبى لهم وحسن مآب « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » (١)
وكان الرجل منهم اذا فرغ ما عنده من الطعام ولم يجد ما يطعم به اهله .
أخذ بأيدي نسائه وأخرجهن من المهدية ، وكان اصحاب ابي يزيد اللعناء
يسبون من يخرج من نساء أهل المهدية واطفالهم ، وخرج السوقة ، واهل
البيع ، من الرجال والنساء ، وكان البربر يشقون بطون الرجال . وارحام
النساء ، يطلبون الخبايا فيها من دنانير ودراهم ، ووجدوا اشياء مما يبتغون .
فتجرأوا على ما هم فيه ، وتمادوا عليهم ، وكان البربر (٢) يخافون ان يقتلو
مع بعضهم (٣) عليهم ، فلا يأمنوا اصحابهم ان وجدوا اشياء ان يأخذوها
منهم ، و (٤٣٢) كانوا يحملون مصارين (٤) بني آدم الى القيروان ،
ويتبايعونها بينهم بالاثمان ، وكانوا ان وجدوا المرأة اخذوها مسبية .

ويروى عن بعض أهل القيروان انه قال : لقد لقيت امرأتان تبكيان .
وتقولان : لو كان في السماء اله ، لغير هذا الفعل ، وكان في شهر رمضان ،
فقلت : ويلكما اتكفرا في شهر رمضان ؟ فقالتا : تبحك الله اتكفرنا ، وهؤلاء
يدعون انهم مسلمون ، وقد ارتكبوا من الحرام في شهر رمضان ؟ ونقول
نعوذ بالله من هذه العقيدة ، والمحن المؤدية اليها ، وان الله سبحانه هو خالق
العدل والرحمة ، المنزه عن الجور ، كما يقول الجاهلون من العامة ، وانما
هي شدائد تكون املاء للظالمين ، وتمحيصا للمؤمنين ، ليزداد المتحنون من
أهل الايمان من الله ثوابا ، والظالمون المتمادون في العدوان اثما وعقابا
« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
(٤٣٣) الابصار » (٥) كما قال الله تعالى في كتابه ، وله العزة
والاقتدار .

واتى رجل الى ابي يزيد فقال له : لقد مررت بقوم من البربر في شهر
رمضان ارتكبوا الفاحشة من نساء ، ثم شقوا بعد ذلك بطونهن ، وفروجهن ،
يطلبون بزعمهم دراهم ودنانير ، فلم يجدوا شيئا . فقال ابو يزيد اللعين :
انهم مشركون ، وذلك حلال في شوال ، وهو أعظم أجرا في رمضان . واتى
بأنواع من الكفر والنكر ، وبلغ مبلغا عظيما من استحلال ما حرم الله لم يبلغه

(١) سورة : ١٠/٣٩
(٢) وكان البربر : كانوا في ج
(٣) مع بعضهم : سقطت في ج
(٤) مصارين : امصار في ب
(٥) سورة : ٤٢/١٤

احـــد فـــي الدهـــر ، واجتمعـــت كتامـــة ، وتآلفـــوا بموضـــع مـــن بـــلادهـــم ، يقـــال لـــه : الســـرف الاحمـــر بقرب قسنطينة (١) مـــن ارض المغـــرب علـــى انهـــم يأتـــون بجمعهـــم ، وعساكرهم لنصرة امير المؤمنين صلوات الله عليه ، فأخرج ابو يزيد رجلا يقال له ركوا الزاتي في جموع عظيمة من اهل ورفخومة وغيرهم ، فأوقع بالكتاميين وبدد شملهم . وورد كتابه الى ابي يزيد فسر سرورا عظيمـــا ، وقد كان عظم (٤٣٤) خوفه منهم ، وكان البربر ينهبون (٢) ما بأفريقية ويرجعون (٣) الى عسكر ابـــي يزيد ، فحين افنوا ما بافريقية كلها ، توقفوا عن الوصول الى ابي يزيـــد . ولم يبق معه غير اهل جبل اوراس وبني كملان ، فحين اتصل امر تفرقهـــم بأمير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، امر الاف الناس بالخروج اليه لسبع (٤) خلون من ذي القعدة ، فكان بينهم قتال شديد ، وعاد كـــل الـــى موضعـــه .

وزحف الاولياء ايضا اليه يوم السبت ، فلم يخرج اليهم احد ، وابـــو يزيد يبعـــث كل يوم في طلب الناس الى البربر ، والى جبل اوراس ، والـــى اعمال افريقية ، وكان اذا اتاه قوم ذهب عنه آخرون ، ثم لما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة زحف الاولياء الى ابي يزيد وقد اتتـــه عساكر من البربر فاجتمع الفريقان بالماء المالح ، وكان بينهم قتال شديد قتل فيه جماعة من اصحاب ابي يزيد ، منهم رجل يسمى (٤٣٥) خليفة ، وكان من اخص من لديـــه ، واقربهـــم اليه ، فعظـــم ذلـــك على اصحاب ابـــي يزيد وعليـــه .

وخرج الاولياء ايضا يوم الخميس لثلاثة عشر ليلة خلت من ذي القعدة فغنموا دوابا من حول عسكر ابي يزيد ، ورجعوا بها الى المهدية ، ولما كـــان يوم الاثنين لثلاثة عشر ليلة بقيت من ذي القعدة خرج الاولياء حتى أشرفـــوا على محط ابي يزيد ، فخرج ابو يزيد في غزاته ، وخواص اصحابه ، فأخذميمنة القتال ، وقد كان التقى عسكره والاولياء فقويت قلوب البربر ، وكانت علـــى الاوليـــاء هزيمـــة قتـــل منهـــم فيها خلـــق عظيـــم كثير ، وهبـــت ريح

---

(١) قسنطينة : قسطيلية في ج
(٢) ينهبون : تنتهب في ج (٣) يرجعون : رجع في ج
(٤) لسبع خلون : لست خلون في اتعاظ الحنفا للمقريزي صفحة ١١٥

عاصف اظلم بها الجو ، وعرف ذلك اليوم بيوم الريح ، وتمادى الحصار على من بالمهدية ، وهرب منهم كثير في المراكب الى الروم ، ومصر ، وطرابلس ، وصقلية (١) ، ووافت أبا يزيد اللعين جيوش عظيمة كثيرة يوم الخميس لليلتين باقيتين (٤٣٦) من ذي القعدة ، فخرج بعض جيوشه ، وسارع قوم من عسكره الى جانب المهدية ، فخرج اليهم الاولياء ، واتصل خبر القتال بأبي يزيد فسار اليهم ، فوافى أصحابه منصرفين ، وعرفوه بظفرهم ، فقال لهم ارجعوا (٢) اليهم . فسار القوم معه ، حتى صاروا بقرب الاولياء ، فلما عرف الاولياء أن أبا يزيد قد زحف بنفسه ، وعلموا مكانه اختاروا منهم مائتي فارس من حماتهم ، وكماتهم ، فقصدوا أبا يزيد وحملوا عليه لا يلوون على غيره ، والناس في القتال ، فقتلوا في تلك الحملة كثيرا من غزاة ابي يزيد الذين حوله ، وقوما كانوا من الزوابليين معه ، وخلص ابو يزيد بنفسه ، بعد أن استمات أصحابه عليهم ، وترجلوا عن دوابهم ، واسر الاولياء خلقا كثيرا منهم ، فربطوهم بالحبال وادخلوهم المهدية ، وقوي الاولياء بعض القوة ، وارسل أبو يزيد في (٤٣٧) طلب الجنود والحشود ، فوافته بنو كملان ، وبنو بلبسان ، ولواته في الف فارس ، وأتاها مثلها من نحو باجة من ابنه أيوب .

ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة فخرجت في شهر المحرم مراكب من المهدية تريد صقلية مشحونة بالعيالات والاموال ، فهبت عليها ريح عاصف فأرسوا لها ، فخرجت عليهم مراكب من سوسة ، واروهم انهم من المهدية ليستأنسوا بهم ، ثم قصدوهم فغلبوا على مركبين صغيرين من تلك المراكب ، فقتلوا من بهما ، وانتهبوا ما فيهما من الاموال ، وجاءوا ببعضها الى الدجال .

وفي هذا الشهر ظهر ثائر ادعى انه من بني العباس في ناحية باجة ، واجابه كثير من الناس ، فاحتال عليه أيوب بن مخلد حتى أخذه أسيرا وارسل به الى القيروان الى أبي عما الارعمي ، ووجدت معه أعلام سود مكتوب في كل علم منها لا اله الا الله محمد المهدي بالله .

وأتاه أبو عمار بقوم (٤٣٨) من بغداد فسالوه عن صفة بغداد ، وفي

---

(١) صقلية : صقلبة في ج (٢) ارجعوا : راجعوا في ب

اي ناحية منها كان سكونه ، فلم يحر جوابا ، فامر به ابو عمار الاعمى بمن(1) معه من اصحابه فصلبوا في القيروان في باب ابي الربيع ، وفي هذا الشهر قدم بنو وشير الى ابي يزيد وهم من البربر ، يتوالون امير المؤمنين ، وكانوا ممن قاتل ابا يزيد بباغاية ، فرغبهم ابو يزيد فوصلوا اليه ، وكانوا ستين رجلا ، فامر امير المؤمنين حسن بن علي بمكاتبتهم لما يعلم من موالاتهم فاجابوه ، وفروا عن الدجال الى عسكر امير المؤمنين عليه السلام ، فاجزل صلاتهم ، وصابحوا عسكر الدجال بالقتال مع الاولياء ، وكانت لهم جراة ونكاية في العدو .

وزحف الاولياء يوم الخميس غرة شهر صفر فبلغوا الى خندق ابي يزيد ، وطافوا به ، فلم يخرج اليهم احد ، ثم زحف الاولياء اليهم يوم الجمعة ، وكان فيه قتال شديد ، نصر فيه الاولياء على اصحاب ابي يزيد ، و (٤٣٩) اتفقت بين البربر وابراهيم بن ابي سلاس الاربسي امور واسباب ، وكانوا قد حسدوه على قربه من ابي يزيد ، وهو الذي خرج من الاربس حين قرب ابو يزيد من نواحي افريقية ، وقد ذكرنا امره ، فافسد البربر بينه وبين ابي يزيد ، وسعوا به اليه ، حتى خافهم على نفسه ، فاستمال (٢) كثير من الجند على الرجوع الى طاعة امير المؤمنين عليه السلام ، والكون في جملته ، فاجابوه الى ذلك ، فكاتب امير المؤمنين عليه السلام ، وسأله ان يخرج عسكرا لقتال البربر ليصير اليهم مع (٣) من اطاعه من الجند ، وان يخرجوا معهم علما احمر ليكون علامة لهم يصيروا اليه ، فاخرج امير المؤمنين عليه السلام ، الاولياء يوم الاحد لاربع خلون من صفر فركبوا الى معسكر ابي يزيد ، وناشبوا القتال ، وخرج اصحاب الدجال على ما جرت عليه عاداتهم ، وابراهيم بن ابي سلاس قد امتاز ناحية عنهم بالذين معه ، وكانوا ثلاثمائة فارس (٤٤٠) فحين نصب لهم العلم الاحمر حملوا كانهم (٤) يريدون القتال ، فوصلوا الى العلم وصاروا في جملة الاولياء ، وسلم بعضهم على بعض ، وكروا مع الاولياء على اصحاب ابي يزيد ، فقتل خلق عظيم من البربر ، وكان لجنود الامام القائم بأمر الله سلام الله عليه الظفر .

---

(١) بمن : من في ج
(٢) فاستمال : فمال في ج
(٣) مع : سقطت في ج
(٤) كانهم : كونهم في ج

ووصل ابراهيم بن ابي سلاس والذين معه من الجند الى المهدية ،فدخل ابراهيم واكابر الجند الى حضرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فقبلوا الارض بين يديه ، وتضرعوا في العفو اليه ، وتابوا من ذنوبهم ، وتنصلوا (١) من عظيم حروبهم ، واكثروا البكاء ، واظهروا الندم ، فرحمهم الامام القائم عليه السلام ، وعفا عنهم ، وخلع عليهم ، واحسن اليهم .

ثم أمر أمير المؤمنين عليه السلام ، الاولياء بالخروج الى ابي يزيد
فخرجوا اليه ، وركب ابو يزيد بجنوده وجميع حشوده ، وخرج الى (٤٤١)
قتالهم بنفسه ، وكان قتال عظيم اشمأز الفريقان فيه ، وقتل جماعة من
الاولياء ، وقتل من أصحاب ابي يزيد أكثر من مائتي رجل ، وانصرف (٢)
الفريقان عند الرواح ، وقد اثخنوا بالجراح ، ولما هرب الجند مع ابن ابي
سلاس الى المهدية ، وكانتا هاتان المعركتان في يومين متوالين ، وصال الاولياء
فيهما المارقين النكارية ، فضاقت بهم الاحوال ، وخافوا أن يعاودوهم (٣)
الاولياء القتال ، فتفرق أصحاب ابي يزيد عنه ، وفروا منه ، ولم يبق غير بني
كملان ، وهوارة (٤) واوراس ، وبهم كان يثق ، وعليهم يعول ، فاجتمع
بعضهم الى بعض بغير علم ابي يزيد ولا مشورته ، وقالوا : قد
افترق عسكرنا ولا نأمن أن يصابحنا الكاميون فنهلك ، والراي أن
نتوجه الى القيروان ، ونحشد اهلها مع سائر البلدان ، ثم نعود الى (٤٤٢)
موضعنا في عدة وعدد .

ثم ركبوا وهربوا من محط (٥) ابي يزيد فلم يشعر بهم (٦) حتى قد مضوا ، فخرج في ثلاثين فارسا يريد أن يردهم ، فامتنعوا ولم يرجعوا ، ولا مكنه الرجوع الى مناخه ، فسار ابو يزيد الدجال الى القيروان ، ورفع الله المحنة عن أوليائه الثابتين على الطاعة والايمان ، وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من الحصار ، ببركة الله ووليه أمير المؤمنين القائم بأمر الله امام ذلك الاوان صلوات الله عليه ، وعلى ابائه الطاهرين وابنائه الكرام ، وعليهم من الله أسنى التحية ، وافضل السلام ، وحين انتهى الى أمير المؤمنين عليه

---

(١) وتنصلوا : وصلوا في ج

(٢) وانصرف : وصرف في ج

(٣) يعاودهم : يعاوروهم في ج

(٤) هوارة : هوازة في ج

(٥) محط : محطة في ج

(٦) بهم : سقطت في ج

السلام ، رحيل الدجال ، امر الاولياء بالخروج الى معسكره ، وان يعلموا (١) حقيقة امره ، فوجدوا الفازات خالية ، والرجال عنها نائية ، ومنحهم الله تعالى جميع ما في عسكر الدجال ومناخه من الامتعة والانفال ، والاخبية والفازات ، والطعام والزيت (٤٤٣) والعسل ، وصنوف المآكل ، فامتلأت منها ايديهم ، ورجعوا بها الى اهاليهم ، بعد شدة الجهد ، والحصار ، وما نالهم من اعداء الله الاشرار .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه (٢) : قال الامام المعز صلوات الله عليه : الا اخبركم عن جملة ما اتفق امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، في تلك الفتنة ؟ قلت : بلى يا امير المؤمنين فانا لنحب ذلك . فقال : امر عليه السلام هذا ، واومى الى خازن بيت مال القائم عليه السلام ، وهو بين يديه ، ان لا يخرج من النفقة في ذلك الا من ماله ، وعزل له مائة الف دينار واثني عشر الف درهم ، وقال له : احذر ان تنفق في شيء من امر هذه الفتنة من غير هذا المال ، فانك ان انفقت شيئا من غيره ذهب ضياعا ، ولا بد ان ينفد هذا المال في هذه الفتنة كله . قال المعز عليه الصلاة والسلام (٤٤٤) : فوالله ما زاد عليه ولا نقص منه ، ولا كان الا كفاف النفقة في ذلك ، حتى انقضت الفتنة بفراغه . ثم نظر الى الخازن ، فقال : اليس كذلك كان الامر ؟ قال : نعم كذلك كان ، امرني امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، وما انفقت غيره ، وما بقي منه درهم فما خوفه ، ولا احتيج الى غيره .

ووصل مخلد الى القيروان في قليل من العدد ويسير من العدد ، بذل الهزيمة ، وضعف العزيمة ، فبات بمصلى القيروان ، وخرج اليه صاحبه ابو عمار الاعمى فعنفه ووبخه ، وقال له : تشاغلت عن الجهاد ، واكلت لذيذ الطعام ، ولبست لين الثياب ، وافتضت الابكار ، حتى احبلت (٣) ثمانية عشر امراة هن الان مقيمات في عسكرك ، وكثر ما اتيت به من منكرك ، وما هكذا يفعل من قام لله ، واظهر نصر دينه ، فقال له ابو يزيد : صدقت ، وانما

---

(١) يعلموا : يعملوا في ج

(٢) وردت هذه الرواية عن لسان القاضي النعمان بن محمد في كتابه المجالس والمسايرات المجلد الثاني مخطوطة .

(٣) احبلت : احملت في ج

كان ما كان لذنوبي ، (٤٤٥) ، وانا متنصل (١) مما فعلت ، واظهر التوبة بزعمه على يدي ابي عمار ، واشهد اصحابه على نفسه ، ورجع الى لبس الصوف ، وركوب الحمار ، وكان فيما يقال من اذل خلق الله اذا خاف ، واكثرهم بطرا وشرا اذا امن .

ولما راى اهل القيروان ما هو عليه من الذل والقل (٢) ، وما بلغ به من الهزيمة والفل ، خافوا من عساكر أمير المؤمنين ان تاتيهم ، وعرفوا ما قدموه من بغيهم وتعديهم ، فاجتمع وجوههم (٣) عند محمد بن ميمون البلوقي، وابن عم له يقال له موسى ، وكاتبوا امير المؤمنين عليه السلام ، ان يوجه بعساكره اليهم، وضمنوا له القبض على ابى يزيد حتى اتصلت جنود امير المؤمنين عليه السلام اليهم، فلم يجبهم امير المؤمنين عليه السلام ، الا انه قال لرسولهم: ان كان الامر كما يقولون ، فما يمنعهم أن يأخذوه ، وقد بقيت للفاسق مدة لا بد له أن (٤٤٦) يبلغها ؟

فانصرف الرسول الى اهل القيروان بغير جواب ، وبلغ ذلك ابا يزيد ، فطلبهم ووعدهم ، وارضاهم بالقول ، وخوفهم من امير المؤمنين عليه السلام ، وقال لهم : انكم قد ظاهرتمونا عليه ، واسأتم اليه ، وانكم بعد ذلك لا تأمنونه ، وان اظهر لكم الامان فلا (٤) ينسى ما صنعتم معنا بأوليائه يا أهل القيروان ، فاعتذروا اليه ، وانصرفوا عنه ، وتسامع من كان تفرق عن عسكره بوقوفه في القيروان فجاءوا من كل جهة اليه ، ووفدوا من كل وجهة عليه .

وكان اهل مدن افريقية لما اتصل بهم هزيمة الدجال من حصار المهدية كاتبوا امير المؤمنين ان يبعث (٥) اليهم عماله ، وقبض اهل سوسة على أحمد الهوازي عامل مخلد الدجال ، وعلى جماعة معه ، ووجهوا بهم الى امير المؤمنين عليه السلام ، فحمد ذلك من فعلهم ، ووجه اليهم امير المؤمنين سبع مراكب مشحونة بعبيده ، وقود (٦) عليهم رجلا منهم ، يقال له : (٤٤٧) عباس بن منذورة ، لضبط مدينة سوسة ، وضبطها احسن ضبط ، حتى قدم عاملها الحسين بن ناكسين من قبل امير المؤمنين عليه السلام .

وكتب الدجال ابو يزيد الى البربر يستنهضهم ، ويلومهم ، ويوبخهم

---

(١) متنصل : متوصل في ج
(٢) والقل : والمقول في ب
(٣) وجوههم : وجهم في ج
(٤) فلا : ولا في ج
(٥) ان يبعث : يبتعث في ج
(٦) وقود : وقاد في ج

على افتراقهم عنه ، وتركهم اياه فتوافوا اليه ، وخرج اصحابه الى المدن والبلدان ليدفعوا اولياء امير المؤمنين عنها ، وأمرهم بالمسابقة اليها . وأوصاهم بالقتل والنهب والسبي على ما جرت عادته ، وشاع به ظلمة ، واستمرت عليه أحواله ، ووجه ابو يزيد مسنوية بن بكر الكملاني . وعياض بن احمد الهوازي الى تونس، وكان امير المؤمنين وجه الى تونس عمار بن علي في جماعة من الكتاميين، ووجه عليه السلام، الى باجة عقبان بن الحسن الجيلي . ووجه الدجال ايوب بن جبران المعروف بأبي سليمان ، واخرج الدجال فليح ابن محمد الهوازي ، وكان قاضيه في هوارة (١) اوراس الى الاربس (٤٤٨).

فلما خرج اصحاب ابي يزيد عنه فعلوا بوصيته ومضوا على شاكلته . فلم يمروا ببلد الا قتلوا أهلها ، وسبوا نسائها وولدانها ، فخربوا (٢) البلاد، واهلكوا العباد ، وفعلوا أفعالا لم يسمع بمثلها من بعدها أو قبلها ، ولا جرت ايام (٣) الفراعنة الاول على شكلها ، وسبق مسنوية وعياض فيمن معهما من جنود البربر عمار ابن علي والكتاميين الخارجين من المهدية الى تونس . فاستولت البربر عليها ، وملكوها بالسيف يوم السبت لعشر خلون من صفر . فانتهبوا ما فيها ، وقتلوا أهلها ، وسبوا ذراريها ، وأحرقوا المسجد الجامع فيها ، ولجأ كثير من أهلها الى أن ارتموا الى البحر ، فماتوا من الغرق . ونجا منهم من نجا ، فماتوا جوعا ، وهزالا ، واقبل عمار بن علي والكتاميون، فخرج عياض ومسنوية ومن معهما من البربر لحربهم ، فاجتمع الفريقان . بموضع يقال له : بنوصليان ، فأقبلوا فاقتتلوا قتالا (٤٤٩) شديدا . وكثرت جموع البربر على الاولياء فهزموهم ، وحال بينهم الليل والتجأ الاولياء الى جبل الرصاص من اعمال تونس ، ثم توجهوا الى باجة (٤) فدخلوها ، ثم خرجوا منها الى اصطفورة (٥) .

ورجع مسنوية وعياض والبربر الى تونس فاصطفوا اموالها وسباياها ، ووجهوا بجميع ذلك الى القيروان ، ثم عاد عمار بن علي

---

(١) هوارة : هوازة في ج (٢) فخربوا : فاخربوا في ج
(٣) ايام : سقطت في ب
(٤) باجة : باحة في ج . قال ياقوت في معجمه : باجة في خمسة مواضع ، منها باجة بلد بافريقية تعرف بباجة القمح سميت بذلك لكثرة حنطتها ، وهي المقصودة هنا
(٥) اصطفورة : عطفورة في ج

والكتاميون الى تونس ، وقد اجتمع معهم خلق عظيم من اهل تلك النواحي. وخرج البربر مع مسنوية وعياض من تونس للقاء الاولياء فاجتمعوا بوادي بحردة . ووقع القتال بين الفريقين فانهزم البربر وقتل منهم ناس كثير ، وحال الليل بينهم ، واثخن مسنوية بن بكر الكملاني جراحا ، وبلغت هزيمة البربر الى مدينة تونس ، وركب الاولياء الى مدينة تونس خلفهم يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الاول ، فاخرجوا البربر من تونس بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، (٤٥٠) فبلغ البربر بهزيمتهم الى القيروان . واصاب الاولياء بكورة تونس ثلاثة الاف جمل محملة طعاما وغير ذلك ، فتوجه بها عمار بن علي راجعا الى المهدية ، اذ كانت تونس خرابا لا مقام فيها ، ولا اهل لها . فلما وصل عمار بن علي الى مدينة سوسة ، وافاه كتاب أمير المؤمنين صلوات الله عليه أن يقيم في مدينة سوسة . ولما وصل عقبان الجميلي الى باجة (١) ومن معه من الاولياء اصابوا بها بقية من اهلها . كانوا يقيمون الليل . ويخرجون النهار الى الصحاري والقفار حذرا من البربر ، واجتمع لعقبان جماعة ممن حول باجة (٢) من القبائل . ووجه أبو يزيد مسنوية الكملاني . وعياض الهواري . وابنه أيوب . وعلي بن بدر المصري في عسكر عظيم . فدخلوا تونس مرة اخرى وقتلوا من بقي بها . وخربوا باقيها . ثم توجهوا الى باجة (٣) . وخرج اليهم عقبان بن الحسن الجميلي (٤) ومن معه فقتل عقبان رحمة (٤٥١) الله عليه ، ودخل البربر مدينة باجة (٥) بالسيف فقتلوا من اصابوا بها ، واحرقوها بالنيران . واستبوا نسائها ، وكان السبي والنهب بنواحي افريقية في اقبال البربر وادبارهم ، وغدوهم ورواحهم . وكانت البربر تدخل بالسبي والنهب الى القيروان ما لا يحصى كثره ، وكل ما اتصل ذلك بمخلد وما يلقى المسلمون ونساءهم واولادهم من البربر سره ذلك وابهجه ، واقر قلبه واثلجه ، وذكر له ذاكر ما يلقى الناس من بغيهم وما هم فيه من ضلالهم وغيهم ، فقال: والله لاقتلن جميع من في المغرب ، بمن قتل من اوليائي ، فقال له بعض جلسائه : العفو اقرب للتقوى . فأغضبه ذلك ، واقبل يهيج كالبعير ، ويكثر من القول النكير .

---

(١) باجة : باحة في ج

(٢) باجة : باحة في ج

(٣) باجة : باحة في ج

(٤) الجميلي : الجيملي في ب

(٥) باجة : باحة في ج

وعمل محمد بن ميمون البلوقي ، وموسى ابن عمه ، في قتل مخلد ، وحالفا على ذلك جماعة من البربر يسمون بني بياضة ، واستمالا (٤٥٢) رجالا يقال له علي بن بدر المصري ، من كبراء من مع ابي يزيد ، وكتب الى اميرالمؤمنين بذلك ، وتعاقدوا على أن يغدروا بأبي يزيد في حين ركوبه ؛ فمضى رجل من بني بياضة الى ابي يزيد فأخبره ما هم فيه ، وما تمايلوا عليه ، فأمر ابو يزيد رجاله بقتل بني بياضة (١) في دورهم ، وما زال اللعين بمحمد بن ميمون البلوقي وابن عمه حتى قتلهما رحمه الله عليهما ، وهجم البربر يوم قتلهما على رجل من وجوه اهل القيروان فأخذوا نعمته وحرمته ، وثلاث بنات أبكار كن له ، ونجا الرجل بنفسه في الليل ، فحين صلى الناس صلاة الصبح في جامع القيروان قام الرجل مستغيثا ، وصاح ، وبكى ، وعج ، واشتكى ، فقام كثير من اهل القيروان معه ، وصاحوا النفير النفير ، حتى أجتمع اليهم خلق عظيم ؛ وخرجوا في الشارع الاعظم يستغيثون الى الله تعالى ، ووصلوا الى ابي يزيد فاسمعوه قبيح الكلام ، واغلظوا له في القول ، فلطف بهم ، واعتذر اليهم ، وحبس الذين فعلوا (٤٥٣) ذلك من البربر ، واخرج حرمة الرجل وبناته من دورهم ، وانصرفت جماعة اهل القيروان من عند (٢) ابي يزيد فوافوا رجلا مذبوحا واهله يحملونه . فسألوا عن امره ، فذكروا لهم (٣) أن فضل بن مخلد الدجال ذبحه ، واخذ ابنته ، وكانت ذات جمال ، فحمل الناس الرجل المذبوح الى الجامع ، وصاح الناس ، لا طاعة الا طاعة ابي القاسم امير المؤمنين صلوات الله عليه ! وكادوا أن يثبوا على البربر في دورهم ، وخرج فضل بن مخلد ليسكن الناس في جماعة معه فسبوه وسبوا أباه اقبح سب ، وقالوا : لا ذمة ولا امان لكم ، ولمن أمنتم . ورجلوا قوما من البربر عن دوابهم ، وبلغ ابا يزيد فعلهم ، فخرج في جماعة كثيرة معه الى باب تونس ، وخاف أن يوقع اهل القيروان به ، واجتمع اليه جماعة من اصحابه فلاموه ، وقالوا : هيجت العامة على نفسك ، والسلطان من ورائك ، ولا تأمن أن يكاتبوه ، ويمنعوا (٤) مدينتهم حتى (٤٥٤) يأتي عسكره ، فأعتذر اليهم ، وعاهدهم أن لا ينهب احد من اهل القيروان ، ولا يغير عليهم امرا ، ولا يروا منه منكرا .

---

(١) بياضة : بيضة في ج
(٢) عند : سقطت في ج
(٣) لهم : سقطت في ب
(٤) ويمنعوا في ويمعنوا في ج

وكثر دخول السبي مع البربر الى القيروان ، فرغبوا الى ابي يزيد وسالوه ان يكف عن السبي ، فأجابهم الى ذلك ، وامر بالنداء في عسكره من سبا حرة او ام ولد ، فقد حل دمه ؛ وكان هذا النداء في أول النهار . ودخل عسكره بالسبي في آخره ، فخرج أهل القيروان فانتزعوا السبي منهم في ذلك اليوم ، واليوم الذي يليه ، ويقال (١) انهم انتزعوا في دينك اليومين اربعة الاف محصنة من امراة وطفلة ، واتصل ذلك بابي يزيد فغضب لهوقال: يمنعون أصحابي من حقهم ، ويحولون بينهم وبين ما أحل الله لهم . فقال له بعض البربر : الم تنادي (٢) بالامس أن لا تسبي حرة ، ولا ام ولد ، وعاقدت القوم وعاهدتهم عليه ؟ ولقد شاع في الناس انه لا ذمة لك ، ومال الناس عنك، ونفروا منك ، (٤٥٥) وكان أبو يزيد وجه سليمان العجمي الاسود الىالجزيرة في عساكر كثيرة فحاصر بني زلال ، وقد التجأوا الى بعض حصونها ، فبذلوا له مالا كثيرا ليترك (٣) حصارهم ، فتركه وانصرف الى القيروان . ورجع ابو سليمان ايوب بن جيران من تونس الى القيروان ، فأخذ على الجزيرة ، ولم يمر بمنزل الاسبا نسائه ، وقتل واحرق بالنار ، ثم تألب أهل الجزيرة بالخلاف على ابي يزيد فطردوا من كان عندهم من قديم الايام من البربر ، فانتقلوا من تونس الى القصر القديم ، فنزلوا مستندين الى ابي يزيد . وكانت الرفاق تخرج من الجزيرة بالامتعة والطعام . وجميع المرافق ، الى المهدية ، وخيول ابي يزيد تخرج من القيروان فتقطع عليهم ، وتذهب بما تذهب ، ويسلم ما يسلم .

وكان ثوبان بن أبي سلاس مقيما بالاربس فحين اتصل به هروب أبي يزيد عن محاصرة المهدية ، ورجوعه الى القيروان ، جمع حوله بني عمه ، ومن كان بالبلد ، (٤٥٦) ودعا لامير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه، وأخرج مخلد الدجال فليح بن محمد الهواري (٤) الى الاربسكما قدمنا ذكره، فحين اتصل بفليح فعل ثوبان عدل الى مرمجنة (٥) فجمع منكان بها من بني هوارة (٦) ، وبني كملان ، وزحف الى الاربس فقاتل من بها اياما ، وكانت

---

(١) ويقال : وقول في ب
(٢) تنادي : نوادي في ج
(٣) ليترك : سقطت في ج
(٤) الهواري : الهوازي في ج
(٥) مرمجنة : مرمجانة في ج
(٦) هوارة : هوازة في ج

الحرب مرة لهم ومرة عليهم .

ثم ان البربر تكاثروا ، واتوا الاربس من جميع جهاتها ، فغلبوا عليها . وخرج ثوبان في من معه ليلا الى قلعة سقسارية ، فقعدوا بها مع من بقي من الجند ، ودخل البربر مدينة الاربس ، فانتهبوا وقتلوا من اصابوا فيهــا ، وسبوا نساءها ، فيقال انهم اخذوا (١) لبني ابي سلاس ستين حرة من بنات ، واخوات ، وزوجات سوى الموالي ، والمماليك ، وهدمت الاربس ، وأحـرق كثير منها بالنار ، وبقي ابن ابي سلاس ومن معه بقلعة سقسارية ، وانضم فليح الهواري (٢) ومن معه من جموع البربر الى أيوب (٤٥٧) بن أبي يزيد ، فصاروا في جملته ، ومعهما جماعة عظيمة ، وكتب اهل افريقية الى امير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، يشكون اليه ما حل بهم من القتل والنهب ، والسبي ، ويضرعون اليه أن يخرج واحد من رجاله الـى جبـل شعيب ، فاخرج اليه امير المؤمنـين عليه السلام ، الحسن بن علي في مائة فارس من ملوسة اجابة لهم ، وامر الحسن العسكر الذين مع أخيه عمار بن علي بسوسة فانضموا اليه ، واعطى الناس الارزاق ، وخرج الى تونس فلقي جماعة من اصحاب ابي يزيد بوادي الرمل فقتلهم ، واخذ ما كان معهم مـن الاموال والمواشي ، وسار في اليوم الثاني ، فحين انتهى الى القرب مـن فندق شكل لقي خيلا لابي يزيد مع جمال وبغال عليها أحمال ، فاسلموها الى الاولياء ، ونجوا بأنفسهم .

وبات الاولياء ليلتهم تلك بمنزل داؤد ، واتصل بهم قتل عقبان باجة (٣) رحمة الله عليه ، وقد قدمنا ذكر ذلك ، و (٤٥٨) اتصل ايضا بهم أن أيـوب بن أبي يزيد قد ملك البلد بأمره ، فاغـتم الاولياء ، وكرهوا الانصراف الـى المهدية ، وصاروا (٤) الى تونس ، فحين قربوا منها ، وافوا الف جمـل ، ودواب ، وبغال كثيرة ، تحمل الطعام والامتعة الى مدينة القـيروان ، ومعها خمسون فارسا من البربر ، وأربعمائة راجل ، فقاتلهم الاولياء حتى غلبوهم على تلك الاحمال جميعها ، وعادوا الى تونس ، فوقع بين الفريقين قتـال عظيـم ، وظفر الاولياء ، وانهزم البربر ، واحتوى الاولياء على أخبيتهـم

---

(١) اخذوا : اخذا في ج
(٢) الهواري : الهوازي في ج
(٣) باجة : باحة في ج
(٤) وصاروا : وسار في ج

ودخل الحسن بن علي تونس من يومه ، واتاه اهل البلد ، ولا متاع لهم ، وقد لبسوا الجلود والانطاع فامنهم ، وصرفهم الى أوطانهم ، واقام في من معه خارج المدينة ، وكانت القبائل التي (١) بالقرب منهم بين طائع ومتوقف ، واتصل دخولهم تونس بأبي يزيد فارسل اليهم (٤٥٩) جنودا يتبع بعضها بعضا عليهم تدرس الميزاتي ، وموسى الصنهاجي ، وابو سليمان الزويلي ، وغيرهم ، فقعدوا بوادي الرمل (٢) ، وكتب مخلد ايضا الى سليمان الاسود وهو بالجزيرة ، وقد انصرف عن محاصرة بني زلال كما قدمنا ذكره . فأقبل بمن معه ، واجتمع مع جند ابي يزيد فصاروا عساكر عظيمة ، ورجعوا الى تونس .

وبرز لهم الحسن بن علي ومعه ثلاثمائة فارس والف راجل ، فالتقوا بموضع يعرف بخندق ميمون ، فوقع بينهم القتال الشديد فهزمهم الاولياء وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، واخذ الاولياء خيولهم ، وما كان معهم ، واحتووا على اخبيتهم ، ووصل اليهم من الخيل المسرجة الملجمة ، ما يزيد على ثلاثمائة برذون ، وستة بنود ، وثلاثة طبول ، وتناهت الهزيمة على البربر فاسر منهم الف رجل قتلوا صبرا في خندق ميمون ، وقد كان يعلى بن (٤٦٠) حمدون عامل المسيلة حين اتصل به هرب ابي يزيد من ترنوطة (٣) وانصرافه عن محاصرة المهدية ، جمع جموعا وهيأ عساكر ، وخرج يريد المهدية معاضدة للاولياء ، فأخذ على بلدور دادة الى صديف الى قسنطينة (٤) ، ثم الى لواته ، وصار معه منهم الى بني هراس ، ووافاه حسين بن منصور مقدم بني هراس ، وثوبان بن ابي سلاس في جماعة من الجند الذين (٥) كانوا معه بقلعةسقسارية ، ثمرحلالى بلحده، وضرب مضاربه هنالك ، واتصل به هنالك أن حسن بن علي قد عقد بتونس ، وانه قد هزم البربر ، فكتب الى الحسن بن علي يعلمه وصوله حيث وصل اليه ، ويسأله القدوم عليه ، وكان ايوب بن ابي يزيد في باجة ، فحين اتصل به وصول يعلى بن حمدون (٦) الى حيث وصل ، زحف بعساكره اليه ، وبات

---

(١) التي : الذين في ج

(٢) الرمل : المرسل في ج

(٣) ترنوطة : تربوط في ج

(٤) قسنطينة : القسطنطينية في ج

(٥) الذين : الذي في ج

(٦) يعلى بن حمدون : علي بن حمدون في ابن الاثير

بالقرب منه ، ويعلى بن حمدون لا يشعر بـه ، ولا يعلـم (٤٦١) خبـره .

ثم صبحه أيوب ويعلى بن حمدون قد ركب في جماعة من اصحابه الى بعض القبائل يريد أن يستنجدهم ، وكان ذلك اليوم كثير الغمام مظلم الجو ، فوصل ايوب الى عسكر ابن حمدون ، واجتاح أخبيته ومضاربه وامواله ، ونجا (١) ابن حمدون على فرسه ، وقد أثخن جراحا الى ناحية بني دياوه ، فتردى به فرسه في بعض الاوعار ، فسقط وانكسر وركه ، وانهرست (٢) عظامه ، ومات هنالك بعد ايام رحمة الله عليه (٣) ، وكان الحسن بن علي حين وصل كتاب بن حمدون اليه قد خرج اليه يأمه ، ولم يعلم ما كان من قصة ايوب ، ولا اتاه خبر فعله مع ابن حمدون ، وقد انضمت القبائل الى ايوب رغبة ورهبة ، وتوجه قاصد تونس (٤) لقتال حسن بن علي ، وهو في جيوش عظيمة وعديدة قوية . فبات وبينه وبين الحسن بن علي على ستة اميال ، والحسن يريد يعلى بن حمدون ، ولا يعلم بشيء من أمره ، وكان (٤٦٢) بينه وبين عسكر ايوب جبل حائل ، وكان ايوب قد وجه ألفي فارس فجعلها في طريق المهدية لتحول بينها وبين الحسن بن علي ان رجع اليها ، واتصل بكل واحد من الفريقين مبيت الاخر بقربه ، فزحف بعضهم الى بعض ، بعد ان طلعت الشمس ، والبربر واثقة بكثرتها وقوتها ، وقد نظرت الى قلة من مع الحسن بن علي ، فوقع بينهم الحرب ، وكثر الطعن والضرب ، وغلب البربر على عسكر الحسن بن علي ، ثم تراجع اصحاب الحسن بن علي اليه ، وكر على البربر صابرا محتسبا فقتل من البربر مقتلة عظيمة ، وكانت فيهم الهزيمة ، واغنه (٥) الله الحسن بن علي على أثقالهم ، وما حواه عسكرهم ، وكانت أثقال الحسن بن علي قد سارت تؤم المهدية ، فوافتها خيل أبي يزيد فانتهبوها ، وقتلوا جماعة من اصحاب الحسن معها ، وبلغ ذلك اليه ، و (٤٦٣) هو بطارد (٦) العدو ،

---

(١) ونجا : ورجي في ب (٢) وانهرست : وبهرست في ج

(٣) علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي ويعرف بابن الاندلسي وصل المغرب من الاندلس واتصل بالمهدي اول الخلفاء الفاطميين منذ بدء امره . (نفح الطيب ج ٢ صفحة ٢١٢)

(٤) تونس : التونس في ج (٥) واغنم : وغنم في ج

(٦) بطارد : في طرد في ج

فأرسل أخاه عمار بن علي في خيل معه ، فوجد عمار البربر قد امتلأت أكفهم من تلك الاثقال وقد حازوها ، وهم يريدون عسكرهم ، فأخرجهم منها ، واسترد ما أخذوه ، وعاد ذلك الى يده ، بعد أن حازوه .

وسار عمار يريد أخبية البربر ، ولحقه أخوه الحسن بن علي واصابوا أيوب بن مخلد فيها ، ومعه الف فارس ، فبادرهم (١) الحسن بن علي (٢) واخوه ومن معهما ، فولى أيوب ومن معه من البربر هاربين على أعقابهم ناكصين ، وحاز الاولياء ما في عسكره ، وانتهى أيوب الى أبيه الدجال ، وهو في القيروان ، وذلك في شهر ربيع الاخر من سنة أربع وثلاثين .

وعظم أمر هذه الوقعة على أبي يزيد وأراد ان يرحل من القيروان هاربا فشجعه أصحابه ، واشاروا عليه بالثبات ، وبايعوه على الموت ، واجتمع اليه عسكر عظيم من البربر ، فأخرج ابنه أيوب ابن مخلد واعاده الى محاربة الحسن (٤٦٤) بن علي ، فنزل أيوب بموضع من كورة باجة يقال له قافلة ، في عساكر لا يحصى عددها ، والحسن بن علي مع أهل ورداجة ومن انضم اليهم ، ومن بقي معه من أصحابه ، وكان نزوله في موضع وعر ليحوط عسكره (٣) ، وكانت فيه أربع سبل .

وفرق الحسن بن علي من معه في تلك السبل ، وجعل على بعضها أحمد المعروف بالكمين الورداجي ، فكان القتال بين الفريقين لا يزال ، فمرة يغلب هؤلاء ومرة هؤلاء ، ثم ان أيوب بن مخلد راسل احمد الكمين ووعده وبذل له ، واجتمعت البرابر في (٤) عساكر كثيرة ، وزحفوا لقتال الحسن بن علي فغلبوه بالكثرة بعد قتال عظيم ، وأدخلهم أحمد الكمين الورداجي من السبل التي لديه ، فقتلوا من الاولياء مقتلة عظيمة ، وحازوا أخبيتهم ، وغنموا ما فيها ، وخلص الحسن بن علي ومن بقي معه الى جبل من ناحية ورداجة . وقد حيزت أخبيته ، وطعامه ، وعلفه ، ووقعت معه علة عظيمة أشرف بها

---

(١) فبادرهم : فبدرهم في ج

(٢) الحسن بن علي بن أبي الحسن الكلبي رأس امرة الكلبيين ولاة صقلية عن قبل الفاطميين وهو احد شيوخ كتامة ، وكان الحسن من وجوه وقواد الفاطميين .

(٣) يقال لهذا المكان حسب اقوال ابن الاثير بلطة .

(٤) في : سقطت في ج

على الهلاك ، ومات جماعة من اصحابه في نفس (١) المكان الذي (٤٦٥) كان فيه وقوفهم ، واساء اهل ورداجة اليهم ، ومالوا عليهم ، وخاف الحسن بن من (٢) غدرهم ، ولم يجد سبيلا للرجوع الى المهدية ، فخرج الى بلد كتامة ، وكان يقاتلهم من مروا به من القبائل ، وخلصوا الى بلد كتامة ، فعاودت حسن بن علي العلة حتى اشفى على الهلاك ، وفارقه اصحابه يأسا (٣) منه ، ثم رفع الله علته ، فحين نقه منها ، كاتب كتامة ، ومزاته ، وغيرهم ، ووجه أصحابه (لشن الغارات ،) (٤) وكسب الغنائم (٥) ، ووافاه جماعة من الكتاميين ، وقوم من البربر ، يقال لهم بني واسين ، واجتمع الى الحسن بن علي خلق عظيم كثير من كتامة ، وغيرهم ، وصار الى القسنطينة (٦) وعسكر بها ، ونصبت فيها اخبيته ، ووجه عسكر الى هوارة (٧) سريانة فقتلوهم ، واخذوا مواشيهم ، وعليهم كان أعتماد ابي يزيد ، وحين اتصل ذلكَ بابي يزيد ، اخرج عساكر جمة لمحاربة الحسن بن علي ، وجعل عليهم ابنه فضلا ، وابنه يزيد ، فجرت بينهم حروب شديدة ، كان الغلب فيها للحسن بن (٤٦٦) علي ، وملك مدينة تيجس ومدينة باغاية ، وبقي على ذلك حتى وصل المنصور بالله صلوات الله عليه ، الى القيروان ، فوصل اليه ، وسنذكر خبر ذلك ، فيما نأتي بذكره .

وجه ابو يزيد حشوده (٨) ورجاله الى قبائل البربر ، فاتوه من كل جهة ، ورجع من القوة الى ما كان عليه ، وقد غلب على مدن افريقية ، وقتل اكثر الجند والكتاميين الذين فيها ، وصار الحسن بن علي الى بلد كتامة ، ومات يعلى بن حمدون صاحب المسيلة رحمة الله عليه ، فخرج أبو يزيد مخلد الدجال لست خلون من جمادي الاخرة من سنة ٣٣٤ اربع وثلاثين وثلاثمائة الى مدينة سوسة ليحاصرها ، وقد أجتمع اليه من البربر ومن اهل أفريقية

---

(١) في نفس : لوبى في ج — (٢) من : على في ج

(٣) ياسا : اياسا في ج — (٤) لشن الغارات : في الغزوات في ج

(٥) وكسب الغنائم : فما زالوا يغنمون في ج

(٦) القسنطينة : قسطيلية في ج — (٧) هوارة : هوازة في ج

(٨) حشوده : حشاده في ج

والزويليين خلائق عظيمة ، وكان في سوسة من قبل امير المؤمنين القائم عليه السلام ، الحسين بن ناكسين عاملها ، وعباس بن منذورة في عسكر كثير ، فحاصر ابو يزيد سوسة حصارا شديدا ، وكان يقاتل اهلها (٤٦٧) كل يوم فمرة له ومرة عليه، وأمر بجمع النجارين الذين بمدينة القيروان، فعملوا له ثلاث دبابات (١) ، ورجا ان يدخل سوسة بها ، فأحرق اهل سوسة بعضها ، ووجه اليهم امير المؤمنين القائم بأمر الله سلام الله عليه ، سلاسل كان قد أعدها قبل الفتنة طول كل سلسلة ثمانين ذراعا ، وفيها كلاليب ، وكانت تربط في حوائط السور ، وفي دور تقرب السور ، ثم ترمى الكلاليب في الدبابات ، حتى يتمكن الرجال منها ، وهم على السور ، فلم تصنع (٢) في الدبابات شيئا ، وهي كالمنازل قد أعدت من الخشب ، ويدخل الرجال فيها ، وهي عجل تسير بهم . ثم نصب مخلد المنجنيقات ، والعرادات عليها ، وقتل خلق كثير من أهلها . واشتد بهم الامر ، وطال عليهم الحصار ، وعظم الصبر ، وكثر الجهد . والعز ، وكان الاولياء يسالون امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، ايام فتنة (٣) الدجال ومحاربتهم في المهدية وغيرها ، ان يخرج اليهم (٤٦٨) احد ولده في حروبهم يستندون اليه ، ويأخذون ببركة رأيه ، ويكونون تحت رايته، فلم يجبهم الى شيء ، لما اقتضته الحكمة ، ورآه ولي الله مما أتاه الله من علمه ، وورثه عن آبائه واجداده ، عليهم صلوات الله اذا آن الوقت المعلوم (٤) ، وبلغ امر الحي القيوم .

واظهر امير المؤمنين ابو القاسم محمد القائم بأمر الله امر ولده ابي الطاهر اسماعيل المنصور بالله صلوات الله عليهما ، لسبع خلون من شهر رمضان المعظم من سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وفوض عهده اليه ، وأوعز

---

(١) الدبابات جمع دبابة ، ويقال بانها الة سائرة كانت تتخذ من الخشب الثخين المتلزز ، وتغلف باللبود والجلود المنقعة في الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستديرة ، وتحرك فتنجر ، وربما جعلت برجا من الخشب ، ودبر فيها هذا التدبير ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر ، وقد وصف العماد الاصفهاني في كتابه الفس ، احدى دبابات الفرنج فقال انها كانت دبابة عظيمة هائلة ، ولها اربع طباق، وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس .

(٢) تصنع : تضع في ج (٣) فتنة : ثورة في ج

(٤) المعلوم : سقطت في ج

اليه بوصيته ، واعلم بذلك أهل دعوته ، وأبان لجميعهم انه ولي عهدهم ، والخليفة من بعده ، وكتب بذلك الى الامصار ، والبلدان ، والجزائر ، وعرف به كل باد (١) وحاضر ، وكان المنصور بالله عليه السلام ، يومئذ قد بلغ من ثلاثة وثلاثين سنة .

قال القاضي النعمان (٤٦٩) ابن محمد رضي الله عنه (٢) : دخلت الى المنصور بالله عليه السلام ، أهنيه بما أفضى الله عز وجل اليه من الكرامة ، فقال : يا نعمان ، وما عسى أن يكون الدرك من هذه الدنيا القليلة الوزن ، والله لتاجر تكون بضاعته الف دينار ، وينال من الدنيا ما عسى اننا لا ننالهمنها والله لولا اقامة (٣) لله نقيمه ، وأمر بمعروف ، وينهي عن منكر ، نرجو ثوابه ، وأن ذلك مما افترضه الله عز وجل علينا والزمناه ، ونصبنا له وكلفنا اياه ، لكنت الى ايثار الخمول ، والاعراض عن الدنيا أسرع ، وبذلك الذ عيشا وأمتع .

ولما كان يوم الفطر (٤) خرج المنصور بالله أبو الطاهر اسماعيل ابن أبي القاسم القائم بأمر الله عليهما السلام ، للصلاة من قصره ، وقد حف به بنوه ، واخوته ، وشيعته ، وأوليائه ، وأهل دولته ، وعبيده والناس يرفعون (٥) اصواتهم بالدعاء له ، ويسألون الله تعالى أن يركس (٤٧٠) عدوه ويخذله ، والاعلام تنشر ، والطبول تضرب ، والمسرة قد ملأت القلوب ، واثلجت الصدور ، ونجوم السعد قد طلعت قاضية لاولياء الله بالظهور ، فحين انتهى الى المصلى ، صلى صلاة العيد ، وقام عليه السلام ، خطيبا ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن الينا في فضائله ، واضفى علينا بالجزيل من عطاءه ، أحمده حمد من شكر حسناه ، واثر في الامور كلها رضاه ، واستعينه استعانة من لا يرجو غيره ، ولا يثق بسواه ، ولا يتوكل الا عليه في أولاه

---

(١) باد : بارد في ج

(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان نسخة خطية ج ١ ص ١١٢ .

(٣) اقامة : قوام في ج (٤) الفطر : الفطار في ج

(٥) يرفعون : يرفع في ج

واخراه . واشهد ان محمدا عبده ورسولـــه ، اصطفاه لوحيـــه ، واختـــاره لتبليغ رســـالته (١) فابتعثه داعيـــا الى الحق ، وشاهدا على الخلق ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لعباده ، وجاهد في سبيله ، صلى الله عليه ، نبيـــا مصطفـــى ، ورســـولا مرتضـــى وعلى آلـــه سلامـــه ، ورحمته ، (٧١) وبركاتـــه .

عبـــاد الله : ان يومكـــم هـــذا يـــوم عيـــد شرفـــه الله ، وعظمـــه ، وفضلـــه ، وكرمـــه ، وختم به شهر رمضان ، وافتتح به حـــج بيته الحرام ، فاخلصـــوا فيه نياتـــكم ، وارفعوا الـــى الله توفية طلباتكم ، واستغفروا الله لسيئاتكم ، فانه يقول جـــل ثناؤه ، وتقدســـت أسمائه : « استغفروا ربكم انه كان غفارا » (٢) . اتقوا الله عباد الله ، فبتقواه انجح الطالبون ، وفاز الفائزون ، وهي وصية الله عز وجل في الاولين والاخرين ، وتمسكوا بطاعته ، وحافظوا على ما استحفظكم الله تبارك وتعالى من دينه ، وكتابه ، واسترعاكم من حقوقه ، وحدوده (٣) ، فلمثل ما رغبكم الله فيه من جزيل ثوابه ، وكريم مآبه ، وخوفكم من عقابه ، واليم عذابه ، فليعمل العاملون . الهمنا الله وأياكم رشدنا ، وعزم لنا ولكم على تقواه ، واتباع هداه ، وبلوغ رضـــاه .

وجلس عليه السلام ، جلسة خفيفـــة ، ثم قام ، وقال (٧٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منبع النعماء ، وكابت الاعـــداء ، ومستحق الشكر والثناء ، وصلى الله أفضل صلواته على أفضل انبيائه ، محمد خاتم النبيين ، وسيـــد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، اللهم صلي علي محمد ، وعلى آل محمد ، وأرحم محمدا وآل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كأفضل صلواتك وبركاتك ، ورحمتك على ابراهيم ، وعلى آل ابراهيم ، انك حميـــد مجيد ، اللهم صلي على شمس الهدى الذي بضيائه اشرق الاسلام ، وانجاب

---

(١) رسالته : رسالاته في ج (٢) سورة : ٧١/١٠

(٣) وحدوده : حدده في ج (٤) بضيائه : بضياه في ج

الظلام ، وعز الدين ، وتمت النعمة على المؤمنين ، عبد الله ابي محمد الاما امير المؤمنين المهدي بالله ابن المهديين ، الكريم ابن الاكرمين صلى الله وملائكته عليه ، واكرم الله مثـــواه لديـــه ، فـــي المقـــام الكريم ، والنعيم المقيـــم . اللهـــم وصلـــي على ولي ولي الامر ، ووارث المجد والفخر ، الذي اعظمت عليه منتك ، واسبغت عليه نعمتك ، والبسته حلل (٤٧٣) الكرامة ، وتوجته تاج البهاء والخلافة ، وجمعت له خلافة الانبياء والمرسلين ، وارث آبائـــه الائمة المستخلفين ، الهداة المهديين ، الاوصياء المنتجبين ، محمد الامام القائم بأمر الله امير المؤمنين ، اللهم عرفه في ما وليته ، واسترعيته ، واستحفظته عليه واتمنته ، افضل ما عرفت احدا قبله ، من خلفائك الائمة الطاهريـــن الراشدين ، آبائه المهديين ، من النصر والاعزاز ، والتأييد والاظهار ، واوقع باعدائه شرقا وغربا ، وبرا وبحرا ، اشد (١) ما اوقعت واحللت بأحد مـــن اعدائك ، من السطوات ، والنقمات ، والقوارع ، والمبيدات ، والمثـــلات المخزيات ، ودمرهم تدميرا ، واصلهم سعيرا . اللهم انصر به الدين ، وأيده بالظهور والتمكين ، والعلو ، والقهر ، والنصر ، والظفر ، واجعل كلمتـــه العليا ، ويده الطولى ، وجنده الغالبين ، وحزبه المنصورين ، وافتح له فتحا مبينا تعزيه للدين (٢) (٤٧٤) ، وتشفي (٣) به صدور المؤمنين ، اله الخلـــق رب العالمين ، انك سميع الدعاء ، فعال لما تشاء لا تخلف الميعاد . ثم نزل صلى الله عليه ، وعاد الى قصر ابيه امير المؤمنين القائم عليه السلام ، والناس مستبشرون ، فرحـــون بيمن طلعته ، واقبال دولته .

وقال محمد بن أبي القاسم التونسي في ذلـــك شـــعرا :

توسم صباح المجد من اين يشرق   وعرف الرضى والحلم من اين يعبق

ومثل على ان النجوم [illegible]   باي سراج تهتدي فتوفـــق

لقد صح للمرتاد ما كان يبتغي   [illegible] له الغيث الذي كان يبرق

(٤٧٥) وقد كانت الايام خرسا فاصبحت   لها السن بالذكر للــه تنطـــق

---

(١) اشد : اشر في ج   (٢) للدين : سقطت في ج

(٣) لوحظ بان الكلمات الموضوعة داخل الحاصرة قد وجدت مكررة في النسخة ج من المخطوطة .

فما بعد هذا للوسائل ملجأ ... ولا للمنى في غيره متعلق
تليق باسماعيل نائرة العلا ... ويغدو بها من غيره وهو أليق
أمير تمنته الرياسة مذ نشا ... تتوق الى اخلاقه وتشوق
وكانت عيون الامر من شغف به ... على رقبة ترنو اليه وتطبق
ترى عزة الميعاد وهي جلية ... تخب الى الميقات فيه وتعنق
وطلعة وجه اكمل الله نورها ... يكاد لها ضوء النواظر يزهق
واخلاق مخلوق من البر والتقى (٤٧٦) اظن الرضى والحلم منهن يخلق
فقد وضعت تلك المواعد حملها ... تماما وكانت قبل ذلك تطلق
شهدت بان الله بالغيب عالم ... وان امير المؤمنين موفق
رأى نجله من نعمة الله عنده ... يحاكيه في احكام فيصدق
عليه دليل من تقاه وشاهد ... يلوح ونور من علاه ورونق
فأبرزه فينا لكل ملمة ... تناط به الامال منا فتعلق
ولما استهلت بالفواضل كفه ... تيقن باغي الرزق من اين يرزق
ومالت أماني النفوس بأسرها ... اليه فباتت في ذراه تحقق(٤٧٧)
فيا صفوة الله المقدسة التي ... تصبح منا بالصلاة وتغبق
اليك شكونا من اذى بربرية ... يكاد لها لولا ولاك تغرق
وهذا بضع الله فيك يصوننا ... ونحن به في نيل رفدك أرفق

وقال محمد بن أحمد الطرزي من قصيدة شعرا :

يحق لنا ان ننصف الفخر والمجدا ... ويكثر فيك الشكر لله والحمدا
طلعت بنور يملأ الارض بهجة ... ونورا وكف يبسط الامل الجعدا

وأخرج المنصور بالله عليه السلام ، صدقات ففرقها (١) في المساكين ، ووجه مراكب كثيرة مشحونة بالطعام الى فقراء سوسة ، والمحتاجين منهم ، ففرقت فيهم لما هم فيه من الحصار والجوع ، فاتسع من فضله البادي و(٤٧٨)

---

(١) ففرقها : فرقها في ج

الدانـــي ، والشامـــخ ، وشحن المراكب بالعدة والسلاح، ووجه بعضها الى مدينة سوسة ، وقود عليها رشيق الكاتب ، فوصل الى سوســة ، لاحدى عشر ليلة خلت من شوال .

ولما حضرت أمير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، الوفاة ، احضر ولده الامام المنصور بالله عليه السلام ، واوصاه بما اراد من امـــر الدين ، والدنيا . ثم كان فيما قال (١) له : يا بني اني مسلم ما امرني الله بتسليمـه اليك ، وفقك الله لما يرضيه ، ويزلف لديه ، ومهد لك البلاد ، وجمع علـــى طاعتك ومحبتك قلوب (٢) العباد ، ولكنني يا بني استودعك وديعة احب الي ان لا تضيعها ، بعدي ، قال له : قل يا مولاي صلى الله عليك ، وارجـو ان ينسى الله في اجلك ، ويهب لنا ولكافة امة جدك عافيتك ، قال : هيهات ، قد بلغ الكتاب اجله ، ووديعتـي عندك جوذر المسكين فاحفظه ، ولا يذل بعدي . فقال له المنصور بالله صلوات الله عليه : يـا مـولاي . هـل جـوذر الا (٤٧٩) واحد منا . قال : نعم ، هو كذلك ، لان نفسي طابت عليه (٣) . وكان امير المؤمنين القائم بأمر الله عليه السلام ، يختص ابن ابنه معد بن اسماعيل بن ابي القاسم أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليهم ، وعلـــى آبائهم ، والطاهرين من أبنائهم ، ويؤثره ، ويحبه ، ويتوخاه .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه فيما اتى عنه ، وذلك مما كنا (٤) نعرفه ، ويبلغنا عنه ، وروي عن الامام المعـز لديـن الله عليه السلام ، قال : لقد قال لي القائم بأمر الله : لولا صغر سنك لجعلت هـذا الامر اليك ، ولكن انت ابو تميم حقا ، كما كنيت . قال الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه وسلامه : وكان كثيراً ما يقول ذلك ويكرره ، انت ابو تميم حقا ، انت ابو تميم حقا . وما أعرف يومئذ ما يريد بذلك ، قال : وكنت يـوم قبض صلى الله عليه متخلفا لامر عرض لي ، فسأل عني ، وكرهوا ان يخبروه

---

(١) قال : يقال في ج
(٢) ومحبتك قلوب : سقطت في ج
(٣) ورد هذا النص في كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان وفي سيرة جوذر .
(٤) كنا : كان في ج

بعلتي ، ثم اغمى عليه ، ثم أفاق ، فسأل عني ، وقال : أتوني به ، ثم اغمى عليه ، (٤٨٠) كذلك مرارا ، كل ما افاق سأل عني ، فأتى بي اليه ، وقد منع الكلام ، فلما رآني ضمني اليه ، ثم اغمى عليه ، فنحيت عنه ، وأفاق فردني كذلك . ثم قبض صلى الله عليه ، وذلك كفعل رسول الله صلى الله عليه ، وعلى اله بالحسن والحسين حين قبض ، وقد ذكرنا ذلك .

وكانت وفاة امير المؤمنين محمد بن عبد الله أبي القاسم ، القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، ورضوانه ، ورحمته ، وبركاته عليه ، يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وثلاثين ، بعد أن استقل الامام المنصور صلى الله عليه بالامر ، وظهر فضله ، من السر الى الجهر ، وعلم بقيامه (١) أهل البدو والحضر ، والحمد لله على ما من به من بناء نعمته في الاخرين ، كما كانت في الاولين ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى علي وصيه ، وعترتهما المكرمين المفضلين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين .

بسم الله الرحمن الرحيم (٤٨١)

الحمد لله حمد الشاكرين ، وصلاته على رسوله سيدنا محمد خير الاولين ، والاخرين ، وعلى علي وصي محمد ، وآله الطاهرين .

ذكر أخبار ما (٢) كان في أيام الامام المنصور بالله

(٣) هو امير المؤمنين أبي الطاهر اسماعيل بن ابي القاسم صلى الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين ، وولي أمير المؤمنين ابو الطاهر اسماعيل الامام المنصور بالله بن محمد ابي القاسم القائم بأمر الله بعد وفاة ابيه صلوات الله عليهما ، وكان في أيام تغلب (٤) اللعين الدجال على القيروان ، وأعمال أفريقية ، وكثير من المغرب ، وهو محاصر لسوسة وقد اظهر في البلاد الفساد ، واهلك ببغيه كثيرا من العباد ، فكتم المنصور بالله صلوات الله عليه ، وفاة ابيه القائم بأمر الله عليهما السلام ، عن القريب ،

---

(١) بقيامه : القيامة في ج
(٢) ما : مما في ج
(٣) هو : سقطت في ج
(٤) تغلب : غلب في ج

والبعيد ، والعدو ، والمباين ، والوديد ، ودفنه سرا ، واظهر عليه جلـــدا وصبرا ، لئلا يعلم العدو بذلك فتقوى عزيمته ، ويطلع الولي فيكثر فشله ، وتهي قوته ، (٤٨٢) وغطى ذلك بكثرة الصلات ، وأعطى فعم (١) بالنعـم والايادي المتواصلات ، ولم يتسم بأمرة المؤمنين ، وكانت كتبه تنفذ من الامير اسماعيل ، ولي عهد المسلمين ابن أمير المؤمنين ، واخرج جميع من كان في السجون ، واكثر مـن الصـدقات للفقـراء والمساكين ، وولى المهديـة جـوذر الاستـاذ رحمـة اللـه عليـه عبـده ، وعبـد جده ، وابيـه المهـدي بالله ، والقـائـم بأمـر الله سـلام الله عليهم ، وهو من اهل السابقة الحسنى ، والمكان عند الائمة الاسنى ، وجعـل المنصور عليه السلام ، الى جوذر الحل والربط في جميع الامور ، وتهيأ الامـام عليه السلام ، للخروج للجهاد في سبيل الله ، فجمع السلاح وآلة الحرب ، وافتقد ما يحتاج اليه ، وهو بما وعده الله به من النصر والغلبة (٢) قوي القلب، وقد اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضي (٤٨٣) الله عنه قال (٣) : كـنـت جالسا عند المعز لدين الله صلوات الله عليه ، فذكر أمر الفتنة ، وما كان فيها مـن عظـيم المحنة ، ومـا حل بالنـاس من ذلـك ، وما كشفه الله عنهم بالمنصور بالله صلوات الله عليه ، واستنقذهم على يديه ، فقال عليه السلام : لقد أخبرنا المنصور بالله صلوات الله عليه ، قبل الفتنة ، عن رؤيا رآها مـا غادرت شيئا ، كان في ذلك ، قال : رايت آتيا اتاني وفي يده ورق كبير فنشره بين يدي ، وقال لـي : انظر الى هذا ، فنظرت ، فاذا فيه دوائر كثـيرة ، فقلت : قد رأيت هذه الدوائر ، فما هي ؟ قال : هذه مملكتكم ، فجعلت انظـر اليها فاني لكذلك اذ نظرت الى سواد غشني (بعضها وجعل يمتد فيهـا ، ذلك ويغشى منها شيئا بعد شيء حتى سترها (٤) كلها غير واحدة كانـت اقربهن الي ، فارتعت لذلك ، وقلت : اذا كانت هذه مملكتنا قد غشيها هذا

---

(١) فعم : معمم في ج　　　　(٢) والغلبة : والغلب في ج

(٣) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ج ١ صفحة ١١٨

(٤) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ج و ب واوردناها مـن المجالس والمسايرات للقاضي النعمان كما وردت فيه .

السواد ، فما ذلك الخبر (١) ؟ فقال ذلك (٤٧٤) الرجل : ضع اصبك على ما غشاه هذا السواد منها أولا فأولا . ففعلت . فما وضعت اصبعي على شيء منها الا انجلى عنه ذلك السواد ، وعادت على حسب ما كانت ، حتى أتيت عليها كلها ، وذهب ذلك السواد عن جميعها ، ثم انتبهت (٢) . قال : وكذلك كان الامر ، لم يطأ المنصور بالله عليه السلام ، ارضا في طلب اللعين مخلد وأصحابه ، الا اخرجهم منها ، فلم يعودوا بعد ذلك اليها . ثم أمكن الله عز وجل ، من الفاسق ، وطهر الارض من رجسه .

قال القاضي النعمان بن محمد رضى الله عنه (٣) : وكان المهدي بالله صلوات الله عليه ، والمنصور عليه السلام ، في بطن امه غلظ عن قريب يولد ، (وكان المنصور عليه السلام ، يومئذ حملا وكانت فتنة الدجال بعد ذلك) (٤) الى أن يقول : كاشف المحنة ، ومطفي نار الفتنة في هذا الوقت حمل في بطن امه ، عن (٤٨٥) قريب يولد ، فأطفأ الله سبحانه على يديه نارها ، وعني به آثارها .

وركب المنصور بالله عليه السلام ، الى موضع يعرف بدار الصناعة ، يوم الاحد لعشر بقين من شوال ، وامر يعقوب بن اسحق (٥) ان يشحن ست مراكب بالرجال ، وان يسير بهم سرا الى سوسة ، وقال له : اذا كان بعد غد يوم الثلاثاء فانزل بمن معك من الرجال على شاطىء البحر بالقرب من باب سوسة الشمالي ، واجتمع مع رشيق الكاتب (٦) ، ولا تقاتلوا أحدا حتى يأتيكم من ارسله لكم من رجالي ، وان طلب مخلد والبربر قتالكم قبل ذلك فلا تقاتلوهم . فعظم ذلك على يعقوب واستأذنه ان يمضي الى داره لقضاء بعض حوائجه ، ووداع أهله ، فامتنع عليه الامام عليه

---

(١) الخبر : الخير في ج (٢) انتبهت : انتهيت في ج

(٣) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول مخطوطة .

(٤) وردت الكلمات المحصورة بين قوسين في ج مكررة .

(٥) اسحق : سقطت في ج

(٦) لا ندري شيئا عن حياة رشيق الكاتب هذا . فلم يذكره المؤرخون في كتبهم، ونفهم من سيرة جوذر ان رشيقا توفي عام ٣٥٠ في خلافة المعز . وانه كتب لجوذر .

السلام ، وتوجه يعقوب من يومه ، ولم يعلم أحد اين قصد ، ولا ما أوعز (٤٨٦) اليه الامام عليه السلام .

ثم قال الامام عليه السلام لكتامة الذين بالمهدية وما حولها ، وافوني غد بقرية بكة بالسلاح والعدة ، فاني أريد أن اتنزه وانظر آثار العدو ، ومسافة قرية بكة على ميلين من المهدية ، فبكر عليه السلام من قصره في شرذمة من عبيده وخدمه قبل الصبح ، لتسع بقين من شوال ، ووافاه من كتامة الاولياء حيث وعدهم ، فتوجه بهم مع ساحل البحر يريد سوسة ، وهم لا يعلمون اين يقصد ، والقلوب قد امتلأت من خوف العدو ، لقربه وكثرة عدده ، فانتهى صلوات الله عليه الى قرية لمطه ، وهي نصف الطريق من المهدية الى سوسة ، فاجتمع اليه الاولياء ، وسألوه الى أين يقصد ؟ وقد اجتمعوا قدر ستمائة فارس ، فقال لهم : قد عزمت على التمادي الى هذا العدو ، وأن القاه بنفسي ، فان الله سينصرني (١) عليه ، فتضرعوا اليه في (٤٨٧) الرجوع ، وسألوه أن لا يخاطر بنفسه ، فعند ذلك ، دعا بكبون بن فضولا ، وأمره بالنفوذ الى مدينة سوسة بجملة من الخيل التي معه ، وأن يبيت بهم في الطريق ، ويصبح العدو بالقتال ، وعرفه (٢) أنه قد أرسل يعقوب ومن معه من الرجال الذين في البحر الى مدينة سوسة ، وامرهم بتقوى الله تعالى وطاعته ، ووعظهم ، وذكر لهم فضل الجهاد ، وان لا يولوا الدبر ، وقال لهم : اني في أثركم انظر كيف تفعلون . فتوجه كبون بالقوم الذين معه طاعة للامام عليه السلام ، وقد حارت قلوبهم لما يعلمون بأن العدو عليه من الشدة ، والقوة ، والنجدة ، وان عسكرهم يزيد على مائة الف فارس وراجل ، وكان المتوجهون (٣) مع كبون اربعمائة فارس .

ورجع الامام عليه السلام ، بمن معه من خدمه وعبيده الى المهدية ، فوافاها صلاة المغرب ، وبات كبون بن نصولا (٤٨٨) بموضع يعرف ببني سليم ، وبينهم وبين العدو عشرة أميال ، وبات يعقوب بن اسحق بمراكبه

---

(١) سينصرني : سيذيلني في ج (٢) وعرفه : وعرف في ب
(٣) المتوجهون : الواجهون في ج

في تلك الليلة في البحر عند مدينة سوسة بازاء العدو عند باب سوسة الشمالي . فلما كان يوم الثلاثاء الصق مراكبه بالبر وانزل رجاله بالقرب من الباب الشمالي في هدوء وسكون ، فجلسوا تحت درقهم ، وركب يعقوب دابته وتام في وسطهم ، وخرج اليه رشيق الكاتب فيمن معه من الرجالة والرماة يحمونهم (١) من أعلى السور ، فحين رآهم مخلد ، وما هم عليه من السكون ، وامتناعهم من القتال ، قال : هؤلاء ينتظرون غيرهم وتحول كبون فيمن معه من المكان الذي كانوا يبيتون فيه (٢) فاصبحوا بقرب معسكر أبي يزيد ، وكان ذلك اليوم كثير الغمام ، مظلم الجو ، فلما ظهرت الشمس من الغمام ، تراءت خيول الاولياء مع شاطىء البحر ، وصاح البربر هذه الخيل (٤٨٩) أتت من المهدية ، فركب أبو يزيد بنفسه ، ونصبت أعلامه ، وضربت طبوله ، وخرج أهل سوسة ببنودهم وطبولهم مع الحسين بن ناكسين ، فقصد اليهم الاولياء الذين مع كبون وصاروا عسكرا واحدا ، قبالة ابي يزيد ، وصار بازاء يعقوب بن اسحق التميمي ، ورشيق الكاتب أبو سليمان الزويلي ، فاقتحم القتال ، واشتد الصراع (٣) فانهزم الاولياء حتى دخل اوائلهم باب سوسة الجنوبي ، ثم عطف الاولياء وأطلق (٤) رشيق ويعقوب النار في الدبابات التي كان مخلد صنعها بقرب باب سوسة الشمالي ، واشعلا حطبا كان أعده ليحرق به سوسة ، فاشتعلت النيران ، واظلم الجو بالدخان .

فلما رأى أبو يزيد ذلك ومن معه ضعفت قلوبهم ، وظنوا ان اباسليمان ومن معه من أصحابهم قد انهزموا ، وكانوا لا يرون بعضهم بعضا ، لكون مدينة سوسة حائلة بينهم . ثم (٤٩٠) هزم يعقوب ورشيق من كان بازائهما ، والقوا النار في الخصوص اولا فأولا الى ان صارت النار بقرب الموضع الذي كان فيه أبو يزيد في قتال الاولياء ، فانكسر ابو يزيد ونكص على عقبيه ، وحف به غزاته ، وتوجه هاربا منهزما الى مدينته القيروان لا يلوي على احد ، وهرب البربر على وجوههم ، وافترقوا في كل وجهة ، وقتل منهم خلق كثير . وقتل علي بن بدر المصري عدة مخلد للمهم (٥) من امره ، وصاحب جيشه .

---

(١) يحمونهم : سقطت في ج
(٢) يبيتون فيه : بائتين في ج
(٣) الصراع : الصارع في ج
(٤) واطلق : واشعل في ج
(٥) للمهم : للهام في ج

ومقدم عسكره ، وغنم الاولياء ما كان في معسكرهم مما سلم من الحريق بالنار ، بعد ان احترق أكثره .

ووصل ابو يزيد الى القيروان أوان صلاة المغرب مهزوما مغلوبا ، فلما وصل باب الربيع شتمه أهل القيروان بأقبح الشتائم (١) ومنعوه من الدخول ومن معه ، وقتلوا منهم جماعة ممن دخل القيروان ، وكان في اليوم الذي انهزم فيه ابو (٤٩١) يزيد من سوسة حادث دعا اهل القيروان الى الخلاف على ابي يزيد ، وذلك ان بربريا يقال له فليح بن محمد من اهل اوراس ، ومن وجوه اصحاب ابي يزيد ، وكان قاضيه في عسكره ، وقتل رجلا كان يخدمه من اهل القيروان ، ورمى به في بئر (٢) فأخرجه أهل القيروان من البئر (٣) ، وتتبعوا الدم الى دار فليح ، وقام أهل الرجل وتناثر معهم اهل القيروان ، ومضوا الى ابي عمار الاعمى فقصوا عليه الخبر ، فأحضر البربري فليحا وسأله عن الامر ، فأقر فليح بقتل الرجل ، وقال : انه مشرقي مشرك .

وكان فليح مقبول القول عند البربر ، فحين سمع ابو عمار قول (٤) فليح طرد أهل القيروان عن نفسه ، ودحرهم ، ولم يرضهم بالقول ولا بالفعل ، وانصرف الناس وقلوبهم مملوءة غيظا ، وذلك قبل هزيمة أبي يزيد بيومين ، فلما كان يوم هزيمة ابي يزيد (٤٩٢) عن سوسة ، وجد اهل القيروان بالغداة قتيلا طريحا في باب اصرم ، فاتبعوا آثار الدم الى دار فيها قوم من البربر ، فعرفتهم امراة ان البربر قتلوه في تلك الدار ، وانهم يقتلون كل يوم رجلا أواثنين ويطمرونهم في مطمورة في الدار ، فأصاب الناس في تلك المطمورة ستة رجال مقتولين ، وقتلى غيرهم في مستراح ، فتألبوا وضجوا ، ومضوا الى ابي عمار فظنهم ابو عمار جاؤوه في القتل الاول ، فأرسل اليهم بعض أصحابه فأسمعهم المكروه وانتهرهم ، فعادوا عنه راجعين ، فوجدوا البربري الذي القتلى في بيته ، فقصدوه ففر عنهم ، ودخل دارا فيها امراة مخلد بن كيداد ، فاجتمعوا

---

(١) الشتائم : شتم في ج
(٢) بئر : بير في ج
(٣) البئر : البير في ج
(٤) قول : سقطت في ج

واحاطوا بالدار ، فأمرت امراة مخلد بربط يدي الرجل البربري الى رجليه، ورمت (١) به الى إهل القيروان من سطح الدار ، فتلقوه بالسيوف والرماح، ومات قبل (٤٩٣) وصوله الارض ، وجروه برجله ، وطافوا به في اسواق القيروان ، وهم ينادون لا طاعة الا طاعة اسماعيل ، وذلك لما اشتهر وبلغهم من فضل المنصور بالله صلى الله عليه ، وكرمه ، وحسن اخلاقه وشيمه ،فهم على ذلك الحال ، اذ وصلهم اوائل المهزومين عن مدينة سوسة من اصحاب ابي يزيد ، فقويت قلوب أهل القيروان ، وصاحوا يا مهدي يا قائم يا منصور لا طاعة الا طاعة اسماعيل ، ومنعوا البربر من دخول القيروان ، وأحاطوا بدار ابي عمار الاعمى ومعه ثلاثون رجلا وحاصروه .

ووصل ابو يزيد اوان صلاة المغرب الى باب القيروان ، والحصار على ابي عمار ، فحين أرجعه الناس عن الباب بات خارج المدينة الى الصبح . وبلغه خبر اهل القيروان مع ابي عمار ، وانهم محاصروه ، فأمر باحضار جماعة (٢) من رؤساء أهل القيروان وعاتبهم ، فاعتذروا وقالوا ان ذلك فعل (٤٩٤) السفهاء منهم ، وخاف على أبي عمار أن يقتل ، فأمر بركوب من معه وأظهر العطاء ، ونادى باعطاء الارزاق ، فتفرق الناس عن ابي عمار ، وخرج مع الذين كانوا معه حتى وصل الى ابي يزيد ، فتحدثا حول(٣) اهل القيروان وانهم (٤) قد اختلفوا عليهم ، وانهم لا يركنون اليهم ، وخافوا وصول مادة المهدية ، وقد افترق الناس وعسكرهم ، واجمع رأيهم أن ينصرفوا من القيروان حتى يجتمع عسكرهم ، ويأتيهم مدد البربر ويرجعون اليه . وتوجهوا الى ناحية سبيبة (٥) فوقف في الموضع المعروف بكدية السمير ، وبينه وبين القيروان مسافة يومين .

ولما انتهت البشرى الى الامام المنصور بالله عليه السلام ، بهزيمة الدجال عن مدينة سوسة عشية الفتح ، خرج الامام المنصور بالله صلوات الله عليه .

---

(١) ورمت : ورمى في ج
(٢) باحضار جماعة : اجماعة في ج
(٣) حول : سقطت في ج
(٤) وانهم : سقطت في ج
(٥) سبيبة : سيبية في ج

من المهدية الى مدينة سوسة ، صباح (١) الاربعاء لست بقين من شهر شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، ثاني (٤٩٥) اليوم الذي انهزم فيه الدجال ، فنزل عليه السلام خارج مدينة سوسة ، وانتهى اليه خبر اهل القيروان ، ووصل اليه زيادة الله ابن عبد الله وجماعة من الاولياء الذين كانوا بالقيروان ، فأخبروه خبر ابي يزيد ، واشاروا عليه (٢) بالمصير الى القيروان ، وان يؤمن اهله ، لانه قد عظم اجترامهم وكثر خوفهم ، فقال المنصور بالله عليه السلام لزيادة الله : انت شيعي حقا ، ولا اشك في نصحك . وكتب الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، الى اهل القيروان بالامان .

ولما كان الصباح ، امر بضرب الطبول ، ونادى مناديه بالرحيل ، وقال لزيادة الله بن عبد الله : اركب مع كبون الى القيروان ، فأمنوا الناس ، وعرفوهم جميل راي فيهم ، وصفحي (٣) عن زلاتهم . فسار كبون ومعه خمسون فارسا ، فوقف خارج القيروان ، ودخل زيادة الله مع جماعة ينادون للناس من قبل (٤٩٦) المنصور بالله سلام الله عليه بالامان ، ففرح الناس واستبشروا ، واطمأنت قلوبهم ، وخرجوا للقاء المنصور بالله عليه السلام ، فداقوه وقد نصب مضاربه في الموضع الذي بنى فيه المنصورية ، وكان نزول امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام ، ظاهر القيروان ، يوم الخميس لخمس بقين من شهر شوال سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، فلما لقيه اهل القيروان قربهم وانسهم ، وأمنهم في أموالهم ، وانفسهم ، ووعدهم الخير ، وبشرهم (٤) بالظفر ، ففرحوا بذلك مع فشل داخلهم ، لما راوا من القلة في عسكر الامام عليه السلام ، وضعفت دوابهم ، الا انهم قد كرهوا ابا يزيد لما رأوه من جوره ، وظلمه ، ونكره وكفره .

واحسن اليهم الامام المنصور بالله عليه السلام ، وتبين لهم من فضله وعدله ، ما انصلحت به نياتهم ، وقويت قلوبهم ، (٤٩٧) ووجد الامام عليه السلام ، جماعة من نساء ابي يزيد واولاده ، وحرم أولاده ، وأولادا لهم ، وحرما لهم ، ولوجوه رجاله ، فأمر صلى عليه الله بصيانتهم ، وحفظهم ،

---

(١) صباح : صبيح في ج

(٢) عليه : على في ج

(٣) صفحي : سقطت في ب

(٤) وبشرهم : وبشر لهم في ج

والاحسان اليهم ، وامر بحملهم الى المهدية ، واجرى (١) لهم فيها ما يسعهم عطاء ونوالا ، وجزاهم بسيء افعالهم احسانا ، وافضالا .

وكتب المنصور بالله صلوات الله عليه ، الى القبائل بجبال افريقية يأمرهم بالقدوم اليه ، فوصل قليل منهم ، وتثاقلوا وتربصوا ، ووجه ابو يزيد خيلا مع ابنه فضل الى فحص (٢) القيروان ، ليستخبروا الاخبار . فبلغوا الى قرية الجزيرة ، وهي اذ ذاك خالية ، واتفق أن الامام المنصور بالله سلام الله عليه ، ركب ذلك اليوم الى قرية الجزيرة ، وسبق اليهاخمس من فرسان الاولياء ، وخادم يدعى فتوحا ، فوافتهم خيل البربر ، فقتل رجلان من الاولياء ، واسر الخادم (٤٩٨) قبل وصول الامام عليه السلام ، ومضت خيل العدو على ريح .

واصبح البربر ثاني يومهم ، وهو يوم الاثنين لليلة بقيت من شوال ،وقد خرج كبون بن نصولا ذلك اليوم في ثلاثمائة فارس ، وثلاثمائة راجل ليستخبروا (٣) خبر العدو ، فتوافى الفريقان ، وكان بينهم قتال عظيم ، وتوغل الاولياء في الدخول عليهم ، وقد جعل البربر كمينا خلفهم ، فخرج الكمين على الاولياء ، وعطف البربر عليهم ، فقتل كبون ابن نصولا ، وكثير من أصحابه رحمة الله عليهم ، ولم ينج منهم الا قليل ، فدخل على الناس اعظم غم ، وأيسوا (٤) من الظفر ، وأرجف اهل جبال افريقية ، وتوقفوا عن نصرة الامام عليه السلام ، ووجه ابو يزيد الى القبائل فاجتمع له خلق عظيم ، وعاد الى ما كان عليه من القوة .

وأمر المنصور بالله صلوات الله عليه بخندق فعمله (٥) على عسكره ، وكره ذلك وجوه رجاله ، وقالوا : انه ينسب الينا بذلك الجبن . فقال لهم : قد حفر جدي رسول (٤٩٩) الله صلى الله عليه وعلى آله خندقا ، وتحصن فيه ، ونحن أولى ان نحتذي فعله ، ونقتفي (٦) اثره . فعمل صلى الله عليه في الخندق بيده ، وكان ذلك في غرة شهر ذي القعدة ، وأخذ الناس في حفر الخندق بالجد والاجتهاد ، وواصلوا العمل في الليل والنهار .

---

(١) واجرى : وجر في ج
(٢) فحص : صحف في ب
(٣) ليستخبروا : خبروا في ج
(٤) وايسوا : سقطت في ج
(٥) فعمله : فحفره في ج
(٦) نقتفي : نقتص في ج

ورحل مخلد بن كيداد الدجال من اكمة الشعير زاحفا الـى ناحيـة القيروان ، بعد قتل كبون ، وطمع في الاولياء ، فنزل بقرية خمس ، ثم ارتحل ليلة الجمعة لثلاثخلون من ذي القعدة غازيا بالعسكر الامام عليه السلام ، بجميع من معه ، وخلف اثقاله بخمس ، وكانت ليلة مظلمـة ، فاخطأ فـي الطريق ، وتاه في الفحص ، فما وافى القيروان الا عند الفجر ، وقد اراد الله نصر وليه ، وخليفة نبيه صلى الله عليه وعلى آله ، فجعل (١) مخلد عسكره فرقة معه من وجوه رجاله وحماتهم وكماتهم ، فقصد بهم الى فسطاط الامام المنصور بالله عليه السلام ، وفرقة أمرها أن (٥٠٠) تأخذ على يمين المعسكر ، وفرقة على شماله ، ومنته نفسه انه ان فعل ذلك ، لم ينج (٢) احد مـن عسكر الامام عليه السلام ، وكانت وقت غفلة ، وقد نام الحرس ، واشتغل كثير من عسكر الاولياء بالصلاة والتهجد ، فوضع البربر سيوفهم فـي النـاس حول فسطاط الامام ، وتصايح العسكر : العدو ، العدو . ووثب بعضهم الى بعض ، وقتل بعضهم بعضاً ، وقامت الحرب على سـاق ، وبان الصباح ، وركب الامام عليه السلام ، ومنـحه (٣) الله علـى الفسـاق الظفـر ، فأخـرج عسكـر الامـام عليـه السـلام البربـر ، وقتـل منهم ثلاثون ، وأخذ الاولياء عليهم علمين ، وصار ابو يزيد ومن معه الـى خارج الخندق ، واجتمع أصحابه اليه ، ونظروا الى قلة الاخبية والمضارب ، فعاودوا القتـال .

وخرج الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، فاصطفت الصفـوف ، وتدانت الزحوف ، وجعل الامام يكر عليهم يمينا وشمالا ، ويصدهم بحملات عليهم (٥٠١) تتوالى (٤) وهو يصول بسيف جده ذي الفقار ، ويحمل حملات الاسد الكرار ، والمظلة كالعلم على راسه عليه السلام ، فموضعه معروف ، والخيل تكر عليه الوفا بعد الوف ، وهو يفرق جماعاتهم ، ويردي ذوي الباس من كماتهم ، والاولياء خمسمائة فارس يعدون ، والبربر كما ذكر ثلاثون الفا او يزيدون ، ثم حمل (٥) البربر حملة رجل واحد على الاولياء فادخلوهم الى

---

(١) فجعل : فعل في ج

(٢) ينج : يرج في ج

(٣) ومنحه : ومنح في ج

(٤) تتوالى : توالا في ج

(٥) حمل : سقطت في ج

معسكرهم ، وهرب جماعة منهم الى ناحية القيروان ، ونهبت فازات كثيرة من معسكر الامام عليه السلام ، وبقي وحده في عشرين فارسا من خدمه ، واقبل الدجال اليه ومن معه من حماة رجاله ، وكماة ابطاله ، فلما راى الامام المنصور بالله عليه السلام اقبالهم اليه ، قصد ابا يزيد ومعه سيف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ذو الفقار ، وكان الذي يمسك المظلة على راس الامام صقلبي (١) من عبيده ، فلما راى جموع البربر قد اقبلت الى الامام عليه السلام ، (٥٠٢) وفرسانهم قد حملت ، نكس المظلة يريد ان يخفي مكان الامام عليه السلام ، فانتهره سلام الله عليه ، وقال له : ارفع المظلة يا هذا ، ولا تفزع ، ولا تخف ، فان الله عز وجل ، وعدنا وعدا لا يخلف . واقبل عليه السلام علي ابي يزيد لا يلوي على شيء دونه ، وحمل كحملة جده علي بن ابي طالب على الكفار بذي الفقار ، فالقى الله الرعب في قلب ابي يزيد ، وتدكاد الامام أن يضع السيف على رأسه ، وولى ناكصا على عقبيه ، مدبرا عن حومة مراسه ، وولت جنود الخوارج من البربر ، واتاح لوليه النصر عليهم والظفر ، فقتل عليه السلام من ادرك منهم ، وثبت في مكانه يمسح العرق عن وجهه .

وكانت نسان القيروان فوق سطوحهن ، فعلت اصواتهن بالضجيج والبكاء ، ورمين (٢) المنهزمين من اصحاب الامام عليه السلام بالحجارة ، وجعلن يقلن : اين تتركون مولاكم ، يا كلاب ، اخرجتموه (٥٠٣) وتركتموه ، واسلمتموه ، يا غربته ، ويا وخدته . وصاح أهل البلد ، وخشوا الهلاك من البربر ، وأن يحلوا بهم المنكر ، فحين راى الناس ثبات الامام ، وثبات المظلة على راسه ، رجعوا اليه من كل جهة ، واقبلوا من كل وجهة ، فعيرهم صلى الله عليه بجبنهم ، وهو يبتسم في وجوههم ، وقال : ادخلوا في كمي . فاحتشموا منه ، ولم يظنوا فيه الثبات ، لانهم لا يعرفون انه ما لاقى الحرب ، ولا شهده ، قبل ذلك المشهد ، وابتهجوا حين (٣) رأوا حملاته على العدو ، وهو كالاسد ، لا يلاقي كتيبة الا هدها ، ولا تكر عليه الا ردها ، وعاد القوم الى القتال ، وتمادى الحرب الى وقت صلاة العصر ، وراى الناس من الامام

---

(١) صقلبي : صقلابي في ج

(٢) ورمين : سقطت في ج

(٣) حين : حاذ في ج

عليه السلام . ما لم يكن الا من جده علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، وهالهم ما رأوا من الكرم والاقدام ، وقال ابو يزيد لاصحابه (١) : أهـذا اسماعيل ؟ قالوا : نعم ، هو اسماعيل . فحرك (٥٠٤) راسه ، وقال: هذا يصلح ان يكون ملكا حقا .

واصاب الفريقين حر العطش . وكان اهل القيروان يسقون عسكر الامام عليه السلام ، والبربر لا يجدون ماء يستقون ، فمالوا بعد زوال القتال الى ماء اجن بباب تونس ليشربوا منه ، ويسقوا دوابهم ، فمنعهم اهل القيروان، ورموهم بالحجارة ، والسهام من كل مكان . فانصرفوا الى معسكرهم من تربة خمس ، وقد ايقن الناس للامام المنصور صلى الله عليه بالظفر ، وراوا منه من النجدة ما لم يظنوه لاحد من البشر ، وعظم في اعين الناس ، وفرح به اوليائه وشيعته ، وهابه رجاله ورعيته ، وقال عبد الله بن اصبغ من قصيدة بذكر قتال الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، وما كان له في ذلك اليوم، حيث يقول شعرا :

ويوم بأرض القيروان شهدته ... وقد ظل فيه الجو اغبر اقتما(٥٠٥)
وكاشت به الابطال خوفا واخرست ... لموضع خطب يملأ السمع والفما
لدي معرك ضنك تضايق للردى ... فلا تسمع الاصوات الا تغمغما
ازال رجالا هوله عن صفوفهم ... ونكب ذو الاقدام فيها واحجما
وقامت باهواء اللعين مطامع ... فاقبل حثا كالظليم مصمما
فلما دنى من حومة الليث في الوغى ... وبدر الدجى جاب الدجون متمما
تراءت له تلك الجلالة فانثنى ... وهابك ان يدنو وان يتقدما
فسرت اليه مقدما متدرعا ... دروع يقين ان تصاب فتفصما
فولاك ظهرا وقرته ذنوبه (٥٠٦) ... واعجله مرآك ان يتلوما
فمر وكاد الخوف يضرم قلبه ... واني لكلب ان يعارض ضيغما
فيا جمعة ما كان اعظم فضلها ... لك الله جل الله حيي وانعما
وعدت اليه عودة هاشمية ... فبان عن الانفال رغما واسلما

---

(١) لاصحابه : لصحبه في ب

وقال محمد بن هارون بن سعيد الامروطي شعر

ولم أر كالمنصور بالله ناصرا لدين ولا احمى للملك وامنعا
هو الملك المخصوص بالنصر ملكه وحافظ ما قد كان ضاع وضيعا
الم تر يوم القيروان وقوفه وقد همت الاكباد ان تتصدعا
وابرز عن وجه من الصبر ابيض (٥٠٧) يقابل وجها للكريهة اسفعا

وعاد مخلد بن كيداد الى موضعه بخمس ، فاقام يوم السبت به ، ورحل منه بالاثقال لخمس خلت من ذي القعدة ، فنزل على الشرف الاحمر بين الجزيرة والقيروان ، وزحف يوم الاثنين الى خندق الامام عليه السلام ، فمنع الامام من معه عن الخروج ، ووقف مخلد ساعة ، ثم انصرف الى باب اصرم ، وكان الامام عليه السلام ، قد جعل فيه الركوشيين ، وعليهم قدام الصقلبي (١) وجماعة من الاولياء ، فوقع بينهم قتال يسير جرح فيه بزدون قدام الصقلبي (٢) ودفع الله عن نفسه ، وانصرف الدجال الى حيث كان معسكرا في الشرق (٣) الاحمر .

وزحف تلو ذلك اليوم يوم الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة ، وجاء خبره الى الامام ، ففرق على اوليائه السلاح والعدة ، وامرهم (٥٠٨) فلبسوا اللامة ، واصطفوا صفوفا ، ووقفوا على خيلهم داخل الخندق ، ونهاهم الامام عليه السلام ، أن يخرج احد من الخندق ، وان يتعرضوا للقتال ، والامام عليه السلام ، واقف بينهم على فرسه ، والمظلة على راسه ، واقبلت طائفة من بني كملان ، كانوا في عسكر الدجال ، فدعوا يعلي بن حيدره الكتامي ، وخلوا به سرا ، وسالوه أن يأخذ لهم من الامام المنصور بالله عليه السلام ، أمانا ويطلب منه بذلك كتابا ، فرجع الى الامام عليه السلام ، فقال صلوات الله عليه : لا أمان لهم ، أو يأتوني برأس مخلد بن كيداد . ونادى مناديه من جاء برأس مخلد بن كيداد فله عشرة الاف دينار ، ووقف رجل من البربر على دابته فسب الامام عليه السلام ، وأراد الاولياء من كل جهة أن يحملوا عليه فزجرهم الامام ونهاهم ، حتى استوفى اللعين قوله . ثم رفع (٥٠٩) الامام

---

(١) الصقلبي : الصقلابي في ج (٢) الصقلبي : الصقلابي في ج
(٣) الشرف الاحمر : سقطت في ب

عليه السلام ، الى السماء يديه (١) فقال : اللهم خذ بحقي منه . فما اتم كلامه حتى رد الرجل السباب فرسه فانقلبت عليه ، وصار سرج الفرس في بطنه فقتله ، وحمل عليه الاولياء فجزوا (٢) راسه ، وسجد الامام عليه السلام ، شكرا لله تعالى ، واكثر حمده على ما من به عليه من اجابة دعائه ، وسماع ندائه .

وكانت تلك آية للامام المنصور بالله عليه السلام ، واضح برهانها ، ظاهر بيانها ، عاينها الفريقان ، وشهد بها الجمعان ، واذن الامام عليه السلام ، لاوليائه بالقتال ، فوقع قتال عظيم بين الفريقين ، واطلق البربر النار في بيادر الزرع بباب سلم ، وبباب اصرم ، وبباب تونس ، وكان بها سنبل عظيم ، وطعام ، فملا الدخان ، وامتلأ الجو (٣) من القتام ، وكان يوما شديد الحر ، عظيم الامر ، فهزم البربر الاولياء حتى ادخلوهم الخندق ، فحمل الامام عليه السلام ، ورجع (٥١٠) الاولياء على البربر فهزموهم ، وما زال القتال الى صلاة المغرب ، فانصرف القوم عند الليل ، وقد تناصف البعض من البعض ، وغطت (٤) القتلى وجه الارض ، وعاد كل الى معسكره . وقال بعض الشعراء في ذلك :

دلائل آيات الامام كثيرة ... تلوح لمن كانت لديه بصائر
تروى التقى والصبر في كل موطن ... وصحت له عند الاله سرائر
ألم تره حين انبرى ليسبه ... شقي من الاغنام جاف مكابر
فجد له ذو العرش ساعة سبه ... وعاجله والله للحق ناصر
وما برحت رجلاه حتى تحكمت ... به وبأحزاب الضلال البواتر

ووجه الامام صلى الله عليه للحشود فتوقف أكثر الناس (٥١١) وتربصوا ، وكان أول القادمين عليه عبد الله بن زلال الجزيري ، في جند الجزيرة ، فانزلهم (٥) الامام عليه السلام ، بباب تونس ، وأمرهم الامام عليه السلام ، فخندقوا على مواضع معسكرهم ، وكانت البربر تأتي خيلها كل

---

(١) فقال : سقطت في ب
(٢) فجزوا : فقطعوا في ج
(٣) الجو : اللو في ج
(٤) وغطت : ورقت في ج
(٥) فانزلهم : فنزلهم في ج

يوم ، فتقاتل الذين بباب أصرم ، وبباب تونس .

وقد جعل الامام عليه السلام ، ابا الفضل ابن ابي سلاسي في عسكرمعه من الجند بباب اصرم ، وامرهمّ فخندقوا خندقا يحيطهم (١) فامتنع القيروان من دخول البربر اليه . وفرق أبو يزيد خيله على الطرقات تنهب وتسلب ، وكانت تضرب حول الخندق ، فتاخذ ما وجدت من الماشية ، واقبل ابو يزيد يوم الاربعاء للنصف من ذي القعدة بحشوده وجنوده ، فكان قتال عظيم فيما يلي باب تونس ، فدعى الامام الحسين بن ناكسين الكتامي ، وامره ان يأخذ مائة فارس ، ويشق القيروان ، ويخرج منها (٢) (٥١٢) على البربر من باب تونس على غفلة ، ففعل الحسين ما امره به الامام عليه السلام ، فانهزم القوم مدبرين ، وولوا على اعقابهم ناكصين ، وفي يوم الخميس لاربع عشرة بقين من ذي القعدة قدم الى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، مفرح الكتامي في عسكر من أهل طرابلس عدتهم الفان ومائتان واربعون فارسا ، فأنزلهم في الخندق ، واسبغ عليهم العطاء ووالى عليهم الآلاء ، وقوي عسكر الامام عليه السلام ، وجرت له الاحوال على احسن نظام .

وأرسل الامام عليه السلام ، خادمه مطيعا في مائتي فارس ليأتيه بسلاح وعدة من سوسة ، وبلغ ذلك مخلد الدجال فسير للقائهم عسكرا كثيفا ، فخالفه مطيع ، ووصل الى عسكر الامام عليه السلام سالما ، ووافق عسكر الدجال الذي خرج اليه ، رفقة عظيمة من القيروان تريد المهدية بالاموال والنساء والعيال ، ليتحصنوا بها ، (٥١٣) لانهم كانوا خائفين أن تكون للعدو كرة (٣) فيغلب على القيروان ، فأخذ البربر جميع ما في تلك الرفقة ، وخرج ابن بازمي من البربر في جيش من قبل الدجال ، فوصل الى باب تونس وقاتل من فيه ، فهزم خيل البربر ، وقتل ابن بازمي ، وجيء برأسه ، وبرذونه الى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، وقتل في ذلك اليوم من البربر شقر المكناسي ، وطعن (٤) ركو على الخاصرة ، وهما من عيونهم ، ووجوه رجالهم .

---

(١) يحيطهم : ويحوطهم في ج
(٢) منها : سقطت في ب
(٣) كرة : كرار في ج
(٤) وطعن : سقطت في ج

ولما كان يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة، وقد اجتمع لابي يزيد عساكر عظيمة من البربر وغيرهم ، فوعدهم ان يفتح القيروان ، واباح لهم انتهاب ما فيه من الاموال ، وسبي الحريم ، فطمعوا في ذلك ، ووعدوه الصبر والقتال ، وعاهده على ذلك منهم الابطال ، واخرج ابو يزيد من يومه في جيوش كثيرة ، وعدة قوية ، وقصد بنفسه الى ناحية باب تونس ، فوقف (٥١٤) على كديه ، والقى البربر النار فيما بقي من بيادر الطعام ، ووقع القتال بين الفريقين ، فأمر الامام عليه السلام بشرى الخادم في جيش معه فسلكوا وسط القيروان ، وخرجوا من باب تونس ، واستتروا حتى لا (١) يراهم جنود الدجال ، وراموا أن يجدوا فيهم فرصة ، فوجدوهم حذرين ، وجاء الى ابي يزيد من أخبره خبرهم فأخذ حذره ، وبقي موضعه ، ووقف الامام عليه السلام ، على باب الخندق ، يمد العسكر الذين بباب تونس بالخيل والرماة ، فلما راى ثبات ابي يزيد ، وجه خيلا من الذين معه ، ورجالة كثيرة ، وأمرهم ان يقصدوا اخبية ابي يزيد ، ففعلوا فحين رآهم ابو يزيد قد امعنوا (٢) في السير ، ترك القتال ، وتوجه نحو اخبيته ، وخرج الامام المنصور بالله عليه السلام ، خلفهم ، فكانت الهزيمة على ابي يزيد واصحابه ، وقتل منهم عدة كثيرة ، وماتت لهم خيل اصيبت بالنبل ، ووصلوا الى معسكرهم (٥١٥) مهزومين ، مكلومين ، ورجع الامام عليه السلام ، الى معسكره غانما ظافرا ، وكان الله له وليا وناصرا .

ولما اصبح ابو يزيد قال للذين معه من عساكر البربر : ان هؤلاء (٣) قد كثروا ، ولا مصلحة لنا في قتالهم بعد تحصنهم في خندقهم ، وقوتهم ومظاهرتهم الى القيروان ، ولكن الراي أن نخرج خيولنا الى ناحية المهدية ، ونقطع عنهم الميرة ، ومتى توجهنا الى جهات المهدية ، فان عيالات الكتاميين هنالك ، ولعلهم ان يختلف امرهم ، وينفض (٤) جمعهم .

واخرج ابنه فضل ابن مخلد الى ناحية سوسة ، ووجه خيولا كثيرة الى ناحية المهدية ، والى ناحية الساحل ، فكانت خيله تسبي وتغنم ، وبلغت

---

(١) حتى لا : سقطت في ب

(٢) امعنوا : أمنعوا في ج

(٣) هؤلاء : سقطت في ج

(٤) وينفض : وينفن في ج

خيله الى بابجمة، وارباض المهدية، واستاقوا غنما وبقرا، وكان اكثر الرجال المهدية . وذوو البأس فيها مع الامام عليه السلام ، فوقع القلق والخوف مع نساء الاولياء المخلفات بجمة ، وحول المهدية في ارباضها ، وخافوا (٥١٦) أن تهجم عليهم خيل البربر ، واردن النساء دخول المهدية ، فمنعهن جوذر الاستاذ عن ذلك ، وبلغ الخبر الى الكتاميين ، فوقع فيهم الاضطراب (١) ، وارادوا المسير عن عسكر الامام عليه السلام الى المهدية ، وشكوا ذلك الى الامام عليه السلام ، فبعث المنصور بالله عليه السلام ، جيشا كثيفا الى المهدية فضبطوا نواحيها ، وحموها ، وبطل ما كان مخلد دبر ، واحتمت جوانب المهدية عن البربر ، وتوسط البربر في الطرقات ، وأمعنوا بالفساد في كل الجهات . وكانوا يختطفون الاموال ، ويشوهون من وقع في ايديهم من الرجال ، بقطع يده أو رجله ، أو جدع انفه ، واصطلام (٢) أذنه ، أو ما اشبه ذلك ، وخافت السبل ، وعظم الفساد .

ولما كان نصف ذي الحجة جاءت خيل البربر ، فانتهت الى حول الخندق الذي فيه معسكر الامام عليه السلام ، حتى همت أن تقتحمه ، فعج الناس . وضجوا الى الامام (٥١٧) عليه السلام ، فخرج صلوات الله عليه . فقاتل القوم بنفسه ، وهزمهم الى مكان يعرف بقصر علي ، واشتد (٣) بين الناس القتال ، فنزل الامام عليه السلام ، في موضع القتال عن دابته ، ونصب له كرسي . فجلس عليه . والحرب بين يديه ، فجاءه وجوه الاولياء ، وقالوا : لا نأمن أن تكون للعدو ، وينهزم الناس ، وانت واقف ، والصواب ان تركب جوادك . فضحك عليه السلام ، اليهم ، وقال لهم : لا تخافوا فان النصر قد آن أوانه ، وحان (٤) حينه . فأشفق القوم ، وكثر رهبهم ، والحوا في سؤال الامام عليه السلام ، ليركب . وقالوا : الا ترى قوة العدو ، وتكاثر غاراته ، واقبال كتائبه ، وراياته ؟ فامر الامام عليه السلام ، ان ينزع لجام دابته ، وان تسقى ماء ، هنالك ، ليريهم انه غير مكترث لما به يكترثون ، وان الله قد اتاه علم ما لا يعلمون ، ثقة بما هيأ الله له ، من وعده ، وعلما ورثه عن

---

(١) الاضطراب : الانضراب في ج (٢) واصطلام : اصطدام في ج

(٣) واشتد : واشد في ج (٤) وحان : سقطت في ب

آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه ، فما زال الناس (١) يقتتلون (٥١٨ ؛ والامام عليه السلام ، واقف ينظر اليهم ، حتى كل الفريقان ، ومل الجمعان ، فرجع كل منهم الى معسكره ، وعاد الامام عليه السلام ، واثقا بوعد الله تعالى في بلوغ وطره (٢) .

وكتب مخلد الدجال الى الامام عليه السلام ، يسأله رد نسائه ، وبناته ، وأولاده ، ونساء رجاله ، وأولادهم ، الذين كانوا في القيروان ، وصاروا الى المهدية ، كما تدمنا ذكره ، وحلف الايمان المغلظة ، ان الامام عليه السلام ، ان ردهم (٣) انه يرجع الى طاعته بصدق نيته ، وأنه يطلب الامان ، ويسكن في قسطيلية ، فأجابه الامام عليه السلام ، الى ما الح فيه الطلب والسؤال . ووجه الى المهدية في وصول النساء والعيال ، فلما علم ابو يزيد ان الامام عليه السلام ، قد ارسل لاولاده ، اراد ان يرسل خيلا لتوصلهم اليه ، ويحول بينهم وبين الوصول الى عسكر الامام عليه السلام ، ليأخذهم بالقهر والغلبة ، ولا يحمل منا للامام عليه السلام ، فيما رامه وطلبه . وانتهى ذلك الى الامام عليه السلام ، فبادره (٥١٩) ذلك اليوم بالزحف ، وخرج عليه السلام ، من معسكره وخندقه ، وذلك يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة ، فبلغ عليه السلام ، الى قصر علي .

وخرج اليه ابو يزيد بنفسه ، وجميع جموعه ، وقد كمن البربر كمينين ، وارادوا غرة (٤) جيش الامام عليه السلام ، فلم يجد ثغرة ، (٥) ولا فرصة ، وما زال الامام عليه السلام ، يحرض عسكره على الكر ، ويعدهم بالفتح والنصر ، وكان يترك المظلة مع ممسكها ، ويمضي بغير مظلة في عسكره ، ليعاين القتال ، ويحمل على الاعداء حملات الريبال ، فتارة يحمل عليهم من القلب ، وتارة من الميمنة ، وتارة من الميسرة ، ويصدقهم بالطعن والضرب ، فقتل من البربر جماعة كثيرة ، ولم يقتل احد من اصحاب الامام عليه السلام ، وايقن الدجال ذلك اليوم بالفرار والانهزام ، وارسل الى الامام عليه السلام ،

---

(١) الناس : سقطت في ج

(٢) وطره : وزره في ج

(٣) ردهم : اعادهم في ج

(٤) غرة : مرة في ج

(٥) ثغرة : واغرة في ج

يقول له : الم يكن بيننا وعد الى وصول العيالات والحرم ، وكان ينبغي الصبر حتى يصلوا ، وينصرم (١) ما عقدناه ، (٥٢٠ ا) ويتم . فرد الامام عليه السلام ، اليه انه قد بلغنا أنكم اخرجتم خيلا لتقطع الطريق ، وأخلفتم القول ، وانتم لا يؤخذ منكم بأمر وثيق ، فقال ابو يزيد : نعم قد هممنا بذلك ، وما فعلنا (٢) ، ولم يتم لنا مع خروجكم الينا بالامس ، ما عليه عولنا .

وركب الامام عليه السلام ، يوم الاحد ثاني ذلك اليوم المذكور ، يريد معاودة القتال ، فهو عليه السلام ، يقوم الصفوف ويعبئ العساكر ، ويأمرهم بالصبر على طعن القنا ، وضرب السيوف . ثم وصلت ذلك اليوم عيالات (٣) أبي يزيد واصحابه من المهدية ، فرجع الامام عليه السلام ، الى معسكره عليه أسنى السلام والتحية ، وامر بانزال العيال (٤) في موضع ستر ، وارسل الى الدجال من ينبئه بوصولهم ، ويقول له ، بعثنا اليك الامير اسماعيل الكريم ، أيها الكلب اللئيم ، اما بعد : فقد وصلت حرمكم ، واولادكم ، فوجه من تثق به ليصل اليك بهم . فبلغوا (٥٢١) الرسالة ، ورجعوا بالجواب .

وأمر الامام عليه السلام ، ان تنصب له فازة خارج الخندق ، فنصبت الفازة ، وفرشت ، وقدم من ناحية ابي يزيد رجلان ، يقال لاحدهما ، مكدول زوج ابنة الدجال ، وكانت في العيال الذين قدموا ، ويقال للاخر ، كمين بن عمر ، وهو بربري من باغاية . فأمر الامام عليه السلام ، بكسوتهما ، وكسوة النساء ، والعيال ، وان يدفع الى كل واحدة من النساء ، وواحد من العيال ، عشرة دنانير من العين ، واعطى مكدول ، وكمين البربري ، مائة دينار ، ووجه العيال ليلا ، وزودهم بأصناف (٥) كثيرة من الحلوى ، وامر بالمشاعل فأوقدت امامهم ، وصحبهم (٦) من عبيده سعد العامل في جماعة معه ، حتى وافى (٧) ابا يزيد الى معسكره ، فحين وصل العيال والنساء الى ابي يزيد ،

---

(١) ينصرم : ينصر في ج
(٢) وما فعلنا : سقطت في ب
(٣) عيالات : علات في ج
(٤) العيال : العائل في ج
(٥) بأصناف : اناف في ب
(٦) وصحبهم : واصحبهم في ج
(٧) وافى : وفا في ج

وجه بهم الى جبل اوراس . ثم رجع الى اصحابه ، فاظهر ما أضمر من غدره ، وباح بما في مكنون (٥٢٢) سره ، وقال : ان اسماعيل ما ارسل اليكم بعيالكم ، وصنع اليهم الصنائع ، التي علمتم ، الا حين داخله الخوف منا ، وعلم بأسنا ، ففعل ذلك مداراة لنا ، فجدوا في امركم ، واذيقوا القوم ما عودوه من عظيم شركم ، فأنكر عليه كثير من عقلاء البربر غدره ، وقالوا : كان الواجب ان تجزي بالصنيع مثله .

وتفرقوا عنه ، وعلموا أن الامام قد قويت عساكره ، وظهرت علامات نصره ، وتمادي مع الدجال اهل اوراس ، وبنو كملان على العصيان ، والمروق ، والامتناع عن الدخول في الطاعة ، والرجوع . وكان قد وجه ابو يزيد ابنه أيوب الى الاموي الذي بالاندلس يستنصره ، ويعده القيام معه ، فاخرج معه الاموي عسكرا واموالا ، وتوجهوا الى ناحية تاهرت ، فظفر بهم عامل الامام عليه السلام عبد الله بن بكار ، وارسل برأس أيوب الى الامام عليه السلام ، وذلك بعد انقضاء أمر أبي يزيد .

وحين اتصل بالامام عليه السلام ، (٥٢٣) ما تمادى (١) عليه المارقون من العصيان ، وامتناعهم عن الطاعة ، وتناهيهم في الاصرار ، والعدوان ، امر قبل طلوع الفجر بضرب الطبول ، وامر عساكره أن يتهيئوا للخروج . وخرج عليه السلام ، بنفسه الزكية ، اوان طلوع الصبح ، وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة الى آخر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وقد لبس (٢) لامته ، وتقلد سيف رسول الله ووصيه صلى الله عليهما . ذو الفقار ، واخذ الرمح بيمينه . واعتقل درقة على يساره ، وتمادى الى قصد العدو ، واتبعه الناس . فعباهم على مصافهم . وامتنع البربر عن الخروج من معسكرهم ، فحض الامام عليه السلام ، اصحابه . وامرهم بالهجوم عليهم ، الى مازاتهم ، والدخول عليهم في مستقرهم ، فاستهال الناس ذلك ، واستعظموه ، وجبنوا (٣) عنه ، وما زالوا بالامام عليه السلام ، يسألونه الرجوع حتى اغضبوه عليه السلام ، فرمى الرمح عن (٥٢٤) يده . ورجع

---

(١) تمادى : تمدى في ج (٢) لبس : لاس في ج

(٣) وجبنوا : سقطت في ب

مغضبا غاضبا الى معسكره ، فاقام اياما بالخندق لم يخرج من مضربـــه ، وحجب الناس عـــن الدخول اليـــه ، حتـــى بلـــغ البربـــر احتجابـــه ، عليه السلام ، فأرجفوا وقويت قلوبهم ، وظنوا ان امتناعه عن الخروج لعلة وتوعك ، فاغاروا الى كل ناحية ، وافسدوا . واقام عليه السلام ، لا يواجه احدا ، ولا يخرج الى جيوشه عن مضربه ، ولا يمد اليهم للسلام عليـــه بـــدا .

ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، واغارت خيل ابي يزيد فانتهبت السيارة من اهل القيروان الى المهدية ، واخذوا كثيرا من الابل ، والدواب ، والاحمال ، وقتلوا جماعة عظيمة (١) من الرفاق ، واغتم الاولياء غما شديدا لذلك ، وكان ذلك يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم ، وما زال الامام عليـــه السلام ، محتجبا عن الناس الى يوم الاربعاء لخمس خلون من المحرم ، فجاء ابو يزيد بمجموعة قاصدا للقيروان ، وقد انضمت (٥٢٥) اليه جماعات كثيرة من البربر ، فوقع القتال عند باب تونس ، وقد قامت الصيحة ، وضج الناس الى الامام عليه السلام ، فأمر بضرب الطبول (٢) نصف النهار ، ونشـــرت الاعلام ، وركب الامام عليه السلام ، وخرج على القوم ، وقد وقع بين الناس قتال عظيم ، وقتل رجال من الاولياء ، واقتحم الخندق حتى صاروا بقـــرب الامام عليه السلام ، وحمل على الامام عليه السلام عند خروجه فارس مـــن البربر حتى دنا منه ، وهم ان يطعنه برمحه ، فحمل عليه الامام عليه السلام ، فما هو الا ان حرك دابته اليهم ، فانقلبوا على ادبارهم منهزمين ، بعد قتـــال شديد ، وامر عظيم ، وقتل جماعة من البربر ، وعثرت خيولهم ، ورجعوا الى معسكرهم ، وكفوا عن الطريق ، وكان معظم همهم انفسهم ، فلما كان يـــوم الجمعة لسبع خلون من المحرم ، ركب الامام عليه السلام الى العدو علـــى تعبئة (٣) الحرب ، فبلغ الى قربهم (٥٢٦) ولم يخرج اليه احـــد ، فرجـــع الى الخندق ، وطلع قبة قد امر ببنائها ، وامر جيوشه ان يجوزوا بين يديه ،

---

(١) عظيمة : عظمة في ج

(٢) الطبول : الطبل في ج

(٣) تعبئة : تعبية في ج

فشاهد (١) منهم ما سره : وزحف البربر ذلك اليوم بعد الظهر الى باب تونس، وانتشب القتال ، واتصل امر ذلك بالامام عليه السلام ، وهو في قليل من الناس ، لكونهم متفرقين (٢) في الاسواق لحوائجهم ، فركب تلك الساعة وتمادى القتال ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ودخل الظلام . فأوقدت المشاعل ، وبقي القتال الى الصباح ، وتسمى تلك الوقعة (٣) وقعة المشاعل .

ورزق الامام عليه السلام ، الظفر ، وعاد الدجال الى معسكره ، ثم ركب الامام عليه السلام ، ذلك اليوم حين انصرف من صلاة الفجر على تعبئة الحرب ، وبلغ قرب العدو ، فامتنعوا عن الخروج ، وعاد الامام عليه السلام الى معسكره ، وركب يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من (٥٢٧) المحرم، وسار صلى الله عليه ، يؤم العدو ، فوقع القتال غير كثير ، وانكفأ البربر الى معسكرهم ، فرجع الامام عليه السلام ، الى معسكره . وخرج الامام عليه السلام ، بعد صلاة الصبح ، وقد ركب على جواده وتسلح (٤) بعدة حربه ، وعبأ جنوده ، فجعل في الميمنة اهل افريقية ، وفي الميسرة لهيصة ، وجيلة ، وفي القلب بني بنطاش ، وهو صلى الله عليه (٥) معهم ، وعبيده بين يديه ، ورجاله الاولياء ، وخاصة جنده الذين لا يفترقون (٦) القتال ، ولا يهابون مبارزة الابطال ، وكانوا في احسن زيّ ، وابهى عدة ، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم ، فحين صاروا بازاء العدو ، ولم يخرج اليهم احد ، ووقف مخلد الدجال ومن معه في معسكرهم ، فأخذ الامام معارضا لهم شرقي عسكرهم ، فانتشب القتال، وبرز أبطال الرجال ، وخرج الدجال مخلد بن كيداد بنفسه في أبطاله ، ووجوه رجاله ، (٥٢٨) واحاطوا به ، وكان قتال عظيم ، تلاحم فيه الفريقان ، واختلط الجيشان ، واقدموا اقدام من كره الحياة ، وبرز مستعجلا يريد الممات .

---

(١) فشاهد : فرای في ج

(٢) متفرقين : مفترقين في ج

(٣) الوقعة : سقطت في ب

(٤) وتسلح : واستلام في ج

(٥) عليه : عليهم في ج

(٦) لا يفترقون : لا يفرقون في ج

وباشر الامام عليه السلام الحرب بنفسه ، وكر في اعدائه ، يطعن تارة برمحه ، ويضرب تارة بذي الفقار ، سيف جده ، وحمل الدجال في معظم جيشه على ميمنة الامام عليه السلام ، فهزمها ، ثم صمد القلب ، الى الامام عليه السلام ، قاصداً ، وله بكماته ، وحماته طالبا (١) ، فقصده الامام وبارزه ، وصار كل واحد منهما يريد صاحبه ، فهابت كتامة على الامام عليه السلام ، لما يرون مع الدجال من البربر المعتادين للقتال ، الذين قد حفوا به من خلف ، وامام ، ويمين ، وشمال ، فامسك مشائخ كتامة الامام عليه السلام ، وقالوا : نحن نكفيك ، وبانفسنا نقيك ، وحاولوا ان يؤخروه عن الاقدام ، وان يكون خلفهم ينظر اليهم وهم يقاتلون بين يديه عليه السلام ، فنهاهم عن (٥٢٩) ذلك ، وامرهم بالرجوع الى مراكزهم ، وقال : لما (٢) هذا التخلف عن هذا الكلب والله لامهلته ولا تركته ؟ وقال لعبيده ورجاله الذين بين يديه : تحركوا نحو هذا الفاسق ، وامشوا بنا اليه ، فهذا يوم الفتح ان شاء الله تعالى .

وحمل على الدجال المارق لا يريد سواه ، ولا يقصد الا اياه ، فكل من حال بينه وبينه من البربر حمل عليه فارداه (٣) ، وكر عليه بذي الفقار وقد انتضاه ، فحين دنى من الدجال وكاد ان يصل مفرق راسه بذي الفقار ، ادبر ناكصا على عقبيه ، لا يعوج شيء ،ولا يلوي الىه ، وانهزمت جيوشه اشر انهزام ، وفلقت السيوف المشرفية منهم الهام ، واخذوا بالنواحي والاقدام ، وتركوا موضع معسكرهم ، وجميع مضاربهم ، واخبيتهم ، وانفردت بنو كملان ، وكانوا حماة البربر ، واكثرهم من اجتهد مع ابن كيداد ، وصبر ، فوقفوا على شمال معسكرهم على (٥٣٠) رابية من الارض ، وخاف الاولياء ان تكون تلك مكيدة من العدو ، وان يكون لهم كمين في المضارب والفازات ، فاجتمعوا الى الامام عليه السلام ، وقالوا : لا نأمن أن تكون للقوم مكيدة ، وان ينصبوا (٤) لنا في معسكرهم كمينا ، فمتى توسطناه ظهروا علينا ، وافضل الراي ما اقتبس من عندك ، فما الذي تأمر به عبيدك ، واولياءك ، وجميع

---

(١) طالبا : قاصدا في ج

(٢) لما : كم في ج .

(٣) فارداه : فرداه في ج

(٤) ينصبوا : تخبوا في ج

جندك ؟ فقال عليه السلام : انا اقف بمن معي ناحية ، وتدخل طائفة منكم الى الاخبية ، فاني ما دمت قائما فان القوم لا يرجعون الى اخبيتهم ، ولا يعوجون عن ادبارهم وهزيمتهم ، فان عادوا شددت عليهم ، واعدت ما القوه من الحملات اليهم ، وان نصبوا لكم كمينا كنت لكم حصنا (١) ترجعون اليه ، وفيئة تحيزون اليها ، وتفيئون نحوها . فاستصوبوا رايه عليه السلام ، وقالوا : وفق الله مولانا وسدده ، فلقد هداه الى (٥٣١) الصواب ، وأرشده.

ودخلوا الاخبية فقتلوا من وجدوا فيها من الرجال ، وحازوا ما فيها من الغنائم العظيمة ، والاموال ، وولت بنو كملان عند ذلك منهزمين ، والسيوف تأخذهم ضربا للاعناق ، وجزا منهم لكل وتين ، وسجد الامام عليه السلام ، وهو راكب على فرسه ، ورجع الى خندقه ، وهو يكثر من حمد الله تعالى ، وشكره على ما اولاه من فتحه ونصره ، ونادى مناديه عليه السلام ، من اتى براس فله ربع دينار ، يحرض الصبيان على جز رؤوسهم وامر عليه السلام ، بعدما حصي (٢) من الرؤوس ، فزادت على عشرة الاف راس ، وامكن الله من المارقين الارجاس ، واراح من بغيهم وعتوهم الناس ، وانصرف الدجال فيمن بقي معه هاربين من جهات افريقية ، متوغلين في الفرار ، خيفة (٣) الجنود المنصورية .

ولما اصبح الامام عليه السلام ، من ليلة الفتح يوم الجمعة ، اخرج احمالا (٥٣٢) من الدنانير والدراهم كثيرة ، فتصدق بها ، وفرقها في الفقراء والمساكين ، وذوي الحاجات من المسلمين . وتولى تفريقها في القيروان قاضي الأمام عليه السلام ، وهو محمد بن ابي المنصور رحمة الله عليه ، وغيره من صلحاء (٤) البلد .

وامر الامام عليه السلام ، جعفر بن علي ، عبد مولى جده المهدي بالله عليه السلام ، الى جامع (٥) القيروان ، فصلى الجمعة ، واقام الخطبة ، فحمد الله ، واثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وعلى

---

(١) حصنا : ردء في ج
(٢) حصي : حصل في ج
(٣) خيفة : لخيفة في ج
(٤) صلحاء : صلح في ج
(٥) جامع : جوامع في ج

وصيه ، والائمة الطاهرين من ذريته ، وكثر من حمد الله وشكره ، على ما فتح لاوليائه من النصر ، واحل باعدائه (١) من المذلة والقهر ، وما كشف الله به من أهل الاسلام ، الخاص منهم والعام ، من البلاء (٢) والمحنة ، وما صاروا اليه من السلامة والامنة .

ثم قال : معاشر الناس ، مولانا وسيدنا الامير اسماعيل المنصور بالله اطال الله بقاءه ، يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم : قد علم الله سبحانه حسن نيتي فيكم ، وما اضمره من (٥٣٣) الخير لكم ، وما احبه من صلاح أموركم ، وما أجده في نفسي من الغم لما حل بكم من البلاء ، وما نزل بكم من الفقر ، وذهاب الانفس والاموال ، وأن لي آمالا كثيرة حسنة اوملها فيكم ، ما منعني (٣) عن اظهارها ، الا كون هذا العدو بحذائي ، ومحاربتي لـه ، وما كان من هذه الوقائع بيني وبينه ، فلو كنا أظهرنا ما كنا نؤمله من الاحسان اليكم قبل الظفر لقال الجهال انما فعل ذلك استمالة لقلوب الرعية ، وخوفا من العدو . فلما كان من الله علينا ما علمتموه (٤) ومن نصره لنا ما رايتموه ، وفتح الله لنا على عدوه بمنه وطوله : أردنا أن نقابل منة الله جل وعلا علينا بالشكر له عز وجل ، والاحسان الى عباده ، والرفق بخلقه ، وأن نظهر بعض ما نويناه فيكم ، اذ كان اظهاره في وقت الفتح أولى ، واشبه منه قبل ذلك ، للوجه الذي ذكرناه فقد ترك لكم الامير أعزه الله ما يجب عليكم في هذه السنة الاتية ، وفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، (٣٣٤) من العشر والصدقة ، وجميع اللوازم ، وفعل ذلك بجميع الناس مسلمهم وذميهم ، رفقا بهم ، على عمارة ارضهم ، وبواديهم ، فليبلغ الشاهد الغائب ، وليرجع كل بدوي منكم الى باديته ، بلا مزرية عليه ، ولا كلفة .

ثم انه لا يؤخذ منهم في اقبال السنين الا العشر والصدقة ، الطعام من الطعام ، والشاة من الغنم ، والثور من البقر ، والبعير من الابل ، على فرائض الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم بعد

---

(١) باعدائه : بالعدو في ج (٢) البلاء : البلي في ب

(٣) ما منعني : مانعي في د (٤) علمتموه : علوتوه في ج

ذلك يساق اليكم من الاحسان ، واظهار (١) العدل ، واحياء الحق ، واماتة الباطل ، ما تعظم به ومنة الله عز وجل عليكم ، وتعرفوا بركة ايامي ، ويمن دولتي ، ان شاء الله تعالى ..

فكبر الناس عند ذلك ، وفرحوا بما سمعوا ، وارتفعت اصواتهم بالبكاء ، والتضرع (٢) الى الله عز وجل في بقاء الامام المنصور ، وان يجعل عدوه ، وعدو الائمة المذلول المقهور ، واستبشروا بما اظهر لهم الامام صلى الله عليه ، من عدله ، وما انعم الله به عليهم ، من (٥٣٥) فضله .

وكتب الامام المنصور بالله صلوات الله عليه كتابا الى المهدية ، وامر عبده وعبد آبائه الطاهرين جوذر الاستاذ ان يقراه على المنبر في المهدية ، وجعل عنوانه ولفظه (٣) الى امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، وقدس روحه ، ورضي الله عنه ، وعلى ذلك كان يكاتب عبده جوذر ، وكان جوذر يكتب اليه باسم امير المؤمنين القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، مما نشرحه اذا انتهينا اليه بعون الله سبحانه ومنه ، وهذه نسخة الكتاب بعد البسملة ، والصلاة على النبي ، وعلى آله (٤) :

الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله والله اكبر ، ولله الحمد ، الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ، ومننه التي لا تجارى ، لا اله الا الله ، والله اكبر تكبير ولي عهد المسلمين ، سيف امير المؤمنين ، ناصر الدين ، شكرا لنعمته (٥) رب العالمين ، يا وارث النبيين ، يا سيد المسلمين ، يا خليفة رب العالمين ، يا خير الخلق أجمعين ، يا ولي رب العالمين ، اليوم (٥٣٦) اعز الله دين جدك محمد رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله ، وسنته وامته ، وأدعم به أركان الدين ، واظهر برهان امير المؤمنين وافلج (٦) حجته ، واعلا كلمته ونصر حزبه ، اليوم فتحت مشارق الارض ومغاربها ، اليوم ازداد الحق ضياء وعلاء وسناء . الحمد لله رب

---

(١) واظهار : وظهور في ج (٢) والتضرع : والضرع في ج
(٣) لفظه : لفظاته في ج
(٤) ورد نص الكتاب في سيرة جوذر صفحة ٣٧ مخطوطة .
(٥) لنعمته : لنعمه في ج (٦) وافلج : وافلج في ج

العالمين الذي نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، والله يا سيدنا ومولانا امير المؤمنين ، ما سمع من عهد جدك المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله بيوم كان أعز نصرا وتأييدا وظفرا وقهرا منه ، بعد أن عاند الفسقة الفجرة الكفرة (١) عناد من أيقن بالموت واستبسل ، وناصب وعاند ، فأبى الله عز وجل الا اتمام نوره واعلاء كلمته على كره الكافرين ورغم الراغمين . جملة ما ابشر به سيدنا ومولانا امير المؤمنين ان قتلاهم غطت الارض وامتلأ العسكر المنصور من غنائمهم ، وكذلك مدينة (٢) القيروان ، وما عجز الاولياء عن حمله واستثقلوه أطلقت عليه النار (٥٣٧) فأحرقته ، واستولينا على مناخ اللعين بما فيه من قليل وكثير ، فقتل فيه ما لا يحصى ، سوى من قتل في المعركة ، وليس (احصاء قتلاهم) (٣) سبيل لكثرتهم ، وكان اللعين قد صابر وحامى فقصدته بنفسي ، فأخذته السيوف والرماح بين يدي ، وان كان قد هرب بحشاشة نفسه فهو أسير يومه او غده ، وأنا راحل ، في ليلتي هذه بعد نصف الليل أو في السحر) (٤) في اثره لاشق البلاد طولا وعرضا ، أطأ ديار الفاسقين ، وامحو بسيفك آثارهم بحول الله وقوته ، وعزه ونصره ، وقد بعثت بكتابي هذا الى امير المؤمنين مولانا وسيدنا (٥) .

وكان الاولياء قد اجتمعوا الى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، وهو في الخندق أيام عسكره ، وقوة عدوه الدجال ، وعظيم منكره ، وسألوه عليه السلام أن يكتب الى الكتاميين الذين بقسطيلية مع الحسن بن علي ، وغيرهم من سائر كتامة ، يأمرهم بالقدوم عليه ، فكتب الامام عليه السلام ، في شهر ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين ، ما هذا نصه (٦) :

---

(١) الكفرة : سقطت في ج (٢) مدينة : سقطت في ب

(٣) احصاء قتلاهم : احصائهم عن قتل في ج

(٤) في ليلتي هذه بعد نصف الليل أو في السحر : سقطت في ج

(٥) وتتمة الكتاب نقلناها عن سيرة جوذر وهي ما يلي : مع ثلاثة من عبيده ممن شهد الوقعة الميمونة تحت ركابي ليشافهوا امير المؤمنين صلى الله عليه بما شاهدوه ، وان كان وصف النعمة معييا وشكرها معجزا . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين . وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وثلاثين وثلثمائة . سيرة جوذر صفحة ٣٨ .

(٦) نصه : فصه في ج

بسم الله الرحمن الرحيم (٥٣٨)

من الامير اسماعيل ولي عهد المسلمين ، ابن أمير المؤمنين ، الى كافة كتامة (١) ، سلام على من اتبع الهدى ، وأثر الاخرة على الاولى ، فانا محمد الله الذي لا اله الا هو ، ونسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله ، وعلى عترته الابرار ، الطيبين الاخيار ، اما بعد .

فان كتابنا هذا اليكم ، بعد نزولنا بالقيروان ، بجيوشنا المنصورة من أوليائنا ، وعبيدنا ، وقد أعز الله نصرنا ، وأتم وعده لنا ، وأعز أوليائه ، واذل اعدائنا ، واظفرنا ، ومكن لنا البلاد ، وقمع بنا جميع العباد ، طوعا وكرها ، والمنة والشكر لله رب العالمين .

وقد تتابعت اليكم معاشر كتامة كتبنا ورسلنا ، نحضكم على ما فيه رضى سيدكم ومولاكم ، ومولانا وسيدنا ، أمير المؤمنين ، المقرون رضاه برضى الله رب العالمين ، فتربعتم (٢) ، وتثاقلتم الى الارض ، ورضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة ، وبالعاجلة من الاجلة ، فعل الذين أحمتهم الدنيا ، واعمتهم ، ولا يعرفون معروفا فيبصرونه ، ولا منكر فيعرفونه (٥٣٩) تبذلون أنفسكم وأموالكم على حمية الجاهلية ، التي معها خسران الدنيا والاخرة ، وقد اعرضتم عن الجهاد ، الذي امركم الله به (٣) توبة وصفحا ، وزهدتم في الثواب ، وأمنتم العقاب ، كأنكم لم تسمعوا وعد الله تعالى ووعيده ، ولا تليت عليكم آياته ، ولا قامت عليكم حجته ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، رضيتم بالعار فهل لكم صبر على النار ، واعلموا اني لا أكتب اليكم كتابا بعد هذا ، واني لم اكتب اليكم هذا الكتاب الا بسؤال من قبلنا من أوليائنا الذين جاهدوا ، وصبروا ، والحاحهم وتضرعهم (٤) ، وطلبهم منا الاعذار اليكم ، وتأكيد الحجة عليكم ، رجاء منهم أن تنيبوا الى ربكم ، وتراجعوا التوبة التي هي أولى بكم وتسارعوا الى قضاء ما افترضه الله عليكم ، من الجهاد الذي (٥) فيه تمحيص الذنوب

---

(١) كتامة : سقطت في ب
(٢) فتربعتم : سقطت في ج
(٣) به : سقطت في ج
(٤) وتضرعهم : وضرعهم في ج
(٥) الذي : سقطت في ج

ومحو العيوب ، وتفرج الكروب ، وانفذنا مع كتابنا هذا رجالا تاكيدا للحجة عليكم ، وقطعا لمعاذيركم ، فان تتوبوا وتنيبوا تجدوا (٥٤٠) الله توابا رحيما ، وان تتولوا يقن الله عنكم ، ويستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ، والسلام على من اتبع الهدى ، وآثر الاخرة على الاولى ، وكتب يوم الاربعاء لليلة بقيت من ذي القعدة ، سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم .

وأنفذ الامام عليه السلام ، هذا الكتاب مع نذير بن محمد الكنامي ، ومع جماعة من الكتاميين ، وسير معهم جماعة من العبيد ، وقدم على العبيد عبد الله بن جبر . فلما وصل الكتاب الى كتامة تحركوا مع الحسن بن علي في جيوش وتواردوا (١) الى قسنطيلية من بلاد كتامة . وسار الحسن بن علي في جيوش عظيمة من كتامة ، فاخذ على قصر الافريقي مملكه ، ثم على مدينة باجة فملكها ، وقتل عامل ابي يزيد فيها ، ثم اتى الى تونس ، ووافى الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، بعد هرب الدجال عن الجزيرة ، وكان قدوم الحسن (٥٤١) بن علي في شهر المحرم اول سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة في جيوشه ، وعساكره ، والامام عليه السلام ، بالمنبع ، وحمدوا الله بعد تلك الظلمة على طلوع الفجر ، وانارة النصر ، وأتاح الله له من الظلمة على اعدائه والقهر ، فهنا والامام عليه السلام ، بالفتح ، وحمدوا الله بعد تلك الظلمة على طلوع الفجر ، وانارة الصبح ، وفي يوم وصول الحسن بن علي خرج الامام عليه السلام ، الى مدينة جلولا ، فوافاها وقد أجلى أهلها وخربها (٢) الدجال والبربر اللعناء ، فدفع الى أهلها عشرة الاف درهم ، وأمرهم ببنائها .

وكان عبد الرحمن بن محمد الاموي صاحب الاندلس ، قد جرت بينه وبين الدجال مخلد بن كيداد مكاتبة ومراسلة ، واراد عبد الرحمن ان يمد مخلد بن كيداد بما جبل هو وآباؤه عليه ، من عداوة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى اله ، فأخرج اسطولا فيه عسكر كثيف وسلاح (٥٤٢) وعدة ، واموال جمة ، وولى عليهم رجلا من عماله ، يقال له : محمد بن

---

(١) وتواردوا : وتوارد اليه في ج (٢) وخربها : واخربها في ج

رناجس ، وكان عاملا بمدينة مجانة ، وقبل ذلك كانت له تجارة ، وكان يختلف في الاندلس ، فأطال محمد بن رناجس الاعتذار ، فزجره الاموي ، ولم يعذره عن الخروج ، فركب من المرية ، وهي من اعمال (١) بني أمية ، وكان كاتب عبد الرحمن قد سبق اليها لاصلاح (٢) ما فيها من المراكب ، فلما وصل اليها ابن رناجس ، ودخل عليه الشتاء ، شتا بها في سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة. ثم وصل منها ودخل الى حائط فوبة ، فاتصل به هزيمة أبي يزيد ، وغلبة المنصور بالله صلوات الله عليه له ، فكر راجعا الى ناحية تنس ، ثم الى الاندلس ، وأخذته في البحر أهوال عظيمة ، وغرقت اكثر مراكبه ، وغرق ما بها من الرجال والعدة ، وخلص بنفسه .

ولما كان ما كان من هزيمة الدجال مخلد بن كيداد عن اعمال أفريقية ، وتوليه يروم نجاة نفسه ، لا يلوي على الرجوع ، بقلب و (٣) (٥) لانية ، قد التى الله الرعب في قلبه ، ونصر وليه ، ومن كان من حزبه ، وخلت من ظلمته تلك الاعمال ، وزال الخوف من اهلها ، وانالهم الله بوليه الاوطار والآمال ، فأمن سربهم ، وصفا شربهم ، ونجاهم الله مما كانوا فيه ، مولاهم وربهم ، وأخذ الامام المنصور بالله سلام الله عليه ، اهبة السفر ، واستعد للخروج في طلب عدو الله مخلد بن كيداد ، عدة (٣) من استسلم لله ربه ، وصبر وايقن بما وعده الله سبحانه ، من النصر والظفر ، فأقام في خندقه باقي المحرم ، وشهر صفر ، وأمر بعمارة مدينة في ذلك المكان ، وسماها المنصورية ، وأمر باحكام سورها ، ورفع بنيانها ، واستخلف على المنصورية والقيروان ، غلامه قدام الصقلي (٤) وامره أن يأخذ في عمارة المنصورية ، وأن لا يستكن (٥) .

ونهض عليه السلام ، بعد عشرين يوما مضت من ربيع الاول ، طالبا رضى الله تعالى في اتباع مخلد اللعين ، حيث قصد ، ونزل ... قد اجتمع ( ) ٥٤١ ؛ للمنصور بالله عليه السلام ، من العساكر ما لا يحصى عددها ، وكملت ... العدو واسلحتها وعددها ، وحين فصل الامام عليه السلام ، ...

---

(١) اعمال : عمل في ج
(٢) لا صلاح : باصلاح في ج
(٣) عدة : عودة في ج
(٤) الصقلي : الصقلابي في ج
(٥) يستكن : يسني في ج

المنصورية بعساكره ، امر مناديه فنادي من عزم على صحبتنا والخروج للجهاد معنا ، وكان ذا جبن عند اللقاء ، وفشل عن مصادقة الاعداء ، فليرجع الى وطنه ، ولا يعدم موضعه ، وهو منا في حل وسعة ، وحرام على من صحبنا ، وفي نفسه شيء مما ذكرنا على المسير معنا ، فرجع كثير من الناس حين سمعوا ذلك النداء ، ولم يخرج الا من قد وطد (١) نفسه على الصبر عند اللقاء . ووصله رسول ملك الروم مستخبرا عن امر المملكة حين بلغه أنها قد ذهبت ، واستولت البربر عليها ، وتغلبت . فأمر الامام عليه السلام . بالرسول ان يدخل اليه . وصرفه سلام الله عليه بعد أن اضفا الفامه عليه ، وانتهى الامام عليه السلام ، الى مدينة سبيبة . فاقام بها يومين حتى اتته القبائل من حولها ، من عنين ، ووفدوا (٥٤٥) اليه ، داخلين في طاعته ، وعليه مسلمين .

ورحل عليه السلام ، من مدينة سبيبة ، لخمس خلون من ربيع الاخر ، فنزل حد مرماجنة ، في موضع يعرف ببني سعيد ، وكان بها رجل من عمال الدجال ابي يزيد يقال له : مسنويه بن بكر ، في جمع كثيف ، فلما اتصل به قرب الامام عليه السلام ، هرب على وجهه موليا ، ونجا (٢) بنفسه خائفا . وجلا . فلما وصل الى ابي يزيد ، عمل ابو يزيد على ان يقصد باغاية ، قبل وصول (٣) الامام عليه السلام ، وان يبادرها . ورجا أن يتحصن بها ، ان غلب عليها ، فيامن من عساكر الامام ، وطلبها ان لجأ اليها ، وتعزز بها . وبلغ الامام عليه السلام مصيره الى حاضرة باغاية ، وهو في قلعة مجانة . فاسرع عليه السلام ، مبادرة الدجال متوكلا على الله عز وجل ، في نصره مخلصا له في الابتهال ، فحين سمع الدجال بدنوه منه ، نجا هاربا بمن معه ، (٥٤٦) لا يلوي على شيء ، وبطل ما كان اضمره من الغلبة على باغاية ، وخرج أهل باغاية الى لقاء الامام عليه السلام ، فسلموا عليه ، ودعوا له ، واستبشروا به ، وحمدوا الله تعالى على ما من الله به عليهم من النظر الى شريف طلعته ، وعرفوه ان اللعين كان محاصرا لهم ، وانه نجا

---

(١) وطد : وطن في ج
(٢) ونجا : ونجي في ج.
(٣) وصول : وصل في ج

بنفسه حين دنت منه عساكر الامام ، واسلم اخبيته ، وجميع ما فيها من رقيق (١) وكراع ، ومتاع ، وغير ذلك ، من الطعام والانعام ، فهناهم صلى الله عليه بما غنموه ، واكثر من حمد الله تعالى وشكره ، وسجد على عرف جواده ، وخرج اليه من اهل باغاية الصغير والكبير فرحا وابتهاجا برؤيته . فلاذوا به ، وازدحموا حول جواده ، واكثروا من التهليل والتكبير . والدعاء والابتهال الى الله تعالى بطول بقاء الامام وعزه ، ودوام سعده ، ونصره ، ودفعهم الحجاب عنه ، فنهاهم عن ذلك ، وآنسهم وقربهم ، وجعلوا يشكون اليه أحوالهم ، وما اصابهم من أعداء الله المارقين ونالهم ، وعيناه تجريان بالدموع (٥٤٧) اشفاقا عليهم ، ورحمة لهم .

ونزل صلى الله عليه في غربي المدينة ، واقام بها ثلاثة أيام ، وامر لاهل باغاية بأموال جمة ، ففرقت على ضعفائهم ، وذوي الحاجة منهم ، واتى الامام عليه السلام ، كتاب محمد بن خزر (٢) أمير البربر يصف ما هو عليه من الموالاة والطاعة ، ويسأله الامان ، وارسل الى الامام عليه السلام ، صهره بياضة بن خالون ، ومحمد بن فضل ، وهو من بعض أقربائه ، فأجابه الامام عليه السلام ، يعده الجميل ، ويأمره بالحيلة في امر الدجال والظفر (٣) به بقتل ، أو اسر ، وقال له : انك ان فعلت ذلك ، وظفرت به ، حتى تأتينا به اسيرا ، او براسه محمولا ، كان لك عندنا عشرون حملا دنانير ، تقبضها منا ساعة ايصاله الينا ، فقد جعلنا بذلك على انفسنا يمينا مؤكدة ، لا يسعنا الا الوفاء بها ، لمن اتى به اسيرا او براسه ، كائنا من كان من الناس . فاجهد نفسك في ذلك ، واغتنممجدا اتاحه الله لك ، وفخرا ساقه اليك ، بالبدار اليه ، و (٥٤٨) المسابقة نحوه ، تكن الحظي السعيد ، والمغبوط الرشيد ، فاعلم ذلك ، واعمل حسبه (٤) ، أن شاء الله تعالى .

ثم اتصل بالامام المنصور بالله عليه السلام ، أن أبا يزيد الدجال اخذ الى ناحية طبنة (٥) ، ولا يدري أين توجه . فرحل صلى الله عليه من باغاية يوم الاربعاء لعشر بقين من ربيع الاخر ، حتى انتهى الى مدينة نقاوس ،فخرج

---

(١) رقيق : رقاق في ج
(٢) محمد بن خزر الزناتي
(٣) والظفر : والظفار في ج
(٤) حسبه : حسه في ج
(٥) طبنة : طنبة في ج

منها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الاخر ، وقد لبس درعا سابريا ، ومغفرا ، وأخذ بيده درقة ، وأمر الناس أن يسيروا على تعبئة الحرب ، وقد اتاه الخبر أن ابا يزيد محاصر لطبنة ؛ فحين سمع مخلد طبول الامام عليه السلام ، رحل بمن معه الى ناحية الرمال ، ووصل الامام عليه السلام الى مدينة طبنة فتلقاه اهلها جذلين مسرورين ؛ حامدين لله تعالى ، على ما صرف عنهم من شر المارقين ، مستبشرين . فأقام بمدينة طبنة (١) ثلاثة ايام ، ووافاه بها جماعة من وجوه كتامة ، فأمرهم باحضار سبعين الف (٥٤٩) فارس ، وثلاثين الف راجل ، على ما ذكره ابو بصير صاحب السير ، ووجه وجوه كتامة ورؤساءهم في الحشد لهم ، ولحوقهم بالامام عليه السلام ، حيث كان من البلاد .

وسار عليه السلام ، من مدينة طبنة (٢) يوم السبت لليلتين خلتا من جمادي الاولى ، يريد الى يشكرة في اثر الدجال ، فنزل مدينة قسطيلية ، وأقام بها يوم الاحد وافاه بها جعفر بن يعلى بن حمدون عامل المسيلة ، بهدايا من الخيل والابل وغيرها ، واتى معه بثائر ثار في جبل اوراس ، وتسمى بالناصر لدين الله ، ادعى النبوة ، واتى بمخارق (٣) كثيرة ، والوان عجيبة ، استمال بها العامة ، فعمل جعفر الحيلة حتى أخذه اسيرا ، وجاء (٤) به الى الامام عليه السلام ، بعد أن كان عنده محبوسا ، فأمر الامام ان يشهر ويطاف به على جمل ، ثم امره بضرب عنقه وصلبه .

ورحل عليه السلام ، يوم الاثنين لاربع خلون من جمادي الاولى ، فنزل بقرية يشكرة ، واتى الامام عليه السلام الخبر (٥٥٠) ان الدجال سلك الفيافي ، والقفار ، والرمال ، وانتهى الى سالات (٥) ، وهو جبل منيع رفيع ، وفيه قبائل من البربر على مذهبه ، خوارج اباضية ، فأراد الامام عليه السلام ، حين بلغه خبر المارق ، أن يسلك اثره ، ويمعن حيث توجه في طلبه ، فاجتمع اليه الادلاء ، واهل البلد ، وذو المعرفة بالطرق ، وعرفوه

---

(١) طبنة : طنبة في ج
(٢) طبنة : طنبة في ج
(٣) بمخارق : بمخارقة في ج
(٤) وجاء : واتى في ج
(٥) سالات : برزال في ابن الاثير

ان هــذه الطريــق لــم يسلكهــا أحد قــط من العسكــر ، وانـــــه لا يسلكها الفــارس الواحد الا مخاطـــرا ، لعدم الماء والكلأ وانه ما حمل مخلد على سلوكها الا شدة الخوف ، وبغض الحيــاة ، فأقام الامام عليه السلام . بيشكرة اربعة ايام ، ورحل منها يوم السبت لسبع خلون من جمادي الاولى، راجعا الى طبنة وقتل في طريقه جماعة (١) من البربر ، يقال لهم سرواتـــة ، كانوا معاضدين للخارجي مخلد بن كيداد المارق ، ووصل الى مدينة طبنة (٢) فأقام بها يومين ، وسار منها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى ، قاصدا الدجال حيث كان (٥٥١) من الاوعار ، والجبال

وكان الدجال المارق حين انتهى الى جبل سالات مع من (٣) بقي معه من اصحابه ، واجتمع اليه بنو نزوال ، وغيرهم من البربر الخوارج ، وصاروا على طريق الامام عليه السلام ، فعملوا على ان يبيتوا عسكر الامام ، وقــد بات بموضع يقال له مقبرة (٤) ، فلم يتهيأ لهم ذلك ، فكمن الدجال مع اصحابه بين تلك الجبال ، والاوعار ، في موضع يعرف بعين السودان ، معتصمـــا بالوعور متحصنا بها ، وقد سولت له نفسه ، ان يهتبل في عسكر الامام عليه السلام الغرة ، فتكون عليهم الكرة ، فلما طلعت الشمس تراءت خيل العدو ، وتصايح الناس بهم ، واتصل الصياح بالامام عليه السلام ، فأمر من ساعته بحط الرحال ، وضرب المضارب والاخبية ، في ذلك المكان ، في قطعة مــن الارض قد حفرت حولها السيول ، ومرت عليها الحؤول ، فصار عليهـــا بصنـــع الله جل وعلا خندق محفور ، لم يكن له الا مسلك واحد ، ولبــس الامام عليه السلام ، (٥٥٢) درعا ، وشد وسطه بمنطقه ، وارخى لعمامته ذوابة ، تزيد على الذراع ، تقــع على منكبه الايمن ، واخذ بيده درقـــة ، وتناول رمحا فنهزه ، ثم رمى به ، واخذ ذو الفقار سيف جده صلوات اللـــه عليه ، وقال : ليس هذا يوم رمح ، ولكنه يوم ضرب ، وجلاء . وعبأ عساكره، فجعل في الميمنة جيلة ، ولهيصة ، مـــن قبائـــل كتامة ، وجعفر بن يعلى بن حمدون صاحب المسيلـــة ، والحق بهم بشـــرى الخادم ، بعـــد ذلـــك ،

---

(١) جماعة : قبيلا في ج
(٢) طبنة : طانبة في ج
(٣) مع من : ممن في ج
(٤) مقبرة : مقرة في ج

وجعل في الميسرة ملوسة ، واجانة ، من قبائل كتامة ايضا ، وجعل معــه في القلب خاصة الاولياء من كتامة ، والعبيد ، وعسكر البرقيين ، وجعل طائفة من رجال الجزيرة وجندها في ظهر الميمنة ، وأعطاهم بندا ، وطبلا ، وأمرهم بالقيام بمركزهم ، حتى يرد أمره عليهم ، وجعل (١) طائفة منهم ايضا بالميسرة، واعطاهم بندا وطبلا ، وأمرهــم بالوقــوف ايضا حتــى يــرد امــره عليهــم .

واقبل يسير من الميمنة الى الميسرة ، يعدل الصفوف ، و (٥٥٣) يوصيهم بالصبر على الجلاد ، ويعدهم بما أعد الله للباذلين أنفسهم في الجهاد ، وهو كالاسد الباسل ، والهزبر المنازل ، قد عرف كل شجاعتــه ، وصبره (٢) ، ورجا من الله امداده ، ونصره ، وفرق السلاح في الناس ، والتحم القتال . واقبل ابو يزيد الدجال في خيول مجردة مختارة ، وقــد ازداد في الطغيان ، ومنته نفسه الغلبة ، ونفث في روعه بذلك الشيطان ، وذلك لكثرة من معه ، واعتصامه بتلك الاوعار ، والجبال ، وكل من بها انصاره على دينه ، ومذهبه؛ ووقف اللعين على تل مشرف على الفريقين جميعا ، ينظر القتال ، ويسد مــا يرى به من الخلل من عسكره بالخيل والرجال ، ثم أرسل طائفة ممن معــه قد انتقاها واختارها ، فحملوا على ميمنة أصحاب الامام عليه السلام ، الى ان جاوزوه الى المركز الذي يظهر (٣) الامام عليه السلام فيه (٤)، فوقفــوا بمركزهم ، وقتل من الاولياء في تلك الحملة حبيب بن محمد الجيملي رحمةالله عليه ، ووجه الامام (٥٥٤) عليه السلام ، كتيبة من قبله ، فالتقت الميمنــة حين هزيمتها ، وقوت أمرها ، فحين رأى ابن كيداد ثبات الميمنة ، وجه الى أصحابه أن يميلوا الى قتال أصحاب الميسرة بالقتال فهزموهم ، واستشهــد أبو الغارات بن تنوط الملوسي ، وحســن بن واصل الملوسي ، ومصالة بن عطــاء الله الارجانـــي ، رحمة الله عليهــم ، فغضب الامام عليه السلام ، عند ذلك ونظر الى موضع أبي يزيد فقصد اليه في الكتيبة التي معه ، لا يلتوي ميمنة ولا ميسرة ، وقد كساه الله جل جلاله الهيبة ، والجلالــة ، والقــى

---

(١) وجعل : سقطت في ج
(٢) وصبره : صبره في ج
(٣) يظهر : ظاهر في ج
(٤) فيه : بهم في ج

الرعب في قلوب أعدائه ، وجعل النصر والظفر أمام لوائه ، فلما راى الدجال المارق وأصحابه الامام عليه السلام ، قد قصد نحوهم ، واقبل عليهم ، ولوا بين يديه منهزمين ، على الاعقاب ناكسين ، وتمادى الامام عليه السلام ، ومن معه في طلبهم ، وعملت السيوف فيهم ، فقتلوا قتلا ذريعا ، وكان الامام عليه السلام ، يحمل عليهم منتضيا ذو الفقار ، فيهد كتائبهم ، ولا تنجيهم منه (٥٥٥) المسالك الضيقة ، والاوعار .

وقد أتى عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال : قال الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه : سمعت المنصور بالله قدس الله روحه وصلوات الله عليه ، يقول : ما انتضيت ذو الفقار الا انهزم العدو بين بدي ، اذا انتضيته ، فقال (احد الذين حضروا) (١) المجلس ، وكان شهد مع المنصور بالله صلوات الله عليه : والله لقد رأيناه يوم الخصوص ، وكان يوما شديدا ، وقد اخذ العدو علينا مضائق الجبال، (وأحدق بنا واحاط من) (٢) كل جانب ، وهو بيننا صلى الله عليه وعلى آله بتقدمنا (٣) وهذا السيف في يده ، وقد انتضاه ، فاذا رفع يده به ، وحمل على ناحية من نواحي العدو ، انهزموا بين يديه ، كانما غشيتهم الصاعقة من السماء . وقاتل الناس بين يدي الامام عليه السلام ، قتالا شديدا ، وتحصن الدجال بقلعة عقار ، واعتصم بها ، فحين دخل الليل هرب على وجهه الى جبل سالات ، و (٥٥٦) نهب الاولياء أخبيته ومضاربه ، ورجع الامام عليه السلام ، الى مضاربه عند صلاة العتمة ، بالمشاعل ، مؤيدا ، منصورا ، مظفرا ، محبورا .

ورحل الامام عليه السلام ، في غد ذلك اليوم ، وهو يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى ، فنزل بالمسيلة ، واستقبله أهلها ، فدعوا له ، وأثنوا عليه ، وأخبروه ان ابا يزيد جاز بهم تلك الليلة ، هاربا يريد الى بني برزال بجبل سالات .

وقد على الامام عليه السلام يعقوب بن محمد بن خزر ، وهو بالمسيلة

---

(١) احد الذين حضروا : جماعة ممن حضر في ج

(٢) وأحدق بنا واحاط من : واحدقوا بنا واحاطوا من في ج

(٣) بتقدمنا : يقدمنا في ج

يوم الاربعاء لعشر بقين من جمادي الاولى ، فخلع عليه ، وحمله على جواد ، وزاده جوادا آخر ، واحسن اليه ، والى من معه ، وأمر بفازة فنصبت لـــه ، وكتب الامام عليه السلام ، بخبر ذلك الفتح . فمن كتابه الى قدام الخـــادم عامله على المنصورية والقيروان ، قوله صلوات الله عليه : ثم انا نهضنـــا من طبنة يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادي (٥٥٧) الاولـــى . فنزلنا بموضع يعرف بمقبرة (١) ، ورحلنا منها ليلا حتى اذا اصبحنا وطلعت الشمس ، تراءت لطلائعنا خيل على طريقنا ، واتصل الصريخ بنا . وأن الفاسق نزل بموضع يعرف بعين السودان ، يهتبل غرة في ساقة عساكرنا ، ولن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا ، فلما ابصرهم اولياء الدولة ، وانصار الدعوة ، تتابعوا اليهم ، وصاروا (٢) نحوهم كالليوث الضارية ، والسيوف الماضية . متهافتين اليهم ، مستنصرين عليهم بالله عز وجل ، واثقين بجميل عاداته فيهم . فأمرنا بنصب الفازات بصددهم ، وتعبئة الجيوش المؤيدة اليهم ، وقصدنـــا قصدهم ، وصمدنا نحوهم ، وقد اجتمعوا وتألبوا ، وتحاشدوا ، وتظافروا ، واصروا ، واستكبروا ، وانضم اليهم من كان بازاءهم في تلك البقاع ، مـــن هوارة (٣) ، ومن بني نزوال الفسقة الارذال ، مظافرين لهم على كفرهم ، مصرين مستبسلين ، لا يرجون من الله (٥٥٨) ثوابا ، ولا يخشون عقابـــا ، فلزموا مصافهم ، وركنوا الى تلك البقاع ، ولاذوا بوعورها ، وتحرزو بقربها ، ولا عاصم لهم من الله ، وظهرت علامات النصر فيهم ، وتباشير الظفر ، فرجعنا اليهم وزلفنا لديهم ، واقتحم الاولياء عليهم ببصائر نافذة ، وعزائم مستحكمة ، والتحم القتال ، وتعلق الرجال بالرجال ، وقامت الحرب على ساق ، وسطع قتامها ، وتوقد (٤) ضرامها ، ودارت الحرب على قطبها ، فـــلا تسمـــع الا طنين الظبى ، ولفح الطلى ، ووخز القنا ، فجالدهم الاولياء اشد جـــلاد ، وقاتلوهم ، اصعب قتال ، من وقت الضحى الى وقت صلاة العصر ، ومنح (٥) الله عز وجل الاولياء الصبر ، ورزقهم النصر ، واسلم حزب الشيطان واولياء الطاغوت الى ذنوبهم ، والقى الرعب في قلوبهم ، وضرب في وجوههم ، فحملنا

---

(١) بمقبرة : بمقرة في ج

(٢) وصاروا : وصيروا في ج

(٣) هواره : هوازة في ج

(٤) وتوقد : اتقد في ج

(٥) ومنح : وفتح في ج

عليهم حملة واحدة ، فما كان الا كحسوة الطائر، حتى ولوا منهزمين ، واخذتهم (٥٥٩) سيوف أهل الحق ، وركبهم الاولياء يعملون سيوفهم في هامهم ، ويروونها من دمائهم ، حتى اقتحموهم في تلك البقاع ، وتوغلوا بين تلك الشعاب ، وحجز الليل بيننا وبينهم .

وقتل الله تبارك وتعالى حماتهم ، وسقط (١) أكثر خيولهم ، واجتز الاولياء من رؤوس أكابرهم ووجوه ضلالهم عددا كثيرا ، أمرنا بصلبها على مدينة المسيلمة ، ولم ينج منهم ناج ، الا مثخن جراحا ، وولج الاولياء أخبيتهم، واحتووا على ما فيها ، فأضرموها نارا ، وكانت وقعة جعلهم الله تبارك وتعالى بها نكالا ، لما بين ايديهم ، وما خلفهم ، موعظة للمتقين ، وابنا الى مناخنا بجميع عساكرنا المنصورة ، وجيوشنا المظفرة ، أجمل اياب ، سالمين غانمين، مؤيدين ، مظفرين ، حامدين لله شاكرين ، بالله سبغت (٢) النعمة ، وتأكدت الحجة النية ، وانشق الصبح ، والتأم الصدع ، وخمدت ثائرة الفتنة ، (٥٦٠) وقطع دابر الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

واستشهد من الاولياء في حال المعركة من اراد الله سعادته، وتصييره الى رحمة الله ، وقرار جنته ، حبيب بن محمد الجيلي ، والمعروف بأبي الغارات ابن تنوط ، وحسن بن واصل الملوسيان ، ومصالة بن عطاء الله الارجاسي، يغفر الله لهم ، فقد بذلوا في ذات الله تعالى مهجهم ، وجاهدوا في سبيله ، وما نعلم انه سقط أحد من عساكرنا غير هؤلاء الذين عرفناك اسماءهم ، ولولا أن يرجف المرجفون لما أعلمناك بهم ، لان قليل المحنة يقل في جنب عظيم المنة ، وكان تاريخه يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وكثر الارجاف بالقيروان ، بعد هذه الوقعة ، فكتب قدام الصقلبي الى الامام عليه السلام يعرفه بخوض الناس وقولهم ، فأجابه عليه السلام بجواب يقول فيه :

قد عرفتك اني لم اركب الغرر، ولم اتجشم الخطر ، وانما (٥٦١) خرجت لوعد قديم ، من رب كريم ، لا تبديل لكلماته ، ولا خلف لوعده ، فثق

---

(١) سقط : ساقط في ب

(٢) سبغت : سوغت في ج

بذلك ترشد ، وتسعد ان شاء الله تعالى .

فقرىء هذا الفصل على المنبر بالقيروان ، فسكن الناس عن خوفهم ، وأعرضوا عن ارجافهم وقولهم ، واجتمع لمخلد الدجال جماعة الغدير (١) كثير من بني كملان ، ومن بني نزوال ، وهوارة (٢) ، وغيرهم من جموع البربر ، ومن الاباضية المارقين في جميع المغرب ، واسندوا الى كيانة ، وعتار ، وهما جبلان منيعان ، واستعدوا لبذل الانفس ، وتذاكروا صبر اسلافهم ، واقبلوا على عسكر الامام عليه السلام ، في جموع عظيمة ، فأسبل الامام عليه السلام عليه درعه ، واشتبك القتال ، وقام الحرب ، وتدانى الابطال ، ووقع الطعن والضرب ، واختلطت (٣) الصفوف ، واضطربت الابطال بالسيوف ، فانهزمت ميمنة عسكر الامام وميسرته ، فكشف عن ساعده ، وانتضى ذو الفقار سيف جده ، وتحرك (٥٦٢) فيمن معه من خلصاء المؤمنين ، وفرسان جنوده (٤) المستخدمين ، واثقا بالله تعالى ، مستسلما له في كل امر ، ونشرت الاولوية بين يديه .

وعمد مخلد بن كيداد قاصدا اليه ، فحين عاينه الدجال (٥) قاصدا نحوه ، وحمل عليه ، وأمه ، ورأى حملاته المهولة ، وصولاته المعروفة المشهورة ، نكس على عقبيه موليا ، ولجموعه وعساكره مخليا ، وادبر اصحابه بعده على الاعقاب ، وعمل فيهم كل صارم قرضاب ، فقتل (٦) وجوه الرجال ، وفرسانهم الابطال ، من بني كملان ، وبني نزوال ، وغيرهم من المارقين ، ولوا سرعا منهزمين ، وطلبهم الاولياء يقتلونهم بالسيوف ، ويسوقونهم مصارع الحتوف ، حتى حالت بينهم ظلمة (٧) الليل ، وصار ما كان في عسكر مخلد بن كيداد نهبا للاولياء ، وفيئا لهم ، واغنمهم الله جميع ما كان معهم ، من الفازات ، والاخبية ، والطعام ، والامتعة .

وعاد الامام ثاني ذلك اليوم الى الجبل ، ليتتبع (٨) من بقي فيه ، فوجده

---

(١) الغدير : سقطت في ج
(٢) هوارة : هوازة في ج
(٣) واختلطت : واختلط في ج
(٤) جنوده : سقطت في ج
(٥) الدجال : الرجال في ج
(٦) فقتل : فقاتل في ج
(٧) ظلمة : ظلام في ج
(٨) ليتتبع : ليتابع في ج

خاليا ، والقوم قد هربوا من ليلتهم ، وغاب عن الامام عليه (٥٦٣) السلام ، خبر الدجال اين سلك ، واي موضع قصد . وفي صبر الامام عليه السلام ، في ذلك اليوم وشجاعته . يقول بعض الشعراء شعرا :

يا ايها الملك الـذي عاداتــه   وطباعه الانعـام والاحسان
لك كل يوم آية لـم يأتهـا   أحـد ولـم يفخر بهـا الانسان
ولانت ذلك الفارس الاسد الذي   شهدت لـه وأقـرت الفرسـان

وفي ذلك اليوم . يقول الامام عليه السلام شعرا :

تبدلت بعد الزعفـران وطيبه   صدا الدرع من مستحكمات(١) السامري(٢)
ألم ترني بعت المقامـة بالسرى   ولين الحشا(٣) بالخيول الضوامر
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم (٥٦٤)   يثورون ثورات الاسود الخوادر
أروني فتى يعني عناني(٤) ومشهدي   اذا أوهج(٥) الوادي بوقع الحوافر
انا الطاهر المنصور من نسل أحمد   بسيفي أقد الهام تحت المغافـر

وكتب الامام المنصور بالله صلوات الله عليه واله الى ولده وولي عهده ، معد أبي تميم المعز لدين الله :

كتابي اليك من اقصى الغروب   وشوقي شديد عريض (٦) طويل
أجوب القفار وأطوي الرمـال   وأحمل نفسي على كل هول (٧)
اريد بذاك رضـاء الاله (٨)   واعزاز دولة آل الرسول
الى ان برى السير أجسامنا   وكل الركاب وتاه الدليل (٥٦٥)
فواغربتـاه وواوحشتـــاه   وفـي الله هذا قليـل قليـل
وما ضقت ذرعـا ولكنني   نهضت بقلب صبور حمول
وقد من ذو العـرش من فضله   بفتح مبين وعز جليـل

---

(١) مستحكمات : مستحصلات في ج
(٢) السامري : المسامر في ج
(٣) الحشا : الحشايا في ج
(٤) بعني عناني : يغني غنائي في ج
(٥) أوهج : ارهج في ج
(٦) شديد عريض : اليك طويل في ج
(٧) على كل هول : لهول مهول في ج
(٨) رضاء الاله : رضى خالقي في ج

وفي كل يوم مـن اللـه لـي عطاء جديد وصنع جميل

فللـه حمد علـى ما قضى وحسبي ربي ونعم الوكيل

وولى أبو يزيد بعد تلك الهزيمة لا يدري أين يحل ، واي مكان ينزل . قد عراه الخوف ، وارهبه السيف ، وضاقت عليه الارض برحبها وسعتها . وراى ان التلال العالية لا تمنعه بمنعتها .

واقام المنصور بالله عليه السلام : بالمسيلة) ٥٦٦) فلم تبق قبيلة من قبائل تلك الجهات الا ذلت ، وانقادت ، واتته طائعة ، خاضعة ، وجاءته القصاد (١) ، ووافته الوفاد ، وارتحل الامام عليه السلام ، يوم الخميس لليلة بقيت من جمادي الاولى في طلب مخلد الدجال ، بعساكره من الخيل والرجال . فبات بوادي أوبة ، وهو واد ، مر ، صالح ، وارتحل من وادي أوبة لليلة مضت (٢) من جمادي الاخر ، فسار الناس ، وقد عباهم تعبئة الحرب ، وقد لبس جيوشنا وفوقه خفتان احمر ، مثقل بالوشي ، واعتم عمامة صفراء ، فنزل في شرقي جبال سالات ، على وادي مر مالح (٣) وسار يوم الاثنين فنزل على عين عذبة ، في وسط جبال سالات . فلما علم به مخلد الدجال ، توغل هاربا على وجهه في الرمال ، واتصل ذلك بالامام فعمل على طلبه حيث كان . وقصده حيث قصد من الاوطان ، فسلك عليه السلام بجيوشه مواضع ما سلكها جيش قط ، واجتمع اليه الادلاء ، فعرفوه ان الموضع صعب سلوكه ، وأن مخلد قد ارتحل من (٥٦٧) الجبل ، حين راى عساكر الامام عليه السلام ، وولى هاربا كما يولي الهجرس ، عن الضرغام .

وبات الامام عليه السلام ، وقد بلغ الضر من العسكر مبلغا عظيما . وبلغ بهم الجهد ، وايسوا من خلاص الخيول ، فلم يكن هم كل فرد (٤) منهم غير نفسه ، وعدم العلف في ذلك المكان ، فقيل أنه بلغ ما تحتاج اليه الدابة من الشعير دينارا ونصف دينار من الذهب ، وقفيز الزيت دينارا ، وماتت اكثر الخيل ، والجمال ، ولم يكن لها ما تقتاته سوى الحلف .

---

(١) المقصاد : القصاد في ج

(٢) مضت : رضت في ج

(٣) مالح : مالح في ج

(٤) فرد : امراء في ج

واجتمع الناس الى الامام عليه السلام ، فقالوا له : ليس وراء هذا الجبل مسلك لخف ، ولا لحافر ، وانها قفار ، ورمال متصلة (١) ببلد السودان الى المشرق ، والى اقصى نهاية المغرب ، ليس بها انيس ، ولا عمران ، ولا انس ، ولا حيوان ، وان ابا يزيد لخوف السيف سلكها ، وسمح عمن لا يضن الهلاك بها ، ولا يعلم اين قصد ، ولا حيث استقر . فثنى الامام عليه السلام ، اعنة خيله ، وقصد اقرب المواضع التي فيها (٥٦٨) العمارة، وهي بلد صنهاجة ، واجتاز في طريقه على المياه المالحة ، والجبال الوعرة ، فانتهى الى كدي صنهاجة ، واصاب الناس في ذلك اليوم (٢) ثلج ، واشتد عليهم بالليل ، وتراكم على الاخبية والفازات ، حتى تكسرت اعمدتها ، على ما ذكر اهل السير ، والروايات ، وانفتح السماء بالسفح الهاطل ، وبات الامام عليه السلام ، على غير طريق بين جبلين في وعر (٣) هائل ، ورحل عليه السلام ، وتخلف كثير من الناس بين تلك الجبال في خروقها وصدوعها ، وودع بعضهم بعضا ، وهلك منهم عالم كثير في تلك الاخراق ، رحمة الله عليهم ، كل ذلك مع ولي الله في الجهاد لله في سبيله ، وفي احياء دين الله وطاعة ابن رسوله .

ووقف الامام عليه السلام ، ستة ايام بموضع (٤) يقال له حائط حمزة ، وفيه وافاه زيري بن مناد الصنهاجي ، بعساكر صنهاجة داخلا في طاعته ، متقربا الى الله تعالى بالجهاد بين (٥٦٩) يديه ، ونصرته . فخلع عليه الامام عليه السلام ، واجزل له العطايا ، والصلة ، وحمله على فرس بسرج محلى ، واكرم نزله ، وعقد له على اهل بيته ، وعشيرته ، ومن يتصل بهم من قبائل البربر ، ممن دخل في طاعته .

وانصرف زيري عن الامام عليه السلام ، محبورا ، مكرما ، شاكرا ، لما طوقه ، مفضلا منعما ، وكان صفح الامام عليه السلام عنه غاية مطلبة ، ومنتهى اربه ، فبلغ مرامه ، ورجع من عطاء الامام وتشريفه ، بالذي فاز به ،

---

(١) متصلة : موصلة في ج
(٢) اليوم : سقطت في ج
(٣) وعر : اوعار في ج
(٤) بموضع : مواضع في ج

وورد على الامام عليه السلام ، كتاب محمد بن خزر يذكر له حيث استقر مخلد ابن كيداد ، ويسأل الامان لبني كملان ، فأجابه الامام بما اقر عينه ، واكثر صلته ، وعطاه ، وأعلمه ان بني كملان يأتون فيما طلبوا بالبهتان (١) وانهم لا امان لهم ، الا ان يأتوا بأبي يزيد مكبلا ، وانهم حيث فروا لا يجدون عن جنود الله موئلا . وسار الامام من حائط حمزة للنصف من جمادي الاخرى، فنزل موضعا من بلاد صنهاجة ، يقال له : ولغلغ ، على واد ، فيه ماء (٥٧٠) حار ، وفي هذا المكان رخص الطعام ، واعتل جسد الامام عليه السلام لما قاساه في تلك الطرق من الثلج ، والماء الاجاج ، واقام ثلاثة عشر يوما يغمى عليه في اشد الالم ، حتى اتاه طبيب ففصد له ، فوجد في نفسه (٢) الخفة واحسن العافية .

ولما عرف الدجال ان محمد بن خزر قد صار في طاعة الامام ، ولم يجد فيه مطمعا ، ولا اصابه له متبعا ، اغتم لذلك غما شديدا ، ومال الى سوق لابن خزر فانتهبه ، يعرف (٣) بتامرزست ، فبادر اليه ابن خزر ، وكانت بينهما وقعة قتل فيها محمد بن عباس صهر ابن خزر ، وتسعة عشر من قومه من زناته ، ثم كانت لابن خزر عليهم الكرة فقتل من بني كملان اصحاب ابي يزيد عدة فيها كثرة ، وعاد الدجال الى بني نزوال بسمالات ، واظهر ان الامام عليه السلام ، قد صار بتاهرت ، وانه يريد سجلماسة ، وخرج الدجال الى جبال آلة ، وهي بقرب المسيلة ، وارسل الى هوارة (٤) الغدير يذكرهم ان افريقية قد (٥٧١) خلت ، وان الفرصة فيها قد امكنت ، ووعدهم ان يبتدىء بنهب المسيلة ، فاطمعهم ما الفوه من النهب والسبي ، فنفذت فيهم تلك الحيلة. وسار وقد انضمت اليه جموع كثيرة ، يريد المسيلة ، وقد طمع فيها لقلة من فيها من الرجال ، وبلغ ذلك الامام عليه السلام ، فارتحل بعساكره من ولغلغ. وقد نقه من العلة .

وسار يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رجب ، فوافى مدينة المسيلة يوم السبت لخمس خلون من رجب ، والدجال محاصر لها ، وهو في اغفال

---

(١) بالبهتان : بالهتان في جـ
(٢) نفسه : سقطت في ب
(٣) يعرف : معروف في جـ
(٤) هوارة : هوازة في جـ

ما يكون ، فلم يروعه (١) الا طوالع مقدمة عسكر الامام عليه السلام . وقد اقبلت ، فلما رآها ومن معه ايقنوا بالخزي والعار ، وأركنوا الى الهرب والفرار ، وأراد ابو يزيد ان يرتحل الى (٢) بلد السودان ، فلم ير بنو كملان وهوارة الفدير ذلك الراي ، واشاروا عليه بدخول جبال عثار ، وذكروا انه لا يجد احصن منها ، فدخل الدجال تلك الجبال ، وانتهى اليها في من معه من الرجال ، واتحصر بها ، ومعه (٥٧٢) خلق عظيم ، لا يحصى عددهم من النكارية المارقين ، الذين على مذهبه ، وغيرهم من البربر ، الذين اتصلوا به ، فكانوا ينزلون من تلك الجبال الى اذية الى مدينة أولية قد خربت ، وبينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا، فيمكثون بها ، وينهبون (٣) من العساكر المنصورة رعاتها ، ومن يخرج لحطبها .

واقام الامام عليه السلام ، بالمسيلة بقية رجب وشعبان ، ولما كان السبت لعشر خلت من شعبان ركب الامام عليه السلام ، الى مدينة اذية ، وركب معه من الاولياء والعبيد اربعة الاف فارس ، وركب زيري الصنهاجي معهم في خمس مائةفارس، فوصل المنصور بالله صلوات الله عليه اذية ، ولم يجد للعدو اثرا ، وهم قد كمنوا بالبعد من أذية في خمسمائة فارس ، فحين راوا كثرة الخيول ، وقفوا في الكمين مختفين ، فلما رجع المنصور بالله عليه السلام ، منصرفا حملوا على المتاخرين ، ووقعت الصيحة حتى اتصلتبالامام عليه السلام ، فرجع في وجوههم ، وأمر مقدمة خيله ، ان يحملوا (٥٧٣) عليهم ، وتزايدت خيل العدو وغاراتهم ، ومددهم ، ونزل الدجال بنفسه مددا لهم ، ومعه ثلاثون بندا ، وخلق عظيم من الرجالة والفرسان ، وهو لا يعلم ان الامام عليه السلام ، مع خيله ، فانتهزها فرصة بكاذب ظنه ، واقبل بمن معه من الخيل والرجالة على الميسرة ، وكانت بالموضع تلال وآكام ، وبصر به الامام عليه السلام ، فدعا بجوشن فلبسه ، وارسل الى عسكره بالمبادرة ، وأن تخرج الطبول والبنود ، وضاق (٤) الوقت ، فلم يتمكن (٥) الامام عليه السلام من (٦) تعبئة الجيوش ، فأمر من معه أن يكون قتالهم

---

(١) يروعه : يرعه في ج
(٢) الى : سقطت في ب
(٣) وينهبون : وينتهبون في ج
(٤) وضاق : وضاقت في ج
(٥) يتمكن : يمكن في ج
(٦) من : سقطت في ج

جلاد بالسيوف ، وطعنا بالرماح ، وأن يلازموا القوم القتال ، ويدنــــون منهـــم .

واخذ عليه السلام ، درقة بيضاء ، وجرد سيفه ذو الفقار ، ومشى في تلك الوهاد والتلال ، ففاجأ الدجال اللعين مفاجأة الليث للحمار ، ووثب عليه وثبة الاسد الكرار ، فحين رأى المظلة ولى هاربا على وجهه ، واسلم اصحابه واولاده ، وركبتهم خيل الاولياء (٥٧٤) تطأهم بسنابكها ، وتعلوهم السيوف جزا للرؤوس عن غلاصمها ، ومالت ميمنة الامام تطأ على ميسرتهم ، واستمر القتل فيهم ، فقتلوا ابرح قتل في رؤوس الجبال ، وبطون الاودية ، والتلال . وفر (١) الدجال المارق معتصما بالوعر ، ومعه احدى عشر فارسا فادركه . وقد توسط في الوعـــر خمســـة فرسان مـــن الاولياء ، فيهم زيري بـــن مناد الصنهاجي ، فعقر الصنهاجـــي جواد ابي يزيد ، فاركبـــه (٢) أصحابه على بزدون آخر ، وقتل ابن الدجال ، واسمه يونس ، وطعن اللعين طعنتيـــن احدها بين كتفيه ، والاخرى في وركه ، ومال في سرجه فاحتضنـــه بعـــض رجاله ونجاه الوعر ، وخلصه اهل البلد ، فخلص الى يومه المقدر ، وطردهم الاولياء اكثر من اربعين ميلا حتى كلت الخيول ، وملّ الرجال ، وتقصـــدت الرماح ، ونزل باكثر الاعداء الحين المتاح ، وجز في ذلك اليوم الف وسبعـــون راسا وجه بها الى المهدية والقيروان ، وغنم الاولياء من الخيل والسلاح مـــا يكثر عده ، و (٥٧٥) يبعد حده .

وفي هذا اليوم يقول الداعي جعفر بن منصور اليمن ابي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب ، نضر الله وجهه ، وكان حاضرا تلك الوقعة شعرا :

يهنيك نصرا بما قد رمت (٣) من سبب ... يا سيد الخلق من عجم ومن عرب
في كل يوم يرينا اللـــه معجـــزة ... من نصره لك تجلو غمة الكرب
وانت في كل حال تبتغي رتبـــا ... في المجد فازدد على (٤) في المجد والرتب

---

(١) وفر : ومر في ج .
(٢) فاركبه : فركبه في ج
(٣) يهنيك نصرا بما قد رمت : يهني لك النصر فيما رمت في ج
(٤) على : علا في ج

يوم المسيلة يوم لا كفاء له … ولم يكن قبله في سالف الحقب
لما غدا المارق الدجال مختبلا … كالكلب في سجف معداه في الكلب
يروم غرة جيش كان ابرزه … نجل النبوة مثل العارض اللجب (٥٧٦)
فعند منصرف القوم استغار على … أواخر الجيش بالتهويل والصخب
وسيد الخلق اسماعيل حينئذ … في موكب الخيل مثل البدر في الشهب
فكر همته كالليث معتزما … على متابعة الدجال بالطلب
واستنهض الجيش عزما عن معسكره … والحرب ساور فيمن كان لم يغب
فارتاع بعض نواحي الخيل واضطربت … وسيد الخلق لم يفشل ولم يهب
بل صارم كحسام الجد منصلت … يمضي فيثبت فيه كل مضطرب
وسيف جديه اعني ذو(١) الفقار به … الى الرشاد استقادت(٢) جمرة العرب
في كفه وله النصر الذي لهما (٥٧٧) من ذي المعارج فرض جاء في الكتب
مشمر بلباس الحرب مدرع … بجوشن من حديد شيب(٣) بالذهب
تحيا القلوب سرورا والعيون به … كالشمس والليث عند البشر والغضب
ثم استلانت به انصاره زمرا … معا كما لانت الافلاك بالقطب
ولم يزل مذ بدا(٤) للناس(٥) عادته … اذا غدا ناهضا بالجيش لم يخب
وعادة المارق الدجال عنه اذا … تراءت الفيئتان(٦) النكص للعقب
لم يلقه عسكر الدجال في بلد … الا ثنى رأسه قسرا على الذنب
فاشتد حر وطيس الحرب واستعرت … ترمي بفيها معا بالجمر واللهب (٥٧٨)
فادبرت عصب الدجال وانقلبت … تحت السيوف الصوادي شر منقلب
يحاذرون فلا يغنيهم حذر … ويهربون فلا ينجون بالهرب
وكيف لا كيف ينجو من يكون له … مولى البرية اسماعيل في الطلب
فعندها صرع الدجال وابتدرت … له الحراب كصوب العارض الخصب

---

(١) ذو : ذا في ج
(٢) استفادت : استقادت في ج
(٣) شيب : شيبه في ج
(٤) مذ بدا : مزايدا في ج
(٥) للناس : للباس
(٦) الفيئتان : الفئتان في ج

حتى اتقاها(١) برجس من عصابته ... فمزقته حداد السمر والقضب
وراغ من وقعها الدجال ناحية ... ومر يهوي بوجه تاعس ترب
ولى وافلت من حد الظبى هربا ... ان كان في قتله الميقات لم يجب
ولي الى مدة فيها منيته (٥٧٩) ... بعاجل من عقاب الله مقترب
وظل أصحابه صرعى كأنهم ... اعجاز نخل قديم العهد منقلب
مجندلين(٢) الوفا في الفلا جزرا ... مطرحين على الاذقان والركب
واصبحت هامهم مجموعة فلقا ... كأنها الحنظل المنقوف في السهب
راحوا بخزي وهون غير منصرم ... وفاء جند الهدى بالعز والسلب
يا بن الائمة يا تاج النبوة يا ... من لا نظير له في المجد والحسب
لا زلت في نعم تترى سوابغها ... وفي سرور طوال(٣) الدهر والحقب
الله اعطاك ملكا وارتضاك له ... لما اصطفاك بلا شك ولا كذب (٥٨٠)
فالحمد لله حمدا دائما أبدا ... حمد امرء في مزيد الله مرتغب

وأقام الامام المنصور بالله عليه السلام . بالمسيلة الى سلخ شهر شعبان ، والعساكر توافيه من كل جهة ، وتأتيه من كل وجه ، وهو يسأل عن خبر أبي يزيد حيث صار ، ويتطلع ما يأتي من قبله من الاخبار ، حتى عرف أنه قد تحصن بموضع من جبال عقار ، قلعة شاكر ، وهي متصلة بقلعة كيانة ، وقد أجتمع اليه جماعات كثيرة من الاباضية ، ممن بذل بنفسه ، واعتقد (٤) جهاد المسلمين فرضا عليه ، لا ينبغي له تركه ، وقد اعتصموا بجبال كيانة ، وهي جبال شامخة ، ومسالكها وعرة ضيقة ، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وسبب وليه لطلبهم ، حيث ذهبوا .

وسار الامام عليه السلام ، والصلاة من المسيلة يوم الجمعة غرة شهر رمضان في جموع عظيمة ، (٥٨١) وجنود كثيرة ، فنزل بموضع يقال

---

(١) اتقاها : انقاها في ج
(٢) مجندلين : مقتلين في ج
(٣) طوال : طول في ج
(٤) واعتقد : وعقد في ج

له : قلعة الحجارة بينه وبين محط أبي يزيد مسافة ستة أميال ، واصبح من غد يوم السبت ، فركب في زي الحرب ، وعليه جوشن ، وهو متقلد بذي الفقار وأمر الناس ان يركبوا في عدة الحرب ، وسارت القبائل حوله (١) طوائفا وطوائفا وقبائلا وقبائلا ، وترك المضارب في مواضعها ، وقصد ابا يزيد فسلك سبلا صعبة ، وطرقا متضايقة ، بين جبال عالية ، في مواضع وعرة لا يسلكها الا واحد بعد واحد ، ولا تسلكها الخيل ، فنزل عليه السلام عن دابته في بعض تلك الاوعار ، وسار راجلا في أكثرها ، حتى أشرف على اخبية الدجال ، ومضاربه ، ورتب الناس للقتال في ذلك الوعر ، بما وجد السبيل اليه ، ووعظهم ، وامرهم بالتقوى ، ونهى النفس عن الهوى ، واخلاص النيات في طاعة الله تعالى ، وجهاد اعدائه الذين استحلوا سبي ذراري المسلمين ، وأتوا (٥٨٢) بالمنكرات في الدين ، ونهاهم عن النهب حتى (٢) لا يشغلهم عن عدوهم ، فيميلون عليهم ، وانتشب القتال في ميمنة الدجال مع بني كملان ، فاستعملوا الهزيمة ، والمواضع ضيقة . ثم عطفوا على الاولياء فوقى الله شرهم ، وعظم القتال ، وتكافحت الابطال ، وصارت نيران الحرب مضطرمة ، فلا تسمع الا همهمة .

ونظر المنصور بالله صلوات الله عليه الى موضع الدجال فقصده ، لا يعرج عنه ، ولا يلوي على شيء دونه ، وقد سل ذو الفقار ، فترك الدجال اخبيته ، وطلع به غزاته ، وبأولادهم ونساءهم الى جبل منيع بازاءهم ، فأمر الامام عليه السلام ، بالقاء النيران في اخبية أبي يزيد واشمالها ، لئلا يشتغل الناس بها ، واشتد الحرب مع بني كملان ، وقد انهزموا وهم يراجعون القتال ، ويمسكون هزيمتهم حالا بعد حال ، ويتعطف (٣) منهم الكماة والابطال ، والامام (٥٨٣) عليه السلام ، في اثرهم .

ووجد الناس في اخبية أبي يزيد ومضاربه من الابل والكراع ،والرقيق، ومن امتعة افريقية ، وخزها ، وديباجها ، ما لا يوصف ، واشتغل الناس بالنهب ، فكانوا يبادرون ما لم تصل (٣) اليه النار ، وكل من اثقل ظهره

---

(١) حوله : حواليه في جـ
(٢) حتى : سقطت في جـ
(٣) ويتعطف : وينعطف في جـ
(٤) تصل : وصل في ب

بالغنيمة انصرف عن موضع القتال ، والامام عليه السلام ، ومن خلص معه في طلب بني كملان ، حتى وصلوا الى اخبيتهم ، وكانت في مكان بين الجبال ، لم يشعر الاولياء به ، فأخرجوا منها أولادهم ونساءهم ، وساقوا بين أيديهم ، وهم يكافحون عنهم ، حتى انتهوا الى قلعة شاكر ، وهي بالقرب (١) منهم ، وهي ممتنعة شامخة ، وأسلموا اخبيتهم ، وما فيها ، وأمر الامام عليه السلام ، باحراقها ، فأشعلت النيران ، وثار الدخان ، وأظلم الجو ، واشتد الحر ، ووجد الناس فيها من الانعام والرقيق ، وديباج (٢) أفريقية أكثر مما وجدوا في (٥٨٤) أخبية ابي يزيد ، واشتغل الناس بنهبها ، فأمر الامام عليه السلام بردهم ، وعقر الدواب والجمال ، وقتل من اصيب معه من النهب من الرجال ، فما منعهم ذلك عن الانتهاب ، ولم يبق مع الامام عليه السلام ، الا القليل ، طمعوا فيه عليه السلام ، وفيمن معه ، واخترطوا سيوفهم ، وكسروا أجفانها ، ووصى بعضهم بعضا بالصبر ، ووعدهم بالغنيمة ، وكروا على من صار (١) مع الامام عليه السلام ، فلا تسمع الا وقع السيوف ، ووخز الرماح ، واشتد الكفاح ، وعلا بعضهم على الجبال ، وكانوا يرسلون الصخور ، وأحاط القتال بالامام عليه السلام ، ومن معه ، وكانت جنوده عليه السلام ، كلما أرادوا الجولة (٣) وهموا بالهزيمة لم يجدوا أمامهم الا تلك النار المشتعلة في الاخبية ، فيرجعون الى الامام (٥٨٥) ويلوذون به ، وكان خوفهم من النار اعظم من خوفهم من العدو ، وكلما اقبل العدو من ناحية قالوا للامام هذا العدو ، فيميل عليهم بوجهه ، ويكر عليهم بسيفه ، فيقتل ويجرح ، فينهزمون ، ولا يحتملون رؤيته ، وكلما راوه القى الله الرعب في قلوبهم ، فتجالدوا بالسيوف حتى تفللت (٤) ، وتشاجروا بالرماح حتى انكسرت ، وفترت الايدي ، واهلك الفريقين العطش ، مع كثرة الانهار في ذلك المكان ، وكاد أن يتفانى الفريقان ، وكان ذلك يوم (٥) شديد الحر ، عظيم الامر ، فنزل الامام عليه السلام ، عن ظهر جواده ، وشرب من الماء بيده ، واخذ قوسا فرمى وهو جالس ، فقتل وجرح ، وتباعدت عنه البربر

---

(١) بالقرب : الاقرب في ج
(٢) ديباج : سقطت في ج
(٣) صار : سار في ج
(٤) تفللت : تفالت في ج
(٥) الجولة : الجالة في ج
(٦) يوم : سقطت في ج

قليلا ، فركب عليه السلام فرسه ، ودامت الحرب ، وما زال الطعن والضرب، حتى اصفرت الشمس ، فمل الفريقان ، ووقفت (١) الخيل ، وكل السلاح ، وعجب البربر (٥٨٦) من صبر الامام عليه السلام .

ورجع الامام سلام الله عليه ، على طريقه التي اقبل منها ، والقتال قائم ، والكفاح دائم ، وفرق البربر رجالهم على الجبال الشامخة، ليرسلوا الصخور من اعاليها على من يمر من الطريق التي تحتها، ويسلك فيها، فحين صار الامام عليه السلام ، بالقرب من المكان الوعر الضيق الذي لا ينجو من يمر تحتها ، من الصخور التي ترسل فيها (٢) نادى مناد من ناحية العدو ، وقال : ان علي نعمة الامير اسماعيل ، ونعمة آبائه ، وهذه طريق صعبة ضيقة ، وقد ترصد العدو بالحجار ، فلا تسلكوها وجوزوا عن هذه الطريق، واشار الى طريق اخر . وقيل : انه كان من اصحاب خليل بن اسحق ، ويعرف بمحمود ، فتنكب الامام عليه السلام ، عن تلك الطريق ، وسلك الطريق التي اشار اليها ذلك الرجل ، وتخلص الجيش بأسره ، ووصل الامام عليه السلام ، الى محطته سالما غانما ، واوقدت المشاعل بين يديه ، (٥٨٧) وجعل سفهاء العسكر يشتمون من ركن الى النهب ، ويسلقونهم بألسنتهم ، فنهاهم الامام عليه السلام ، عن ذلك ، وقال : لا يعير احد ، ولا يسب ، فان الامر عظيم هائل ، وان الخلل دخل على القوم ، اذ خالفوا امرنا . وسمى اهل المغرب هذا اليوم لشدة بأسه ، وعظم هوله ، اليوم العظيم . وأمر الامام عليه السلام ، بجمع النهب فاتى الناس به ، ولم يبق منه شيء ، فاصطفى الخيل والانعام ، وأمر بما كانت النار تحرقه فأحرق ، جزاء للذين نهبوه (٣) وعقاباً لهم لما (٤) خالفوا من أمره ، وضيعوا .

واوى الدجال المارق الى قلعة كيانة ، وهي من احصن تلك الجبال وامنعها ، ليس لها الا مسلك واحد ، ولها طريق وعر (٥) على ظهر جبل منيع لا يرام ، مسيرة يومين ، ثم ينتهي الى رمال منها كانت تأتيهم الميرة .

---

(١) ووقفت : وقافت في ج
(٢) فيها : فيه في ج
(٣) نهبوه : انتهبوا في ج
(٤) لما : مما في ج
(٥) وعر : موعر في ج

وسأل الامام عليه السلام ، الادلاء عن كيفية (١) السلوك الى القلعة ، (٥٨٨) فكلهم ذكروا ما هي عليه من المنعة ، والمسالك الوعرة ، فأقام عليه السلام ، في مناخة بقلعة الحجارة : شهر رمضان ، يستخير الله سبحانه .

ووفد حفته الخادم بحشد كتامة يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان ، ومعهم ثائر كان ثار ببلد كتامة من ارض مسالته من كتامة ، وادعى النبوة ، واحل المحرمات ، فأمر الامام عليه السلام ، بعض قرابة ذلك الرجل ، فقتله بعد ان اشتهر ، وطيف به ، وعرف الناس كفره، ونكره .

ولما كان يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان امر الامام عليه السلام ، بعمل قفص من الخشب ، محمول على بكرتين ، وقال : اني سوف ادخل مخلد المارق (٢) في هذا القفص ، واجعل معه قردين ، فعجب الناس من ذلك ، وكثر قولهم فيه ، فمن منكر ومستبشر ، حتى كان كما ذكر صلى الله عليه وعلى اله ، وجاءت البشرى الى الامام يوم الخميس لاربع عشرة ليلة (٥٨٩) خلت من شهر رمضان ان قيصر الخادم وزيري بن مناد ملكا على غدير وان قهرا بالسيف ، وكان الامام عليه السلام ، ارسلهما في جحفل كثير الخيل والرجال ، واقبلت القبائل يطلبون الامان ، وكان الامام عليه السلام، يخلع عليهم ، ويحسن اليهم ، وامر ببناء مصلى بقلعة الحجارة ليصلي فيه العيد ، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان ، وركب بقية ليلتين من الشهر في عشرة الاف فارس ، وسار في طريق وعرة (٣) وأودية منخفضة ، وكان يتسنم جبلا بعد جبل ، وينزل في كثير من الاحيان (٤) عن فرسه ، حتى وقف تحت قلعة كيانة (٥) التي صار اليها الدجال المارق ، فوجد فيها موضعا ضيقا ، فابصره ورجع الى معسكره .

ولما كان يوم الاحد غرة شهر شوال من سنة خمس

---

(١) كيفية : سقطت في ب
(٢) المارق : المرق في ب
(٣) وعرة : متوعرة في ج
(٤) من الاحيان : سقطت في ب
(٥) كيانة : قلعة تقع جنوبي مدينة سطف بين تاهرت والقيروان .

وثلاثين وثلاثمائة ، ركب الامام عليه السلام ، الى المصلى الذي بناه ، فصلى بالناس صلاة العيد ، (٥٩٠) ورقى صلى الله عليه وعلى اله ، الى المنبر ، وخطب عليه السلام ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » (١) الها معبودا ، وربا محمودا ، لا تتخذ من دونه آلهة ، ولا نشرك به شيئا . الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، ان الله بالناس رحيم . الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله ، والله اكبر ، الله اكبر ، ولله الحمد ، سبحان الله ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، سبحان الله حين تمسون ، وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والارض وعشيا ، وحين تظهرون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، الحمد لله اولا قديما لم يزل ، وآخر باقيا لم يحل ، وعالما حكيما لم يجهل ، وجوادا كريما لا يبخل ، وسعت رحمته (٥٩١) كل شيء ، فلا يقنط منها الا الضالون ، وفطر بريته لعبادته ، لا يستنكف عنها الا الخاسرون ، وثبتت حجته بحسن دلالته ، فلا ينكرها الا الجاحدون ، خشعت له النفوس بتعظيمها ، واذعنت له القلوب بخشوعها ، وانحسرت الابصار دونه عن مرامها ، وسلمت لعزته ، والقوي بعجزها ، وشهدت له العقول بفطرتها ، انه كما وصف نفسه حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ليس كمثله شيء ، لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه ، وعز بهاؤه ، وعلا علاؤه ، واشهد ان لا اله الا هو ، وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده المصطفى ، وامينه المرتضى ، أرسله بالنور الساطع ، والبرهان القاطع ، الى جميع بريته ، شاهدا لمن كان قبله من الرسل ، ومصدقا لما بين يديه من الكتب ، ودليلا على الله ، وداعيا اليه (٥٩٢) على حين فترة من الرسل ، وانقطاع من الوحي ، وطموس من الحق ، وضلال من الخلق ، فبلغ عن الله رسالته ، وصدع

---

(١) سورة : ٦/١

بامره ، ودعا الى سبيل ربه ، بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجاهد (١) في سبيل الله حق جهاده، وأدى الامانة الى عباده ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين،صلى الله عليه في الاولين ، والاخرين ، وعلى اله الطيبين ، الاوصياء المنتجبين، الكرام المهديين .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا غناء لكم عنه ، ولا موئل لكم دونه في موت أو حياة ، ولا اخرة ولا دنيا . وابتذال انفسكم فيما يجب (٢) ويرضى ، ويقربكم اليه زلفى ، الا ان هذا يوم جعله الله لكم عيدا ومنسكا . انقضى فيه الصوم ، ودخلت به أشهر الحج ، فحاسبوا انفسكم رحمكم الله، فمن ذكر خيرا فليحمد الله ، وليزدد ، ومن ذكر تقصيرا فليستعتب ، أو سوء فليتب ، فان الله تعالى يقبل (٥٩٣) التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون .

وقد فرض الله عليكم زكاة فطرتكم ، وجرت به سنة نبيكم ، سيد الانبياء صلى الله عليه وعلى اله ، فليؤد كل امرىء منكم عن عياله ذكورهم وأناثهم، وصغارهم وكبارهم صاعا من بر او صاعا من شعير ، أو صاعا من تمر ، من طعامه ، لا يأكل من شيء ، ويؤدي من اخر ، فان ذلك محرم عليه ، وغير مجزي عنه ، عصمنا الله واياكم بالتقوى ، واستعملنا واياكم فيما يجب ويرضى ، وجعل (٣) الاخر خيرا لنا ، ولكم من الاولى .

الخطبة الثانية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بربوبيته ، المتفرد بوحدانيته ، الاول القديم الحي القيوم ، احمده بمحامده كلها ، على اصغر نعمه وأجلها ، حمدا يوجب حمدا على حمد (٤) للتوفيق منه ، والرشد ، واشهد ان لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، اخلاصا لتوحيده ، (٥٩٤) واعترافا بربوبيته ، واشهد ان محمدا

---

(١) وجاهد : وجاهر في ج
(٢) يحب : يجب في ج
(٣) وجعل : وجاعل في ب
(٤) حمد : سقطت في ج

عبده انتجبه ، ورسول ابتعثه ، تمت بالوحي نبوته ، ونطق البرهان بحقيقة رسالته ، صلى الله عليه ، واعلا ذكره ، وسلم ، وكرم .

ايها الناس : ان الله امركم بأمر بدا فيه بنفسه ، ثم ثنى بملائكته ،فقال: «ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (١) اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، صلاة تامةباقية، تزيده كرامة الى كرامته ، وشرفا الى شرفه ، وصل على جميع أصحاب أهل الكساء ، الطاهرين الاذكياء ، وعلى امير المؤمنين ، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، والحسن ، والحسين ، الاكرمين الابرين ، وعلى الائمة المهديين من ذرية الحسين ، اعلام الهدى ، وبدور (٢) الدجى ، وسادات الورى ، اولياء الرحمن ، وحجج الازمان ، ودعائم الايمان ، اللهم وصل على وارث كل مجد وسنا ، وفخر وثنا ، وفضل ، وعلى عبدك المرتضى ، ووليك (٥٩٥) المصطفى ، وخليفتك العدل الرضي ، عبد الله المهدي ، أبي محمد الامام المهدي بالله امير المؤمنين ، الذي استضاءت بنوره الافاق ، وعم بـ الاشراق ، شمس الورى ، وبدر الدجى ، وكاشف العمى،والمحي لما درس من معالم الهدى،بافضل صلواتك التامات ، وبركاتك الناميات ، وكراماتك الباقيات. اللهم وصل على ولي عهده في حياته ، وخليفته بعد وفاته ، والمنتجب المجتبى. المكرم المرتضى . محمد ابي القاسم ، الامام القائم بأمر الله ، بن المهدي بالله ، امير المؤمنين حامل حجة الجبار وولي الابرار ، وسيف الله البتار ، ووارث سيف جده ذي الفقار ، صلاة تفضل صلاة المصلين ، رافعة في عليين ، خالدة في الغابرين ، باقية الى يوم الدين . اللهم اني عبدك ووليك . انعمت علي فأعظمت ، وافضلت فاجزلت ، ورفعتني وكرمت ، بما افضيت الي من خلافة الاباء الاكرمين ، الائمة المهديين ، (٥٩٦) ونصبتني علماللدين. واقمتني اماما للمؤمنين ، اللهم فاتمم علي نعمتك ، كما اتممتها من قبل على الاباء والاجداد ، والاكارم الامجاد ، حملة علمك ، وخزان وحيك ، وامنائك على خلقك ، وصفوتك من عبادك ، وخيرتك من ال نبيك ، الذين جمعت لهم شرف الدارين ، وفضل المقامين ، اللهم ، واعني على رعاية عهدهم ،

---

(١) سورة : ٥٦/٣٣

(٢) بدور : بذور في ب

وانجاز (١) وعدهم ، وقضاء دينهم ، وتمام أمرهم ، واحياء ذكرهم ، واعزاز أوليائهم ، واذلال أعدائهم ، واجمع بيني وبينهم . اللهم في مستقر رحمتك ، وقرار جنتك ، ومجاورة نبيك ، مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، آمين ، يا رب العالمين . اللهم ان تعز بي في البلاد ؛ وهجري للمهاد ، لقضاء (٢) ما فرضته علي من الجهاد ، في سبيلك ، ونصرة دينك ، وتحصين أمة رسولك اللهم ، وافتح لي فتحا مبينا يسيرا ، واجعل لي من لدنك على عدوي الذي هو عدوك سلطانا نصيرا ؛ انك (٥٩٧) على كل شيء قدير . اللهم ؛ اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ؛ الاحياء منهم والاموات ، ولمن هو لاحق بهم من بعدهم غير ملحد في أسمائك ، ولا معاد لاوليائك ، ولا موال لاعدائك ، واكمل اجرهم ،وسلم لهم اديانهم ، حتى يلقوك موفين بعهدهم ، مستوحين لثوابك ، انك انت الغفور الرحيم ؛ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر ، والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ؛ والحمد لله رب العالمين .

ونزل عليه السلام فركب فرسه ، ورجع الى مضربه ، ونقول : انه قد ابان في خطبته هذه ، وفاة أبيه الامام القائم بأمر الله قدس الله روحه ؛ وصلى عليه ، بقوله : اللهم اني عبدك ووليك ، حتى قال : بما أفضيت الي من خلافة الاباء الاكرمين ، الائمة المهديين ، ونصبتني علما للدين ، واماما للمؤمنين ، اذ لا يكون اماما ، ولا خليفة ، الا (٥٩٨) بعد انقضاء عمر والده، ومصيره الى جوار الله ربه، وفي مثل ذلك ذكر منصور الكاتب العزيزي الجوذري قال : وصل كتاب من الامام المنصور بالله صلوات الله عليه ، الى جوذر الاستاذ ، بأوامر واحكام ، وحوائج ، فقرات في هذا الكتاب فصلا فيه تصريح المنصور بالله صلوات الله عليه ، بموت القائم بأمر الله صلى الله عليه وعلى اله ، وقدس الله روحه ، وذلك انه اوصى في الكتاب بصيانة مخلفي القائم بأمر الله سلام الله عليه ، واجراء رسومهم على حسب ما كانت عليه.

---

(١) وانجاز : وايجاز في ب (٢) لقضاء : لقضائي في ج

وهذه نسخة الفصل :

واقول بعد الصبر والاحتساب : الحمد لله على جميع الاحوال ، قد تعلم اللهم اني طالما (١) ناجيتك في ظلم الليالي مبتهلا متضرعا اليك اسالك أن لا تشهدني فقده ، ولا تحييني بعده ، فأبى قضاؤك الماضي وحكمك النافذ، فصبرني على ما ابتليت ، وارضني بما (٥٩٩) قضيت ، وصلوات الله وبركاته ورحمته ورضوانه (٢) على جسمه المطهر وروحه المقدس في الدنيا والاخر . (٣)

قال منصور : فعند ذلك علم الناس أن القائم بأمر الله قدس الله روحه ، وصلى عليه ، وعلى آبائه ، و أبنائه الطاهرين ، توفي .

رجع الحديث ، وأصبح الامام المنصور بالله عليه السلام ، اليوم الثاني من الفطر لليلتين خلتا من شوال ، فأمر بالنداء في العسكر بالرحيل الى الموضع الذي نظره (٤) تحت قلعة كيانة . فعظم ذلك على من في عسكره لصعوبة المسالك ، وضيق الامكنة : ورحل عليه السلام ، من يومه فنزل تحت قلعة كيانة في قبليها ، على مقدار غلو سهم ، والدجال وأصحابه ينظرون اليه من قلة القلعة ، فحين رأوا نصب الفازات ، أيقنوا بالهلاك ، وعلموا انه لات حين مناص ، وصاح بعضهم في بعض ، واسقط كثير من نساءهم الاجنة، وهطلت تلك (٦٠٠) العشية السماء بالامطار ، وكانت البروق اللوامع ، والرعود الهائلة .

ولما كانت العشية ، وغابت الشمس، أمر الامام عليه السلام ، عسكره، أن يبرزوا بخيلهم ورجلهم ، الى ناحية العدو ، لينقطع من المعسكر اطماعهم، وفعل ذلك عليه السلام ثلاث ليال ، ثم رتب العسس (٥) بالليل والنهار ، على مجامع الطرق ، لئلا يدخل أحد الى القلعة بميرة ، ويصلهم بحاجة ، ولما كان في اليوم الرابع يوم الخميس لخمس خلون من شوال ، أمر الامام عليه

---

(١) طالما : طال ما في ج (٢) ورضوانه : سقطت في ج
(٣) سيرة جوذر صفحة ٣٨ مخطوطة في مكتبة المحقق الخاصة .
(٤) نظره : نظر في ج (٥) العسس : العس في ج

السلام ، بحفر خندق على معسكره في سفح القلعة ، في السهل والوعر ، وقسمه على قبائل كتامة ، وعلى الزويليين ، وجماعات الجند ، والعبيد . وأخذ معولا بيده فحفر به مبتديا ، فحين راى الناس ، سارعوا واخذوا في الحفر ، وركب عليه السلام ، اخر النهار لينظر الى ما حفر في الخندق . وسار لقطع الاشجار (٦٠١) التي (بسفح الجبل) (١) من الزيتون ، والثمار . وراى المارقين قد اقبلوا للقتال ، فأمر بقتالهم ، وانتشب القتال ، وقتل جماعة منهم بالنبل ، ثم صرف الناس عند المساء ، وصلى بهم المغرب ، تحت القلعة ، وانصرف عليه السلام ، الى مضاربه .

ولما راى المارقون ما عليه الناس من حفر الخندق ، علموا على ان يبيتوا العسكر من ليلتهم ، وعلم ذلك الامام عليه السلام ، فأمر الناس كافة أن يخرجوا من معسكرهم ، وأن يباتوا في مصافهم بخيلهم ورجلهم ، وأن يلزموا الصمت والوقار ، فاذا دنا العدو منهم عرفوه (٢) بذلك ، واقبل العدو في أول الليل ، فصاحوا ووجدوا العسكر في مصافهم صموتا لم يكلموهم كلمة ، ولا وجدوا فيهم فرصة ، ولا غفلة ، فرجعوا الى قلعتهم .

وفي يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، نزلت جماعة من المارقين يتعرضون للقتال ، فخرجت اليهم طائفة من جند الامام عليه السلام ، واشتد (٣) (٦٠٢) القتال بينهم ، وركب الامام عليه السلام ، المنصور بالله صلوات الله عليه ، بعد العصر ، فوقف تحت القلعة ، وما زال القتال ، وقتلت جماعة من المارقة ، وكثر فيهم الجرحى ، وصعد الامام عليه السلام الى بعض القلعة ، فوقف قليلا ، وأمر الناس بالانصراف ، وانصرفوا الى معسكرهم .

ولثلاث عشرة بقيت من شوال يوم الاربعاء امر الامام عليه السلام ، عسكره بالزحف نصف النهار الى القلعة ، فترجل الناس ، وصعد الامام عليه السلام ، الى بعض القلعة ، وصلى العصر هناك ، و[illegible] له بمصلى

---

(١) بسفح الجبل : سقطت في ج

(٢) عرفوه : عرفاه في ج (٣) واشتد : واشتر في ج

فجلس عليه طويلا ، والناس في القتال ، واخذ قوسا فرمى عنها باسهم ، وحرض الناس ، فلما كان المغرب ، أمرهم بالانصراف ، فانصرفوا الى معسكرهم ، وقد قتلوا من العدو واثخنوهم جراحا ، وعاد الامام عليه السلام الى مضربه جذلا مسرورا ، (٦٠٣) وبعث الامام عليه السلام ، في تلك الايام قيصر وشفيعا خادميه ، وزيري بن مناد في عساكر ليحاصروا (١) قلعة كيانة من جانب اخر ، فنزلوا بين غربيها وشمالها ، وكانت تلك الجهة فسحة (٢) للمارقة في رعي انعامهم ، فصارت القلعة بين العسكرين ، وبين العسكرين اربعة اميال ، فصارت المارقة في ضيق وحصر ، ووجه الامام عليه السلام طارقا ووصيفا ، خادميه الصقلابيين ، في عسكر كثيف لحصار قلعة شاكر ، وقتال اهلها ، وكانت ماهولة معمورة ، وفيها جماعات كثيرة من هوارة ، وغيرهم على مذهب أبي يزيد ، نكارية .

وامر الامام عليه السلام ، يوم الجمعة لعشر بقين من شوال بالزحف الى قلعة كيانة ، وخرج صلى الله عليه وعلى اله معهم ، وسار الى سفح القلعة ، وامر بقطع اشجارها ، وكان بها شجر زيتون (٦٠٤) وثمار ، فعظم ذلك (٣) على المارقين ، ودام القتال الى المساء ، وحرك الامام عليه السلام عساكره للزحف يوم السبت ثاني ذلك اليوم ، فخرج الناس ، وارسلت السماء سجالها ، فانصرف الناس ، وسكن الغيث بعد صلاة الظهر ، فخرج عليه السلام ، وأمر الناس بالزحف ، فكان بينهم قتال عظيم ، مات فيه جماعة من المارقة رميا بالسهام ، وطعنا بالرماح ، وبسط (٤) للامام عليه السلام بساط ، فقصد عليه ، ودخل الليل ، واوقدت المشاعل ، وامضى القتال الى ثلث الليل ، ثم انصرف الناس ، وما زال القتال مستمرا كل يوم الى يوم الخميس ، لاحدى عشرة ليلة خلت (٥) من ذي القعدة ، وجاء قوم من اهل قلعة شاكر سرا الى الامام عليه السلام ، فأحسن اليهم ، ووعدوه بفتح القلعة ، وادخال أصحاب الامام عليه السلام ، اليهم ، وتركوا رهائن منهم ،

---

(١) ليحاصروا : ليحصروا في ج
(٢) فسحة : ساحة في ج
(٣) فعظم ذلك : تعظم لك في ج
(٤) وبسط : وسبط في ج
(٥) خلت : دخلت في ب

وامر عليه (٦٠٥) السلام ، أن يدفع اليهم طبل ، وامر وصيفا وطارقا بالمصير اليهم ، فأدخلوا طارقا ووصيفا اليهم في جماعة من عسكر الامام عليه السلام ، فملكوا القلعة ، وضربوا الطبل ، وأوقدوا النيران (١) ، فأمر الامام عليه السلام عسكره بالتكبير ، وعرفهم أن قلعة شاكر قد فتحت ، نعظم فتحها على ابي يزيد واصحابه ، وكادت قلوبهم ان تطير جبنا ، وجزعا . وركب الامام عليه السلام ، صبيحة الخميس الى سفح قلعة شاكر ، ونزل القوم الذين كانوا سبب فتحها ، فقلبوا الارض بين يدي الامام عليه السلام ، وهنوه بالفتح ، وهو يحمد الله تعالى ، ويشكره ، ويعدد فضله ويذكره ، وعفى عن سائر اهل قلعة شاكر ، واحسن اليهم ، واجرى الوظائف عليهم ، وامر طارقا فانصرف بالعسكر المنصور ، وأمر وصيفا بالمقام في القلعة مع القوم الذين كانوا سبب (٦٠٦) فتحها .

وزحف مخلد بن كيداد المارق في ليلة الجمعة بعد فتح قلعة شاكر في أصحابه الى خندق الامام عليه السلام ، وافترقوا (٢) على ثلاث فرق . وكان في الميمنة ابن فضل ، فقصد ناحية ملوسة وصنهاجة ، فوجد فيهم غرة ، فكبسهم ، وقتل الحسن بن نصر الصنهاجي ، واخذ عليهم بندا ، وكان ابو سليمان الزويلي في ميسرة المارقة ، فقصد جبلة ولهيصة ، فوجدهم حذرين ، وقاموا في وجهه (٣) فهزموه ، وقصد ابي يزيد الى باب الخندق ، وفيه الاولياء والعبيد ، فثاروا (٤) في وجوههم وقتلوا جماعة من المارقين .

وامر الامام عليه السلام ، أن لا يبرز احد من الخندق ، وان يثبت الناس في مراكزهم ، ففعلوا ، وانصرف الدجال ومن معه خاسئين ، ووصل صبيحة (٦٠٧) يوم الجمعة نرافة اهل قلعة عقار يسألون العفو والامان على يد وصيف الخادم ، فأمنهم الامام عليه السلام ، ووصلهم ، وكتب السجلات بالامان لهم ، وامرهم (٥) أن يسلموا ما كان بأيديهم من كراع و سلاح ، مما انتهبوه الى وصيف فأجابوا وفعلوا .

---

(١) النيران : سقطت في ب
(٢) وافترقوا : وفرقوا في ج
(٣) وجهه : وجه في ج
(٤) فثاروا : سقطت في ب
(٥) وامرهم : سقطت في ج

وركب الامام عليه السلام ، الى سفح قلعة كيانة يوم الثلاثاء لاربعة عشر ليلة بقيت من ذي القعدة ، ورمى عليه السلام ، عن قوسه أصاب سهم (٥) منها رجلا من المارقين فقتله ، ونزل جماعة من قلعة كيانة ، ليرعوا دوابهم في أوعار مما يلي معسكر زيري بن مناد الصنهاجي ، فكبسهم زيري ، وأخذ عليهم اثنى عشر بزدونا بسرجها ، وأمر بها الى معسكر الامام عليه السلام ، فطيف بها في العسكر ، ونظر اليها المارقون ، فساءهم ذلك . وأمر الامام عليه السلام ، بقوس (٦٠٨) اللولب فاحضرت اليه ، وزحف نحو قلعة كيانة ، ورمى عن قوس اللولب بين يديه فأصاب رجلا من المارقين بسهم فقتله ، ونادى مناديه بالزحف من عند ذلك اليوم ، فكان بين الناس قتال شديد ، ومات خلق عظيم في ذلك اليوم ، واكثرهم من المارقين أصحاب الدجال ، وأرسل الامام عليه السلام ، الى عسكره بعد العصر أن ينصرفوا فعادوا جميعا الى خندقه ، وفي يوم عرفة وردت رفقة عظيمة تحمل سمنا وعسلا ، ليكون عيدا للمارقين ، وأرادوا أن يصلوا به ليلا الى القلعة ، ويدخلوه من بعض نواحيها ، فأضاء الصباح عليهم ، ولم يصلوا ، وتسرع الاولياء عليهم ، فانتهبوا جميع ذلك ، ولما كان يوم النحر ، وهو يوم الجمعة لعشر خلون من ذي الحجة ، ركب الامام عليه السلام ، فرسا ولبس (١) رداء احمر بنجاف مذهب ، (٦٠٩) وقد ارتدى (٢) عليه قباء أصفر ، وتعمم عمامة صفراء ، وأرخى ذؤابته ، وحف به أنصاره ، بجنوده ، وأوليائه ، وعبيده ، وانتهى الى مصلى كان عمله (٣) قبل ذلك ، فنزل وصلى صلاة العيد . وارتقى منبرا كان بني له من الحجارة ، وخطب عليه السلام ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بالربوبية ، المتفرد بالوحدانية ، المتعزز بالقدرة والبقاء ، المتجبر بالعظمة والكبرياء ، الاول بلا غاية ، والاخر بلا نهاية ،

---

(١) ولبس : وارتدى في ج
(٢) ارتدى : سقطت في ج
(٣) عمله : عوله في ج

المتعالي عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكييف الناعتين ، ودرك ابصار الناظرين ، واشهد ان لا اله الا الله وحده ، لا شريك له - واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اكرمه بالنبوة ، واصطفاه بالرسالة ، وحباه بالفضيلة ، وابتعثه بالنور ساطعا، وبالحق صادعا ، و (٦١٠) بالهدى امرا ، وعن الكفر زاجرا ، وعلى الانبياء مهيمنا ، ولما جاؤوا به مصدقا ، فبلغ الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وانقذ من الهلك ، وافهم معالم الدين وفرائضه ، وبين (١) حدود الدين وشرائعه ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، حتى اتاه اليقين ، صلى الله عليه في الاولين ، وعلى اله الطيبين الطاهرين الاكرمين ، الائمة المهديين ، الكرام الابرين .

اوصيكم عباد الله بما اوصيت به نفسي قبلكم من تقوى الله ومراقبته، والعمل بما يرضيه ، ويقر بنا واياكم اليه ، ففي تقواه رضاه ، وبرضاه الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، ومن زحزح عن النار ، وادخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، الا وان يومكم (٢) هذا يوم حرام ، من شهر حرام ، يعظم على الايام ، يوم الحج الاكبر ، امتحن الله تبارك وتعالى فيه ابراهيم خليله ، وفدى فيه من الذبح ولده صلوات الله عليهما . وافترض على كافة اهل (٦١١) الاسلام الحج ، الى بيته الحرام ، الذي جعله مثابة للناس وأمنا ، فتقربوا الى الله تعالى فيه ، بما امركم به ، وافضل ما انتم مقربوه ، اناث الابل ، واناث البقر ، وفحول الضان ، واجتنبوا المريض من الحيوان ، ومصائب العيون والاذان ، والمشوه (٣) منها بالزيادة في خلقه والنقصان ، فانها غير مقبولة منكم ، بذلك جرت سنة نبيكم ، صلى الله عليه وعلى اله الائمة من ولده ، الاطهار الابرار عليهم افضل السلام ، لن ينال الله لحومها ، ولا دمائها ، ولكن يناله التقوى منكم، تقبل (٤) الله منا ومنكم، وكتب لنا ولكم حج بيته الحرام ، والوصول الى مشاهدة العظام ، ومرافقة الكرام ، باعزاز نصرنا ، وتمام امرنا ، وانجاز متقدم وعده لنا انه لا يخلف

---

(١) وبين : وبان في ج
(٢) يومكم : يوم في ج
(٣) والمشوه : والمشاوه في ج
(٤) تقبل : قبل في ب

الميعاد ولا يعجزه ما اراد .

الخطبة الثانيــة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدأ المعيد ، الكريم المجيد ، الفعال (٦١٢) لما يريد ، خالق الخلق ، وباسط الرزق ، ومنزل القطر ، ومدبر الامر ، وارث السمــوات والارض ، وما عليها ، واليه ترجعون ، الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، اشهد ان لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، وامينه (١) على ما أوحى ، والمنقذ من الضلالة والردى ، صلى الله عليه وعلى آله الكرام ؛ المهديين الائمة الطاهرين ، علي أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وخــيرة المسلمين ، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، والحسن والحسيــن ، والائمة من ولد الحسين الطاهرين ، بقية رسول الله وثماره ، وورائه وحججه على العباد من جبال الدين ، وسادات (٢) العالمين ، واولياء المؤمنين ، وعلى الامام المرتضى ، والولي المصطفى ، عبد الله ابي محمد الامام المهدي باللــه أمير المؤمنين ، ووارث فضل الائمة (٦١٣) المهديين ، من آبائه الخلفـــاء الراشدين ، وصفوة الصفوة من الاولين منهم والاخرين ، الذي قامت بــه دولة المؤمنين ، وبسيفه ذلت رقاب المنافقين ، واعاد الاسلام غصنا ناضرا ، والدين مضيئا ، والحق مشرقا زاهرا باهرا ، وأحيا به الله من الدين مــا اندرس ، ومن الحق ما التبس ، وجمع الله له شرف الدنيا وفخرها ، وآتــاه فضل (٣) الاخرة وذخرها ، صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وحنانــه .

اللهم وصل على ولي عهده ، وباب مجده ، وخليفته من بعده ، المتقلد الامامة . المتــوج بالكرامـــة ، عبــد اللــه أبــي القاســم القائــم بأمــر اللــه ابــن المهــدي باللــه أمــير المؤمنــين ! سليل خير النبيين ، ونخبة الماضين ، ونجيب الائمة المهديين ، صلاة تزيد بها كرامة وعلا ، وشرفا

---

(١) وامينه : وامية في ج

(٢) وسادات : وسارات في ج

(٣) فضل : افضال في ب

سامية القدر ، عالية الفخر ، نامية الذكر ، باقية على الدهر . اللهم وكما قلدتني (١) (٦١٤) خلافتك التي كرمتها وشرفتها وحظرتها وحرمتها ، ولعنت من غير أهلها مدعيها ، وأخربت مناوئيها ، وقصرت أيدي المتطاولين اليها . واخترت لها الواحد بعد الواحد من ابائي المهديين ، الكرام المصطفين . الخلفاء الراشدين .

ثم أورثتني مقامهم . واحييت بي ذكرهم . واتممت بي امرهم . وقفيت بي آثارهم ، ونصبتني لما نصبتهم ، من الاحتجاج (٢) بنا على خلقك ، والقيام بأمرك ، ونصرة دينك ، واعزاز ملة رسولك ، ونصرتني وأظهرتني وظفرتني بامرك ، وأعززت بي الامة ، وكثرتهم بعد القلة ، وجمعتهم بعد الفرقة . وكشفت عنهم مذلة (٣) الفتنة ، ودياجير الظلمة ، بدولتي التي اعززتها ونصرتها ، وايامي التي آثرتها فأخترتها ، وسيوفي التي أمضيتها على الدجال وحزبه ، والنفاق واهله ، فجعلتهم بها (٦١٥) حصيدا خامدين ، فأصبح الحق مشرقا ، والباطل زاهقا ، فضلا منك علي ، ونعمة جددتها الى نعم قبلها أسبغتها علي ، وأجزلتها ، اللهم فالهمني شكر نعمتك ، ووفقني للعمل بما يرضيك عني ، ويزلفني (٤) لديك ، ويقربني اليك ، فانه لا حول ولا قوة الا بك ، عليك توكلت ، واليك انيب ، وامري اليك فوضت ، وبك اعتصمت . صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي ، لله رب العالمين ، اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات ، وتقبل (٥) اعمالهم ، وترك سعيهم ، واهدهم ، وارأف بهم ، انك انت الرؤوف الرحيم .

ثم نزل عليه السلام ، فنحر ناقة بيده ، فانصرف الى مضربه ، ولما ضاق بمخلد المارق الامر ، وانقلب عليه الدهر ، وأيقن بالهلاك ، وانهمك في العجز والذلة شر انهماك ، وعرف ان لا خلاص له (٦١٦) مما وقع فيه ، ولا فكاك ، أصدر ابنه فضل بن مخلد الى معبد بن محمد بن خزر ، وكاتبه في نصرته ، ولاطفه (٦) في معاضدته ، وان يفك خناقه ، ويطلق من العجز والوهن وثاقه .

---

(١) قلدتني : قلاني في ج

(٢) الاحتجاج : الاحاج في ج

(٣) مذلة : ذلة في ج

(٤) ويزلفني : ويزلني في ج

(٥) وتقبل : واقبل في ج

(٦) ولاطفه : ولطفه في ج

وكان معبد يرى راي الخوارج المارقين ، ويتبرا ـ برء الله منه ـ من علي بن ابي طالب امير المؤمنين صلوات الله عليه ، وعلى آله الطاهريـــن ، وخليفة خاتم النبيين ، فاجابه ابن خزر بحشد (١) الحشود ، وجمع الجنود . وأنكر عليه ذلك ابوه محمد بن خزر وعرفه انه لا نصير له عن الامام ولا مفر. وكذلك نهاه أخوه فابي قولهما ، وخرج لنصرة مخلد بن كيداد . وقد خذلـه خالق الارض والسماء ، فكتب أبوه محمد بن خزر واخوه الخير بن محمد بن خزر الى الامام المنصور بالله سلام الله عليه ، بالبراءة من فعل معبـــد . وعرفاه ما ازمع عليه من نصرة مخلد ، وزحف (٢) معبد مع (٦١٧) فضل بن ابي يزيد الى يشكر ، والى طبنة في ايام حصار الدجال . واحاطة امـير المؤمنين عليه السلام ، على قلعة كيانة بالخيل والرجال ، فرجعفضل ومعبد بالهزيمة والخسارة ، وغلبهما من كان هنالك من جنود الامام عليه السلام . وروابطه الذين أيدهم الله بالانتصار ، ووصل الخبر (٣) بهزيمتهم الى الامام المنصور بالله عليه السلام ، يوم الخميس لاربع عشرة ليلة بقيت مـــن ذي الحجة ، فحمد الله تعالـى على ما أولاه ، وسجد (٥) له شاكرا على ما رفع من منار الحق به ، واعـلاه .

ثم ان مخلد بن كيداد حرض اصحابه المارقين وذمرهم ، وقال لهم . ان عسكر الامام عليه السلام ، قد تفرقوا ، واشاع كذبا وبهتانا أن الامام عليه السلام، ليسهو فيمعسكره، وأنهذهب (٥) لجمعالعساكربنفسه، وانالمعسكر خلا منه ، ونزل المارق الدجال فيمن معه لثلاثة عشرة بقيت من ذيالحجةيوم الجمعـة الـى معسكـر الامام عليه السلام ، (٦١٨) وضرب طبولـه . ونشـر بنـوده ، فوثـب عليهـم الاولياء ، وقتلوا منهم ما لم يـحص عدده ، من الرجالة ، وقتلوا من الفرسان ثمانية عشر فارسا ، والامام عليهالسلام ، في مضربه ، لم يبرز للقتال ، وعاد الدجال خائبا خاسرا ، ومن بقي مناصحابه قد اثخنوا جراحا .

ودخلت سنة ٣٣٦ فكان اول شهر المحرم يوم الخميس ، وفي هذا اليوم

---

(١) بحشد : بشرد في ج
(٢) وزحف : وقحف في ب
(٣) الخبر : الاخبار في ج
(٤) وسجد : وساجد في ج
(٥) ذهب : ذهبوا في ج

عاد (١) فضل بن مخلد ومعبد بن خزر المارقان الى مدينة طبنة (٢) وكان القتال بينهم وبين روابط الامام عليه السلام فيها الى الزوال ، ثم انهزمت المارقة ، فقتل من فرسان ابن خزر خمسة عشر فارسا ، ومن رجالته عدد كثير . وانقلبوا خائبين ، وعادوا مغلوبين لا غالبين ، وما زال القتال بين عسكر الامام عليه السلام ، والمارقين أصحاب الدجال ، والامام يبشر اصحابه بقرب الفرج والظفر ، ويقول لهم : ان لم اخذ (٦١٩) ابا يزيد واظفر به ؛ فلست ابن فاطمة الزهراء ، ولست بامامكم . وكان أيضا عليه السلام ،يقول لاوليائه : اني البس في اليوم الذي آخذ فيه أبا يزيد ثياب مصفرة ، فاذا رايتموني لبستها ، فثقوا بالنصر ، والفتح ، ان شاء الله .

وزحف المنصور بالله سلام الله عليه ، بعساكره الى المارقة في قلعة كيانة . يوم الخميس لثمان بقين من المحرم ، وحين طلعت الشمس ، بعد ان ارسل الى زيري ومن معه أن يزحفوا مما يليهم ، واقتتل الفريقان ، اشتد القتال ، وكان الامام عليه السلام يرتب الناس في القتال ، ويحرضهم ،ويجلس أحيانا على موضع (٣) مشرف ينظر القتال ، وعطش الناس ، فأمر عليه السلام ، بالروايا والقرب فملئت ماء ، وحملت على البغال الى المقاتلين في عسكره ، وبقي القتال الى بعد العصر ، وصبر الناس ، وعظم البأس ،وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ، وعاد (٦٢٠) الامام عليه السلام ، الى موضعه في معسكره بمن كان معه ، فلما كان من الغد صبحة الجمعة ، خرج الامام عليه السلام ، الى القتال ، وخرجت جميع عساكره ، واشتد القتال ، وتفان الابطال ، وزحف قيصر ، وشفيع ، وزيري ، فيمن معهم من جهتهم ، وطلع قدر ثلاثة مائة رجل من العبيد والزويليين من أصحاب حسن بن رشيق الى القلعة ، فهدموا فيها بيوتا ، ثم نزلوا ، فأمر الامام لكل رجل منهم بمائتي درهم ، فجعلوها في صرر وطافوا بها في العسكر ، فكان ذلك مما حرض (٤) الناس على القتال .

ولما كان يوم السبت لست بقين من المحرم ، خرج الامام المنصور صلوات الله عليه ، وقد لبس ثوبا أحمر موشى مذهب الاكمام والاذيال ، وعمامة

---

(١) عاد : عود في ج
(٢) طبنة : طنبة في ج
(٣) موضع : موقع في ج
(٤) حرض : حرص في ج

حمراء معلمة (١) الطرفين مذهبة ، وقد ارخى لها ذوابة ، وبيده درقة مغشاة بديباج أحمر مسبغ بصفرة ، وأمر الناس أن يخرجوا للقتال فاستبشروا بالفتح ، وايقنوا بالنصر ، وعرفوا (٦٢١) أن ما وعدهم به الامام قد آن ، وظهر ما اعلنه لهم وبان ، فخرجوا للقتال فرحين متشوقين ، وزحفوا باجمعهم على المارقين ، وقد ارسل الامام عليه السلام الى زيري وشفيع وقيصر أن يزحفوا في عساكرهم ، وأن يصدقوا العدو في حملتهم ، فتدانا الفريقان ، وتقارب (٢) الجمعان ، واشتد القتال ، وتلازمت الابطال ، وطلعت عساكر الامام في تلك الاوعار ، وقد صار المارقون على اعلى التلال يلقون الصخور العظيمة من رؤوسها ، فلا تمر برجل ولا دابة الا طحنت ما تمر عليه وصيرته (٣) رميما ، وغادرته هشيما ، واستمر القتال الى نصف النهار ، وكل الناس وملوا ، وعطشوا ، واثخن الاولياء جراحا ، واخذتهم الحجارة ، وكاعوا عن النزال ، واتعبهم شديد القتال ، فزجرهم الامام عليه السلام ، واغضبه كلامهم وملالهم ، وكر بنفسه على الاعداء (٤) ومعه ثلاثة الاف فارس ، واكثر من عشرة الاف راجل ، حتى توسط في الوعر الذي لا مسلك فيه للخيل (٦٢٢) والرجال ، فطمع عند ذلك المارقون ، وسولت لهم بالغلبة (٥) كاذبات الظنون ، وحملوا حملة واحدة منحدرين مجتهدين في قصد الامام غير مقصرين ، فارتدع من كان مع الامام عليه السلام ، وانفضوا عنه واسلموه ، وبقي وحده عليه السلام ، حين قصدوه وتعاوروه بالسيوف والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم ، ولم يظن اصحاب الامام عليه السلام ، الا انه قد قتل ، ووصل الفسقة الى الامام عليه السلام ، فتجاذبوا رداءه حتى مزقوه مزقا ، وقبضوا ركابه ، ورمي في رمح فأخذه (٦) في درقته ، واصاب صدره ، وضرب فرسه باحجار فمار به حتى كاد الجواد أن يقع ، فثبته الامام عليه السلام ، وحماه الله من (٧) المارقين الطغام ، وانجلى الغبار ، وهو قائم على ظهر فرسه ، ثم كر عليهم في تلك الوعور ، فولوا الادبار ، وركنوا عنه الى الفرار ، ورآه الاولياء سالما ، ففرحوا بسلامته عليه السلام ، واستبشروا ، وحملوا على الاعداء ، (٦٢٣)

---

(١) معلمة : علامة في ب
(٢) وتقارب : وقرب في ج
(٣) وصيرته : وصار في ج
(٤) الاعداء : الالداء في ج
(٥) بالغلبة : بالغلب في ج
(٦) فاخذه : فاخذ في ج
(٧) من : عن في ج

وتذمروا ، فحرضهم ، (١) الامام عليه السلام ، وصاح بهم ، فطلعوا تلك الوعور لم يثنهم فيها ضيق المسالك ووعورتها وحجارها وصخورها .

وافترق المارقون يمينا وشمالا ، وهربوا على وجوههم لا يرومون (٢) اقبالا .

وملكت قلعه كيانه قهرا ، وحيزت بالسيوف قسرا ، وتسنمتها جنود الامام عليه السلام ، من كل جانب ، ودنت من الدجال واصحابه المارقين النوائب.

وانحاز ابو يزيد الدجال في اولاده وغزاته وثقات أصحابه في قصر أولى في اعلى القلعة ، وطلعوا يقاتلون في اعلاه ، فأمر الامام عليه السلام ان تضرب له مازه في راس الجبل بقرب قصر الدجال ، وجلس عليه السلام ، عندها يحرض العسكر على القتال ، واحاطت العساكر في ذروة القلعة بقصر الدجال رميا بالحجارة الى أعلاه ، ورشقا بالسهام ، وطعنا بالرماح ، واطلقوا النار في باب القصر ، والمارقون يقاتلون من أعلاه مصرون (٦٢٤) على البغي ، لا يرتدعون عما (٣) هم عليه من البغي .

وكتب الامام لمن في القصر بالامان ان اسلموا الدجال . ورفع اليهم كتاب الامام على رمح ، فرموا به ، وتمادوا في الضلال. فحين أظلم الليل ، وقد كل المؤمنون وملوا لشدة القتال ، حرضهم الامام عليه السلام ، وأمرهم بالصبر ، وأيقاد المشاعل من حول القصر ، وامر بالاحداق به ، والحفظ كي لا يخرج من فيه ، والاحاطة به . وخرج عليه السلام ، من فازته ، وبسط له بساط بقرب القصر فبات عليه، واوقدت المشاعل بين يديه ، وأمر عليه السلام ، بايقاد ما في تلك الاوعار من الاشجار فصارت القلعة كالنهار المضيء ، وبات الناس على محارسهم ، والبنود بين يدي الامام عليه السلام منشورة ، والطبول تضرب بين يديه ، واصواتها عالية مشهورة ، فلما كان اخر الليل حمل المارقون حملة رجل واحد من ذلك القصر. وقد حملوا أبا يزيد وصاحبه ابا عمار الاعمى بين أيديهم ، (٦٢٥) فاختلط الناس ، وقتل من المارقة في تلك الحومة (٤) من قتل ، ونجا من نجا ، وسقط من سقط في تلك الاوعار ، فكان ممن قتل من المارقة في تلك الحومة الاعمى أبو عمار ، ويدرس المزاتي ، وجعفر المعروف بالناظر ، وجماعة من وجوه (٥)

---

(١) فحرضهم : حرض في ج
(٢) لا يرومون : لا يرمون في ج
(٣) عما : عن في ج
(٤) الحومة : الحوامة في ج
(٥) وجوه : وجه في ج

المارقين ، واخذ الاولياء رجلا منهم اسيرا ، وانوا به الامام عليه السلام ، فسأله عن مخلد الدجال ، فعرفه انه خرج من القلعة محمولا ، وطلبه الاولياء فلم يجدوه ، فشق ذلك عليهم وغمهم ، حتى كانهم المغلوبون ، وبات الناس على مصافهم (١) حتى اذن للفجر المؤذنون ، فقام الامام عليه السلام فصلى بطهوره من امسه ، لم يغمض ، ولا اضطجع ، ولا نام ، ولا هجع . فلما سلم عليه السلام ، من صلاته قال : يا اخوتنا لو علم الفاسق موضعا أوعر من هذه القلعة لصار اليه مع أن وعد الله حق ، ولو كان مخلد في السحاب لسقط في كفي ، واوقعه الله في يدي . فهو في الكلام عليه السلام . اذ اتوا بأبي (٦٢٦) يزيد اسيرا ، وكان قد خرج في تلك الحملة يحمله اصحابه حتى خلصوه من المعركة ، ثم ولوا وسلموه ، فذهب لينزل في الوعر ، وكان أعرج لا يحسن المشي ، فسقط في وهدة ، ثم قام فسقط في اخرى . فوهي جسده ، وشبح راسه ، وبقي لا يطيق حراكا ولا براحا . فلما اضاء الصباح وقرب طلوع الشمس (٢) عرفوه ، فأتوا به مأسورا ، وجاءت البشرى الى الامام عليه السلام ، فسجد على الارض شكرا لله وحمده تعالى على ما انعم به عليه وأولاه ، وامر للذي بشره بالف دينار من العين ، وامر بالمارق فحمل الى مضرب ، وحوله ناس يمسكونه ، وهو من الضعف والجراح مما الم به (٣) ، وقد احاط به الناس يهللون ويكبرون ، ويحمدون الله سبحانه ويشكرون كيف صير ذلك اللعين الى الذلة بعد ان أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، وكان على ما كان عليه من التجبر ، فأوقعه الله في يد (٤) الامام عليه السلام ، اسيرا ، واصاره لديه ذليلا ، حقيرا .

وركب الامام عليه (٦٢٧) السلام ، على دابته والسرور يظهر على اسرة وجهه ، وقد بلغه الله من مرامه الى كنهه ، ونصره على المارقين الكافرين ، وايد الله الذين امنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، وهو عليه السلام يكثر الحمد لله والشكر ، ويخضع له سبحانه تواضعا في السر والجهر ، غير طائش للفرح ، ولا تائه للمرح ، فلما انتهى الى باب فسطاطه . التفت الى الناس وهم به يحدقون ، واليه من كل وجهة يرمقون ، فقال : يا اخواننا اذهبوا الى مضاربكم ، واستريحوا من تعبكم ، واكثروا من الحمد لله والشكر لله ربكم ، فان الله تعالى قد فرج عنكم ، وأراحكم من عدوكم .

---

(١) مصافهم : صفهم في ج
(٢) الشمس : ذكاء في ج
(٣) مما الم به : لما به في ج
(٤) يد : يديه في ج

وانتقم لكم منه جزاء لما (١) ارتكب منكم ، وله في الاخرة عذاب النار بما قدمت يداه ، والله سبحانه المحمود المشكور على ما انعم به واولاه .

ودخل الامام عليه السلام ، الفسطاط فنظر الى الدجال ملقى في الارض ، فصرف عنه وجهه ، (٦٢٨) وأمر (بمداواته ، ومعالجته) (٢). وكتب الامام عليه السلام ، بخبر الفتح الى الاعمال ، وبشرهم بما أعطاه الله من الظفر ، وامكنه من عدوه الدجال ، ومن ذلك ما املاه بنفسه عليه السلام ، فكتب الى قدام الصقلبي ، عامله على المنصورية والقيروان :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الامير اسماعيل ولي عهد المسلمين ، وابن امير المؤمنين ، الى قدام ، سلام عليك : فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ونسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه ، وعلى آله عترته الاطهار الطيبين الاخيار ، الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ، والله اكبر الله اكبر ، ولله الحمد ، والشكر لرب العالمين ، الذي نصر عبده ، وانجز وعده ، وتفرد بالمن على عبده ، السابقات الكاملات ، فاظهرني تبارك (٣) وتعالى متوجا بعزه ، رافلا في جلل كرامته ، مبوءا من الفخر ذراه ، ومن المجد اعلاه ، واذ زاغت الابصار ، وبلغت (٦٢٩) القلوب ، وظن العباد بالله الظنون ، فجلا بي الظلام ، وأنقذ بي الانام ، وثبت بي الاسلام ، وجمع بي الأمة بعد الفرقة ، وأمنهم بعد الخوف ، واعزهم (٤) بعد الذل ، وحقن بي الدماء ، وسكن بي الدهماء ، وعمر الخلاء ، وأيدني من نصره واعزازه ، بما اعترف لي به المؤمن المساعد ، والكافر المعاند ، لقصر طول المخلوقين ، وقوتهم عن بلوغ شيء مما أملوه ، أو درك قليل (٥) حاولوه ، فضلا عن هذه النعم الجليلة ، والمنن الجميلة ، التي قصرت الامال ، وغضت الابصار ، وانقطعت الاطماع عن درك بعضها ، فأصارها عز وجل الي كلها ، وراى اني أهلها ، وتوجه بالنعمة علي ، ولم يجعل لمخلوق علي منة تشريفا لقدر عبده ابن محمد رسوله ، على ملوك الدنيا ، وعبيد الهوى الذين لها يسعون ،

---

(١) لما : بما في ج
(٢) بمداواته ، ومعالجته : بدوائه وعلاجه في ج
(٣) تبارك : بارك في ج   (٤) واعزهم : وعز في ج
(٥) قليل : قاليل في ج

وعليها يتناجزون ، وبعارها ينقلبون ، فلم ازل من انتصب للجهاد في سبيله ، وابرزت نحري (١) (٦٣٠) دون دينه ، باذلا نفسي ، متعبا جسمي ، مستصغرا كل عظيم ، ركابا لكل هول ، متعرفا من الله أجل الصنع ، واكمل التوفيق ، في كل وجه يممته (٢) ، وراي رايته ، وموقف حرب وقفته ، الى أن أتم الله علي النعمة ، واكمل المنة ، بالامكان من عدو الله الخاسر ابي يزيد ذليلا اسيرا ، بعد حرب كانت بيننا وبينه ثلاثة ايام متوالية ، لم يكن قبلها مثلها ابداء بداناه بالزحف يوم الخميس لثمان بقين من المحرم طلوع الشمس ، فقاتلناه قتالا شديدا الى بعد العصر .

ثم عاودناه القتال يوم الجمعة بأهول من القتال الاول واصعب الى بعد العصر ايضا ، وصابحناه يوم السبت فايقنوا بالهلاك ، واستماتوا واشتد القتال في وعر شديد ، فجعلوا يلقون علينا الصخور العظيمة التي لا تمر بفارس ولا براجل الا طحنته ، واصارته رميما ، فلم يزل القتال من أول (٦٣١) النهار الى ضحوته (٣) ، وكل الناس وملوا ، ولهثت الخيل من حر يسقط اطيار الجو ، وتقطع الاولياء جراحا ، واثخنوا بالحجارة ، وهابوا الاقدام ، وكاعوا ، فأغضبني ذلك ، فزجرتهم (٤) وأوعدتهم ، وتقدمت اليهم ومعي مطحنة فيها اكثر من ثلاثة الاف فارس ، ونيف على عشرة الاف فارس راجل ، ورأى العدو اقدامي عليهم ، فايقنوا بالموت ، وانهزموا بين يدي ، حتى اذا توسطت الوعر الشديد الهائل البهيم ، ظنوا انهم قد ظفروا فيما دبروه ، وحملوا علي حملة رجل واحد ، وارتدع لها كل من كان (٥) معي ، واسلموني ، فقصدني الفسقة ، وتعاوروني بالسيوف والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم طبق الارض ، فوصلوا الي حتى تجاذبوا ردائي فمزقوه ، وقبضت ركابي ورميت في تلك الحملة برمح أخذته في درقة عند صدري ، واثخنوا فرسي بضرب صدره و (٦٣٢) ناصيته بالحجارة ، ومار بي يمينا وشمالا ، فوثقت بالله ربا ، وطبت بالشهادة في سبيله نفسا ، وقلت : يا نفس حبذا والله موقف عشت بعده عزيزا ، او رحت منه شهيدا سعيدا ، الى لقاء جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى اله ، فوالله ما ثنيت منهم عنانا ،

---

(١) نحري : تحدي في ب
(٢) يممته : امممته في ج
(٣) ضحوته : ضاحيته في ج
(٤) فزجرتهم : زراهم في ج
(٥) من كان : سقطت في ب

واني لمنفصل في غلالـــة ، ورداء ، ودرقة ، وما هـــو الا ان تجلى الغبار . وراوني في وجوههم ، فانهزموا وولوا الادبار ، واتبعتهم وحدي في وعـــر لا مسلك للخيول فيه ، ورآني الاولياء فاستيقنوا بسلامتي ، فعطفوا عطفـــة واحدة ، وصحت بهم وحرضتهم ، فستأسدوا عليهم ، واجتززنا منهم في تلك المعركة زهاء اربعين راسا ، وافترقوا في هزيمتهم يمينا وشمالا وملكـــت (١) القلعة بالسيف قهرا وعنوة وقسرا ، وانحجز اللعين ابو يزيد وولده وغزاته واصحابه وثقاته في قصر اولى ، في ذروة القلعة ، باشبه شيء بعرف الديك. فاحاطت به الجيوش من كل جهة وناحية ، (٦٢٣) رميا بالحجارة ، وطعنـــا بالرماح ، ورشقا بالسهام ، واشتعالا بالنار في أبواب القصر ، والفسقـــة مصرون (٢) على كفرهم وبغيهم ، فكتبت لهم في ذلك المقام كتابا منشـــورا بأمانهم ان هم خرجوا الي وسلموا اللعين . وعرفت ان جهلهم وعماهم يحملهم على كفر النعمة ، وان بكفر النعم اجتلاب النقم . وأردت بذلك الاستظهـــار بالحجة عليهم عند الله تعالى ذكره ، فأخذوا الكتاب فمزقوه ، فاول من مد يده الى تمزيقه اصابه ســـهم في نحره خر منـــه ميتا ، وتمادوا عـــلى الاصرار واستماتوا ، والح الاولياء في قتالهم ، وهم من ذلك القصر في حصن منيع لا يرام من شدة (٣) الظلام ، فامرت بايقاد المشاعل ، وبت ليلتي كلها ساهرا ، وبنودنا خافقة ، وطبولنـــا هادرة ، ورجالنـــا على الركـــب ، وسيوفهم على عواتقهـــم .

فلما كان آخر الليل ، حمل اللعين واصحابه من ذلك القصر حملـــة واحدة كالخنازير ، فاختلط الناس ، فقتل في تلك الحومة من الفسقة مـــن قتـــل ونجـــا مـــن نجا ، وكان ممن قتل (٦٢٤) أبو عمار الاعمى ، ويدرس المزاتـــي ، وجعفـــر المعروف بالنـــاظر ، ونجـــا من نجا منهم مترامـــيا بنفسه من أعلى القلعة الى وعر شديد هائل ، وأخذنا منهم اسيرا فعرفني بأن اللعين خرج من القلعة هاربا فلم اصدقه ، فامرت الاولياء بالثبات علـــى مصافهم وتعبئتهم حول ذلك القصر ، ولم ازل قائما حتى لاح ضياء الصبـــاح ، واذا اللعين قد خرج في تلك الحملة ، فحمله ثلاثة من اصحابه حتى خلصوه من المعركة ، وولوا وأسلموه ، فذهب لينزل من القلعة فسقط ، ثم قام ليلحق بأصحابه فسقط سقطة أخرى ، اوهت جسده كله وراسه ، فلم يستطـــع

---

(١) وملكت : وملت في ب
(٢) مصرون : واصلون في ج
(٣) من شدة : الا في ج

حراكا ولا براحا ، فبقي ملقى على ضفة الوادي ، فاتينا به اسيرا بحمد الله ومنه ، وصنعه ، وعونه ، عند صلاة الفجر ، يوم الاحد لخمس بقين من المحرم ، ورايت من سوء حاله ، وما أصاره الله اليه من الذل ، واحله من النقمة ، ما في بعضه شفاء للغيظ ، وابراد للغليل ، فحمدت (٦٣٥) الله تعالى وشكرته ، وتوثقت باللعين ، وأمرت بمداواة جراحه ، والرفق به الى ان أصل به المهدية ان شاء الله ، فاحمد الله أنت ومن قبلك من رعايانا ، واكثروا معاشر العباد من الشكر لله ، وتقربوا الى الله بالصدقات ، وعتق الرقاب ، من اطيب اموالكم ، وازهاها (١) ، واحلها مكسبا ، واذكروا ما كنتم فيه أمس وما اصبحتم فيه اليوم ، من العز بعد الذل ، والامن بعد الخوف ، والطمأنينة بعد الروع ، والاجتماع بعد الفرقة ، والدعة بعد شدة المحنة ، بعدو الله وعدو (٢) رسوله ودينه الذي(٣) يسميكم مشركين ، ويحكم في المسلمين بحكم فرعون ، فاحمدوا الله على ما صرف عنكم ، وعلى ما وهب لكم ، مما جعل رأينا فيكم ، ونوايانا (٤) اليكم من الاحسان عليكم ، والى قربكم ، والدفاع عنكم ، وتحصين حرماتكم ، وحقن دمائكم ، متحملا في ذلك ما لم يتحمله تحت غيري ، واهوالا لم يقاسها أحد غيري ، لم ارد بذلك من المخلوقين جزاء ولا شكورا ، الا (٦٣٦) القربة الى الله تعالى ذكره ، والزلفى لديه ، والرغبة عنده فله الحمد على انجاح سعيي ، وتبليغي أملي ، واياه أسأل ، واليه أرغب في العزم على اداء شكره وتوفيقي لما يرضيه ، حسبي الله ونعم الوكيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكتب يوم الاحد لخمس بقين من المحرم من سنة ٣٣٦ ، ست وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة ، والحمد لله رب العالمين .

واكثر الامام عليه السلام ، من الصدقات على من في معسكره من أولي المسكنة والحاجات ، وكتب الى عماله في الافاق يعرفهم بما (٥) اعطاه الله تعالى من النصر ، واولاه من الامر ، ويأمرهم باظهار الصدقات من ماله ، وانفاقها على ذوي الحاجات والمسكنة في كل صقع ، ومكان ، حتى أولوا الفقر ، وكثر ما في أيديهم بفضل ولي الامر ، وكان مما كتبه عليه السلام ، الى جوذر الاستاذ عبده ، وغذي نعمته ، ونعم ابائه ، الذي اختاروه

---

(١) وازهاها : وازهارها في ج
(٢) وعدو : سقطت في ب
(٣) الذي : سقطت في ج
(٤) ونوايانا : ونوينا في ج
(٥) بما : ما في ج

واصطفوه ، وكان عندهم في المكان المكين ، والمنزلة الجليلة ، يعرفه الامام عليه السلام ، (٦٣٧) ومن قبله ، بما من الله عليه ، واسدى اليه من الفتح الجليل ، واسر الدجال ، وما انعم عليه به ربه الكبير المتعال ، ويأمره بالصدقات ، وبث الاموال على من كان في المهدية واعمالها ، وان يعم بذلك غنيهم وفقيرهم ، وادخل السجل رقعة بخط الامام عليه السلام ، فيها : يا جوذر ، اسعدك الله بطاعته ، وتولاك بكفايته . انا قد أوجبنا على انفسنا من العتق و (١) الصدقات وفعل الخيرات شكرا لله عز وجل على ما انعم به علينا من هذا الفتح العظيم قدره ، الجليل خطره ، ما قد نفذ أمرنا الى كل عامل بما يعمل به في (٢) جهته حسب ما رسمنا له ، واليك ـ صانك الله ـ بما تمتثله في اخراج ما رسمناه من الصدقات (٣) على الفقراء بالمهدية وما حولها ، لكنا لم نجد في باب العتق أزكى عملا ولا اقرب قربانا عند الله عز وجل من عتق رقبة مؤمنة طاهرة زكية مثلك ، فانت حر لوجه الله العظيم ورجاء لثوابه (٦٣٨) الجسيم ، قد اعتقت جسمك وروحك في الدنيا والاخرة ، وسميناك تشريفا لك ، بمولى امير المؤمنين ، فاجعل مكاتبتك لمن كبر قدره وصغر من جميع الناس ، من جوذر مولى أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ، ولا تكني أحدا ، ولا تقدم على اسمك اسما الا اسم مولاك ابي تميم استودعه الله وبارك في عمره (٤) .

فكان ذلك من تشريف جوذر ، وما خصه الله ووليه به ، فبان فضله ، وعلا عند أولياء الله محله ، وكان الى انتهاء عمره ، يكاتب من علا ودنا بما خاطبه الامام ، ولا يتواضع الا الامامة الذي فرض الله ولايته ، واوجب بعد طاعته وطاعة رسوله طاعته ، او لولي العهد الذي هو حجة الامام ، والمستحق بعد وفاته من الامامة لعظيم المقام .

ولما كان بعد يومين من اخذ ابي يزيد الدجال امر الامام المنصور بالله عليه السلام ، باحضاره اليه (٦٣٩) لاقامة الحجة عليه ، فحين (٥) دخل على الامام قال : السلام عليك . فقال الامام عليه السلام : السلام على من

---

(١) العتق و : سقطت في ج (٢) في : من في ج
(٣) الصدقات : الصدقة في ب
(٤) سيرة جوذر صفحة ٤٩ مخطوطة .
(٥) فحين : فحان في ج

اتبع الهدى ، ولا سلام على من كفر وعصى . فسكت مخلد . فقال له الامام عليه السلام : اي عدو الله كيف رأيت صنع الله ألم ينصر الحق على قلة انصاره، وخذل الباطل على كثرة اعوانه ؟ فطأطأ راسه . فقال له الامام عليه السلام : « واذ زين لهم الشيطان اعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وقال اني بريء منكم » (١) فرفع مخلد راسه وقال : قد اقدرك الله والعفو أولى بك . قال الامام عليه السلام : اي عدو الله اتشتم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ؟ قال : معاذ الله ، وكيف اشتم عليا ، ونحن حزبه الذين نصرناه على اهل الشام ؟ قال الامام عليه السلام : اوكان علي محتاجا الى نصرك ؟ (٦٤٠) كلا والذي فضله وكرمه علي ناصره ، والله مؤيده لا انت ولا غيرك . فافحم عن الجواب . فقال له الامام عليه السلام : او لم تشتم من هو خير من خيرات علي قال المارق : ومن خير من خيرات علي عندك ؟ قال عليه السلام : امير المؤمنين ابو القاسم الذي جمع الله به شرف النبوة والامامة بمحمد وعلي وفاطمة ، صلوات الله عليهم . قال : معاذ الله لا والله ، ما شتمته . قال له الامام عليه السلام : كذبت . قال : بأي شيء كذبتني ، وانت لم تسمع ذلك مني ؟ قال عليه السلام : ان لم اسمع فقد سمعه كافة اوليائنا من اصحابنا . قال مخلد : قد كانت معي عامة ، لا اخلاق لهم . فقال الامام عليه السلام : تكلم امامنا بملء فيك ، ما الذي نقمت فيه على امير المؤمنين ؟ فسكت . فقال الامام عليه السلام : تكلم . فسكت ايضا . فقال له الامام : والله لتقولن . فرفع المارق راسه ، ثم قال : نعم ، كان ابو القاسم كريما حوله قوم سوء هجنوه ، قال (٦٤٢) (٢) الامام: بماذا ؟ فسكت . قال : لتقولن ! قال المارق : هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين ، فقمت منكرا لذلك اريد اصلاح امور الناس . قال عليه السلام : فهل علمت ان ذلك عن راي امير المؤمنين ، وامره ؟ قال المارق لا أعلم ، الا انهم قد فعلوا . قال عليه السلام : فهل كنت تشكو ذلك الى امير المؤمنين ، وتطلعه (٣) عليه ، فان غير المنكر كان ذلك الذي اردت ، وان هو لم يفعل اتخذت بذلك عليه الحجة ؟ فسكت . قال الامام عليه السلام : وانما

---

(١) سورة :٨/٤٨

(٢) سقطت الورقة (٦٤١) لان الناسخ قد ارتكب وهو ينسخ الكتاب عدة اخطاء فيها فقرر الغائها .

(٣) وتطلعه : وتطالعه في ج

قمت كما (١) زعمت للاسلام محتسبا . قال : نعم . قال : فهل غير الاسلام ونقض شريعة محمد صلى الله عليه وعلى اله : واهلك أمته غيرك ؟ قال : كيف ؟ قال الامام عليه السلام : بما ارتكبت من المحارم ، وصغرت من العظائم ، وسفكت من الدماء ، وهتكت من المحرمات . قال المارق : ذلك من أقوام سوء اتبعوني . قال الامام عليه السلام : عن معرفة منك . او عن جهل ؟ قال : بل عن (٦٤٣) جهل مني بهم . قال عليه السلام : او لا يجب عليك فعلهم حجة عند الله وعباده ؟ قال المارق : لا . قال الامام عليه السلام : اذا كنت لا ترى الحجة عليك واجبة بفعل اصحابك ، فمن اين انت رايت الحجة واجبة على امير المؤمنين بفعل عبيده في اقصى البلدان ، وملكه بحمد الله أوسع من البحر الذي فيه الجواهر ، والغثا ؟ فسكت المارق . فقال الامام عليه السلام : ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصة ؟ قال : قوم (٢) سوء ملاعين . قال الامام عليه السلام : قد نقضت قولك ، واكذبك الله بلسانك . اذ زعمت انك جاهل باهل الشر من اصحابك . ثم هذا قولك في بني كملان ، وهم عمدتك وعدتك ، واخر من حصل معك من أصحابك ، اصحاب الشيطان . ويل لك من الله . قال المارق : فاني اتوب على يديك . قال الامام عليه السلام : برئت الى الله منك ، لما نقضت اعتقادك ، وخالف قولك فعلك . قال : بماذا ؟ قال الامام عليه السلام : بالفرار من (٦٤٤) الزحف ، فهو من الكبائر عند اولياء الله وعندكم ايضا ، اعداء الله ، وانت القائل : ان الموت اليك اشهى (٣) من الحياة ، والضامن لاصحابك انك لا تهزم ابدا . قال : ومتى انهزمت ؟ قال له الامام : الم تهزم من سوسة ، ثم من القيروان ، ثم من تامريت ، ثم من دامران ، ثم الى قدودة ، والى ارض السودان ، ثم الى الجبال ، ثم الى تامورت ؟ قال : لم أهرب ، ولكني دخلت الغرب . قال الامام عليه السلام : دخلت الغرب بشدودك ، ورواحلك من القيروان ، ورحلت مشتهيا (٤) لدخول الغرب ، بل اخرجك والله ابن رسول الله صلى الله عليه واله ، بذي الفقار سيف جده صاغرا قميئا مهزوما ، ذليلا خازيا ، خائفا طريدا ، فدخلت الغرب برغمك والله وصغارك بعار الامد ، وخزي الابد . في الدنيا ، ولعذاب الاخرة اكبر . فسكت المارق ، واطرق . ثم قال الامام عليه

---

(١) كما : سقطت في ج

(٢) قوم : قوام في ج

(٣) اشهى : اتكى في ج

(٤) مشتهيا : ماشيا في ج

السلام : لما استعملت الكذب (١) الذي هو عار ، ونار ؟ قال : ومتى كذبت ؟ قال الامام عليه السلام : ومتى (٦٤٥) صدقت ؟ او ليس من كذبك وزورك كتابك بالامس الى الاموي الشقي تدعي فيه أنك حصرتني ، وقتلت رجالي ، واخذت فازتي ، واني محصور بمدينة المسيلة ؟ قال : ما كتبت بهذا . قال الامام عليه السلام : يا غلام ، احضر كتبه التي اخذنا مع رسوله منذ أيام بطوابعها . فانقمع المارق وتلجلج ، لعلمه في كتبه ، وقال : العفو ، العفو . قال الامام عليه السلام : دعها يا غلام . ثم قال له : وأيضا تصف نفسك بالعقل والدهاء ، وترى نفسك لتدبير الحروب وقيادة الجيوش ، وسياسة الامور ، وامرأة من جهلة النساء اعقل منك . قال : من هي ؟ قال الامام عليه السلام : امرأتك التي حذرتك سوء العواقب ، وامرتك بما لو أطعتها فيه لكان في طاعتها رشدك ، من النزول الي ، والاعتراف بذنبك ، والتوبة الى الله تعالى ربك ، واعلمتك انك ان لم تفعل كنت ماسورا ، وان الله لا يدعك حتى يأخذك بكبير جرمك ، وعظيم ذنبك. قال المارق : لقد (٦٤٦) قالت ذلك . قال الامام عليه السلام : اتدري بما بلغت (٢) ما بلغت على خساستك ، ونذالتك ، وسقوطك ، وخمولك ، وجهلك ؟ قال : للقيام لله . قال الامام عليه السلام : ما عاذ الله من قام لله نصرة الله ، ولن يقوم لله تعالى الا أولياء الله . قال : فبماذا تقول؟ قال: بهوانك (٣) والله على أمير المؤمنين ، وانك تعلم أنه لو برز اليك لدق عنقك ، وقصم ظهرك ، وانقضى مذحين أمرك ، ولكنه أبى ذلك احتقارا لك ، واستصغارا لشأنك . ولقد سمعته يقول : لو اخذ عدو الله بحلقة هذا الباب ما خرجت اليه ليقضي الله امرا كان مفعولا ، وليبتلي الله المؤمنين ، ويمحق الكافرين ، والذي نفسي بيده لينجز الله وعده لنا ، ولو كره المشركون ، فسكت . قال الامام عليه السلام ، قد أخذتك بالسيف ، قهرا ، وصرت (٤) في يدي قسرا اسيرا ، بلا عهد ، ولا عقد ، فلأقتلنك قتلة هي اضر عليك من كل قتلة . قال : كيف ؟ قال الامام عليه السلام (٦٤٧) : بالاحسان اليك ، والافضال عليك ، والرفق بك ، ثم لا ينالك من عقوبتي شيء اكثر من سجنك في دار واسعة ورزق جار ، لتعلم اني ولي الله ، وابن

---

(١) الكذب : الكذوب في ج

(٢) بلغت : بلغوا في ج

(٣) وصوت : سقطت في ب

(٤) بهوانك : بهناك في ج

رسوله ، وان الله فضل اخلاقنا ، كما طهر اعراقنا ، ليكون ذلك نائلا لـك غما ، وهما ، وكدا ، وحسرة ، على ما فاتك من الفـوز بطاعتنا ، وعلى ما أعد الله لك من العذاب بمعاندتنا ، ومن أنت ايها الكلب ، فوالله ما في قتلك درك من فوت ، ولا شفاء من غيظ ، اخزى الله دولة (١) لا يحييها الا موتك ، خذوه ، فأخذه الخدم وحملوه ، وهو ثقيل دنف ، وهو يلتفت ، ويقول : جزاك الله خيرا ، جزاك الله خيرا ، فعلت ما يشبهك سلام عليك ، سلام عليك .

واشتدت بالدجال العلة لما ناله من السقوط ، فمات قبل الفجر ، سحر الليلة بقيت من المحرم ، سنة ست وثلاثين وثلاثماية ، والامام عليه السلام في معسكره ، فأمر (٦٤٨) عليه السلام به فسلخ جلده ، وحشي بالتبن بعد أن أخرجت أحشائه ، وملح ، وعولج (٢) ، حتى ظهرت صورته كأنها ناطقة ، وجعل في صندوقين طويلين ، وأمر الامام عليه السلام بحمل الصندوقين ؛ وكان اذا ورد مدينة أمر باخراج ذلك الجلد ، ويحمل على جمل ، ويلبس شيئا على رأسه ، ورجل يمسكه من خلفه ، كي لا يميل ، وينادي عليه ، وعلى كتفه وصلبه قردان ، يصفعانه ، ويلعبان عليه ، وفي ذلك يقول محمد بن ناسك التونسي من قصيدة طويلة شعرا :

ففاضت على غير مأملـة	وقد كثر الله أوزارهـا
فـأركب تمثالـه بازلا	يريح(٣) المطي وأكوارهـا
وزامل قردين فوق البعير	كأسرى تفاوض اسرارها
فما يرعيان لـه حرمـة	اذا ما القرود رعت جارها
وقد علما قبل ان يلقياه	وحد الاكف واظفارهـا
فياهامـة غادر اصحابها	وقد هتك الهتك أستارها(٤) (٦٤٩)
ويالحيـة ذاك يلهو بها	وهـذا ينتف أوبارهـا
أتيت بـه خاسئا حاسرا	يزور القرى لا كما زارها

وقال علي بن محمد الايادي الشاعر يذكر ارتقاء مخلد بن كيداد الدجال

---

(١) دولة : رولة في ج
(٢) وعولج : وعالج في ج
(٣) يريح : بعد في ج
(٤) استارها : باستارها في ج

الى قلعة كيانة وما كان من المنصور بالله عليه السلام حتى أمكن الله منه واسره ويصف كيف فعل بعد ذلك به حيث يقول من قصيدة :

فارتقى الملعون من خيفته / في ذرى أعيط عال مصمعد (١)
في ذرى خلقاء ملساء على / ذلك المعقل (٢) ليست بصدد
معقل من فوقه الله ومن / تحته المنصور في جيش معد
فارتقى المنصور بالسيف له / يوم طعن كشآبيب البرد
واثقا بالله في غربته (٦٥٠) / عن بني احمد ناء منفرد
فاذا مخلد في كف الردى / موثق الجيد بحبل من مسد
قد رمته الحرب عن غاربها / واهي الركن ذليل المستند
كنفيض اخرجته امه / ليس الا نبض روح وجسد
فأوى من كرم (٣) المنصور في / كنف رحب وخفض ورغد
طلبا منه ليبقي (٤) روحه / وبقاء الروح أشفى للكمد
نابى الله سوى اعجاله / وعذاب الله للجسم (٥) أهد
نتضا عنه أديما دنسا / كان قد اسرف فيه ومرد (٦٥١)
كأديم التيس لما لم يطب / ريحه (٦) جرد منه فانجرد
وحشاه سالخوه سعفا / ماليا ما بين كعب وكتد
ثم رقاه على مستحصد / باسق أجرد ما فيه أود

وكان الشاعر الفزاري أيام غلبة الدجال المارق قد مدحه وهجى الائمة عليهم السلام فقال ابو محمد عبد الرحمن العنفي يحرض المنصور بالله عليه السلام على الفزاري ويمدح الامام عليه السلام شعرا :

أمنصور هاشم من لا يحب / حياتك لا صاحبته الحياة

---

(١) مصمعد : مصعد في ج
(٢) المعقل : العقل في ج
(٣) كرم : كنف في ج
(٤) ليبقى : لبقيا في ج
(٥) للجسم : للوعد في ج
(٦) ريحه : رمحه في ج

وعاجله قبل ان ينتهي | الى أمد يبتغيه (١) الممات
أيمشي الفزاري فوق التراب | واظفاره فيكم داميات ؟
وسيفكم زلل لا يقال | فهل تغفر الزلل الموبقات ؟
فأين بوادرك المهلكات | واين عزائمك المنجزات (٦٥٢)
أرح منه ملكك لا تبقه | فافعاله كلها منكرات
وجاز اللعين بافعاله | فآثاره فيكم باقيات

وقال ايضا يحرضه صلوات الله عليه شعرا :

أيظن وغد فزارة ظن امرء | جهل العواقب وهو لا يتفكر
ان الذي ارتكب اللعين وناله | من اهل بيت الوحي ذنب يغفر
هيهات تلك خبية مطوية | فاذا اتى الاجل الموقت تنشر
والله ما المنصور عنك بغافل | لكن تبينت الذي يتدبر

فوافى الفزاري الامام المنصور بالله صلوات الله عليه وعلى اله تائبا مستغفرا متنصلا من فعله معتذرا وانشده القصيدة الفرازية المعروفة التي اولها شعرا (٦٥٣) :

لعمرك ما أوس ابن سعد بقومه | ولا سيد الاوبار قيس ابن عاصم
ولا كان ذو الجدين بين كتائب | لها ميم من بكر وحي اللهازم

ثم ذكر كبراء العرب وملوكها وذوي الباس منها الى ان قال :

ولا كان قعقاع ابن ثور اذا احتبى | جليس له لم يشقى(٢) بين الاقادم
بأمنع مني في جوار خليفة | عطوف على اهل البيوتات راحم
كريم الايادي والمساعي تمت به | أبوة صدق من ذؤابة (٣) هاشم
شريف الاداني والاقاصي مقدم | اذا ما عددنا فضل اهل المكارم
له من امام المرسلين وضوؤه | علي معال ثابتات الدعائم (٦٥٤)
معالي(٤) هي الفخر الصحيح وغيرها | معالي مجاز بين واه وسالم

---

(١) يبتغيه : تبتغيه في ج
(٢) يشقى : يشق في ج
(٣) ذؤابة : ذوبة في ج
(٤) معالي : معال في ج

ومن ذا يقيس الشمس في رونق الضحى … الى كوكب في غيهب الليل عاتم
وما عذر مشحوذ اللسان مثقف … يرى الشكر في الانعام ضربة لازم
أبيت أمير المؤمنين سوى التي … يزيد ثناء ذكرها في المواسم
تقى وندى ما بين حلم ونجدة … وعفو وامضاء على كل ظالم
وكذبت اطماع البغاة فأدبروا … لاعقابهم ما بين خاز ونادم
رجوا من فساد الملك ما اطمعتهم(١) … أمانيهم والله ليس بنائم
فصب عليهم محصدات كأنها (٦٥٥) شآبيب قطر واكف الغيم ساجم
ولولا حذار من عقابك ارجفوا … فعافوا وعاف الناس طير الاشائم
واني لأدري ان ابغض من بها … اليك وان اولاك نصح مداوم
ظلوم وكذاب المقال وفاجر … وباغ وعات مستحل المحارم
وللكذب المشتق في القلب سورة … اضر من الداء العياء الملازم
أمنت بك النكد اللئام(٢) وبغيهم … وتسوية من جاهل غير عالم
بقافية لو حصلت لتطايرت … شعاعا ولم تثبت على فكر ناظم
أيحسبها المغرور تنشد بعسجد … وتنقل من قرطاسها المتقادم؟(٦٥٦)
وما هي الا كالقسي اذا(٣) انحنت … أعاليه تطرح من جياد الدراهم
وان التي انشدتها بثنائكم … محبرة ما دام نسل لأدم
رأيت عدوا باسما غير عابس … وكان زمانا عابسا غير باسم
يكاسرني والعين أعدل شاهد … على غيب ود(٤) أو دفين سخائم
وكان غراب البين قد طار قبله … يهز ذنابيه (٥) كسير القوادم
واني لارجو منك اجرا يقرنني … على رغم مجدوع المفاطس راغم
ولا شيء الا في يد الله ان قضى … بها يسرت في كف (٦) أروع صارم

---

(١) ما اطمعتهم : اطعتهم في ج — (٢) اللئام : الليام في ج
(٣) اذا : متى في ب — (٤) ود : ودا في ج
(٥) يهز ذنابيه : يهز ذنابته في ج — (٦) كف : اكف في ج

يمد بها الوهاب نفسا كريمة (٦٥٧) معودة بذل النهى (١) والكرائم

فمني يبقى شكره وثناءه ... ومثلك يرجى للامور الجسائم
تغنى بها الركبان في كل بلدة ... ويحدو (٢) بها خوص الركاب الرواسم

فعفا عنه المنصور بالله سلام الله عليه ووصله ، وحمله على جواد ، واجرى عليه ، واحسن اليه ، وامر امير المؤمنين المنصور بالله اسماعيل بن ابي القاسم القائم بأمر الله صلوات الله عليهما وسلامه ، بالسلام عليه بأمرة المؤمنين بعد ان اظفره الله بمخلد الدجال المارق اللعين ، يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم ، أول شهور سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فنادى المؤذنون قبل الاذان لصلاة الظهر السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وانذروا بالصلاة ، والناس في غفلة ، فسر الناس وجاءوا (٦٥٨) يهنؤنه بالخلافة ، فحدثهم حديثا طويلا ، ووعظهم ، ووعدهم جميلا ، وخرج الناس من عنده واثقين بعدله ، مستبشرين بما ظهر (٣) لهم من فضله ، وامر صلى الله عليه بانشاء الكتب الى الامصار والاعمال ، بانه امير المؤمنين ، فكان مما انتسخ من ذلك بعد البسملة ، وحمد الله تعالى والصلاة والسلام على محمد النبي ، وآله الطاهرين ، قوله الى عامل افريقية : ولم يزل (٤) امير المؤمنين يأخذ نفسه بطي ما اتاه الله من الخلافة التي اصطفاه بها ، ورآه أهلا لها ، وفخر الامامة التي جلله سرابيلها ، منذ أصار ذلك اليه ، للذي قدره (٥) امير المؤمنين من ايثاق عرى الايمان ، وتحصين بيضة الاسلام .

ولما كان شاغلا به قلبه ، معملا فيه نفسه ، ناصبا بدنه ، مستفرغا وسعه ، من الجهاد في سبيل الله ، والتوغل في طلب الفاسق اللعين مخلد بن كيداد ، من المفاوز (٦) والرمال ، والشعاب والجبال ، لا يأخذه ونى ولا تلحته سامة ، حتى يأخذ لحق الله من باطله ، ولدينه (٦٥٩) من افكه ، ويطهر الارض من رجسه (٧) ونجسه ، وكره امير المؤمنين اظهار ما اختاره الله تباركت اسماؤه لوليه القائم بأمر الله صلوات الله عليه ، من النعيم

---

(١) النهى : اللهى في ج
(٢) ويحدو : ويحدى في ج
(٣) ظهر : طهر في ج
(٤) يزل : يزول في ج
(٥) قدره : قدوة في ج
(٦) المفاوز : سقطت في ب
(٧) رجسه : رجاسه في ج

المقيم ، والثواب الكريم ، وما اصاره الله اليه من سعة رحمته ، وبحبوحته وجنته ، مع انبيائه المصطفين ، وابائه الخلفاء المهديين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، فيجد الكافر عند وقوفه (١) على ذلك راحة ، ويظهر لوفاته صلوات الله عليه ، شماته ، فراى امير المؤمنين اخفاء ذلك الى وقته ، ليهلك الله الكافر بغيظه، ويميته بحسرته، فلما انجز الله لامير المؤمنين وعده، وأعز جنده ، وافلج حجته ، وأمكنه من عدو الله وعدو نبيه، وبسط فيه يده ، وامضى فيه امره ، وشفى غليل اوليائه المؤمنين بما أراهم فيه من القلة والذلة ، وسوء الحال ، وكسوف البال ، واقر عيونهم ، وأذهب غيظ قلوبهم ، وازدادوا بصيرة الى صافي بصائرهم ، واهلك الله تبارك وتعالى الفاسق وقطع مدته ، واراح الارض من كفره ، (٦٦٠) وأصاره الى اليم سعيره ، وجحيم ناره ، وتمت كلمة ربك الحسنى لوليه .

واحب امير المؤمنين ابداء ما اختصه الله به من كرامته، وآثره من مرتبته، من بهاء الخلافة ، وسناء قدرها ، وجلالتها ، ونافذ سلطانها ، وساطع برهانها ، والتسمي بها ، والاشهار بما حباه الله من فخرها ، وأمر بانشاء (٢) الكتب الى جميع الافاق على الرسم النافذ اليك ، في صدر كتاب امير المؤمنين، فاستمرت به الالسن ، وحسن الاثر ، وطاب الخبر ، وانتظم امر الدين ، وقامت شرائعه ، وخبت ثائرة أهل الالحاد فيه ، والصدود عنه ، وازال الله من قلوب (٣) الديانين ما كان خامرهم ، ورجع الى الحق نافرهم ، وانقمع الباطل واهله ، وارتج الكفر وسبله ، واصبح الحق بأمير المؤمنين ظاهرة اعلامه ، وسراج الدين ساطعا برهانه ، ووقعت الامور بالرفق والتعديل ، وجرت المجرى (٤) الحسن الجميل ، ورأى امير المؤمنين اعلامك ما منحه الله من تطوله ، واختصه (٦٦١) به من فضله ، لتحمد الله تعالى عليه ، وتتقدم في اذاعته واشادته ، فيمن قبلك من الاولياء ووالعبيد والرعية ، ليتصل سرورهم ، ويتجدد لله تعالى شكرهم ، ويحمدوا الله على ما منحهم ، ببركة ايام امير المؤمنين ، والاعتناء بامورهم ، وصلاح شؤونهم ، وبث العدل في كافتهم ، ونفي الجور والظلم عن حاضرهم وباديهم ، وما جمع الله لهم في هذه الدعوة الميمون طائرها، السعيد شكورها، من السلامة والالفة ، والاستقامة ، واستشار الرفاهية، والدعة ، والسعة ، وسكون الدهماء ، وحقن الدماء ،

---

(١) وقوفه : وقوته في ج

(٢) بانشاء : ينشىء في ج

(٣) قلوب : قلاب في ج

(٤) المجرى : المحري في ج

وصلاح الخاص والعام . فاقم الدعاء على المنابر بكور افريقية وأعمالهـا . وجميع البلدان والافاق ، افضل وأكمل ما دعي به للائمة المهديين صلوات الله عليهم اجمعين ، وأمر باثبات ذلك في الطراز . وفي دار الضرب . فيما قبلك . واكتب الى أمير المؤمنين بخبرك ،وخبر من قبلك ، واتصال مسرتهـم ، واعترافهم بفضل الله تعالى عليهم . ببركة دولة امـير (٦٦٢) المؤمنين ، واظهار دعوته ، وسعد طلعتـه ، ويمن طائره ، ان شاء الله تعالـى . والسلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

فاستبشر الناس في الافاق والاعمال . باخبار (١) الدولة الشريفـة المنصورية . وبما مكن فيها لولي الله عليه الصلاة والتحية . وجاء معبد بن محمد بن خزر وقد اجتمع اليه البربر ، ومن كان انضم الى مخلد الدجـال . فاجتمعت له جنود كثيرة ، فوافى بها الى الجبال والتلال (٢) التي حول معسكر الامام أمير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه وتحيته . فوافى الدجال قد قضى أمره . وحاق به مكره . وذاق الوبال ، وحل به من الله النكال ، وحين اجتمع (٣) مع معبد من اجتمع ، أمر أمير المؤمنين صلوات الله عليه الـى زيري بن مناد ، وقيصر ، وشفيع الخادم ، وقد كانوا صاروا الى المسيلـة . فوصلوا الى أمير المؤمنين عليه السلام . فوافوه يوم الجمعة ، وقد بـرز عسكر الامام عليه السلام ، الى عسكر (٦٦٣) معبد . ومنح الله أوليائـه الظفر عليهم . فهزموهم هزيمة فاحشة . وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ورحل الامام عليه السلام . ثاني يوم وصولهم ، يوم السبت ثاني صفر من معسكره مؤيدا منصورا . مظفرا محبورا ، وقد أذل الله له الظالمين . ومكنه مـن المارقين . وأيد (٤) الله الذين امنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين . فلما أخذ الناس في الرحيل ، زحف ابن خزر معبد فيمن معه . وسار في ساقة عسكر امير المؤمنين . وماج الناس ، ووقع القتال ، فأمر أمـير المؤمنين بشرى الخـادم ومن معه من العسكر بحفظ ساقة العسكر . وكمن زيري بن مناد للمارقين ، فحين وصلوا اليه ، خرج عليهم الكمين ، وثار في وجوههم ، فقتل منهم جماعة ، وكفوا عن القتال ، ووصل أمير المؤمنين عليه السلام . الى المسيلة ، فأقام بها سبعة عشرة يوما ، ووافته من كتامة هنالك عساكر عظيمة ، وامـر

---

(١) باخبار : بخيار في ج

(٢) والتلال : سقطت في ج

(٣) اجتمع : جمع في ج

(٤) وأيد : ويده في ج

باخراج جلد الدجال ، وطيف به على جمل في مدينة المسيلة ، ووافى امير المؤمنين (٦٦٤) عليه السلام ، بنو كملان يتضرعون (١) ويسالون العفو والامان ، فأمنهم ، وعفا عنهم ، ووسعهم بعظيم حلمه على معاضدتهم مخلد بن كيداد واعانتهم له في جرمه (٢) وظلمه ، بعد أن اغلظ لهم في القول ،فاكثروا التضرع اليه ، فكتب لهم سجلا بالامان ، وأوسعهم بالعفو والاحسان .

ووصل الى امير المؤمنين عليه السلام وهو بالمسيلة كتاب اهل تاهرت يعلمونه ان حميد بن نصل الكياسي تغلب على ما يلي تاهرت ، وطمع في تاهرت ، فوافاها وحاصرها ، وكان امير المؤمنين عليه السلام على مسير الى افريقية، فرق لاهل تاهرت ، ونهض (٣) عليه السلام من المسيلة في الساعة التاسعة من الليلة المصبحة من الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر صفر ، فوصل الى تاهرت يوم الاثنين غرة شهر ربيع الاول بعد العصر، فنزل خارج المدينة ، وتلقاه (٤) أهلها الصغير منهم والكبير ، فرحين مستبشرين بما ايد الله الامام من النصر ، (٦٦٥) وقضى له من الامر ، وذكروا أن حميد بن نصل قد رحل ، ولا يعلمون حيث قصد ، ولا اين يمم ، ولم يعلموا بوصول امير المؤمنين عليه السلام لشدة الحصار عليهم حتى سمعوا طبوله ، واقبلت عليهم طوالع خيوله ، فأمنهم عليه السلام ، وأسمعهم خيرا ، وامر بجلد أبي يزيد فطيف به ، ووصل الخبر الى امير المؤمنين عليه السلام ، ان حميد بن نصل ركب البحر ، وقصد الاندلس الى بني امية ، واتصل بأهل تنس وصول امير المؤمنين عليه السلام : الى تاهرت ، فأقبلوا اليه مسرعين ، وعرفوه (٥) انهم على طاعته، فأحسن اليهم، وبرهم ، وكتب لهم سجلا شريفا قررهم فيه ، وامنهم ، وقلد امير المؤمنين عليه السلام ، مسرور الخادم عمل تاهرت ، يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ، وحمله على فرس بسرج (٦) محلى .

واعتل امير المؤمنين عليه السلام بتاهرت علة شديدة ، فأقام عشرين يوما لا يطيق قعودا ولا قياما ، ويئس الناس منه ، وارجفوا (٦٦٦) بموته، واهمتهم انفسهم ، وخافوا ان تخطفهم الايدي ، ويتغلب عليهم كل معاند معتدي ، ثم من الله تعالى ببرئه ، وسلامته .

---

(١) يتضرعون : يضرعان في ج
(٢) جرمه : جراحه في ج
(٣) ونهض : وذهب في ج
(٤) وتلقاه : وتلاه في ج
(٥) وعرفوه : وعرف في ج
(٦) بسرج : سراج في ج

ولقد روى القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه عن المعز لدين الله معد أبي تميم المنصور بالله ولي عهده ، والخليفة من بعده ، عليهما السلام ، انه قال (١) : لقد اخبرني أمير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه انه لما اعتل بتاهرت العلة التي اشرف (٢) فيها على الموت ، اشتد يوما به الوجع ، ويئس من نفسه ، قال : فذكرت ما يجب لله عز وجل علي من تسليم الامر اليك ، والوصية بذلك ، فارسلت في طلب فلان وفلان ، وذكر جماعة من وجوه أوليائه ، لا ذكر لهم ذلك من عهد اليهم ، قال : فبعد ان مضى الرسول نمت ، وما كنت أنام قبل ذلك أيام العلة ، فرايت رجلا وقف علي ، فقال لي : ما الذي أردت ان تقول لهؤلاء القوم الذين امرت باحضارهم اليك ؟ قلت : أردت ان اشهدهم على (٦٦٧) عهدي ووصيتي ، قال : ولم ذلك فقلت : لما انا فيه من العلة ، وقد يئست من نفسي ، قال : أفظننت ان الله عز وجل يقطع بك عن أملك ، وقد قمت له ، وبذلت من نفسك في طاعته ما بذلته ، كلا ، والله ما انابك (٣) شيء مما تخوفته ، حتى جمع الله لك شملك ، ويبلغك ما تحب ، ثم انتبهت والرسول قائم ، فقال : قد حضر القوم قلت: ادخلهم. فادخلهم الي فعرفتهم ما بعثت فيه اليهم ، وأنا من العلة والضعف فيما لا يطمع لي في الحياة من رآني به ، فوالله ما أمسيت يومئذ الا معفيا ، وعادت القوة في أيام قلائل باتصال الصحة . فانصرفت بعد بلوغ الامل ، ونيل البغية .

وركب الامام عليه السلام ، يوم الخميس لليلة بقيت (٤) من ربيع الاول الى صخرة تعرف بناوة ، وهي صخرة عالية ، يجري عليها الماء ، وتنحدر منها ، فنظر اليها ورجع الى المناخ ، واثار العلة ظاهرة في وجهه . وشريف جسده ، والناس يدعون (٦٦٨) له ، وهم مستبشرون بعافيته . واقام أمير المؤمنين بتاهرت ، ثم سار صلى الله عليه يريد قبائل لواته ، وكانوا قد خرجوا عن الطاعة ، وكان خروجه عليه السلام من تاهرت يوم الاحد لثمان خلون من ربيع الاخر ، فانتهى الى أرض لواته آخر نهار الاربعاء لاحدى عشرة ليلة مضت من ربيع الاخر ، فوجدهم قد هربوا من بين يديه الى

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان مخطوطة .

(٢) اشرف : اشفى في جـ

(٣) ما انابك : ما بان عليك في جـ (٤) بقيت : سقطت في ب

الرمال والبراري (١) المتصلة بأرض السودان ، حيث لا ماء ولا رعي ، ولا أنيس يدعى ، فاقام بأرضهم الى يوم الجمعة ، لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاخر ، ووجد بها اثار عجيبة للروم ، وبقية قصور مبنية بحجارة عظيمة على ثلاثة جبال ، وفيها حجر قد كتب فيها بالرومية ، فامر الامام من قرا ذلك الزبر فاذا تفسيره : انا سليمان الرهوس ، هذا بلد يعرف (٢) بمور بطانية ، خالف أهل البلد على الملك حستباش ، وعلى والدته موذرة ، فاخرجني اليهم، فبنيت (٦٦٩) هذا البناء ، لاذكر به ، وفتح الله لي .

ورحل امير المؤمنين عليه السلام من لواته راجعا الى افريقية ، يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الاخر ، فانتهى عليه السلام الى مدينة المسيلة ، لليلة بقيت من ربيع الاخر ، واقام بها يوم الاربعاء ، وارتحل يوم الخميس سحرا غرة جمادي الاولى فانتهى رابع ذلك اليوم ، يوم الاحد الى مدينة سطيف ، فاقام بها ثلاثين يوما . وفرض على كتامة اربعة عشر الف بيت يوافون المنصورية فيسكنون فيها ، واقام هذه المدة بانتظارهم . وكان كثيرا ما يركب فيتنزه وينظر الى قصر سطيف ، ومشاهدة (٣) عجائب ما فيه ، وهو مبني بالحجر الكبير والاجر ، طوله ثلاثمائة ذراع ، وعرضه ستون ذراعا ، وفيه اثار عجيبة . وفيه قطعة رخام مكتوب عليها بالرومية ، ففسرت (فاذا مكتوب عليها) (٤) : ملك هذا الملك ، وهذه السيدة ، هذا البلد . وعاشا في هذا (٦٧٠) القصر سبعين سنة ، ثم ماتا ، فاف للدنيا ...

وقدم الى الامام عليه السلام ، رجل من أولاد مخلد بن كيداد مستأمنا، يسمى احمد فأمنه . وخلع عليه واعطاه الف درهم ، ورحل امير المؤمنين عليه السلام ، من مدينة سطيف يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الاخرى، فانتهى الى مدينة ميلة عشية (٥) الجمعة ، واقام بها تسعة ايام ، وفيها وافته حشود كتامة وعيالاتهم ، فانفذهم الى افريقية مع عبيده واوليائه ، وارتحل من ميلة ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادي الاخرى .

---

(١) البراري : البوادي في ج (٢) يعرف : يعرفه في ج

(٣) ومشاهدة : ورأى في ج

(٤) فاذا مكتوب عليها : فاذا كتبها في ق

(٥) عشية : سقطت في ج

وانتهى يوم الثلاثاء لاربع بقيت منه الى مدينة سيبة ، وخلع على جماعة من اوليائه خلعا نفيسة ليلبسوها حين دخلوهم المنصورية ، واستقبله اهل المنصورية ، واهل القيروان في مدينة سيبة ، ورحل منها ثاني ذلك اليوم ، يوم الاربعاء ، وما زال الناس يتلقونه حتى اطل على (٦٧١) المنصورية ، فاستقبله اهل القيروان من الرجال والنساء والولدان ، بالتهليل والتكبير ، حامدين لله تعالى على ما من على المؤمنين والمسلمين من النظر الى غرته ، سائلين الله تعالى أن يتم عليهم النعمة بدوام مملكته ، شاكرين لله سبحانه على ما من به عليهم من الامن بعد الخوف العظيم ، واتلاف الانفس والاموال ، وهتك الحريم ، فسجد لله جل ذكره على عرف فرسه ، وحمده خاضعا متواضعا ، لعلو جلالته (١) وعظيم كبريائه ، ووصل قصره بالمنصورية الذي ابتناه مدام خادمه في غيبته ، وكان وصوله صلى الله عليه وعلى اله الى قصره بالمنصورية صلاة العصر من يوم الخميس لليلة بقيت من جمادي الاخرى ، سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، بالنصر والتمكين ، والفتح المبين .

وعن أبي بكر جمهور بن علي بن جمهور بن زيد الهمداني الوادعي رحمة الله عليه انه قال : قال ابن حوقل البغدادي (٦٧٢) : المنصورية مدينة بالقرب ، بناها المنصور قدس الله روحه ، حسنة عجيبة الابنية ، واسعة الافنية ، معدومة النظير .

وفي ثاني يوم وصوله عليه السلام الى المنصورية ، امر باخراج جلد الدجال المارق ابي يزيد فطيف به ثلاثة ايام متوالية ، وعليه الطرطور ، والقردان ، وهو على جمل كالراكب ، ورجل يمسكه من خلف (٢) لكي لا يميل ، ثم أمر به الى المهدية فصنع به كذلك ، ونصب على سورها حتى حرقته الريح ، ووصل الى امير المؤمنين عليه السلام ، وهو بالمنصورية ولده وولي عهده ، والخليفة من بعده ، معد ابي تميم المعز لدين الله ولي عهد المسلمين ، يومئذ صلوات الله عليه ، وعلى ابائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين . وأمر أمير المؤمنين المنصور بالله بأن تطبع الدنانير والدراهم باسمه بالمنصورية . وارتفع اول الضريبة اليه فبعث به منها الى عبده (٦٧٣) الرفيع مكانه عنده جوذر الاستاذ بالف دينار من العين الى المهدية .

---

(١) جلالته : جلال في ق

(٢) خلف : وراءه في ج

وكتب معها رقعة بخطه عليه السلام وهي (١) : يا جوذر صانك الله وسلمك، بعثنا اليك بالف دينار رباعية منصورية مما ضرب على اسمنا ، فأقبضهـا لنفسك مباركا لك فيها ، واحذر ان تردها الى بيت المال ، فاني اعرفك وشحك على اموالنا ، وما من اموالنا شيء ازكى من مال وضعناه بأيدينا حيث نشاء ابتداء منا ، ولا اعظم بركة على من وصل اليه بطيب انفسنا ، وانك عندنا لاهل لكل (٢) خير ، وما نرضى أن تستكثر هـذا لبعض مـن تحت يديـك فاعلم ذلـك .

واقام امير المؤمنين المنصور بالله سلام الله عليه في مدينة المنصوريـة التي ابتناها في عز ظاهر ، وملك قاهر ، قد خضعت له الاعناق ، ودانت له في جميع الافاق ، وخمل اهل الشقاق ، والنفاق . ثم ان فضل بن مخلد بـن (٦٧٤) كيداد سليل الدجال المارق ، انصرف عن معبد بن محمد بن خزر الى جبل اوراس ، وموه على الناس ان اباه حي لم يمت . فاجتمع اليه اوبـاش الناس ، وطغامهم من البربر وغيرهم ، ممن يريد الفساد والشغـب علـى المسلمين ، ومن تعود النهب ، والفتنة ، واختلاس اموال الناس ، وسبـي الحريم ظلما واثما ، فنزل بهم فضل المارق من جبـل اوراس الـى ناحيـة قسطيلية ، ثم الى ناحية قفصة ، واجتمع اهل الفساد من كل ناحية اليـه ، وبلغ الى موضع يعرف بفج الحمار ، فارجف الناس بأخذه قفصه ،وقسطيلية، واتصل ذلك بأمير المؤمنين عليه السلام ، فنهض امير المؤمنين عليه السلام ، ومعه ولده معد ابو تميم ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ، وكان مسيره من المنصورية يوم الاثنين مستهل شهر شعبان الكريم سنـة (٦٧٥) ست وثلاثـين وثلاثمائـة ، ومعـه عسكـر كثيـف ، فانتهـى يـوم الاربعـاء لعشـر بقيـن مـن شعبـان الـى قريـة حمـوس ، الصابون ، وكان فيها قوم من اهل الفساد قد تحصنوا بقصر فيها ، فلما دنت منهم جنود الامام عليه السلام ، فروا على وجوههم يطأون الرمال ، وتركوا النساء والاولاد والاموال ، فامر امير المؤمنين عليه السلام بصيانة النسـاء والولدان ، وانتهاب ما في القصر من الاموال ، وحرقه (٣) بالنار ، واقـام هناك ثلاثة أيام ، ثم ارتحل فترك طريق قفصة يسارا وجاز في طريقه بقرية

---

(١) سيرة جوذر صفحة ٦٦ مخطوط .

(٢) لكل خير : خير في ج (٣) وحرقه : وحرمه في ج

يقال لها برغامة ، وكان قد اوى اليها قوم من المفسدين ، فأمر بحرقها ونهبها ، وأقام بمدينة سبطيلة (١) يوما ، وطاف في بنيانها ، ومشى في اثارها ، وهي المدينة التي كان فيها من حمير (٦٧٦) صاحب أفريقية ، وهي التي افتتحها عبد الله بن سرح ايام عثمان ابن عفان في سنة سبع وعشرين من الهجرة ، وهي مدينة أولية مبنية بالحجر والاجر ، يخرج من تحت سورها نهر. وانتهى الى مدينة قفصة يوم السبت لعشر بقين من شعبان ، فنزل بظاهرها بين مشرقها وشمالها ، وكان ذلك المحط كثير العقارب والغبار ، فانتقل منه الى جنوب المدينة مسافة ميلين ، فنزل بين الاشجار والبساتين ، واستراح الناس من الريح ، ووقف بها الى يوم السبت ، واتصل به الخبر ان فضل بن مخلد لما علم بخروج الامام المنصور بالله عليه السلام ، رجع هاربا الى أوراس ، وأنه قصد الى مدينة جنوب جبل أوراس ، يقال لها مديلة ، وعاملها من قبل امير المؤمنين باطيط بن معلا بن ناطيط ، فارتحل امير المؤمنين من قفصة يوم الاحد لثلاث بقيت من شعبان ، فانتهى عشية الاثنين ثاني ذلك اليوم فنزل (٦٧٧) بحصن يقال له ماواس ، به نخيل وعيون جارية ، وهو (٢) حصن منيع قد أحاط به واد عميق ، وكان اهل ماواس من شيعة فضل بن مخلد المارق ، وقد اوى اليهم كل مفسد وذاعر وسارق ، فأعطاهم أمير المؤمنين عليه السلام الامان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم على ان يخرجوا الطعام الى الاسواق لتشتري منه العساكر ما يقتاتون به ، واعطاهم علمين ، فحرقوا العلمين ، وباينوا بالخلاف ، ونادوا لا طاعة الا طاعة فضل بن مخلد ابي يزيد ، فكرر اليهم أمير المؤمنين الامان عليه السلام ، الاعذار والانذار ، وحذرهم عواقب الاصرار ، فتمادوا في العصيان والطغيان ، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام ، ولي عهده المعز لدين الله صلوات الله عليهما القتالهم ، وهو يومئذ حدث السن ابن سبعة عشرة سنة ، لم يشهد (٣) حربا ، ولا حضر قتالا ، فنهض اليهم ، وأمر الناس بقتالهم ، (٦٧٨) ووقف موضعا يرى منه القتال ، ويديره ، وكان اذا راى خللا في موضعه سده ، أو فرصة اهتبلها ، وكان يمشي تارة في اليمين ، وتارة في الشمال ، يحرض الناس على القتال ، ويدير (٤) أمرهم ، ويدبر لهم ما يصنعون به ، وهو مع ذلك على سكينة ووقار من غير ترك للحذر والمكيدة .

---

(١) سبطيلة : سبطة في ج
(٢) وهو : وهي في ج
(٣) يشهد : يشهر في ج
(٤) ويدير : ويدبر في ج

ورأى فيه عليه السلام من قوة الجاش ، وحسن التدبير مع حداثة سنه ، وقلة ممارسته بالامور ، ما لا يوجد في بشر الا فيه ، وفي الطاهرين من ابائه ، حتى ان بعض من حضر ذلك القتال سأل بعض خاصته ، اشاهد مولانا الامير عليه السلام حروب المهدية ؟ فقال : والله ما راها ، ولا شهد شيئا منها ، فكثر تعجبه ، وليس بعجب ان يجعل الله ذلك في سلالة النبوة ، وفرع الوصاية ، ومستقر الامامة .

ولما كان غروب الشمس غلب الاولياء على الحصن وفتحوه عنوة ، وقتلوا اهله ، وانتهبوا ما فيه ، ولم ينتهكوا (٦٧٩) حرمة ، ولا استباحوا حرة ، وانصرف المعز لدين الله الى ابيه امير المؤمنين سلام الله عليهما ، مؤيدا مسددا ، تحفه الوية النصر ، ويبتهج به وجه الدهر ، واستقبله امير المؤمنين عليه السلام ، قائما على رجليه ، وقبل ما بين عينيه وضمه الى صدره ، وقال له : انت ابني حقا ، وامر بجز الرؤوس ، فزادت على ثلاثمائة ، وبعث بها الى المنصورية ، والى المهدية ، وامر امير المؤمنين عليه السلام ، بقطع نخيلهم واشجارهم ، يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان ، ويوم الاربعاء .

وقال الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن فيما كان للمعز صلوات الله عليه وعلى آله من فتح ماواس شعرا :

أنعم بعزك يا بن خير الناس	وبما حباك الله في ما واس
من نصره لك اذ هممت(١) مطالبا	لعصابة الارذال والارجاس(٦٨٠)
لما طغوا متمردين وغرهم	شيطانهم بالمكر والوسواس
فتمنعوا في حصنهم واستقبلوا	جيش الامام بجندل وتراس
فعفى (٢) ومن عليهم فتعرضوا	للباس من ملك شديد الباس
وتحزبوا طاغين قد عطفتهم	للحين شقوتهم على الابلاس
فهناك انهضك الامام عليهم	فنهضت مثل النور في الاغلاس
في عسكر للمؤمنين اعزة	بالله لا عزل ولا انكاس
فسررته يا ابن الخليفة بالذي	مارست اول مشهد ومراس

---

(١) هممت : هبت في ج

(٢) فعفى : ففعل في ج

وشفيت منهم صدره واخذتهم (٦٨١) بالقسر والارغام والاتعاس

ساورتهم في خصنهم متوقلا ... لهم بسورة باسل فنعاس

وعزيمة منصورة قد حفها ... جند الملائك (١) من اله الناس

سقت المنايا والحتوف البهم ... فأخذتهم بمسالك الانفاس

بالمشرفية والرماح شوارعا ... والناس في شعل من الاقباس

وسحائب النشاب تمطر فوقهم ... مطرا كصوب العارض الرجاس

فابحت حصنهم ببأسك عنوة ... فاسلم عقيد ندى وليث مراس

وقتلتهم في رأس حصن لم يكن ... ليرام في فطن ولا بقياس (٦٨٢)

في مثل رجع الطرف صاروا عبرة ... في الغابرين وعبرة للناس

اضحوا (٢) حصيدا خامدين كأنهم ... ما كان منهم طاعم او كسي(٣)

ما زلت حين وردت تعرك جمعهم ... وتدوسهم بالبيض كل مداس

حتى صدرت بهامهم مقطوعة ... فوق الاسنة في الظلام الغماس

وكأن ما قد كان من اجسادهم ... جسد يسير على البلاد براس

فبقيت للمنصور بالله الذي ... أصفاه بالملك الجليل الراسي

ثم ارتضاك له وليا في الهدى ... والحق ينصر اهله ويواسي

زهت العلى بابي تميم واعتلت (٦٨٣) دار الهدى ووهت قوى الانجاس

صلى عليك الله ما هبت(٤) صبا ... اعطاف خوط الباقة المياس

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام ، الى الافاق بخبر فتح ماواس ، وبفرار ابن الدجال ، ومن ذلك كتابه الى عامل المنصورية ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدم كتاب أمير المؤمنين لتعريفك حال اللعين بن اللعين ، وانه لما اتصل به خروج أمير المؤمنين من المنصورية استولى عليه من شدة الرعب والرهب.

---

(١) الملائك : الالائلا في ج

(٢) اضحوا : امسوا في ج

(٣) كاسي : كاس في ج

(٤) ما هبت : ما هزت في ج

ما ولي به هاربا من قصور قنصة على وجهه الى قفار الارض ومفاوزهـــا . متعمقا فيها ، مترو عا من موضع الى موضع ؛ لا يستقر به قـــرار في ليل ولا نهار ، معولا على النجار بالجد في الفرار ، وتوليته الادبار ، فقد باء بغضب من الله وخزيه ، وضربت عليه الذلة والمسكنة ، يحسب كل (٦٨٤) صيحـــة عليه لفرط الخيفة ، وان الارض تخطفه ، والسماء تدمغه ، مقدرا (١) لجهله، وذهاب عقله ، ان العساكر المنصورة ، لا تقصده بها ، لقلة الماء ، فنهض امير المؤمنين مستغيثا بالله ، واثقا بنصره ، معتمدا على معونته في اهلاك اللعين ابن اللعين ، وجميع حزبه الاخسرين ، فنزل بموضع (٢) يعرف بوربغين من عمل قفصة ، فوجد اهله من بني يغرف ، وكلالة ، ويراوية . وبني شداد . وبني وريمت . قد هربوا منه ، واووا الى أمثالهم من ذوي الفسوق والمروق. فقدم اليهم امير المؤمنين الجيوش المؤيدة . وصمدهم (٣) في طريقتهم .والانتقام لدين الله منهم ، فتسنموا في غد يومهم اليهم والي بني يغرف ، اهل بيـــت اللعين ، وابن واسين في الجبل المعروف بجبل تارشوان من قسطيليـــة . والجبل المعروف باياس من عمل الزاب . (٦٨٥) واوقعوا بهم فيها . وانزلوا ما كان لهم بها من الاموال ، والاثاث . والمتاع ، والاغنام . والاضــرام . واضرموا خصومهم نارا . وهدموا الحصن المعروف بتامقرا . وقصر الفاسق بشر بن منصور المكياسي ، بعمل الزاب . واحتووا علـى ما كـان بهمـا مـــن مذخـور اطعمة قبائل الفسقـــة مكياس بنـي مولاب . ومـــزرح أهل بيت قبلاح ، من اجناد المخذول بشر بن منصور . وبني مساوي من بني مقراوه ، فجاسوا خلال ديارهم ودوخوهم . والتجا الفسقة الى أهلبيوتاتهم بالمدينة المعروفة بماواس من اعمال الزاب . واجتمعوا اليها من كـل اوب متظافرين على الغواية ، مستعدين شاكي الاسلحة واصناف العدة ، واثقين بكثرة أعدادهم وعتادهم، وقوة شوكتهم،وبأسهم ووعورة مدينتهم ،وحصانتها. وشموخ سورها ، وانفار بنيانها ، وعظم خندقها الهائل المعجب منظـره . (٦٨٦) الموئس من رامه ، مقدرين انها مانعتهم وعاصمتهم ، ودافعـــة بأس الله عنهم ، ولم يعلموا أن ذلك من استدراج الله لهم لما يريد من (٤) الانتقـــام منهم ، فالفاهم أمير المؤمنـــين مصرين علـــى ضلالتـــهم ، منهمكين في غيهم

---

(١) مقدرا : مقدا في ج
(٢) بموضع : بواضع في ج
(٣) وصمدهم : وصدهم في ج
(٤) من : سقطت في ج

وعمايتهم ، متهورين في غوايتهم ، غامطين (١) نعمة ربهم ، مرتكبين مساخطه متعرضين لحلول قوارع سطواته ؛ قد استحكم غضب الله عليهم ، واذن الله بهلاكهم ، وتعجيل ارواحهم الى اليم عذابه ؛ وشديد عقابه ؛ بما احتقبوا من الاثام ؛ وارتكبوا من الاجرام ، وما الله للعبيد بظلام .

فقدم اليهم امير المؤمنين الاعذار والانذار ، والتخويف والتحذير ، تأكيدا (٢) لحجة الله عز وجل ، ومظاهرة لمنه عندهم ؛ لينيبوا الى ارشادهم ؛ ويبصروا حظهم ، فلم يزدهم ذلك الا عنادا واصرارا ، وعتوا واستكبارا ؛ فانهض الامير ابا تميم مد الله في عمره ، وادام عزه ، لحربهم فصمد اليهم جلدا مشمرا في ذات ربه ، وما يزلف لديه ويحظيه (٣) عنده ، (٦٨٧) فاستبشر الاولياء والعبيد به ، وبادروا الى حسن السمع والطاعة له ، والقبول عنه ؛ والمسارعة الى مناجزة الكفرة الفجرة ، بانفس حمية ، وقلوب حنقة ، ونيات خالصة ، وعزائم نافذة ، وبصائر ثابتة ، واثقين من الله الكريم بالعون والتأييد والتمكين ، في اعزاز الدين والمسلمين ؛ واذلال المنافقين والمشاققين ، واستقدموا الى الفسقة فوجدوهم حادين في باطلهم ، مبلسين على كفرهم (٤) ، مستبسلين بحلول النقمة بهم ؛ غير مستبقين على انفسهم ، راكنين الى الموت ، مستريحين اليه ، متهافتين عليه تهافت الفراش في النار ، فناجزوهم القتال ، ودعوهم النزال ، وشمرت الحرب عن ساقها ؛ واذاقتهم مرارة مذاقها (٥) ، وولج الامير ابو تميم اعز الله نصره ، وادام عزه ، اليهم من اضيق المسالك ، راجلا مصطبرا ، ومتوكلا على الله محتسبا متأملا لاحوال الاولياء ، راعيا لعوراتهم ، وضم الى نفسه اهل البأس والمراس ، بالحروب والبصر بموارد الاقحام ، ومصادر الاحجام ، وسأل اهل المعرفة (٦٨٨) بوعر المدينة ؛ من اي ناحية تمكن الفرصة فيها ؛ واهتبال الفرصة منها ، وحرض الاولياء على مكافحة عدو الله وعدوهم ، ووقفهم على مالهم بالاجتهاد وفي الجهاد من جزيل الثواب ، وكريم المآب ، فصدقوهم المقارعة طعنا بالرماح ، وضربا بالسيوف ، ورشقا بالسهام ، ورميا بالحجارة ،حتى ساوروهم بمعقلهم ، وأنزلوهم ، منه عنوة وقهرا ، وغلبة (٦) وقسرا ،

---

(١) غامطين : عاملين في ج

(٢) تاكيدا : توكدا في ب

(٣) يحظيه : يحافظه في ج

(٤) كفرهم : كرافهم في ج

(٥) مذاقها : ذوقها في ج

(٦) وغلبة : وغلة في ج

وادركوهم في كل مهرب ، واخذوهم بكل نفق ومرقب ، وقتلوهم شر قتلة وانكأها ، وأضرموا أعراش المدينة نارا ، ولحقوا أعالي جدرانها بحضيضها. واحل الله تعالى بهم من الغير والعبر ما جعله الله لخليفته في بلاده، وحجته على عباده ، آية واضحة ، ودلالة لائحة ، على اختصاصه بالفضيلة التي لم يؤتها سواه ، وعرف به ذوي الحجي والنهى مواقع النعمة والنقمة ، ودواعي أسباب السعادة والشقوة ، واهتدى له ذووا البصيرة ، فسعدوا ، واتعظ به اولوا الشك فرشدوا ، واحتوى الاولياء من (٦٨٩) ديار الكفار الفجار من اصناف الاموال النفسية ، والامتعة الجمة ، وكثرة الكراع ، والابل ، والبقر ، والغنم ، والطعام ، ما يطول ذكره ، ويعظم قدره ، عن وصف حده. وآب الامير أبو تميم تمم الله أمره، وأعز نصره، بالجيوش المظفرة، الى مركزهم افضل أوبة وارضاها ، لم يمسسهم سوء ولا كلم ، ولله الحمد على ذلك خالصا دائما ، والشكر خالدا زائدا سرمدا .

وامر امير المؤمنين بعد ذلك بما أفضل الله به واسبغ ، وتطول فاوسع، وبعث رؤوس مقدمي الفسقة ومذكورهم، وذوي التقدم منهم ، وكتب أسماؤهم في رقاع عليها لتطوف بها في المحافل من (١) قبلك ، وتوجهها الى جوذر لينشرها من (٢) قبله ، ويعاين خواص الاولياء وعوام الرعية من جميل صنع الله ومنائح احسانه ، وفواضل امتنانه ، ما يسرون به ، ويعرفون بقدر نعمة الله فيه ، ويقابلون بحقها ، ويسعون بشكرها ، واستدرار موادها ، فاعمل به . (٦٩٠)

وكتاب أمير المؤمنين من ماواس ، وهو راحل الى قسطيلية للانصراف منها الى دار ملكه ، اذ قد زال اللعين ابن المخذول من مهامة الرمال ، وغوامض التلال ، الى حيث غاب شخصه ، واستتر اثره ، ولم يعرف خبره. والله طالبه ، حيث كان مهربه ، ومنتقم (٣) منه بعظيم ذنوبه ، عاجلا بحوله وقوته . وكتب يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، والصلاة والسلام ، على محمد النبي واله .

ورحل امير المؤمنين صلى الله عليه من ماواس لخمس ليال خلون من شهر رمضان ، فوافى قصره بالمنصورية يوم الثلاثاء للنصف من شهر رمضان.

---

(١) من : معا في ج
(٢) من : فيما من ج
(٣) منتقم : سقطت في ب

واقام الى يوم الثلاثاء لخمس بقين منه ، وسار يوم الجمعة الى المهديـــة . فنزل قصره بالمهدية عشية (١) السبـــت ، وكـــان يوم الفطر يوم الخميس مستهل شوال من سنة ست وثلاثين ، وخرج أمير المؤمنـــين المنصور بـــالله صلوات الله عليه لصلاة العيد الى المصلى (٦٩١) الذي ابتناه الامام المهدي عليـــه الســـلام ، خـــارج المهديـــة ، وولي عهده معد ابي تميم المعز لديـــن الله خلفـــه ، وســـائـــر أعمامـــه أولاد المهدي بـــالله عليـــه السلام ، واخوته أولاد القـــائم بأمـــر الله وأولاده ، خلـــف المعـــز لدين اللـــه ، وســـار في عساكره بالوقار والاستغفار والتسبيح ، حتى انتهى امير المؤمنين صلىٰ الله عليه الى المصلى ، فقضى صلاة العيد ، وارتقى المنبر ، وخطب صلـــوات الله عليـــه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله شاكر (٢) لنعمه التي لا يحصى لها عدد ، متعرض (٣) للمزيد من فضله الذي (٤) لا ينفد ، ولا اله الا الله اخلاصا بالتوحيد ، (ولا اله الا الله) (٥) اجلالا لذكره العلي المجيد ، سبحان المستشهد بآياته على قدرته ، الممتنعة من الصفات ذاته ، ومن الابصار رؤيته ، ومن العقول تحديده ، ذي الكبرياء والعزة والجلال ، والقدرة والثناء والعظمة ، لـــه السموات العلى والارضون السفلى ، وما فوقهما ، وما تحت الثرى ، (٦٩٢) كل خاضـــع لعظمته ، متذلل لعزته ، متصرف بمشيئته ، واقع تحت قدرته . واشهد ان محمدا عبده ورسوله ، اختاره وارتضاه ، وانتجبه واصطفاه ، واكرمـــه واصطفاه ، وبعثه بالهدى ودين الحق الذي تعبد به من في السموات من الملائكة المقربين ، ومن في أرضـه من الثقلين ، فاضطلع عليه السلام بما حمل ، وبلغ ما به أرسل ، صادعا بأمر ربه صابرا على البأساء والضراء ، في جنبـــه ، الى أن اظهر الله دينه على الاديان ، وأزهق بحقه اباطيل الاوثان . صلى الله عليه وعلى اله وسلم وشرف وكرم .

عباد الله : أوصيكم بتقوى الله وطاعته وخشيته ومراقبته ، والتقرب الى

---

(١) عشية : عشى في ج
(٢) شاكر : شكر في ج
(٣) متعرض : وتعرضا في ج
(٤) الذي : سقطت في ب
(٥) ولا اله الا الله : والله اكبر في ج

الله بما يرضيه ، فانه بما في قلوبكم عليم وبأعمالكم بصير (١) ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يغرب عنه (٢) في السموات والارض مثقال ذرة ، ولا ينجي من سخطه ، ولا يوصل الى رحمته الا طاعته « من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » الا وان الله عز وجل جعل يومكم هذا (٦٩٣) عيدا معظما على الايام، ختم به شهرا مفضلا على الشهور ، وافتتح به ايام شهور الحج الى البيت العتيق الذي كرمه وعظمه وجعله قبلة الصلاة (٣) ، ومحل البركات ، ومنزل الرحمات ، ومثابة للناس ، وامنا ، ومنارا للدين (٤) وعلما ، فتقربوا الى الله في يومكم هذا بأداء فطرتكم التي هي زكاة صومكم وسنة نبيكم سيد الانبياء صلى الله عليه واله وسلم ، كل امرىء منكم عن نفسه ، وكل واحد من اهله ، ذكورهم واناثهم ، صغيرهم وكبيرهم صاعا من برا وصاعا من شعير ، أو صاعا من تمر ، من طعام أهلكم لا من غيره ، فليس (يقبل منكم) (٥) الا ذاك ، واكثروا من الدعاء واستشعروا الحذر والرجاء . « يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فقريب والله وكان قد انه عز وجل لم يهملكم اهمال الهمج ، ولم يجعل عليكم في الدين من حرج ، ولا عذر بعد ايضاح المنهج (٦) ، وتأكيد [illegible] برسوله وائمة (٦٩٤) الهدى من ذريته عليه وعليهم افضل سلام الله [illegible] . وفقنا واياكم لما يرضيه ، ويزلف لديه ، ويقربنا اليه ، فانا له [illegible] على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وعلى [illegible] [illegible] بالحق قضوا ويقضون ، وبه عدلوا ويعدلون (٧) .

وجلس عليه السلام ، جلسة خفيفة ، ثم قام [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلوات الغاديات الرائحات الناميات الزاكيات الباقيات على محمد واله الطاهرين الطيبين ، الائمة المهديين الاكرمين ، الطاهرين الابرين ، حمدا حمدا شكرا شكرا ، انجزت وعدك ونصرت عبدك على كره الكافرين ، وصغار المارقين الاخسرين الافجرين .

---

(١) بصير : خبير في ج

(٢) ولا يغرب : يعزب في ج

(٣) الصلاة : الصلات في ج

(٤) للدين : للناس في ج

(٥) يقبل منكم : مقبول في ج

(٦) المنهج : النهج في ج

(٧) ورد هذا الخطاب في سيرة حوذر صفحة (٥٩ ـ ٦٠) .

احزاب (١) الدجال اللعين ، المغضوب عليه وعليهم الضالين ، الانجاس الارجاس ، اولي الذل والاتعاس ، الاشقياء الاخزياء ، الملعونين (٦٩٥) في الارض والسماء ، حمدا حمدا ، شكرا شكرا ، عودا وبدءا ، لا مكافيا نعماءك ، ولا مجازيا الاءك ، معترفا بالعجز عن الشكر ولو بكل لسان طول الدهر .

سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته وزكاته عليكما (٢) يا اميري (٣) المؤمنين ، خليفتي (٤) رب العالمين ، يا ابني (٥) الهداة المهديين ، يا ابناه ، يا جداه يا ابني (٦) محمد رسول الله سلام مسلم لله فيما قضاه علي من فقدكما ، صابر على ما امتحنني به بعدكما أوان الحسرة وشرق العبرة عليك يا ابتاه ! يا محمداه ! يا ابا القاسماه ! يا سيداه ! يا جيلاه ! واشوقاه ! واماه .

وخالق الارض والسماء ، باعث الموتى ومميت الاحياء ، ما انا في ريب من اختيار الله تبارك وتعالى لك ، ونقلك الى دار كرامته ، ومستقر رحمته التي بداها محمدا رسوله عليه السلام جدك ، وامير المؤمنين علي بن ابي طالب اباك ، وفاطمة الزهراء البتول امك ، وآباءك (٦٩٦) الطاهرين المهديين الابرار ، لكن ارعة المحزون باعثة للشجون ، مبكية للعيون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وله مسلمون ، وعلى كل حال تصرفت بنا حامدون ، ولنعمائه شاكرون ، فقد اعظم الله عز وجل النعمة ، وضاعف المنة ، بما ربط به على قلبي من الصبر ، وما اكرمني به من العز والنصر الذي ارسى به قواعد الاسلام ، ونور به قلوب المؤمنين بعد الظلام (٧) ، وبعد انقطاع الرجاء لتطاول مدة البلاء بالفتنة العظمى واهوالها وبلبالها ، وزلزالها ، ظلماء ، بهماء ، عمياء ، صماء ، جاهلية الجهلاء بدجال النفاق وأحزابه المراق ، اعداء الدين ، وانصار ابليس اللعين ، امهلهم الله استدراجا ، وأملى لهم فازدادوا في الغي لجاجا ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليرى (٨) اولوا الالباب مصداق وعد (الله في الكتاب) (٩) الم ، احسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا (٦٩٧) وليعلمن الكاذبين وعدا من الله لا يخلفه ، وحكما لا يبدله في الاولين من عباده

---

(١) احزاب : اصحاب في ج
(٢) عليكما : عليك في ج
(٣) يا اميري : يا امير في ج
(٤) خليفتي : خليفة في ج
(٥) [illegible] في ج
(٦) ابني : ابن في ج
(٧) [illegible] الاظلام في ب
(٨) ليرى : لينتظر في ج
(٩) الله في الكتاب : الكتاب في [illegible]

والاخرين الى يوم الدين » فكانت بحمد الله ونعمته على اعدائنا فتنة اصمتهم واضلتهم واردتهم واتعستهم واركستهم واذلتهم واخزتهم ، ولنا ولاوليائنا محنة أكسبتنا اجرا وذخرا ، واعقبتنا عزا وفخرا ، كان وجهها شتيما وعقباها كريما لما اراد الله عز وجل من تجديد دولتنا واعزازنا ، واظهار (١) نعمته علينا ، وتكفله بنصرنا ، وتمحيض ذنوب (٢) اوليائنا ، وتمحيق أعدائنا ، حتى اذا انتهت منتهاها ، وبلغت اقصى مداها ، ورجع الشيطان خاسرا ، ونطف هادرا واذكى ناره ، وادام اصراره ، وآسف الله جباره ، اذن بالنقمة فيه بتسليط عبده ووليه عليه ، فجلى الله ظلمتها (٣) ، ونور بهمتها (٤) ، وكشف عماها ، وصرف لاواها بي وعلى يدي ، كرامة من الله خصني بها ، وفضيلة حباني بشرفها ، ونعمة لي (٦٩٨) ذخرها ، وعلي قصرها ، وصل بحديثها على قديم أنعمه على آبائي الطاهرين ، وسالف منته على أجدادي الائمة الطاهرين المهديين ، شهدت دون ذلك السيوف فكسرها ، ودلفت الي الزحوف فهزمها(٥) ، وتظاهرت علي جنود الكفرة فخذلها ، وطمحت العيون نحوي فطمسها ، ورفعت الرؤوس فنكسها ، وشمخت الانوف فارغمها ، وصعرت الخدود فاصرعها ، وابى جل جلاله الا اتمام وعدي وأمري ، واعزاز نصري ، واظهاري ، واظفاري ، وتأييدي واعلائي ، انجازا لوعده محمدا عليه السلام باعزاز ملته ، واعلاء حجته ، ونصر ائمة الهدى من ذريته . فامضى قضاءه قادرا ، وكبت أعداءه قاهرا ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لامره ، ولا شريك في الحمد له .

يا اهل دعوتنا ، يا انصار دولتنا ، يا كتامه . احمدوا الله ، واشكروه على ما خصكم به من نعمته وجسيم منته ، وفضلكم به على كافة الخلق في غربه وشرق ، بداكم عز وجل بالنعمة (٦٩٩) العظمى ، ثم شفعكم بالمنة الكبرى ، ووالى بينهما عليكم من سوابغ نعمه (٦) بما لا يحصى بصركم والناس عميان ، وعلمكم والخلق (٧) جهال ، وهداكم والعباد (٨) ضلال الى دينه ونصرة حقه وطاعة وليه ، علم الهدى وسراج

---

(١) واظهار : والاظهار في ج
(٢) ذنوب : سقطت في ج
(٣) ظلمتها : اظلامها في ج
(٤) بهمتها : بهمة في ج
(٥) فهزمها : فغمدها في ج
(٦) نعمه : نعمائه في ج
(٧) والخلق : والناس في ج
(٨) العباد : الناس في ج

الدجى ، (وقطب الدين) (١) وحبله المتين ، ففازكم بالسبق (٢) الى نصرته ، والسعي في طاعته ، والتفيء بظل دولته ، والاستنارة بضياء حكمته ، حتى اذا قضى الله زلزال البلاد ، واختبار العباد . جلل الارض الظلام ، وزلزل الاقدام ، وعظمت الخطوب ، واشتدت الكروب . ويئست (٣) القلوب ، عصمكم الله ، وهدى قلوبكم ، وثبت اقدامكم الى ان جلاها الله عنكم خاصة ، وعن العباد كافة بنا وعلى ايدينا ، فكانت عليكم نعمة ، وعلى العباد حجة ، فانجلت عنكم والله بيض الوجوه موفيين بعهد الله معتصمين بحبله .

اللهم اني اصبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم (٧٠٠) بحبلك ، وصبرهم على البؤساء والغراء في جنبك تعبدا لنا واعترافا بفضلنا ، واداء ما افترضه الله على العباد لنا ، وتوسلا اليك بطاعتنا . اللهم فارض عنهم ، وضاعف حسناتهم ، وامح سيئاتهم ، واحشرهم في زمرة نبيك الذي دانوا به ، ووليك الذي والوه ، وابق نعمتك عندهم ، واتمها عليهم ، واكمل حسناتك اليهم ، وخلد العز في أعقابهم ، وأجزل ثوابهم ، واهدهم وطهر قلوبهم ، انك سميع الدعاء قريب مجيب .

ونزل صلوات الله عليه ، فانصرف الى قصره ، وأمر باطعام الناس . وفرق صدقات على الفقراء والمساكين ، ولاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جيء الى الامام المنصور بالله عليه السلام ، بأبي بردعة أسيرا ، وكان قد ثار أيام شغل المنصور بالله عليه السلام ، بعدوه ، وقطع السبيل واخافها . وفي تاريخ الحسين بن جعفر الانصاري ، وفي سنة (٧٠١) اربعين وثلاثمائة اخرج الامام المنصور بالله اسطولا عظيما الى صقلية للغزو منها مع فودح الخادم ، واجتمع بابي الحسين ، وصار الى قلوزية من بلاد الروم . فكان فتحا عظيما ، والتقيا نسلحان صاحب اسطول الروم اخر ليلة من ذي الحجة فغنماه ، وقتلا كثيرا من رجاله ، وغنما جميع ما معه من اموال ، ورجعا الى عند الامام عليه السلام .

وفي سنة احدى واربعين جمع معبد بن خزر الزناتي جموعا كثيرة وسار اليه زيري بن مناد أمير صنهاجة فهزم عسكره من البربر واسر معبد وحمله

(١) وقطب الدين : سقطت في ج (٢) بالسبق : بالسعد في ج
(٣) ويئست : وملت في ب

الى الامام عليه السلام، فقتل وسلخ وصلب، فامر به امير المؤمنين فسلخ على باب المهدية ، وضرب (١) على المنازل وانتهبها . ووصل ناطيط ابن يعلا بن ناطيط براس فضل بن مخلد المارق لعشر بقين من ذي القعدة ، وكان فضل المارق قد زحف (٧٠٢) من جبل اوراس الى مدينة باغاية وحاصرها ، فاتاه ناطيط مظهرا للدخول (٢) في طاعته ، فوثق به ، واطمان اليه ، فاحتال ناطيط حتى خلا به وفاوضه ، فلما تمكن منه ناطيط ، وامكنته الفرصة منه، سل سيفه وضربه حتى امضاه ، واجتز رأسه وسار به ، ولم يشعر عسكره بذلك الا بعد ساعة طويلة ، وقد نجا ناطيط فافترق العسكر وانحل أمرهم ، فامر امير المؤمنين صلى الله عليه بالطواف (٣) براس فضل والنداء عليه ، وأحسن الى ناطيط وخلع عليه ، واخمد الله نار الفتنة وقضى لرايات وليه بالعز والرفعة ؛ وللناس في ظل دولته وسعادة أيامه (٤) بالامن والدعة ، وأبطل الله سعي المارقين ، وكيد الباغين ، واستأصل شأفة المفسدين ، وأمنت السبل والاطراف، وفر كل من كان قد وجل قلبه وخاف .

وقال في ذلك الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن ابن ابي الفرج بن حوشب رضوان الله عليه ، شعرا : (٧٠٣)

الا يا أمين الله يا عالي اليد ... ويا مصطفى آل النبي محمد
ويا خير من القت اليه قيادها ... امور الورى من ذي مغيب ومشهد
هنيئا لك التوفيق في كل حالة ... من الله والتأييد في كل مقصد
ولا زلت مسرورا بفتح مبين ... مدى الدهر محبوا بنصر مجدد
اراد النجا اذ فر فضل بن مخلد ... لينجو فما انجاه طول التبعد
وألفى المنايا شرعا يقتنصنه(٥) ... رصدن له بالحتف في كل مرصد
حتمت على كل القبائل أخذه ... ومطلبه (٦) في كل خبت وفدفد
وطاشت به للحين شقوة جده (٧٠٤) الى اجل وافاه من غير موعد
تعرض في أقصى(٧) النواحي ببغيه ... يريد من الايام ما لم تعود

---

(١) وضرب : وخرب في ج
(٢) الدخول : للداخل في ج
(٣) بالطواف : الطوفان في ج
(٤) ايامه : يومه في ج
(٥) يقتنصنه : يقتنصه في ج
(٦) ومطلبه : وتطلابه في ج
(٧) اقصى : قصوى في ج

فسدت عيون المارقين غضيضة ... الى مبرق بالترهات ومرعد
فثارت له بالمشرفية عصبة ... مخافة ليث في المهالك مورد
وقامت لسلطان الامام وسعده ... ونصر لمن والاه بالعز مسعد
فدارت رحى الموت المبيد سريعة ... على الناكث ابن المارق المتمرد
فاضحى ابن دجال(١) النفاق ورأسه ... على صعدة تهوي به كل فدفد
يسير بها من قام في نصرة الهدى ... بدار الى باب النجاح المصمد (٧٠٥)
الى باب خير الخلق للحمد عنده ... ومن يكتسب فعلا من الخير يحمد
ففاض عليه من عطاياه زاخر ... كذي لجب يطفو على الشط مزبد
ولم يزل المنصور بالله قادرا ... يبيد عداه بالقنا المتقصد
اذا قيل للطاغين في كل بلدة ... سينهض اسماعيل في اليوم او غد
اطارهم من قال في كل موضع ... واقلقهم بالذعر من كل مقعد
فأمسوا معا اما طريدا مزائلا ... حذارا والا طائعا لم يشرد
فها تلك اقطار الهدى وقراره ... مسددة فيها لهيبة أصيد
فيا خالق الدنيا وليك قائم(٧٠٦) ... بحقك فانصره على كل معتد
أبو الطاهر الميمون انت اصطفيته ... اماما متما عن رسولك احمد
فمهد له الدنيا بان قد جعلته ... اماما (٢) شهيدا في العباد لمشهد
الا يا أمير المؤمنين لقد قضى ... لك الله حتما بالعلى فاعل وازدد
ودم للهدى والمكرمات ممتعا ... بعز على طول الزمان مخلد
فدونك يا بن النبي محمد ... نتيجة ود خالص متجدد
فمن وأفضل منعما بقبولها ... فمن يعط حظا من قبولك يسعد
وصلى عليك الله ما قال قائل ... وماخطت الاقلام في الطرس باليد (٧٠٧)

وأقام أمير المؤمنين بالمهدية الى سلخ (٣) صفر ، واستعمل على المهدية

---

(١) دجال : الدجال

(٢) اماما : اما في ج

(٣) سلخ : سلاخ في ج

عبده وعبد آبائه عليهم السلام جوذر وانتقل فسكن قصره بالمنصورية ، وذلك في شهر ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فوصل الى قصره بالمنصورية ، ومعه ولي عهده والخليفة من بعده ، معد أبو تميم المعز لدين الله سلام الله عليهما ، وخواص دعاته ، واوليائه ، وسائر أهله وولده ، فجعل المنصورية مسكنا ، وأقام بهامستوطنا، وقد انصلح له الجمهور ، وقامت بسيفه الامور ، ودخل الناس في طاعته مهطعين (١) ، وشملهم ظل مملكته مكرهين ، وطائعين ، فاستقر الملك في قراره ، وقام المجد على ساقه ، واخمد الله نيران اعدائه ، وأهل شقاقه ، وشمل الناس عدله ، وعمهم فضله ، ونصب عمد الشريعة واقامها ، واظهر سننها واحكامها ، وأقام باطن الدعوة وظاهرها ، وحكم قواعدها ومشاعرها، وابان نواهيها وأوامرها ، ونصب (٧٠٨) أمير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام ، القاضي الاجل النعمان بن محمد بن حيون التميمي رضوان الله عليه ، للقضاء بالمنصورية والقيروان ، واعمال افريقية ، وامضى حكمه في جميع ما استولت عليه المملكة العلوية ، والدعوة الشريفة الفاطمية،وجعل قضاته (٢)في الافاق عن أمر القاضي النعمان يصدرون ويوردون، وفي تيار ما استفاده من علم الائمة يردون،وقد كان قبل ذلك استقضاه بطرابلس ، ثم أمره بالكون بحضرته في المنصورية ، وقلده امر قضاته ودعوته .

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه : وكان امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه ، استقضاني بمدينة طرابلس ، ثم نفذ الي امره بالقدوم ، فقدمت ، قال : فلما اشرفت على المنصورية واجهت المعز لدين الله صلوات الله عليه خارجا لبعض ما كان يخرج (٣) اليه في موكب ضخم، فنزلت وبادرت اليه السلام عليه ، وهيأت كلاما ، فما هو الا أن قربت (٧٠٩) منه ، وملات عيني من شخصه الزكي ، حتى ملات صدري هيبته ، ورأيت جلال الامامة في وجهه ، فوالله ما دريت (٤) ما اقول ، ولا عولت الا على تقبيل الارض ، ثم أومى

---

(١) مهطعين : مطيعين في ج (٢) قضاته : قاضيه في ج

(٣) يخرج : خارج في ج (٤) ما دريت : ما رويت في ج

الي بيده فقبلتها ، وأفحمت هيبة واجلالا ، فابتداني بالكلام ، فقال : قدمت خير مقدم ، وبارك الله فيك ، وجزاك خيرا عن نفسك ، فقد انتهى الينا خبرك، سر راشدا الى باب امير المؤمنين بالله عليه السلام . وحرك دابته . قال . ولما مثلت بين يدي امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه قال لي فيما قال : يا نعمان اذا جزى الله المحسنين خيرا فجزاك الله عنا افضل الجزاء . وقال : فما كنت بشيء أسر مني بما سمعت يومئذ من المنصور والمعز لدين الله صلوات الله عليهما (١) .

وقال القاضي النعمان رضوان الله عليه (٢) : لما استقضاني امير المؤمنين المنصور بالله على المنصورية ، وامرني بالجلوس للنظر بين الناس في دهليز (٣) قصره ، وقال (٧١٠) لي : لو اتسع لي أن أجلسك بين يدي في مجلسي داخل قصري لكان ذلك اعجب الي . فاذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في دهليز قصري فانه احق موضع أقيمت فيه الحقوق . ونفذت فيه الاحكام ، فجلست حيث أمرني فيه بالجلوس ، فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم سيما بالنساء والضعفاء ، ومن يتهيب الدخول من باب قصر امير المؤمنين عليه السلام (وتبينت ذلك) ورفع الي ايضا فتهيبت مفاوضة امير المؤمنين فيما راه وأمر به ، الى ان خرج المعز لدين الله عليه السلام يوما فيما كان يخرج اليه ، فسايرته ، فقال لي : يا نعمان كيف الحال في جلوسك في السقيفة ؟ فتهيبت ان اقول ذلك بخلاف ما قاله أمير المؤمنين . وذكرت له قوله ، وامسكت ، فقال : وكيف بالمراة والضعيف ومن تقتحمه العيون ، ومزاحمة رجالنا وعبيدنا ، وكيف بك ان وجب عندك حدا وادب على أحد ، فأين يتهيأ لك ان تقيمه هناك ، لا والله ما هو بموضع يصلح (٧١١) لك ، ولان تكون بارزا للناس ظاهرا يصل اليك الضعيف ، ويبلغ حاجته لديك ، وتقف المراة وتبلغ اليك في استتار ، ويمكنك من اقامة ما يجب اقامته من الحدود والاداب ، اهياء ، واجمل ، وأفضل،

---

(١) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول الصفحة مخطوطة .

(٢) المصدر نفسه والمجلد نفسه الصفحة (٣٧ ـ ٣٨) .

(٣) دهليز : سقيفة في المجالس والمسايرات صفحة ٣٧

فقلت : الراي ما راه الامير وفقه الله وسدده .

قال القاضي النعمان رضوان الله عليه (١) : وكان ذلك فيما رأيت أن الله عز وجل فهمه (٢) اياه من وجه الصواب ، وهداه اليه من فضل الخطاب (٣) ، ثم لما انصرف خرج الي توقيع أمير المؤمنين المنصور بالله (صلع) مع مال أمر به لابتناء موضع فسيح اجلس فيه حيث يصل فيه الي الناس . ويمكنهم ما يريدونه من أمورهم على ما ينبغي عندي .

وفيما أتى عن القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قال (٤) : لما أرحلني امير المؤمنين عن مدينة طرابلس الى الحضرة المرضية وافق وصولي اليها غداة يوم جمعة ، فخلع صلوات الله عليه يوم وصولي ، وقلدني ، وامرني بالمسير من يومي الى المسجد الجامع بالقيروان ، و (٧١٢) اقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة ، اذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع ، وامر بجماعة من خاصة بوابي القصر الاعظم بالمشي بين يدي بالسلاح ، الى ان (أقمت الصلاة والخطبة) (٥) وانصرفت ثم خرج توقيعه من غد الى ديوان الرسائل بأن يكتب لي عهد بالقضاء بمدن المنصورية ، والمهدية ، والقيروان ، وسائر مدن افريقية ، واعمالها ، فذكر ذلك ، وانتشر في الناس ، وعلموا امتثالي أيام كنت بطرابلس أمره صلوات الله عليه ، فيما عهده الي في عهد القضاء عليها ، من اقامة الحق على الشريف والمشروف ، والعدل بين القوي والضعيف ، فانتهى الي جماعة ممن تعود الاثرة ، ومن عودهم اياها الذمام والطعمة ، وعن المخالفين لي في المذهب ممن تطاعم الرياسة، أن ذلك ساءهم واحفظهم ، واشمأزت منه قلوبهم ، فقام فيه من اعتاد الاثرة انفة وحمية ، ومن عودها الناس خيفة على نفسه وتقية ، ومن خالف المذهب ديانة وعصبية، فسروا بي (٧١٣) النجوى، واجتمعوا علي لاجتماع الاهواء من خاص وعام ، وقريب وبعيد، فخلصوا نجيا في الجيلة بالبغي علي، وسددوا بالمكر سهامهم ،

---

(١) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول صفحة ٣٩ .

(٢) فهمه : فهمته في ج

(٣) اسقط المؤلف ما يلي من كتاب المجالس والمسايرات (ومما قدمت ذكره في الباب الذي قبل هذا الباب) .

(٤) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الثاني صفحة ١٤٩ مخطوطة .

(٥) اقمت الصلاة والخطبة : في المجالس والمسايرات الى ان صليت .

الي بغير ذنب مني اليهم ، ولا بجناية (١) مني اوجبت ذلك منهم ، فشنعوا علي من الاشانيع ونسبوا الي (من المكروه) (٢) ما الله يسألهم عنه ويثيبني (انشاء الله تعالى) (٣) بفضله عليه وتهيأ لهم بذلك بعض ما املوه بحسب ما اوجبه الزمان وتهيأ في الامكان ، مما لم يكن علي بحمد الله وفضل وليه فيه ضير ولا نقص ، ولما صرت الى ما اصارني اليه امير المؤمنين المنصور (٤) صلوات الله عليه ، وقمت بما وجب على القيام به منه وسمعوا اثناء الناس مما تطاعموم من العدل وراوه من الانصاف جعلوا يشنعون فيهم الاشانيع ، ويدسون من يبثها فيهم ، اني انسب المكروه اليهم ، وأسعى بهم واحرك ما فيه حتفهم ، وما علموا انهم ما يكرهونه نسبوه الي ليوغروا صدورهم علي ، ويذهبوا بشكرهم لي مع اصناف من الحيل والاذى والمكر لا يفترون عنها ولا يملون (٧١٤) منها ، يطول ذكرها ، ووجوه من الاذى كثيرة ثبتت عندي ، وصحت لي ، فضاق صدري بها ، وحملني ذلك بعد صبر طويل على رفعها الى المعز لدين الله صلوات الله عليه ، فضمنت جملا منها رقعة ورفعتها اليه فوقع الي بخطه في ظهرها : يا نعمان ، والله لولا معرفتي بك لنسبتك عند وقوفي على رقعتك هذه الى الجهل ، اذ كنت قد علمت ما مر على مواليك من اذى من نصب لهم وعاداهم ، ورد امر الله عز وجل وكذب رسوله فيهم ، من المحن العظيمة ، لكن انفسنا قد تمرنت على حمل (٥) المكروه ، وظهورنا قد قويت على النهوض باثقاله ، وانت بحمد الله فلم ينلك ما يدخل عليك منه نقص في دينك ، ولا ذل في دنياك ، وقد ضقت من هذا الذي وصفته وبلغ منك ، افما علمت انك الجاني على نفسك ما منه ضجرت ، اذ تبين لك مخالفة السفل (٦) الرعاع لاولياء الله ورفضهم لاحكام الله ، ونصبهم و (٧١٥) طعنهم على اتباع الحق واهله ، واردت أن لا يكون منهم ما قد كان اليك ، فكنت تدعنا وتتبعهم فتتعافى مما بلينا وبلي اتباعنا منهم ، واذا كنت تبعتنا على بصيرة ومعرفة ، فاصبر على ما لا بد منه ، فقد قال مولاك علي صلوات الله عليه : رضى الناس غاية لا تدرك . وحسبك عملك بطاعة الله وعملهم بمعاصيه ، وانت أعلم بنفسك منهم بك فان كان بينك وبين الشيء

---

(١) بجناية : بجانية في ج
(٢) من المكروه : سقطت في ب
(٣) انشاء الله تعالى : سقطت في ج
(٤) المنصور : سقطت في ج.
(٥) حمل : سقطت في ج
(٦) السفل : سقطت في ب

تخافه ، فمنه فاحذر ، وان لم يكن فهذا لك زيادة في الاجر (١) .

ولقد كان الواجب عليك ان تسأل الله الزيادة لك من هذا الحسد ، فانك لا تزداد بقربنا رفعة الا زدت من كثرة الحاسد ، وكيد الكائد ، فان كنت تسال (٢) الله رفع ذلك عنك في حين ضيق صدرك ، فاستقل الان فقد كان بعض الحكماء اذا دعى الله لنفسه ، قال : رب اجعلني محسودا ولا تجعلني مرحوما . ثق بالله ربك وبنا (٧١٦) فوالله لا ينالك مع الثقة بالله (٣) وعز الدولة مكروه تحذره في دين ولا دنيا ، هذه الالسنة الحداد هي متاجر النساء والسفل (٤) الاوغاد تذهب بالاعراض عنها ، وتزول بالاطراح لها ، وتزيد وتعظم ما علم السفل نفاقها ، فلا تصغ الى سماعها ، ولا تلق بالا بها ، فوالله ما سبيلهم عندي الا كسبيلهم كانت عند المنصور بالله صلوات الله عليه ، فلقد سمعته يقول ويؤكد ذلك ، ويحلف عليه ، وذكر كلاما ولاهم الله ما تولوه ، وجزاهم بما اعتقدوه ، ومع هذا فللملك سياسة يساس بها ا ولنا حدود لن نتعداها ، والله يظهر أمره (٥) على رغم الراغمين ، ولو كره المشركون ، والله يوتي فضله من يشاء ، والله سميع (٦) عليم (٧) .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : فلما قرأت توقيعه (٨) هذا سلوت مما كان ضاق صدري به ، وكأنما كنت في غفلة مما ذكر صلوات الله عليه . ونقول : ما ابلغ هذه الموعظة من ولي الله صلوات الله عليه ، و (٧١٧) اثبتها واسماها في الفضل وابلغها ، فانه لا يحسد الا اهل الفضل على ما اتاهم الله من فضله ، واولاهم من جزيل خيره وبره ، وما احسن الاعراض عن كلام الاراذل (٩) والاوغاد ، وأسلى ذلك للقلب ، وابرده في الفؤاد ، ومن اصغى سمعه لما يقولون وينقلون ويفصلون من المحال ، ويحملون وقع من ذلك في العويص ، ولم يكن عن شغل قلبه به من محيص ، اذ هو اذا جاراهم في ميدانهم اهان نفسه وساواهم في النقص ، ولا يستريح الا بأعراضه (١٠) عن الخوض في مداحض جهلهم ،

---

(١) الاجر : الاجرة في ج
(٢) تسال : سؤال في ج
(٣) بالله : سقطت في ج
(٤) والسفل : والاراذل في ج
(٥) امره : سقطت في ب
(٦) سميع : واسع في ج
(٧) كتاب المجالس والمسايرات المجلد الثاني صفحة (١٥٢ ـ ١٥٣) .
(٨) قرات توقيعه : سمعت قوله في ج
(٩) الاراذل : السفل في ج
(١٠) باعراضه : بارفاعه في ج

وترك البحث عن امورهم والفحص . وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم . المنزل على خير المرسلين ، حيث قال تعالى : « وأعرض عن الجاهلين » (١) ولو أوردنا ما اتى عن اولياء الله سلام عليهم ، لطال القول به ، ولاحتجنا الى أبواب كثيرة تتسع في امر ذلك وسببه ، ولا يزال اهل الفضل محسودين على قدر فضلهم ، ممتحنين (٧١٨) ممن ينتقص من قدرهم ، وليس كمثلهم .

وفيما اتى عن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه قال (٢) : وسمعت المعز لدين الله صلوات الله عليه يقول : كنت مع المنصور بالله امير المؤمنين عليه السلام : في بعض اسفاره ، وقد نزل منزلا أقام فيه قصر له بذلك المنزل وبستان احدق به فيه ماء جار ، فخرجت يوما أمشي في نواحي ذلك المنزل ، فلما انصرفت اتيته بحسب العادة فوجدته تحت بعض تلك الاشجار في يوم صائف حار حاسر الرأس وقد حلقه ، وان العرق ليرشح منه ، وهو يؤلف كتابا يكتب نسخته . فقلت : يا مولاي في مثل هذا الحر ، الا تقوم الى مجلسك ؟ فقال عليه السلام : دعني فقد قطع علي كلامك شيئا كان اتصل عندي ، ولمثل هذا جلست وتحملت هذا الحر ، لانه قد تهيأ لي (٧١٩) من القول ما خشيت ان قمت عن مكاني ان ينقطع عني ، فجلست حتى قضى حاجته ، ودخل فأقام مليا لم يخرج ، حتى خشيت عليه انه عرض له عارض من ذلك الحر ، فارسلت اليه أسأله عن ذلك الحر (٣) فقال : ما علي من بأس بحمد الله ، ثم تمادى قعوده وأذن لي فدخلت عليه ، فأصبته على حال ما احبه من السلامة والعافية . فقلت : يا مولاي ، الى كم تقيم بهذا البيت وانت بموضع نزهة وتفرج ونظر الى هذه (٤) المياه والاشجار؟ فقال: اخبرك والله اني رايت أن بعض هذا الحيوان العظيم الخلق يعلو ظهري فخشيت ان يكون ذلك بعض أسود هذه الغياض ، وأعوذ بالله . فقلت : كلا لا يفعل الله كذلك . قال : نعم كلا لا يفعله ان شاء الله ، ولكن عرفتك ما عرض لي . ثم قام (٥) فركب من ذلك

---

(١) سورة ١٩٩/٧

(٢) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول صفحة ١٣٥

(٣) الحر : سقطت في ج (٤) هذه : هذا في ب

(٥) قام : سقطت في ج

المنزل في غلس الصبح يريد غيره ، ودعاني فسايرته ونحني فرسي . فقال لي : حركه لانظر (٧٢٠) اليه ، فحركته ، وحرك هو فرسه فدار به دورة خاف لها ان يسقط به، فترامى (١) عنه ووثب الفرس فعلا ظهره ، ولم يضره فبادرت اليه ، ونزلت عن فرسي فاصبته قد ركب ، ولم ينله مكروه . فقال : هذا ما ذكرته لك وحمد الله واثنى عليه .

وقال المعز لدين الله صلوات الله عليه . وقد ذكر التنجيم : كان المنصور بالله امير المؤمنين عليه السلام فيه ماهرا . قال : وقال لي ما طلبت علمه لشيء مما يراه الناس من القضاء به ، ولقد وقفت في مواقف الحروب التي وليتها ايام الفتنة الى حين انقضائها فما وقفت (٢) موقفا منها باختيار (بعلم من علوم النجوم) (٣) وكثيرا ما كان الامر يقع بقلبي ويحبب الي وقضايا النجوم تخالفه وتمنع منه فلا القي لتلك القضايا بالا . ولا التفت اليها ، واعمل على ما يقع بقلبي ويحبب الي فيكون بذلك التوفيق والنصر وضد ما توجبه احكام (٤) النجوم ، (٧٢١) والله ما طلبت هذا العلم الا لما يدل عليه من توحيد الله عز وجل ، وتاثير حكمته في منفعلاته . فاياك ان تشغل نفسك بغير هذا ، ولا تلتفت اليه (٥) .

وخرج امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام من المنصورية الى ناحية تونس ، فأخرج الاساطيل لغزو الروم مع حسن بن علي ، وشحن الاساطيل بالرجال والعدة والاموال ، فخرج بها الحسن بن علي فانتهى الى بلد الروم، ومعه بعض قواد امير المؤمنين فغزوا وسبوا وملكوا (٦) قلورية ، ثم رجعوا منها الى جزيرة صقلية بالعساكر ، ليشتوا (٧) بها ، وقد كان امير المؤمنين امرهم بالمقام ، فلما انصرفوا كتب اليهم امير المؤمنين كتابا غليظا وشدد عليهم فيه وامرهم بالرجوع الى حيث امرهم بالمقام به ساعة وصول كتابه . وكان في كتابه عليه السلام اليهم : كاني بكم وقد قلتم لما (٧٢٢) رأيتم الانصراف ان الحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، وقدرتم في انفسكم انكم الحاضرون لما قبلكم وانا الغائب عنه ، وليس كما ظننتم (٨) ، بل انا الحاضر لذلك ، وأنتم

---

(١) فترامى : فوثب في ج (٢) وقفت : واقفت في ج

(٣) بعلم من علوم النجوم : علم النجامة في ج

(٤) احكام النجوم : القول بالنجامة في ج

(٥) كتاب المجالس والمسايرات المجلد الاول صفحة ١٨٢

(٦) فغزوا وسبوا وملكوا : فغزوا وسبيا وملكا في ج

(٧) ليشتوا : ليشتيا في ج (٨) ظننتم : ظننتما في ج

الغائبون عنــه .

قال القاضي النعمان رضي الله عنه : ففعلوا ما امرهم امرهم امــير المؤمنين عليه السلام ، فكان لذلك الفتح العظيم وسبقوا (١) طــاغية الروم الى موضع لو سبقهم اليه لما تهيا ذلك الفتح فهزموه واحتوت عساكر المسلمين عليها . واثخنوا بالقتل فيها ، فكان ذلك سبيلا مقرون بالتوفيق وعادوا بمـن معهـم سالمين ، وحصلت الهيبة في قلوب المشركين . وجاءت الهدايا الى امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام : من ملك الروم . وسأله الهدنة ، فاراد أمير المؤمنين عليه السلام ، أن يري ملك الروم نعمة الله وقوة الاسلام . وان ما اتاه الله خير مما اتاهم ، واراد (٧٢٣ أ) عليه السلام أن يصرف رسـل طاغية الروم بأفضل ما جاءوا به ، وأحسن فكتب الى الاستاذ جوذر عامله على المهدية ، بأن يحمل اليه من الخزائن التي تحت يديه اشياء وصفها له مما يصنع أن يبعث به للملوك ، وكان فيما كتبه الى جوذر قوله في الكتاب (٢) : وانا اعرف مـن حرصك على أن لا يكون في الدنيا شيء حسن الا وهو عندنا ، وفي خزائننا ، مما اظنه يحملك على الشح على النصارى بمثل هذا الذي امرناك بانفاذه الينا ، فلا تفعل ، فان ذخائر الدنيا في الدنيا تبقى ، وانما ادخرناها لمباهـاة الاعداء ، والدلالة على شرف انفسنا ، وعلو همتنا ، وسخاء قلوبنا ، بمـا تضن به النفوس ، ويشح به كل احد .

قال منصور الجوذري العزيزي : وكان المنصور بالله من النظر الــى الدنيا بمثل هذه العين ، وسماحة نفسه بها (٣) على حال مشهـور وظاهر معروف ، قدس الله روحه ، وصلى عليه ، فبعث صلوات الله عليه بذلــك الى ملك الروم ، (٧٢٤) اظهارا لعز الاسلام ، وما اتى الله اوليائه من خزائن الارض ، وسماحة انفسهم بالحطام .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه (٤) : وسمعت المعز بالله صلوات الله عليه وسلامه ، يقول في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه : لما خرج المنصور بالله الى ناحية تونس في حين اخراجه الاساطيل لغزو الروم :

---

(١) وسبقوا : وسبقا في ج

(٢) سيرة جوذر صفحة ٦٦ مخطوطة .

(٣) بها : سقطت في ب

(٤) كتاب المجالس والمسايرات المجلد الاول صفحة ٢٨٥

فنزل خربة قرطاجنة وهي من احدى عجائب الاولين في البناء ، فاقام فيهما اياما . قال المعز (١) لدين الله : فدخلت عليه في صبحة يوم من تلك الايام ، فقال لي : اخبرك برؤيا رأيتها البارحة عجيبة ، فكرت في الليل في عجائب هذا البناء فاشتغل قلبي به ، فقلت في نفسي : ليت شعري من بناه ، وهل واحد، او تعاقبه جماعة ، وكيف كان اقتدار من بناه عليه ، مع عظمه واتساعه . وقلت : ان كان الذي بناه هذا ملكا واحدا فكيف اتسع (٧٢٥) لذلك ، والعمر لا يبلغه ، وان تداوله ملك بعد ملك ، فكيف اتفقت ارائهم على هذا المكان ، وقل ما تتفق الاراء على سكنى البلدان ، سيما الملوك ، فنمت وأنا افكر في ذلك ، فرايت في المنام كان رجلا دخل علي آدم شديد الادمة تعلو صفرة ، خفيف العارضين (٢) بحدور ، معتدل القامة عليه ثوب ابيض قد اتشح (٣) به فسلم علي فرددت عليه السلام وقلت له : من انت ؟ قال : عبد من عباد الله بعثت اليك . قلت : مرحبا بك . فرفعت يدي اليه (٤) فأكب علي وقبل عضدي ، قلت له : اجلس . فجلس . وسكت انظر ما يقول ، فسكت وتبسم في وجهي تبسما خفيفا ، فقلت له : يا هذا من انت ، ولماذا (٥) جئت ؟ فقال : انا صاحب هذه المدينة . قلت: كيف انت صاحبها ؟ قال : انا الملك الذي ابتناها . قلت : وحدك ، او شاركك فيها غيرك ؟ قال : بل وحدي ابتنيتها حتى اكملتها وسكنتها ، واقمت عمري بها الى أن مت فيها . فقلت له : لقد اعطيت (٧٢٦) ملكا عظيما ، وبسطة ، أفما كان لك عدو وحاربته فشغلك عن هذا البناء ؟ فحرك يده ، وجمع اصابع يده جميعا وقربهما ، وقال : كان لي عدو كثير ومن ذا يخلو من الاعداء ؟ قلت : فماذا صرت اليه ، قال : الى خير والحمد لله ، قلت : قد جمع الله لك أمر الدنيا والاخرة ، قال : وما تنكر من ذلك اذا كانت هذه البقاع قد منحت ما تراه من المنحة ، فكيف بالارواح الشريفة ، وما يخصها بهالباري اذا ارتضاها؟ قلت : اجل . فما اسمك ؟ فتسمى لي باسم لم اسمع بمثله في لغة من اللغات، ولا عرفت معناه ، الا انه كثير عدد الحروف . فقال المعز صلوات الله عليه : اظنه قال فيه مثل عشرة أحرف ، وذكر بعضها ، وقال كتبها المنصور عليه السلام ، فقال : ثم تحرك للقيام ، فقلت : الا تجلس ، فانسى بك ؟ قال : ما

---

(١) المعز لدين الله : سقطت في ج
(٢) العارضين : اللحية في ج
(٣) اتشح : تشوح في ج
(٤) اليه : سقطت في ج
(٥) ولماذا : وماذا في ج

بعثت اليك الا وانا على شغل مان احببت ان تسأل عن شيء فاسأل عما بدا لك . قال المنصور بالله : (٧٢٧) فسكت مفكرا فيما أريد ان اسأله عنه. فقام فمضى ، فانتبهت .

واقام امير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه ، بالمنصورية التي ابتناها في عظيم ملك ، ورفيع عز . قد فتح أبواب رحمته للمؤمنين ، وافاض عليهم علوم ابائه الطاهرين . وسقاهم من صافي تيارها المعين ، وافاد الراغبين ، وهدى الطالبين ، وولده ولي عهده، والخليفة من بعده ، المعز لدين الله قد انتصب (١) معه ، واستقام امره ، وعلا ذكره ، ولاذ الدعاة به ، وجعلوه السبب بينهم وبين امير المؤمنين . وهو عليه السلام مع فضله وسامي محله أقرب قريب اليهم ، يدنو منهم . ويؤنسهم، ويخصهم بقربه وبره ، ويدنيهم الى والده ، وولي امره ، وقد اعتدلت الامور . وخفت أهل النفاق والشقاق ، لهيبة سيف ولي الله الامام المنصور ، ولم تطل الايام حتى اعتل أمير المؤمنين المنصور بالله (٧٢٨) علته التي كانت سبب وفاته .

قال منصور العزيزي الجوذري فيما اتى عنه (٢) : واخر كتاب قراته(٣ من كتب امير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام الى جوذر الاستاذ عامله على المهدية ، جوابا عن كتب كثيرة كتب بها الاستاذ فالفيت (٤) الامام عليه السلام عليلا ثقيلا ، فتاخرت الجوابات مدة ، ثم انتبه من علته ، فكتب الى الاستاذ بخط يده بعد البسملة : صانك الله يا جوذر . وردت كتبك ، فوقفت على ما فيها ، وفهمت ما ذكرته من جميعها ، وتأخر الجواب لشغل مرة وعلل مرة ، وضعف شامل للجسم كله ، والحمد لله على كل الاحوال ، وكل ما يكتب به اليك أبو تميم فمما اشافهه به ، استودعه الله .

فأما ما نعى به أمير المؤمنين المنصور بالله نفسه ، وأخبر باقتراب اجله ، فمن ذلك ما رواه القاضي النعمان ابن محمد رضي الله عنه قال (٥) : وقلب المعز لدين الله يوما كتبا وانا بين يديه وتصفح كتابا منها فادام (٧٢٩ ،

---

(١) انتصب : وصب في ج

(٢) سيرةجوذرصفحة٧٩ مخطوطة

(٣) قراته : سقطت في ج

(٤) فالفيت : فالفت في ج

(٥) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول صفحة ١٧٨

النظـر فيـه ، ثـم استعبـر وقـد نظـر الـى شـيء في عرض الكتـاب ، ثـم قال عليه السـلام : نظرت في هذا الكتاب ، وهـو بخـط المنصور بالله صلوات الله عليه ، فرأيته قصر فيه ، وحال عن جودة خطـه المعروف . فلم ادر لما كان ذلك ، حتى رايت هذا البيت في عرضه ، وهو بيت تمثل به صلوات الله عليه ، وهو قول لبيد شعرا :

بلينا وما تبلى النجوم (١) الطوالع وتبقى الجبال(٢) بعدنا والمصانع

ثم قال المعز صلوات الله عليه : هذا نعي نعى به نفسه ، فحال خطه ، واظن ذلك كان من علته . ثم قال عليـه السـلام : والـى هـذا واللـه المصير .

وعن القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه قال (٣ : جلسـت يوما بين يدي الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه ، فجرى كلام قيل انه في بعض (٧٣٠) الكتب ، فدعى بالكتاب الذي قيل ان ذلك فيه ، لينظر اليه ، فاتى برزمة من الكتـب فوضعت بين يديه ، فجعل يتصفحها (٤) كتابا ، ليجد الكتاب الذي طلبه ، الى أن مر على يديه كتاب فيه تعليقات بخـط الامام المنصور عليه السلام ، فيما كان يؤلفه ، فلما راه استعبر وجعل يتصفحه حتى مر به على موضع فادام النظر فيه ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : والله لو (٥) لم يكن غير هذا لكفاه (٦) معجزة من أمره ، وما رايته قبل وقتي هذا . ثـم ارانا ذلك ، وقال : هذه الخطبة التي الفها وخطب بها في عيد الفطر الـذي قبض بعقبه ، كأنه اراد ان يقول ثم بدا له من ذلك فتركه ، فنظر الـى ذلـك بخطه صلوات الله عليه فعرفه ، وقد ضرب بعد أن كتبه ، وفيه : وقد مضت ليالي الشهر وأيامه ، وحان انقضاء العمر ، وانصرامه . ثم قال المعز لديـن الله صلوات الله عليه ، اراد ان ينعي الينا بنفسه ، (٧٣١) ثـم بدى له من ذلـك .

قال القاضي النعمان : فابكاني ذلك ، فقلت : اي نعي يكون أكثر من قولـه يومئـذ ، وقـد انصرف مـن المصلـى ، ووقـف

---

(١) النجوم : النفوس في ج (٢) الجبال : حصون في ج
(٣) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول صفحة ٣٢٠
(٤) يتصفحها : يتفحصها في ج (٥) لو : لئن في ج
(٦) لكفاه : لكفى به في ب

بصحن القصر ، ويده على كتف امير المؤمنين يوصيه بأوليائه (١) واهل مملكته، وقد احاط (٢) به الناس ، وهو يستعبر وصية (٣) من قد ايقن بقرب الاجل . والله لقد كاد يومئذ كلامه أن يصدع الاكباد ، فكان من اعجب ما ظهر منه يومئذ للناس فراوه عيانا وسمعوه ؛ وان كان قليلا من فهم ذلك . الا بعد ان قبض صلوات الله عليه .

وفيما رواه القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه قال (٤) : وذكر المعز لدين الله صلوات الله عليه يوما وانا جالس بين يديه ما لاقاه امير المؤمنين المنصور بالله قدس الله روحه . وصلى عليه ؛ وعلى ابائه والطاهرين من ابنائه . من حرب أهل الفتنة . الى ان جلاها الله على يديه سلام الله عليه . (٧٢٢) وما مر به من التعب والنصب ، ومقاساة السفر . ومباشرة الحر والقر . وما خرج اليه من ذلك دفعة بعد الخفض ، والدعة من غير دربة في ذلك ولا ممارسة ؛ وما عرض له في ذلك من العلل فقلت له : يا مولاي لئن كان صلى الله عليه قاس لذلك جسيما ، فقد كشف الله بذلك على يديه عن الامة بلاءا عظيما ، وحصن عز وجل به دينه من ان يبدل ؛ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه واله من أن تغير . فقال : أجل وما زال صلوات الله عليه ؛ في محنة عظيمة ، ومزاولة شديدة . الى ان نقله الله الى دار كرامته . ومحل راحته ، وقرار جنته . ثم قال عليه السلام : لقد دخلت عليه في اخر أيامه صلوات الله عليه ، وقد اشتدت به علته ، فرأيت منه ما عرفت له الموت في وجهه . فما تمالكت ان استعبرت ، فنظر الي . وقال : مالك ؟ قلت : فكرت فيك ، وفي المهدي بالله قدس الله روحه ، وأنه قد أفضى الله عز وجل اليه بما (٧٢٣) أفضى به من كرامته ، ولو كانت المحن قد عارضته ، فقد آل أمره الى راحة طويلة ، ودعة ، ونعمة وأنت صلوات الله عليك ؛ مذ افضى الله عز وجل بهذا الامر اليك ؛ لم تنفك من الحروب والمقارعة ، والاسفار ، والمزاولة ؛ الا الى العلل ، والاسقام ، والامراض ، والالام ؛ فاسأل الله لامير المؤمنين تعجيل الراحة ، ودوام العافية. فقال لي : لئن قلت ما قلت فيما عرفته وظهر اليك

---

(١) باوليائه : سقطت في ب (٢) احاط : احتاط في ج
(٣) وصيه : وصيته في ج
(٤) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الثاني صفحة ٢١٧

للذي استقر وغاب عنك اكثر ، اتدري من كم انا ازاول المحن ؟ قلت : مذ كم يا أمير المؤمنين ؟ قال لي : مذ (١) والله قبض المهدي بالله صلوات اللهعليه صرفت (٢) الى المحن العظام ، وان كنت قبل ذلك لممتحن بمحن كثيرة ، انه لما كان من امر الله في المهدي بالله عليه السلام ما كان ، لم يتقدم القائم صلوات الله عليه للصلاة عليه (٣) حتى اخذ بيدي وخلا بي ، وقلدني عهده، (وأمر الي ذلك واستكتمني اياه فوالله ما علم بذلك منه بعد الله غيره) (٤) وقمت مدة (٥) (٧٣٤) ايام حياته ثلاثة عشر سنة انظر الى من قرب منه ومن بعد عنه ، يسعون بالفساد في دولة هي لي ، قد قلدني الله امرها ، وانا كاقل الابعدين ، لا امر ولا انهي ، ولا أتعرض لشيء انكره ، ولا اومي اليه . ولا الى شيء يتوهم من اجله على شيء مما أنا فيه ، واهل خاصتي يؤذون ويستطال عليهم ، وينال منهم ، فلا يجد أحد عندي نصرة ، ولا قياما اكثر من ان اقصيهم عن نفسي ، وأبعدهم عن قربي ، وينال مني ومنهم وأسمع . وتهتضم اموالي وتؤكل ، وانا على ذلك كله بمعزل ، انجرع غصص الغموم . واتحمل فادح النوازل ، صبرا على ما حملت ، وقياما بما قلدت ، وحفاظا لما استرعيت (وصيانة لما استودعت ، من ان يستخصني) (٦) فيه ابهة القدرة ، وان يظهر علي منه عز المملكة ، ولو بقيت على ذلك ايام حياتي ما عدوت ما كان مني ، ولو شئت لبسطت يدي ولساني ، وانفذت (٧٣٥) امري، لان الله عز وجل قد جعل لي ذلك ، ولكني لم ازل على ذلك من حالي الى ان كان من امر الله عز وجل في القائم بأمر الله صلوات الله عليه ما كان ، وكان من الامر ما قد انتهى اليك وشاهدته ، وذلك هو الذي قد علمت ، وانه كان في جانب ما قد مضى علي ولقيته من قبله ، لاقل من ان التفت اليه ، واذكره .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : فاستعبرت لما سمعته من ذلك ، واكثرت من الصلاة على المنصور وقلت : يا مولاي هذا والله الصبر الذي وعد الله عز وجل ان يوفى في اهله اجرهم بغير حساب .

---

(١) مذ : في في ج (٢) صرفت : بليت في ج

(٣) عليه : سقطت في ج

(٤) سقطت الكلمات المحصورة داخل قوسين من ب

(٥) واقمت مدة : سقطت في ب

(٦) وصيانة : لما استودعت من ان يستخصني : سقطت في ج

ولقد روينا عن علي صلوات الله عليه ما ذكره مما امتحنه الله به في حياة رسول الله ، وبعد وفاته من المحن التي يمتحن بمثلها أولياؤه . فمـــا بلغت كلها ما ذكره أمير المؤمنين المنصور بالله في هذه الواحدة . وما قـد عرفنا (٧٣٦) من حاله يومئذ ، وما جرى عليه مما أجرى جملة خبره فـي حديثه هذا . ولقد كنا نتعجب من خموله ، وتواضعه ، وتوقيه صلوات الله عليه (ايام القائم) (١) ومحله منه محله . ونحن لا ندري ما اغضـي بـه اليه يومئذ ، ونستعظم ذلك منه ، فكيف لو علمنا بما أصاره الله عز وجـل اليه ، فقال المعز صلوات الله عليه : ان عليا عليه السلام ، وان كان قـد امتحن بما امتحن به لم يكن يدع شيئا في نفسه يحمل الم (٢) عليه ، حتى يضرب به وجوه المخالفين له ، والمعاندين عليه ، والمتخلفين عنه : اما صراحا وامـــا تعريضا ، وفي ذلك بعض ما يسلي الغمة ، ويذهب العلة ، والمنصور باللـه صلوات الله عليه كالمغض على شوك القتاد ، والقابض على جمر الغضى ، ثم لا يرى أنه في شيء من ذلك أخص الناس به ، وأقربهم اليه صلـوات الله عليه ورحمته وبركاته ، عليه من صابـر على الله ، محتسب فيه ، فضاعف الله له أجر ذلك ، وأحسن عليه جزاءه .

وفيما رواه عن المعز لدين الله (٧٣٧) عليه السلام قال (٣) ، سمعت المنصور بالله صلوات الله عليه يقول : انما يستجب الفاضل البقاء في الدنيا، ليظهر الله عز وجل منه ما هو كامن من الخير ، فيعظم ثوابه ، ويجل في الدنيا والاخرة قدره ، والا فـان الذي له عند الله عز وجل فـي الاخرة افضل مما في الدنيـــا .

قـــال القاضـي النعمـان رضـي اللـــه عنــه (٤) : وسمعـت المعـز لديـن اللـه صلـوات اللـه عليه يقول : لما احتضر المنصور بالله صلوات الله عليه ، وقرب منه من أمر الله عز وجل ما قرب (٥) اغمي عليه، فرأيت منه منظرا لم اتمالك له ان بكيت ، فأفاق وانا ابكي ، فقال : ها، مالك الم انهك (٦) عن البكاء ؟ قلت : وكيف يحسن الصبـر بمن يراك على هــذه

---

(١) ايام القائم : سقطت في ج (٢) الم : اله في ج

(٣) كتـاب المجالس والمسايرات المجلد الثاني مخطوطة .

(٤) كتـاب المجالس والمسايرات المجلد الاول مخطوطة .

(٥) ما قرب : سقطت في ج (٦) انهك : انبهك في ج

الحال يا مولاي ؟ فقال لي (١) : ما جاريتني جزائي انا اسر لك ، وافرح بما يصير اليك بعدي ، من عاجل الدنيا ، ويسوءك أنت وتحزن بما أصير اليه (٧٣٨) من نعيم الاخرة ، لا تعد الى هذا ، ولا تستقبل ما خولك الله من دولتك بالحزن والبكاء . بل فافرح بما اتاك الله من دنياك ، وما اصارني اليه، واعطانيه (٢) في اخرتي .

وقال القاضي النعمان رضي الله عنه (٣) : سمعت الامام المعز لدين الله صلوات الله عليه، يقول، دخلت على المنصور بالله صلوات الله عليه ، في مرضه الحزن ، ولا يؤدي الى غاية من الحزم ، وانما يفعله بجهال من الرجال ، فان لم يكن لك من ذلك بد فالوقفة بعد المدة للترحم ، ثم تنصرف بسرعة ؛ ومن عرف مصير الارواح ؛ لم يلتفت الى محل الابدان .

وقال القاضي النعمان رضي الله عنه (٥) : سمعت الامام المعز لدين الله عليه ، يقول ، دخلت على المنصور بالله صلوات الله عليه ، في مرضه الذي توفي فيه ، وقد اشتد به ، وبين يديه الدواة ، وقد اخذ صحيفة ليكتب فيها ، وتناول القلم ، فلم (٧٣٩) تثبته يده ، فسقط على ثوبه ، فغير مداده ، فلما راني (٤) قال : اتدري ما هذا ؟ فقلت : ما هو يا مولاي ؟ فقال : ظهر والله في قلبي ، واطلعت نفسي الان من علم الله وحقيقة توحيده ، وغيب ملكوته (٥) ما لم اكن اظن اني اطلع على مثله، ولا استطيع لما انا فيه اللفظ به، فدعوت بالدواة لاكتب ذلك لك ، وافيدك اياه ، فلم املك القلم ، وأخذ مكان المداد من ثوبه بأطراف أصابعه ، وقال : هذه معذرتي اليك . ثم قال : وهذه بشرى من الله في مثل هذا المقام ، وما يطلع اولياؤه عليه ، في حين قبضهم اليه . قال المعز لدين الله صلوات الله عليه : فما ادري كيف فجعت(٦) به من ذلك ؛ وما داخلني له ، ولكني تجلدت وقلت (٧) ، يبقي الله أمير المؤمنين ويمد في عمره ؛ وينسىء في اجله . فقال : هيهات ، قد والله قرب الاجل ، وازف الوقت ، فما كان بأوشك أن قبض صلوات الله عليه ، ورحمته ، وبركاته (٧٤٠) .

---

(١) لي : سقطت في ب — (٢) واعطانيه : واعطاني في ج

(٣) كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول مخطوطة .

(٤) راني : راى ذلك في ج — (٥) ملكوته : ملكته في ج

(٦) فجعت : فجات في ج — (٧) تجلدت وقلت : سقطت في ج

وقال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه (١) : خدمت الامام المهدي بالله عليه السلام ، من اخر عمره تسع سنين وشهور واياما . والقائم بأمر الله صلوات الله عليه ، من بعده ايام حياته ، في أنهاء اخبار الحضرة اليهما في كل يوم طول تلك المدة ، الا اقل الايام . فكان لهما صلوات الله عليهما ، من النعم ، والفضل علي في ذلك ما لا احصيه عددا . ولا اقوم ببعض شكره ابدا ، وكنت أخدم المنصور بالله بعض ايام المهدي . وأيام القائم كلها ، وكانت له علي من النعم والالاء ما لا احصي عددها . وكانت خدمتي اياه في جمع الكتب له واستنساخها ، فلما قبض القائم بأمر الله صلوات الله عليه وسلامه ، استقضاني قبل ان يظهر امره ، وكنت اول من استقضاه من قضاته ، واعلى ذكري ، ورفع قدري ، وأنعم علي بما لو اخذت في وصفه لقطع بطوله ما (٧٤١) اردت ذكره . فلم تكن نبله علي نعمة اعظم من نعمته ، مع الذي افترض الله علي من معرفة (٢) حقه ومودته : فلم يكن احد في ايامه اعز منه ولا اعظم قدرا ولا اجل (٣) في قلبي خطرا ، وكنت اذا تمنيت كان افضل ما اتمناه ان اموت في ايامه . وعلى رضاه ،فلما اعتل العلة التي قبض فيها، تداخلني لذلك ذعر شديد،وخوف عظيم. وكان المعز لدين الله صلوات الله عليه. في أيامه سببي (٤) اليه . ومعولي في جميع اموري عنده عليه ، فكنت القاه على (٥) علته فأسأله عنه فيذكر من صلاح حاله ما اسكن اليه ، ثم استاذن لي يوما في جماعة من الاولياء فادخلني عليه ، فرأيته شديد العلة ضعيفا ، فما خرجت من بين يديه حتى (٦) كاد قلبي يذوب ، وجعلت القى المعز لدين الله صلوات الله عليه كل (٧٤٢) يوم فأسأله عن حاله ، فيذكر انه صالح الحال ، وأنا أرى في وجهه صلوات الله عليه ، من اثر الغم (٧) ما غيره ، وأحاله عما كان عليه من الاشراق والنضارة ، وأرى كل يوم يتزيد به ، والغم بذلك يتضاعف علي حتى رأيت من حال المعز صلوات الله عليه ما اربى غمي به على غمي . بما كنت أتوقعه في المنصور بالله صلوات الله عليه ، ثم (٨) خرج في اليوم الذي قبض فيه ولا

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول مخطوطة .
(٢) معرفة : معرفته في ج
(٣) ولا اجل : سقطت في ب
(٤) سببي : نسبي في ج
(٥) على : في في ج
(٦) حتى : الا في ج
(٧) الغم : الغمة في ب
(٨) ثم : حتى في ج

علم عندي بذلك ، فلقيته بحسب ما كنت القاه ، ورأيت ظاهر حاله أصلح مما كنت أراه ، فسررت بذلك ، ثم سألته سؤال مستبشر عن المنصور قدس الله روحه ، وضاعف الصلاة عليه ، فقال : يا نعمان ، اذا كانت هذه الشمس والقمر والسماء والارض والجبال والنجوم ذاهبة فانية ، فما ظنك بما دونها من هذا البشر ، كل نفس ذائقة الموت ، كما قال الله جل ذكره ، وكل شيء هالك الا وجهه ؟ قال القاضي النعمان بن محمد : فعلمت أن أمير المؤمنين المنصور بالله ، قد قبض صلوات الله عليه . (٧٤٣) وهجم علي من ذلك ما كدت ان أسقط له على الارض ، ثم تداركت نفسي ، ورأيت الناس حولي، فاستكنت ، وقلت كلاما نحو ما قاله المعز صلوات الله عليه ، لا أفهمه ، وانساني (١) ما كنت فيه ، وانصرفت عنه ، والعبرة تخنقني ، والدموع تبتدر (٢) من عيني ، حتى صرت الى خلاء من الفحص ، فأرسلت عبرتي ، ورفعت عقيرتي ، وبكيت لذلك مليا حتى خف ذلك عني . واقمت أياما على ذلك حتى اذا امتلأ صدري ، وعيل صبري . خرجت الى ذلك المكان ، فاستفرغت ما عندي . وكانت وفاة أمير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه ، وسلامه ورحمته وبركاته ، ورضوانه عليه، وعلى ابائه الطاهرين ، وابنائه الاكرمين ، في اخر شهر شوال من سنة احدى واربعين وثلاثمائة ، فأظهر أمير المؤمنين المعز لدين الله من الصبر والتأسي لفقده (٣) ما أظهر المنصور بالله أوان وفاة القائم بأمر الله صلوات الله عليهما، ولم يشق عليه جيب ، ولم (٤) يضرب عليه وجه ، ذلك لما أوصى به (٧٤٤) المعز لدين الله صلوات الله عليهما .

وكتب امير المؤمنين المعز لدين الله الى عبده الاستاذ جوذر عامله على المهدية ، فكان كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين على ما أبلى وأولى حمدا كثيرا ، سلمك الله يا جوذر . وقد تعلم اتصالك بنا وتمسكك بولايتنا ، ومحلك من صدورنا . وتقربك (٥) عندنا ، من ذلك ما يكفي ويغني عن الاطالة و (٦) التعداد . وما

---

(١) لا افهمه وانساني : لا افهم في ج
(٢) تبتدر : تبدر في ج
(٣) لفقده : لفقدانه في ج
(٤) ولم : ولا في ب
(٥) وتقربك : وتقرر في ج
(٦) عن الاطالة : سقطت في ج

اظنه يخفى على الموسوسين والقردة المخرسين (١) فضلا عن ذوي الولاية والطاعة ، فكيف بمن اجتمعت له الولاية مع القديم والجديد (٢) ، من جميع الائمة المهديين الفاضلين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، في الاولين والاخرين . وان الله ، وله الحق (٣) ، خلق الخلق لاظهار جوده وفضله . ورزقهم ، بمنه واحسانه ، وقهرهم بالموت ليعلم المخلوقين انه جل جلاله هو المتفرد بالبقاء والوحدانية ، فلم يبق في هذه الدنيا الخسيسة (٧٤٥) الدنيئة نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، ولا امام فاضل ، ولا خسيس اذل (٤) الا صاروا الى الحكم العدل ، فتعالى الله ذو الجلال والاكرام ، ومن كانت حاله عندنا كحالك ، وجب أن نشركه في سرورنا وحزننا ، وفي جميع ما تصرفت به أحوالنا ؛ وكان من قضاء الله السابق ، وامره النافذ ان اجرى على مولانا وسيدنا امير المؤمنين من حكمه وقضائه ما أجراه على ابائه المهديين وجده محمد خاتم النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ، فامتحنني بفقده ، وأوحدني من بعده ، في الديار الموحشة ، والقصور الخالية ، والبلد المشاقق ، بين كل عدو وفاسق ، قد اجتمعوا من اقطار الارض من شرق وغرب (٥) وبر وبحر ، فانافيهم الفريد الغريب الوحيد المتوكل على ذي القوة المجيد ، فانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ما أعظم محنتي ، واشد بليتي ، (واكبر رزيتي ، (٦) فعلى الله أتوكل ، واليه افوض . (٧٤٦) وعليك فيما قبلك بالاحتراز (٧) ما امكنك ، والضبط ما استطعت ، ومنع هؤلاء القردة من الوصول الينا ، والخروج من ابواب بيوتهم ، فضلا عما سوى ذلك والكتمان ثم الكتمان عن الاهل والخاص والعام ، وان اتصل بهم شيء من ذلك فكذبه ما استطعت ، وخوفهم ما قدرت ، ولا تحمل نفسك من الهم والغم ما لا تحمله ، واعلم انه لو كان ذلك نافعا لتقدمتك انا فيه والخلق اجمعين ، واصطلحت نفسي من قبل هذا اليوم ، ولكن لا راد لامر الله ، ولا دافع لقضائه ، ولا متوفى دون اجله ، يقول الله عز وجل : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (٨) فواغوثاه بالله من شدة فجيعتنا ،

---

(١) المخرسين : المخزيين في ب
(٢) والجديد : والرضا في ج
(٣) الحق : الحمد في ج
(٤) اذل : رذل في ج
(٥) وغرب : ورغب في ج
(٦) واكبر رزيتي : سقطت في ج
(٧) بالاحتراز : بالاحتراس في ج
(٨) سورة : ٣٤/٧

وواغوثاه من عظيم مصيبتنا . عجل الله لنا الاجتماع معه . والحشر في زمرته ، والورود معه على حوض جده . فياسرورا اتصل بالمهدي بالله القائم بأمر الله . وبآياته البررة من كريم هذه الجوهرة . (٧٤٧) ويا عظيم داهية ولد فاطمة بعده . استغفر الله لنفسي من الزلل . واتوكل عليه في التوفيق للعمل بما يرضيه ويزلف لديه . والسلام عليك . وصلى الله على محمد خاتم النبيين . وعلى الامام المنصور صفوة (١) الوصيين . والحمد لله رب العالمين (٢) .

قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه (٣) : واستفاض امر المنصور صلوات الله عليه ، وارى امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه . كل يوم يتسلى (٤) ويزيد صبره . ويحسن ظاهره ، وانا اعلم من مكانه عنده ومحله كان لديه ، وموقعه من قلبه . ما قد كنت اخاف عليه ان حدث به حادث من اجله . فرايت منه من العزاء . والصبر والجلد (٥) ، وجميل الامر ما قد ايقنت أن ذلك لانتقال الامامة اليه . ورايت تاثيرها ومخائلها فيه ، وانا على ذلك ما اتمالك جزعا ، غير انه سهل علي بعض ما رايته من صبر امير المؤمنين المعز لدين الله وحسن عزائه . وما منحه الله من الضبط والكفاية . (٧٤٨) واولاه من الصنع والرعاية . واظنه راى في ظاهر حالي ما بين له شدة الجزع عندي وقل صبري . فوقع الى بخطه : يا نعمان ليحسن عزاءك . ويجمل صبرك . فمولاك مضى ومولاك بقي . وانت واجد عندنا ما كنت واجدا . عنده . ونحن كنا سببك (٦) اليه . ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك ، ان شاء الله تعالى . فطب نفسا ، وقر عينا ، وليحسن بنا ظنك ، وتسكن (٧) الى ما تحبه لدينا نفسك . فبينما كنت اخشى من الوجد عليه اذ صار يعزيني عنه صلوات الله عليه لتأييد الله له ، وتوفيقه اياه ، وما وهب له من جميل المادة ، واجراه من حسن العادة ، والحمد لله الذي اليه مرجع الامور كلها ، المنزل على نبيه ما ننسخ من اية او ننسها ، نأت

---

(١) صفوة : سيد في ج

(٢) سيرة جوذر صفحة ٨١ مخطوطة .

(٣) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان المجلد الاول مخطوطة .

(٤) يتسلى : يتسل في ج　　(٥) والجلد : والتجلد في ب

(٦) سببك : سببك في ج　　(٧) وتسكن : وسكن في ج

بخير منها أو مثلها ، وصلى الله على محمد الفائز من اعتصم من عترته بمتين حبلها ، وعلى وصيه ، و (٧٤٩) عترته التي أبان الله عظيم فضلها. وحسبنا الله تعالى ، ونعم الوكيل .

تم السبع الخامس من عيون الاخبار لسيدنا ومولانا الداعي الامجد. الحبر الاوحد ، المولى الاكمل ، والسيد الافضل ، ادريس بن حسن اعلى الله قدسه ، ورزقنا شفاعته ، وانسه .

قد وقع الفراغ من زبره يوم الاربعاء السادس عشر من شهر جمادي الاخرى ، من سنة ١٩٣٩ هجرية ، المطابق للتاريخ الثالث والعشرين من شهر فروري من سنة ١٩٢١ ، كتبه الاقل الراجي رحمة ربه ، الاجل امين بن علي الكاتهياواري وطنا ، الكاد مكروي مسكنا ، ثبته الله تعالى على طاعته. وعلى طاعة جميع حدوده الكرام ، الروحانيين والجسمانيين ، العلويين والسفليين ، بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليهم اجمعين. في بلد برهانبور دار السرور مزار السادات الامجاد ، سيدي ومولاي عبد القادر حكيم الدين ، مأذون الدعوة ، وسيدنا (٧٥٠) ومولانا الداعي عبد الطيب زكي الدين ، ابن سيدنا ومولانا اسماعيل بدر الدين ، والشيخ الفاضل الحبر الكامل ، مولاي شيخ جيوبخي بن الشيخ الفاضل داؤد بهائي ، اعلى الله تعالى قدسهم ، ورزقنا شفاعتهم ، وانسهم ، بحق سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، يا رب العالمين .

تم السبع الخامس


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس المواضيع


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرست الاعلام

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

غ

ك

ل



م

ن

هـ

فهرست الامكنـــــة

ا

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع



غ

ف

ق

ن

هـ

و

ي




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صفحة	سطر	صواب	صفحة	سطر
صفلة	٧	٢٦	صفحة	٧	٢٦
بن	١١	٢	ابن	١١	٢
طلب	١٩	٩	طالب	١٩	٩
يتيها	٢٧	٢١	يتيه	٢٧	٢١
أقاسم	٣٤	١٢	القاسم	٣٤	١٢
البل	٣٨	٢٥	في الليل	٣٨	٢٥
آت	٣٩	١٦	وقت	٣٩	١٦
مع	٤٤	٢٣	محه	٤٤	٢٣
مشو	٤٥	١٣	مشوا	٤٥	١٣
فجح	٤٧	١٩	فج	٤٧	١٩
صيقة	٤٩	١٠	ضيفه	٤٩	١٠
بان	٥١	١٩	باذن	٥١	١٩
ررسوله	٥٢	٤	رسوله	٥٢	٤
ابن	٥٣	٣	بن	٥٣	٣
فتساب	٥٥	١٦	فتسابق	٥٥	١٦
استعلت	٥٧	٩	اشتعلت	٥٧	٩
فجز	٦٤	١٩	فجهز	٦٤	١٩
للمؤمنمين	٦٦	٢٥	للمؤمنين	٦٦	٢٥
ابن	٦٧	٢٠	بن	٦٧	٢٠
طنبة	٧١	٢	طبنة	٧١	٢
طنبة	٧٢	١١	طبنة	٧٢	١١
التزير	٨٣	٢	التدبير	٨٣	٢

خطأ	صفحة	سطر	صواب	صفحة	سطر
الخار	٨٢	٥	الخارج	٨٢	٥
٥ هامش	٨٣	٠	٦ هامش	٨٣	٠
٦هامش	٨٣	٠	٧ هامش	٨٣	٠
أبا الله	٩٩	١٢	أبا عبدالله	٩٩	١٢
المشتدي	١٠٥	٢٠	المشتري	١٠٥	٢٠
وله	١١٨	٢٣	ولم	١١٨	٢٣
شكننا	١١٩	٥	شككنا	١١٩	٥
الحصاد	١٢٥	١٠	الحصار	١٢٥	١٠
مقية	١٤٢	٤	مقيم	١٤٢	٤
بعض ذكرته	١٦١	٤	بعض ما ذكرته	١٦١	٤
أبو يعقوب السجتاني	١٧٠	٣	أبويعقوبالسجستاني	١٧٠	٣
واراس	١٧٣	١٤	أوراس	١٧٣	١٤
وينصركه	١٩٦	١٦	وينصركم	١٩٦	١٦
قصدوب	٢٠٢	١	وقصدوه	٢٠٢	١
اصبك	١٣٢	١	أصبعك	٢٣٢	١
نسان	٢٤٠	١٦	نساء	٢٤٠	١٦
ناكسين	٢٦٥	٣	ناكصين	٢٦٥	٣
فيمكنون	٢٧٣	٩	فيكمنون	٢٧٣	٩
رمد	٣١٠	١	ومد	٣١٠	١

هذه الاخطاء المطبعية التي وردت ــ في هذه الطبعة . لم يكن بمقدورنا تجاوزها في الاعمال الطباعية ، نأمل من القارىء الكريم ان يعذرنــا اذا وجد غيرها ، لانها لا تشكل اي تشويه في النص على ندرتها .